الفيصل

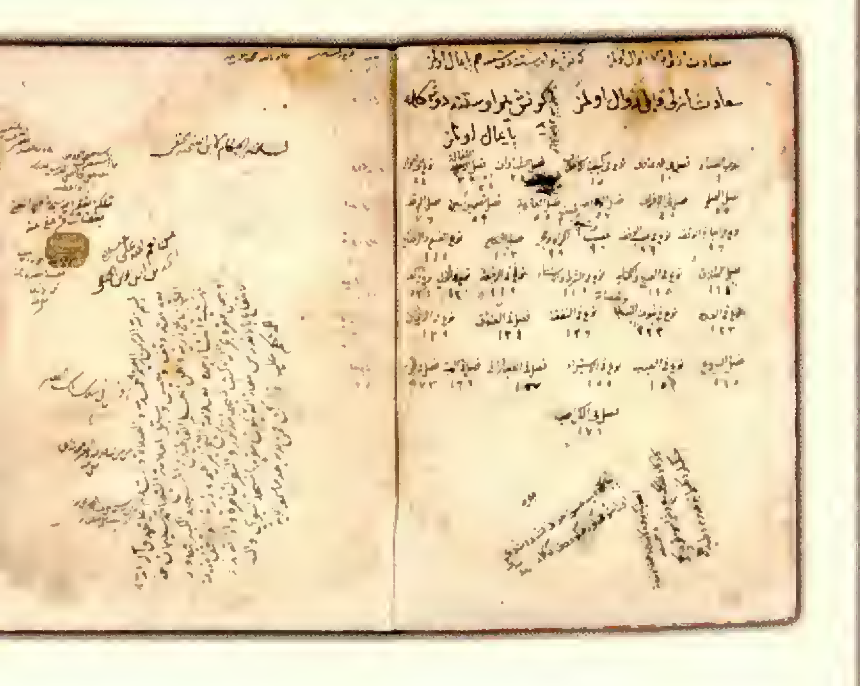
مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢٣٠) ـ شعبان ١٤١٦ هـ ـ ديسمبر ١٩٩٥ / يناير ١٩٩٦ م
ALFAISAL MAGAZINE _ ISSUE (230) DEC. 1995/JAN. 1996

ماذا يقرأ العالم؟

الكوارث: نهاية المطاف أم بدايته؟

الإنسان
في الحضارتين الإسلامية والغربية

حفاظاً على البيئة: حافلات بالهيدروجين وسيارات بالكهرباء!





لسان الحكام في معرفة الأحكام

لأحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن الشحنه الحلبي المتوفى سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م.

مولده ووفاته بحلب، وولي قضاء الحنفية ببلده. ألف كتاب «لسان الأحكام» حين ولي القضاء. وهو في فقه القضاء انتخبه من كتب العلماء الأعلام، وذكر فيه «مايكثر وقوعه بين الأنام على وجه الإتقان والإحكام ليكون عونًا للحكام على فصل القضايا والأحكام» كما قال في مقدمته. وقد رتبه على ثلاثين فصلاً في المعاملات والأقضية والشهادات وغيرها من الموضوعات، ولم يتممه؛ بل وصل فيه إلى الفصل الحادي والعشرين في الكراهة، وأتمه برهان الدين إبراهيم الخالعي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري (كان حيًا سنة ١٠١٥هـ) وسماه «غاية المرام».

في الورقة الأولى والثانية بعض التملكات أحدها مؤرخ سنة ١١١٧هـ بالإضافة إلى وجود ختم تملك ووقف.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم ٦٧٣.

إعداد: د. عابد سليمان المشوخي

في العدد القادم:
● العطور: صناعة عائداتها بمليارات الدولارات (ملف شامل)
● المرأة المسلمة وتحديات المجتمع المعاصر



أبواب «الفيصل» مفتوحة

يقولون: ليس بين الأحباب عتاب وملامة. وأقول: عتاب الأحباب يصل حبل الود، ويظل النبض العربي الإسلامي رابطة ووشيجة رغم اختلاف الآراء.

تتمدد صفحات «الفيصل»، وتزدحم بالأسماء المبدعة من المحيط إلى الخليج، غير ما تحمله من أسماء أخرى من بلاد الإسلام، ولا أجد، إلا على استحياء، أسماء كتابنا وشعرائنا السودانيين، وما عقمت حواء الأدب السوداني عن إنجاب التجاني يوسف بشير، ومحمد سعيد العباسي، وفراج الطيب، والطيب السراج، وعبدالله الطيب، ومحمد أحمد محجوب، وغيرهم من الأدباء والشعراء وكتاب القصة.

عبدالسلام كامل عبدالسلام
تلفزيون السودان
ص.ب ١٠٩٤ أم درمان

التحرير:

أبواب الفيصل مفتوحة لكل المبدعين في العالم العربي والإسلامي، ونحرص في كل عدد على شمول التغطية، وفق شروط النشر الموضوعية.

أما حديثك عن إغفال المبدعين السودانيين، فذلك قول غير دقيق، فيكفي أن نحيلك إلى الأعداد القرية ٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٢٩ وأيضا العدد الذي بين يديك، لتقرأ فيها موضوعات لكل من محمد المكي إبراهيم، ومحمد سعد دياب، ومحيي الدين فارس، وهم كما تعلم من الأدباء السودانيين الذين لهم إسهامهم الثقافي المقدر. وفي أعداد سابقة هناك أسماء أخرى عديدة، وكذلك الحال بالنسبة لكل مثقفي العالم العربي والإسلامي ومفكريه.

فالمجلة ترحب بكل مشاركة، وهي تدعو الجميع ـ مشكورين ـ إلى المساهمة بالكتابة عبر صفحات المجلة.

التواصل بين الأجيال

أتوجه بهذا النداء إلى مجلتنا الأثيرة «الفيصل»، وكلي أمل في أن تستجيب، وذلك ديدنها في خدمة الثقافة العربية والإسلامية الخالصة. فعزاء القراء عندما يغيب علم من أعلام الفكر والثقافة والأدب هو أن هناك من يحمل همَّ الثقافة، ويُبقي على جسور التواصل، ويعرِّف بنتاج الراحلين.. ومن هذا المنطلق أناشد «الفيصل» إفراد ملف عن الأديب الراحل الدكتور نجيب الكيلاني ـ رحمه الله ـ، وذلك لتقوية التواصل بين الأجيال.. إن روايات الكيلاني، من مثل «الظل الأسود»، و«رأس الشيطان»، و«عذراء جاكرتا»، تحتاج إلى من يسلط الضوء عليها، ويعيد قراءتها ويسبر أغوار أفكارها النابعة من صميم القيم الإسلامية.

عبدالقادر مدني العربي
ص.ب ٤١٧ بو سعادة، الجزائر

التحرير:

الأديب الراحل د. نجيب الكيلاني عزيز على المجلة وقرائها.. وقد آلمنا فقده رحمه الله، ولاحول ولاقوة إلا بالله ولا راد لقضائه. ولعلك لو تابعت «الفيصل» لوجدت أنها نشرت عن أدبه ثلاث دراسات منذ وفاته ـ قبل نحو تسعة أشهر ـ وحتى الآن، من ضمنها دراسة في هذا العدد الذي بين يديك.

ما حكاية النجمة السداسية ؟

ورد في أعمال الرسل ٧: ٤٢: ٤٣، أنهم ـ أي اليهود ـ عبدوا صنمًا لنجم «رمفان» وهو النجم الذي ينسبونه الآن لداود عليه السلام.

لنقرأ كما ورد: «فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء. هل قرَّبتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البرية يا بيت إسرائيل. بل حملتم خيمة مولُوكَ ونجم إلهكُمْ رَمْفَانَ التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها».

ما حكاية هذا النجم؟ وهل صحيح أن النجم أو النجمة السداسية هي نجمة داود عليه السلام كما يدعي اليهود؟ وما الدليل على ذلك؟

نرجو من العلامة الكبير الدكتور حسن ظاظا حفظه الله عمل دراسة مفصلة عن تاريخ النجمة السداسية أو النجم (رمفان) كما ورد اسمه في أعمال الرسل. وكذلك الزنار، ما حكايته؟ وهل له علاقة بتاريخ اليهود؟ نرجو التوضيح.

أحمد علي الوريث
ص.ب : ٢١٢٦٤
صنعاء، اليمن

التحرير:

سيقوم الدكتور ظاظا قريبًا ـ إن شاء الله ـ بدراسة وافية عن أزياء اليهود ومدلولاتها وسيكون هذا الموضوع ضمن ذلك.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة



الحرس الوطني

تتسارع خطى التطور في هذا العصر بصورة متلاحقة لم تعرفها الإنسانية من قبل، وانتظم هذا التطور مجالات الحياة جميعها، بما فيها المجال العسكري الذي يمثل أحد أهم المجالات التي شهدت تطورًا واسعًا ونقلة كبيرة في التقنية المستخدمة وأساليب الإعداد والتنظيم والتدريب وغيرها.

وتتسابق الدول إلى امتلاك أحدث التقنيات التي تتيح لها أسباب القوة، وقدرات التأثير في عالم تتشابك فيه العلاقات وتتداخل المصالح وتتقارب المسافات. ومع أهمية هذا العنصر المادي في تحديد موازين القوى وترجيح كفة على أخرى، يظل الإنسان أثمن الثروات التي تمتلكها الدول وأغلاها؛ إذ إن كل تقدم في أي مجال من المجالات يمثل نتاج أفكاره وخلاصة عمله ودأبه. لذلك فإن أي خطوة تخطوها الأمم والشعوب إلى الأمام مرهونة بمدى فعالية هذا الإنسان وقدرته على الإبداع والابتكار.

وإذا كانت التطورات التي تشهدها الحياة في جوانبها المختلفة تسهم في دفع عجلة التقدم، وتشارك في زيادة رقي الإنسان، وتتيح له التمتع بوسائل الراحة والدعة التي تفتق عنها ذهنه وتفكيره؛ فإن التطور في المجال العسكري يحمل في طياته بشائر الخير ونذر الشر معًا. ويتوقف تغليب عنصر على آخر على طبيعة القيم التي يستند إليها الإنسان المتحكم في زناد الآلة العسكرية المتطورة. فقد ينطلق الإنسان من مفهوم قاصر يحدد الحياة ساحة صراع لابد أن يحسمه الأقوياء بفرض هيمنتهم وسيطرتهم على الضعفاء، يمارسون عليهم كل أساليب القهر والاستغلال من دون أن تردعهم مبادئ أو تحكمهم قيم.

وكان هذا المفهوم - ومايزال - سببًا رئيسًا في شقاء الإنسانية وما تشهده الحياة من نكبات. فالاحتكام إليه لايضرّ الضعفاء فحسب، وإنما يلحق كثيرًا من المصائب والكوارث بمن يعتقدونه ويرونه أساسًا لعلاقاتهم مع الآخرين. وقد كان مفهوم البقاء للأقوى وراء انهيار كثير من الحضارات التي اتخذت القوة وسيلة لإعلاء بنيانها. وقد برهنت مجريات الأيام ووقائعها وخبرات التاريخ على خواء النظريات التي تنطلق من رؤى منقوصة للحياة، تزعم حسم الصراع لصالح قوى لاتحمل من مقومات التمكين في الأرض إلا ظاهرها المادي، ويفتقد إنسانها التوازن الداخلي نتيجة لغياب القيم الثابتة التي لايسلبها تعاقب الأزمان ثباتها وقوتها. وفي الوقت نفسه، فإن هذه المجريات والوقائع والخبرات تؤكد أن تكامل الإنسان روحيًا وماديًا يمثل عنصرًا رئيسًا في حسم الصراع بين الخير والشر. وتوضح مجريات التاريخ أن هذا التكامل الذي يعني استكمال مقومات التمكين بما يحقق مبدأ خلافة الإنسان في الأرض، قد تحقق في ظل الحضارة الإسلامية منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنًا، ذلك لأنها احتكمت إلى شرع يتسم بالثبات، ويُعلي من قيمة الإنسان، بوصفه مستخلفًا في الأرض ومسؤولاً عن إعمارها، بتوظيف عناصر التمكين المتمثلة في القوى الاقتصادية والعسكرية والإعلامية وغيرها، ووضعها في سياقها الصحيح لخير الإنسانية جمعاء دون تفرقة أو أي محاولة للسيطرة والاستغلال.

هذه الأفكار وغيرها من أدبيات التاريخ وفلسفة الصراع بين قوى الخير والشر، ومكونات الصراع وأدواته، وموقع الإنسان ودوره، حفزتها في الذهن الدعوة الكريمة التي تلقيتها من صاحب السمو الملكي الفريق ركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز، نائب رئيس الجهاز العسكري بالحرس الوطني، قائد كلية الملك خالد العسكرية وقائد التمرين، لحضور المراحل النهائية للتمرين التعبوي «النصر من الله» الذي أجرته قوات الحرس الوطني في منطقة القصيم في الفترة من ٢ - ٤ رجب ١٤١٦هـ برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني.

وارتبط استحضاري لهذه الأفكار بالأهداف التي ترمي إليها مثل هذه التمارين التعبوية التي يحرص الحرس الوطني على تنظيمها سنويًا. ففي عالم تتطور فيه التقنيات العسكرية تطوراً متلاحقًا لايتيح المجال لالتقاط الأنفاس، يبقى استيعاب هذه التقنيات والتدرب على استخدامها ضرورة تقتضيها المواكبة والعيش في قلب عصر يموج بالصراعات والأطماع. مما جعل درجة الاستعداد العسكري معياراً من معايير قياس قوة الدول ومدى تأثيرها في مسارات الأحداث. ومما لاشك فيه أن هذا الاستعداد يتصل - كما أسلفت - بالقيم التي تحتكم إليها الدول. وتبدو هذه القيم بالنسبة للمملكة العربية السعودية جلية، لاتحتاج إلى عناء في التوضيح والإبانة؛ فهي تنطلق في سياساتها الداخلية والخارجية من مفاهيم تنبثق من الشريعة الإسلامية السمحة التي تقرر كرامة الإنسان - مهما كان انتماؤه - في هذه الأرض، مما يقتضي إقامة العلاقات بين بني البشر - على اختلاف مشاربهم - على أساس من العدل والمساواة. وعلى هذا الأساس القويم يأتي كل تطوير وتحديث للقوة العسكرية السعودية، كما يؤكد ذلك دومًا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - القائد الأعلى للقوات المسلحة، ومن ثم فإن التمرين التعبوي «النصر من الله» جاء في هذا السياق، راميًا إلى اختبار جاهزية وحدات الحرس الوطني وكفاءتها ومستويات أدائها، وللوقوف على قدراتها وإمكاناتها، ومدى استيعابها للتقنيات الحديثة، وقدراتها على التنسيق والتفاعل في ظل عمليات واقعية تماثل - إلى حد كبير - ما يمكن أن يحدث على أرض الواقع.

الإنسان أولاً

وتعكس هذه التمارين التعبوية وجود خطة (استراتيجية) تعتمد على تأهيل القوة البشرية ورفع مستويات أدائها بتكثيف التدريب الحي في موقع العمليات، واتباع أساليب تقويم حديثة تستند إلى الواقع. ولعل ماشهده الحرس الوطني من تطور وتحول من وحدات تقليدية إلى وحدات تأخذ بأحدث النظريات العسكرية في التنظيم والتدريب والتسليح، يؤكد ما سبق ذكره عن أهمية التعويل على «الإنسان المتكامل» بوصفه أهم عنصر في توجيه الحضارة وجهتها الصحيحة. فحشد الإمكانات المادية وتحديثها بمعزل عن إعداد الطاقات البشرية التي تستخدم هذه الإمكانات يسبب ما يمكن تسميته بالانفصام الحضاري.

ومن ثم فإن هذا الاعتداد بالإنسان بوصفه العنصر الأهم في أي بناء حضاري يأتي تطبيقًا للتوجيه الرباني الداعي إلى أن يكون المسلم قويًا عزيزًا، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾(الأنفال:٦٠)، فالإعداد وفق المفهوم الإسلامي ينطوي على معاني المواكبة، واستخدام كل ما يعضد قوة المسلمين وتفوقهم ويتيح لهم مقومات التمكين في الأرض. وبهذا المعنى، فإنه يستوعب جملة ما يستجد في كل عصر من أساليب التدريب ووسائل التقنيات الحديثة وتطبيقها والتفاعل معها بفهم ووعي يحققان هدف الدفاع عن الدين والعقيدة.

فاليقظة عن طريق الاستعداد والجاهزية والقدرة والكفاءة من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وذلك ما عرف حديثًا بالقوة الرادعة.

ومع أن الإسلام ينبذ العدوان ويحث على السلام ويرسي قواعده، فإنه يشجع على اليقظة والحذر، واتخاذ التدابير والوسائل اللازمة لمواجهة أي طارئ.

ولعل مفهوم اليقظة أشمل وأبلغ من القاعدة التي توصل إليها خبراء الاستراتيجية العسكرية، والتي تقول: « إذا أردت صون السلام فاستعد للحرب». فاليقظة في أوقات السلم أعمق دلالة على الحذر من عبارة «الاستعداد للحرب»، لأن الأخيرة تعني تخصيص موارد ضخمة واللجوء إلى الاستنفار الداخلي، وغير ذلك من الترتيبات التي تفرضها الحرب، أما اليقظة فهي حالة وسطية تُعنى أكثر بترقية القدرات الدفاعية وتحديث آلياتها وتدريب الأفراد عليها، وتزويد القادة بما هو جديد في فنون إدارة الجيوش.

ومما لاشك فيه أن التمرين التعبوي «النصر من الله»، مع التمارين المماثلة التي سبقته يشكل تجسيدًا لمفهوم اليقظة في عالم متغير، لا مجال فيه للتقاعس أو التراخي.

وحيث إن الإعداد العسكري للقوة البشرية لايضمن لها الفعالية والنجاح في الاضطلاع بمسؤولياتها ما لم تكن هناك تهيئة فكرية وعلمية لها، فإن الحرس الوطني يكرس جهودًا متعددة في مجالات مختلفة للارتقاء بالمستويات الثقافية والفكرية والعلمية لهذه القوة.

وينفي كثير من نشاطات الحرس الوطني الصورة الذهنية التي انطبعت في بعض العقول عن تنافر العمل العسكري مع الجوانب الفكرية والثقافية، ولعل المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية» الذي يمثل تظاهرة ثقافية سنوية تجمع أدباء ومفكرين من جميع أنحاء العالم يعبر عما يوليه الحرس الوطني من اهتمام بالجانب الثقافي والفكري في إعداد العنصر البشري. وهناك نشاطات ثقافية وإعلامية أخرى تنبئ عن هذا الاهتمام، إضافة إلى ما تقوم به المعاهد والكليات العلمية المتخصصة، مثل كلية الملك خالد العسكرية من إعداد علمي، وما يوفره الحرس الوطني من خدمات صحية ورياضية توجيهية وإرشادية عبر مؤسسات متخصصة ترمي جميعها إلى تحديث القوة البشرية وتهيئتها دينيا وعلميا وفكريا وصحيا للتفاعل الإيجابي مع العصر، والقيام بمسؤولياتها في الدفاع عن الوطن والعقيدة والمقدسات الإسلامية متسلحة بالإيمان والعلم، ومن خلال التكامل والتنسيق مع فروع القوات المسلحة المختلفة التي تجد الاهتمام والرعاية نفسيهما من قبل القائمين عليها.

وتجلى الاهتمام بالتمرين التعبوي «النصر من الله» في رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني له.

إن إعداد قوات عسكرية وتعبئتها وفق أساليب علمية مدروسة يقتضي وجود قيادة تستوعب علوم الإدارة العسكرية وفنونها حرصًا على تحقيق أعلى مستويات الأداء وأفضل درجات التنسيق بين الوحدات العسكرية وصولاً إلى أهداف الإعداد والتدريب، كما يتطلب هذا الإعداد وجود عناصر بشرية قادرة على الإفادة مما تتلقاه من تدريب وتأهيل، لأن شراء آلة من دون إنسان يملك قدرات توظيفها يمثل هدرًا واستنزافًا للاقتصاد الوطني، ومن ثم يبقى قصب السبق لمن يولي الاهتمام بإعداد الإنسان وتأهيله عبر خطط وبرامج علمية تأخذ طريقها إلى التنفيذ بوسائل وأساليب فعالة، وقبل كل ذلك لابد أن يكون هذا الانسان متشبعًا بروح الانتماء لعقيدته ووطنه.

وكان من مصدر سعادتنا حقًا أن نلمس - عن قرب - تطبيق أساليب الإدارة الحديثة في الحرس الوطني، إذ إن ما قدمه الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز قائد التمرين التعبوي من لمحات عن سير التدريبات، وعقده الموازنة مع ما تم في تمارين العام الماضي، وشرحه للجوانب الإيجابية والسلبية وأسبابها، كل ذلك مَثَّل نموذجًا ينبغي أن يكون عليه التقويم الموضوعي الذي يشكل عنصرًا رئيسًا لأي تخطيط يرمي إلى مستويات أرفع من الأداء، ويتطلع إلى الإتقان ويحرص عليه، لكونه أساس كل تطور وتقدم. فالإتقان مبتغى أي إدارة تصر على بلوغ الكمال بقدر المستطاع. وليست تجربة اليابان ببعيدة، فهي لم تبلغ ما بلغته من تطور أذهل العالم إلا بحرص أهلها على إتقان العمل والتفاني في أدائه. ولعل ما بدا من حرص على الإتقان في هذا التمرين التعبوي يدعو إلى التفاؤل بالمستقبل مادام الوطن يزخر بشباب كأولئك الذين خططوا لهذا التمرين ونفذوه بحرص واضح على الإتقان لتحقيق أعلى مستوى من الأداء.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين





التلوث خارج المدن

أصبحت صحة البيئة هاجسًا يؤرق إنسان هذا العصر، لشعوره أن نشاطاته سبب رئيس في تلويث البيئة، ومن ثم انعكس ذلك عليه سلبًا. وتعد عوادم السيارات في المدن الكبرى من أكثر الملوثات البيئية، لذا فإن الإنسان في سعي دؤوب لاكتشاف وسائل مواصلات تعمل بأنواع جديدة من الطاقة، فاخترع العلماء الألمان حافلات تسير بالهيدروجين، وسيارات تعمل بالكهرباء.

ولكن تظل الحاجة إلى النفط لاستخدامه في محطات توليد الطاقة الكهربائية قائمة، مما دعا إلى إقامتها خارج المدن. ترى، كيف يحل العلماء هذه المعضلة؟

طالع ص٨



التوغل في أعماق الذَّرَّة

تستند أحلام العلماء إلى معطيات علمية؛ فهم في سعيهم لاستكشاف المجهول ينطلقون من حيثيات وأسانيد وحقائق تراكمية يعضد بعضها بعضًا. وإذا كان بعض ما يهم العلماء تحقيقه يعد - في مرحلة ما - في عداد المستحيلات، فإن تتابع البحوث يجلي الحقائق، ويجعل المستحيل واقعًا يضج بالحياة.

وليس مثل الذرة - على ضآلتها - ما حيَّر العلماء، وكلف الإنسان أموالاً وطاقات لسبر أغوارها، وكشف أسرارها. وقد شكلت الذرة - ومازال - تحديًا علميًا. ويمثل اكتشاف ما يعرف بـ «الكوارك السادس» داخل تركيبة الذرة، انتصارا سجله العلماء في هذا الحقل الغامض، ويؤمل أن يفتح آفاقا جديدة أمام الانسان.

د. شذى الدركزلي تحاول الإجابة عن هذا السؤال: الكوارك السادس: نهاية المطاف أم علامة أخرى على الطريق؟

طالع ص٧٠



المسرح وذخيرة التاريخ

التجربة اليابانية بأنماطها المختلفة، التي اتخذت من الاعتماد على الخصوصية شعارًا لها، تعد مجالاً رحبًا لدارسي ثقافات الأمم، وطرق تشكيل الذهنية الشعبية. والمسرح أحد وسائل تعرف التوجه المسلكي والفكري لمجتمع ما، ومكنون العناصر الإبداعية فيه، والعلاقات المؤثرة في صوغ التجربة الإنسانية بعامة.

كامل يوسف حسين يسلط الضوء على مسرح العرائس الياباني «البونراكو»، وأصوله التاريخية، والرسالة التي يحملها، والموازنات الاجتماعية التي شكلت هذا الفن، وأثرت في تطوره.

طالع ص ٨٩

أدب وفكر

بيئة

إعلام

علم نفس واجتماع

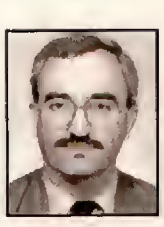
تعليم

لغة

تراث وتاريخ

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد



د. عبده عبود

- من مواليد دير عطية، سورية ١٩٤٢م.
- حاصل على الماجستير في الأدب الألماني الحديث، والدكتوراه في الآداب، جامعة يوهان فولفجانج جوته، فرانكفورت، ألمانيا.
- يعمل حاليا أستاذا مساعدا في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب، جامعة البعث.
- شارك في العديد من المؤتمرات الدولية، منها: المؤتمر الدولي حول كافكا (فرانكفورت ١٩٨٣م)، المؤتمر الدولي للغة الألمانية وآدابها (لايبزيغ ١٩٩٣م)، مؤتمر المنتدى الأدبي بجامعة اليرموك ١٩٩٣م، ١٩٩٥م، المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن دمشق ١٩٨٦م، مؤتمر الحوار العربي الألماني عمّان ١٩٩١م.
- من مؤلفاته: الأدب المقارن: مدخل نظري ودراسات تطبيقية، الرواية الألمانية الحديثة: دراسة استقبالية مقارنة، هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والعلاقات الثقافية.
ومن ترجماته: الدراما الحديثة في ألمانيا، لفالتر هينك، الخربون: قصص لأنا زيغرز، أجمل قصص الأطفال (جزءان).
- عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية، وعضو مؤسس للجمعية العربية للدراسات الألمانية.

د. شذى الدركزلي

- بكالوريوس وماجستير في الفيزياء من كلية العلوم، جامعة بغداد.
- دكتوراه في الفيزياء النووية من جامعة درم في إنجلترا، وحصلت على درجة الأستاذية عام ١٩٩٢م.
- درّست لسنوات عديدة في جامعة بغداد، وأشرفت على العديد من بحوث الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه).
- حصلت على زمالة أرثر براوز لمدة سنة في قسم الفيزياء، جامعة درم للعام الدراسي ١٩٩٢/١٩٩٣م.
- تعمل حاليًا مساعد باحث أقدم في القسم نفسه.
- لها ثلاثة كتب متخصصة باللغة العربية، وعشرون بحثًا تخصصيًا في الدوريات العلمية باللغة الإنجليزية، ومقالات علمية في الدوريات العربية.



محمد وليد سابق

- من مواليد اللاذقية، سورية ١٩٣٩م.
- حاصل على ليسانس اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة دمشق، كما نال درجة الدبلوم العامة في التربية.
- عمل مدرسًا للغة الإنجليزية، ثم مدير مدرسة، ومترجمًا في الكويت والإمارات، ويعمل حاليًا في مجال الترجمة.
- له مقالات وقصص قصيرة وقصائد منشورة في عدد من الصحف والمجلات العربية، كما ترجم عددا من القصائد الإنجليزية إلى اللغة العربية شعرا.



د. ندا الحسيني ندا يوسف

- من مواليد مصر، ١٩٥٨م.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب (لغة عربية)، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٩١م.
- عمل معيدًا بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ثم مدرسًا مساعدًا في قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة قناة السويس، ويعمل حاليًا مدرسًا للنحو والصرف في القسم نفسه.



الحرب ضد التلوث!

حافلات بالهيدروجين وسيارات بالكهرباء!

إعداد: قسم المعلومات والترجمة

أصبح التلوث بعادم السيارات يشكل هاجساً مقلقًا لسكان العديد من مدن العالم الكبرى. ففي أثينا ونيومكسيكو وسان سلفادور والقاهرة، تسجل يوميًا حالات اختناق بسبب التلوث الجوي، وتكاد الرؤية تنعدم في شوارعها خلال النهار بسبب تكاثف الأدخنة والغازات السامة التي تطلقها باستمرار آلاف الحافلات والسيارات وعربات النقل المختلفة. ولم يكن في وسع المسؤولين عن مواجهة هذه المشكلة في السابق إلا أن يلجؤوا إلى الحلول المؤقتة وغير العملية؛ كالإجراءالذي اتخذته بلدية أثينا بمنع حركة المرور في الشوارع خلال العطلة الأسبوعية، أما الحل الحقيقي فيبدو أنه أضحى على الأبواب بعد أن عمدت مراكز البحث العلمي في بعض البلدان المتطورة إلى ابتكار الحافلات التي تسير بطاقة احتراق الهيدروجين والسيارات التي تسيز بالكهرباء. فهل تمثل هذه الوسائل بداية لعصر استخدام الأبدال الجديدة للنفط؟

حافلات الهيدروجين

مع بداية عام ١٩٩٦م، سوف تكون جمهورية ألمانيا سبّاقة إلى تسيير أول نظام متكامل من حافلات المدن التي تستهلك غاز الهيدروجين في محركاتها بدلاً من زيت الديزل أو البتزين. ولغاز الهيدروجين ميّزات فريدة عندما يستعمل كوقود تجعله أكثر أمنًا بكثير من الوقود الأحفوري. فهو لاينشر أثناء احتراقه أية غازات أو أدخنة ملوثة للجو. والمحركات المصممة خصيصًا لحرق الهيدروجين بالهواء لاتنتج أكاسيد الكربون والآزوت والهيدروكربونات الخانقة التي تنتجها محركات الديزل أو البنزين؛ بل تنتج بدلاً منها بخار الماء. ولقد أثبت استعمال الهيدروجين بوصفه مصدراً لطاقة الدفع نجاحًا عريضًا عندما استغلت طاقته لأغراض إطلاق الصواريخ والمكوكات الفضائية الضخمة.

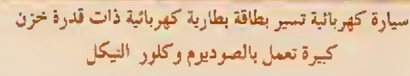
ويعود البحث الحقيقي في تصميم المحركات التي تستخدم الهيدروجين كوقود لتسيير العربات والسيارات إلى نحو عشرين عامًا مضت. وتمت صناعة العديد من نماذجها التي لم تكن عملية لأسباب مختلفة. ومنذ العام ١٩٩١م عمد باحثون ألمان يعملون

في مـؤسـسـة ديملر - بنز DEIMLER BENZ إلى تنفيـذ مشروع طموح يرمي إلى ابتكار حـافلة تسـيـر بطاقـة دفع الهـيـدروجين تكفلت الوزارة الفيدرالية الألمانية للبحث والتطوير بتمويله. وتمخضت هذه الجهود المستـمـرة عن إنتـاج حـافلة هيـدروجـينية تتسع نظريًا لمائة مقعـد، وتعد نموذجًا معـدلاً لحافلات معروفة بعد أن تم تعديل محـركـاتهـا؛ بحـيث تصـبح مخـصصة لحرق الهـيدروجين بالهـواء الجـوي بدلاً من حـرق الديزل أو البنزين. على أن الأجزاء الأساسية التي جرى تعديلها هي البخّاخات INJECTORS ونظام الاحتراق. ومع النجاحات التي سجلتها هذه المحركات الجديدة، فإن المهندسين الذين أشرفوا على تصـميمهـا مازالوا في شك من مدى فعاليتها في تسيير الحافلات. ويرى بعضهم أنها قد تحتاج -

«سان سلفادور» عاصمة السلفادور، تسبح في طبقة كثيفة من الدخان وعادم السيارات، مما يؤدي إلى حوادث اختناق، ويجعل الرؤية رديئة حتى خلال النهار

حافلات الهيدروجين وسيارات الكهرباء في سير تجريبي بأحد الشوارع




سيارة كهربائية تسير بطاقة بطارية كهربائية ذات قدرة خزن كبيرة تعمل بالصوديوم وكلور النيكل

تركيب بطاريات ZEBRA الكهربائية في أحد المصانع الألمانية. تتألف كل بطارية من ٥٠٠ خلية، لكل منها قطبان أحدهما من الصوديوم والآخر من كلور النيكل، وتسمح هذه البطارية لحافلة تسع سبعين مقعدًا بالسير لمسافة ٤٠٠ كيلو متر، وتشحن مرة واحدة في اليوم

كغيرها من الابتكارات الجديدة التي توضع قيد التطبيق العملي - إلى المزيد من التعديلات التي لن تظهر الحاجة إليها إلا من خلال مراقبة أدائها عند وضعها قيد الخدمة الفعلية. إلا أن ذلك لم يمنع العديد من الدول التي ابتليت مدنها بداء التلوث من المسارعة إلى إبداء رغبتها في شراء مثل هذه الحافلات. ولقد قدّر الخبراء فترة حياة الحافلة الهيدروجينية بما يعادل مليون كيلو متر من المسير.

ويعد تخزين الهيدروجين المشكلة الأقل تعقيدًا في هذا النظام حيث تتضمن الحافلة ٣٠ خزانًا منفصلاً من الألمونيوم المدرّع بطبقة واقية من الألياف مثبتة بإحكام تحت سقفها.

ويمكن لهذه الخزانات مجتمعة أن تتسع لنحو ٤٠ كيلوجرامًا من الهيدروجين المحفوظ تحت ضغط يعادل ٣٠٠ بار (حوالى ٣٤٠ ضغطا جويا نظاميا)، وهي كمية تكفي الحافلة للسير لمسافة ٢٢٠ كيلومترا. ونظرًا لكتلة الخزانات وطبقاتها الواقية الثقيلة، التي تزن مجتمعة نحو ٢٢٠٠ كيلو جرام، فإن من المرجّح أن لاتتمكن الحافلة من نقل أكثر من ٧٠ راكبًا فقط.

ويتم شحن الحافلة بغاز الهيدروجين من محطة خاصة خلال سبع دقائق. ويستخدم لهذا الغرض نوعان من الخزانات: يسود الأول ضغط يعادل ٢٠٠ بار تُملأ منه خزانات الحافلة عندما تكون فارغة تمامًا، ويسود الثاني ضغط يعادل ٤٠٠ بار ويستخدم لملء الخزّانات تمامًا تحت ضغط أعلى.

ويُحَضّر الهيدروجين الذي تتزود به محطات التوزيع العامة من وحدات التحليل الكهربائي التي تعمل على تحليل الماء إلى عنصريه: الهيدروجين والأوكسجين. ويُعَدُّ غاز الأوكسجين ناتجًا ثانويًا ذا أهمية كبيرة في صناعة تلحيم المعادن والأغراض الطبية.


كيميائي ألماني يجري اختبارًا على الأقطاب الكهربائية لخلية الوقود

السيارات الكهربائية

بعد ثلاث سنوات من البحث المستمر، توصل العلماء في ألمانيا إلى تصميم محركات للسيارات تعمل بطاقة دفع الكهرباء، ومن المتوقع أن يبدأ تسييرها الفعلي مع بداية عام ١٩٩٦م بعد أن اجتازت - مؤخرًا - اختبارات الأداء بنجاح كبير. ولقد أسهمت في إنجاز هذا المشروع شركات صناعة السيارات الألمانية كافة. وتستخدم السيارات الكهربائية بطاريات التخزين الكهربائي كمصدر للطاقة المحركة. ولقد اختيرت لهذا الغرض

بطاريات خاصة قادرة على اختزان أربعة أضعاف الطاقة التي تختزنها البطاريات الرصاصية المعروفة.

وزودت كل سيارة بنظام كهربائي خاص يسمح بإعادة شحن البطارية من أي مفتاح منزلي للتيار الكهربائي. ولقد تبيّن أن طريقة الشحن هذه غير عملية من حيث أنها تتطلب وقتًا طويلاً. وتم التغلّب على هذه المشكلة بابتكار محطات عامة يمكنها إعادة شحن البطارية خلال ٣٠ دقيقة، ويمكن لمثل هذه البطارية المشحونة أن تحرر طاقة دفع للسيارة تسمح لها بقطع مسافة ٤٠٠ كيلو متر دون أن تنشر جزيئًا واحدًا من الغازات الملوّثة. وقد صممت السيارات الكهربائية بحيث لاتحتاج إلا إلى عملية شحن واحدة في اليوم.

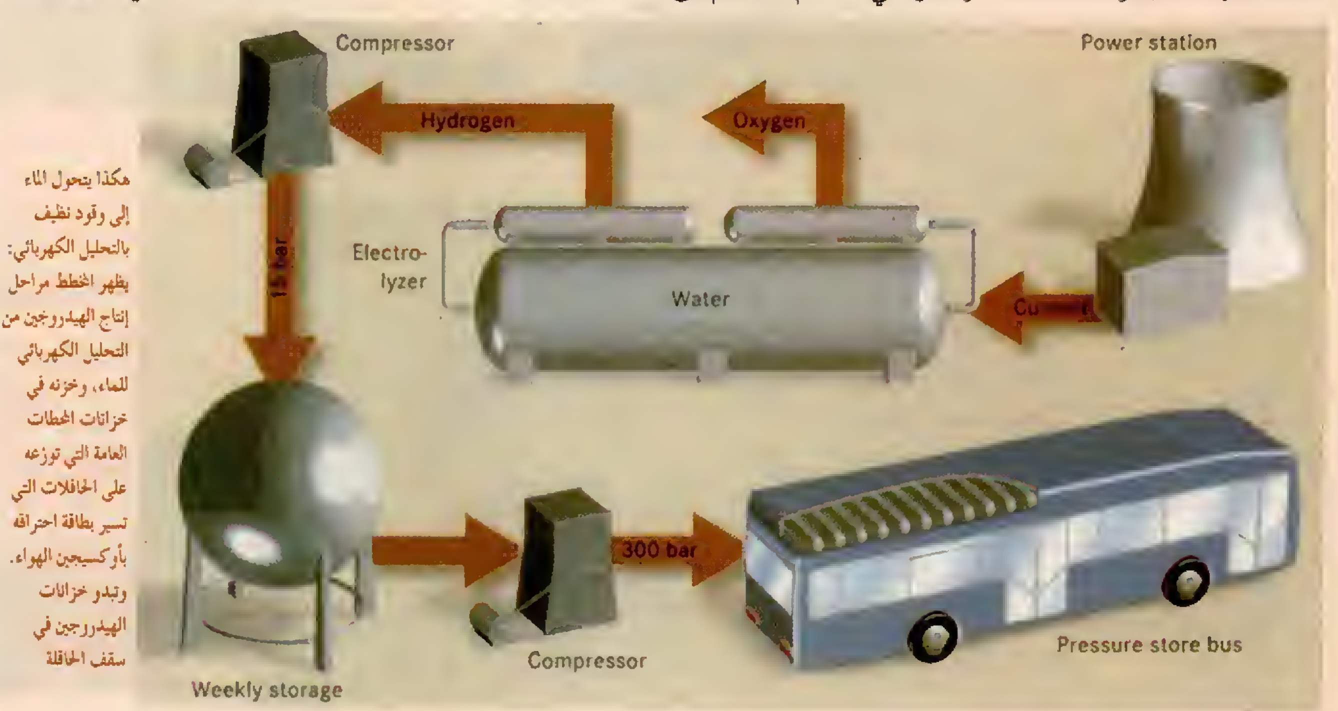
كهرباء دون مولد..!

لم يكن يخفى على الباحثين الذين عمدوا إلى تصميم المحركات الهيدروجينية أو الكهربائية أن استخدامها لتسيير الحافلات والسيارات سوف يخلص سكان المدن من شرور التلوث بعادم السيارات إلا أنه لايعد استغناء عن النفط. ذلك لأن تحضير الهيدروجين من التحليل الكهربائي للماء، وكذلك تزويد المحطات العامة المتخصصة بشحن السيارات الكهربائية يستلزم حرق النفط في محطات توليد الطاقة الكهربائية مما يؤدي إلى نشر الغازات الملوثة. وتكون النتيجة، والحال هكذا، وكأن هذه الأنظمة الجديدة قد حققت فائدة نقل أماكن نشر الغازات من داخل المدن إلى خارجها حيث تقام محطات التوليد الكهربائية عادة. ولقد أثارت هذه المشكلة رغبة الباحثين الكنديين من شركة «أنظمة بايار لانتاج الطاقة» BAIIARD POWER SYSTEMS في البحث عن أساليب جديدة ترمي إلى التخلص تمامًا من مشكلة التلوث بنواتج حرق النفط، حتى توصلوا في عام ١٩٩٤م إلى ابتكار تقانة تعد بالكثير من النجاح للقضاء التام على التلوث بعادم السيارات، أطلق عليها «تقانة خليّة الوقود» FUEL CELL TECHNOLOGY. ومنذ زمن بعيد، كان العلماء يحلمون بتوليد الكهرباء من دون استخدام المولدات، ودون نشر الغازات الملوثة. والآن أصبح هذا الحلم حقيقة بعد ابتكار خلية الوقود التي تتلخص مهمتها في توليد التيار الكهربائي من الطاقة الناتجة من الاحتراق المباشر للهيدروجين بالأوكسجين داخل محرك السيارة. ولقد سميت السيارة التي تستخدم هذه التقانة «السيارة الكهربائية الجديدة» NEW ELECTRIC CAR والتي أصبحت تعرف في أسواق صناعة السيارات باسمها المختصر NECAR. وتولد الخلية تيارا كهربائيا يكفي لتحقيق تسارع للسيارة يسمح لها باكتساب سرعة ٨٠ كيلو مترا في الساعة خلال فترة زمنية وجيزة.

واليوم، تشغل الخلية مع الأدوات التقنية الملحقة بها حجمًا كبيرًا بحيث تصعب تهيئة مكان لها في هيكل السيارة، إلا أن مهندسي التصميم في كل من كندا وألمانيا يعملون بدأب على تصغير حجمها وتطوير أدائها حتى يمكن وضعها ضمن الحيّز المخصص لمحرك السيارة. وليس من المتوقع أن تنتقل السيارات التي تعتمد على طاقة خلية الوقود من خطوط إنتاجها إلى الأسواق والطرق قبل مرور بضع سنوات أخرى. وينشغل المصممون الآن بإيجاد السبل التي تسمح بتخفيض تكاليف إنتاج هذه السيارة حتى تلقى الرواج الكبير في السوق.

وتنفرد السيارات الكهربائية الجديدة بالميزات الثلاث التالية:

ـ ذات فعالية أكبر بكثير من تلك التي تميز السيارات الكهربائية التي تعتمد على البطاريات، أو السيارات العادية ذات محرك الاحتراق الداخلي الذي يعتمد على



هكذا يتحول الماء إلى وقود نظيف بالتحليل الكهربائي: يظهر المخطط مراحل إنتاج الهيدروجين من التحليل الكهربائي للماء، وخزنه في خزانات المحطات العامة التي توزعه على الحافلات التي تسير بطاقة احتراقه بأوكسيجين الهواء. وتبدو خزانات الهيدروجين في سقف الحافلة

حرق زيت الديزل أو البنزين.
- قدرتها على خزن كمية من الوقود تزيد كثيرًا على تلك التي تختزنها باقي أنواع السيارات بما يسمح لها بقطع مسافات كبيرة دون الحاجة لشحنها بالهيدروجين والأوكسجين.
- تبلغ درجة تلويثها للجو والبيئة عمليًا قيمة الصفر؛ لأن احتراق الهيدروجين بالأوكسجين يُنتج بخار الماء دون أن ينتج أكاسيد الكربون أو الآزوت أو الهيدروكربونات الملوثة. ولاشك أن هذا لن يكون صحيحًا إلا إذا تم اعتماد طريقة للحصول على الهيدروجين والأوكسجين من التحليل الكهربائي للماء دون طرح أية غازات ملوثة في الجو. ولقد لجأ المهندسون إلى اعتماد طريقتين لتحقيق هذا الهدف، إما من توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية أو من مساقط المياه (الشلالات).

إن هذه الابتكارات التي أمكن تحقيقها عمليًا في «السيارات الكهربائية الجديدة» جعلت مهندسي التصميم يصرحون بكل تفاؤل بأن عهد التلوث بعادم السيارات سينتهي قريبًا دون رجعة.

بكتيريا ونباتات للكشف عن التلوث

بعد أن أضحت مشكلة التلوث هاجسًا مقلقًا في الدول المصنعة، خصصت العديد من مراكز البحث العلمي في المصانع والمؤسسات الإنتاجية ميزانيات ضخمة للبحث في أساليب الكشف عن الملوثات لمعالجتها قبل أن يستفحل ضررها وتأثيرها في البيئة. ولقد توصلت بعض هذه المراكز في أوروبا مؤخرًا إلى اكتشاف تقنية طبيعية للكشف الناجح عن أنواع الملوثات السامة بوساطة بعض أنواع البكتيريا والنباتات مثل نبات الفاصوليا والبكتيريا الضوئية والطحالب المخضرة BLUE - GREEN ALGAE ونبات البندورة. وأصبحت هذه النباتات والبكتيريا من طواقم العمل الدائمة في المصانع.

وبالرغم من أن الخبراء البيئيين يقومون بتحليل عينات من الهواء والماء بحثًا عن المواد الضارة باستخدام الأدوات المخبرية، فإنهم يفضلون أن يتم إنجاز هذا العمل بالاستعانة بالنباتات بعد أن أثبتت أنها أكثر حساسية في الكشف. فهذه النباتات تظهر علامات واضحة يمكن متابعتها بسهولة عندما تعمل المواد السامة على إفساد شروط حياتها.

ومن أجل اختبار درجة نقاء الهواء يتم إدخاله إلى بيت أخضر صغير مفتوح (بيت زجاجي) مزروع بكمية كبيرة من النباتات التي سرعان ما تتفاعل مع المواد الملوثة الموجودة فيه.فإذا كان مستوى التلوث بالمواد الكيماوية مرتفعًا فإن النبات يعاني من تلف إنزيمي أو استقلابي.

وعادة ما يتم توزيع نحو عشرين بيت زجاجي في أماكن مختلفة من المصنع لتُؤخذ بشكل منتظم عينات من المياه المستعملة وتُسقى بها النباتات والبكتيريات.

وتتم بعد ذلك مراقبة نشاطاتها الحيوية للوقوف على درجة التلوث من خلال التغيرات الفسيولوجية التي تعاني منها. والغاية من تنويع المزروعات في البيت الأخضر هي أنه في بعض الأحيان لاتكون درجة التلوث كافية للتأثير في بعضها ولكنها تؤثر في الأنواع الأخرى الأكثر حساسية.

ولقد دلت التجارب على أن البكتيريا الضوئية PHOTOGENETIC BACTERIA هي الأكثر حساسية لأنواع الملوثات من باقي أنواع النباتات الأخرى المستعملة. ولقد لوحظ أن استجابتها الاستقلابية لكمية قليلة جدًا من المواد الملوثة تكون بادية بوضوح للمراقب. فكلما كانت درجة التلوث أكبر نقصت قدرتها على التكاثر والنمو.



السيارة الكهربائية الجديدة NEW ELECTRIC CAR تسير بطاقة خلية الوقود FUEL CELL التي ابتكرها المهندسون الكنديون. تحرر هذه الخلية الطاقة المحركة الكهربائية من الحرق المباشر لمزيج الهيدروجين والأكسيجين المخزون في خزاناتها. وأصبحت هذه السيارات معروفة في أوساط تصميم المحركات النظيفة باسمها المختصر NECAR


بيت زجاجي يحوي بكتيريا ونباتات للكشف عن التلوث

ندوكي..

آخر الغابات المتوحشة في العالم

عدنان عضيمة

في جيب ناءٍ يقع إلى الشمال من جمهورية الكونغو، قريبًا من حدودها المشتركة مع كل من جمهورية أفريقيا الوسطى والكاميرون، ينساب نهر يدعى ندوكي NDOKI (الذي يعني اسمه «المشعوذ» بلغة لينغالا المحلية)، تتدفق مياهه من الغابات الاستوائية التي تأوي أكبر تجمعات للأحياء البرية في القارة كلها. فهي تعجّ بالنمور والقردة والقطط الذهبية والغوريللا والشمبانزي والفيلة وأنواع الطيور النادرة. وأصبحت هذه الغابات ملاذًا أخيرًا للأحياء البرية في العالم.

وهذه المنطقة، برطوبتها، ووعورتها، وامتلائها بالحشرات القاتلة، لم تعد تشكّل مجرد مصدر للخطر الذي يهدد السكان المجاورين لها، بل أصبحت ـ بدورها ـ مهدّدة من الخشّابين والصيادين والمغامرين. ولقد تعالت ـ مؤخرًا الأصوات ـ في العديد من المنظمات العالمية الداعية إلى صيانة الحياة البرية للعمل السريع على حمايتها.

AFRICA
Ndoki
CONGO

لقد تمكنت بعثات علمية قليلة جدًا من الوصول ـ مؤخرًا ـ إلى تخومها وبعض أطرافها، فوقعت على غابات كثيفة لم يسبق أن وطأتها أرجل البشر من قبل.

في نهاية فصل الجفاف في المنطقة الشمالية من جمهورية الكونغو، يبقى الطقس حارًا، ويتشبع الهواء بالبخار الرطب المندفع من دون انقطاع من البحيرات الصغيرة والبرك والمستنقعات والجداول المائية، وتستعد المنطقة لاستقبال العواصف الموسمية التي تغرقها بزخات عنيفة من الأمطار الغزيرة. وتحفز هذه البيئة المغلقة، الغنية أشد الغنى بعناصر الحياة ومقوّماتها، المخلوقات المتنوعة على التكاثر والازدهار من خلال نظام متكامل للتكافل الحياتي يضمن لها ظروف العيش الأمثل. وحتى يصل الإنسان إلى تخوم هذه المنطقة لا بد له من ركوب الزوارق الطويلة الضيقة (الكنْو)

CANOES المصنوعة من جذوع الأشجار المجوّفة ليعبر بها أحد الروافد الرئيسية لنهر الكونغو الذي يدعى سانغا SANGHA حتى يصل إلى قرية بوماسّا BOMASSA الصغيرة التي لاتبعد أكثر من خمسة كيلو مترات ونصف عن اللسان الجنوبي الضيق لجمهورية أفريقيا الوسطى المتاخم لحدودها مع جمهورية الكونغو. ومن هناك يتجه شرقا، قاطعا بعض الهضاب والسهول والغابات حتى يصل إلى نهر ندوكي، ومن ثم يكون عليه أن يمتطي الكنو من جديد ليعبر به بعض الجداول والقنوات ذات المياه السوداء التي لاترى الشمس من كثرة كثافة الأشجار التي تعلوها. ولن يصادف قاطع هذه القنوات ما ينير طريقه إلا أزهار زنابق الماء «النيلوفر» البيضاء. ولابدّ له في بعض الأحيان، من السير عبر أغصان الأشجار الباسقة والكثيفة، وفي أحيان أخرى فوق التربة الموحلة التي تستوطنها أنواع عديدة من الطفيليات الخطيرة كالعَلَق LEECHES وذباب النوم القاتل التسي تسي TSE TSE بالإضافة للتماسيح العملاقة.

وبين نهري سانغا وأوبانغوي OUBANGUI تنتشر غابات واسعة تبلغ مساحتها نحو ١٢ كيلو متراً مربعاً. وفي ديسمبر من عام ١٩٩٣م تم تحويل نحو أربعة كيلو مترات مربعة منها إلى منطقة محمية أطلق عليها اسم: حديقة نواباله - ندوكي الوطنية NOUABALE - NDOKI NATIONAL PARK التي تعد الآن المحمية الطبيعية الأكثر غنًى وأهمية من بين مناطق الغابات الاستوائية عبر العالم كله.

ويتعرض هذا المقال للحديث عن المنطقة الممتدة من القطاع الذي يتاخم الحدود الجنوبية لهذه الحديقة حتى روافد نهر أوبانغوي وسلسلة المستنقعات التي تدعى «ليكوالا العشبية» LIKOUALA AUX HERBES التي تبعد ٥٠ كيلو متراً من بوماسا، وتنحصر بين خطي العرض ١-٣ درجات شمالي خط الاستواء، وبين خطي الطول ٦-٨ درجات شرقي خط جرينتش.

ويطلق على سكانها من القبائل المقيمة اسم PIGMIES، وهي كلمة يونانية تعني «الأقزام» بالرغم من أنه لاتبدو عليهم صفة القزامة على الإطلاق. وكثيراً ما يردد هؤلاء مقولة تفيد أن هذه المنطقة كانت في الماضي موطنًا لديناصور أسطوري عاش في حوض نهر الكونغو يطلقون عليه اسم موكيله - مبيبه MOKELE-MBEMBE.

على أن من يتجرأ على اقتحام



واحد من قبائل «الأقزام» في طريقه إلى أعماق غابة حديقة نوابله - ندوكي



نهر موتابا MOTABA في حديقة ندوكي الذي يصعب بلوغه بسبب كثافة الغابات المحيطة به ووعورة المسالك المؤدية إليه

ندوكي..
آخر الغابات المتوحشة في العالم

هذه المنطقة لابد أن يتعرض لدفع ثمن غال، لأنه لن يتمكن من تجنب الوخزاتً الملهبة لأشواك أغصان شجر الزعرور التي يصعب أن تبرأ مواضعها على الجلد، وكذلك عضّات النمل السام ولسعات النحل التي تؤدي إلى تشكل الدمامل المؤلمة في العديد من مواضع الجسم. ولن يسهل عليه التخلص من يرقات العَلَق والقرّاد، التي تلتصق بالجلد لتمتص منه الدماء، إلا بحرقها. وإذا ماتوغل الإنسان أكثر ضمن هذه الغابات المظلمة، التي لاتصل الشمس إلى أرضها بسبب كثافة الأشجار التي يصل ارتفاعها إلى ما يعادل ارتفاع بناء من خمسة عشر طابقًا، فإنه سيستمع إلى مزيج مثير وغريب من أصوات الطيور والحيوانات.

وتنطوي الأراضي المنخفضة للغابات الاستوائية في هذه المنطقة على أغنى تجمع لأنواع الحياة المعروفة. ولكن الشيء المخيف في هذا الأمر هو أن مثل هذه الأنظمة البيئية سرعان ما تتلاشى إذا ما وصلت إليها أيادي الإنسان الذي اعتاد أن يفسد بيئته أينما حلّ. فبعد أمريكا الجنوبية، مازالت أفريقيا تحوي الغابات الاستوائية الأوسع انتشاراً والأقل تضرراً من بين الغابات المنتشرة في قارات العالم. وتقع أوسع هذه الغابات وأكثرها خضرة وغنًى بالحياة البرية في زائير، تتبعها جمهورية الكونغو التي تبلغ المساحة الإجمالية لغاباتها الاستوائية ٢٧٠٠٠٠ كيلو متر مربع (أو مايوازي مساحة سورية ولبنان والأردن مجتمعة).

وفي عام ١٩٨٩م سُجِّل اقتحام أول بعثة علمية لغابات ندوكي غير المأهولة كان الهدف منها البحث عن الفيلة الغابية النادرة التي تتميز بضخامة حجومها وبآذانها المستديرة، وبعاجها الثمين، من أجل تحديد الطرق المناسبة لحمايتها من اعتداءات الصيادين وتجّار العاج. ولقد وقع أعضاء البعثة على أنواع كثيرة ونادرة من الفيلة والغوريللا والشمبانزي التي سُجِّل انقراضها في معظم أماكن انتشارها في العالم، بالإضافة إلى تسعة أنواع مختلفة ونادرة من القردة، والعديد من أنواع فرس النهر والربّاحات واللواحم الليلية القريبة لعائلة النمامس. وفي عام ١٩٩٣م أرسلت الجمعية الجغرافية الأمريكية بعثة علمية أخرى تتألف من خمسة خبراء لاكتشاف المزيد من أسرار المنطقة. وبالرغم من استعانة أعضائها ببعض السكان الأصليين الذين خبروا التعامل مع مثل هذه الغابات؛ فإن معظمهم تعرضوا للإصابة بالعديد من الأمراض الخطيرة وواجهوا الصعاب الهائلة، ولم تنته مهمتهم إلا بعد عام كامل من بدايتها. لكنهم نجحوا في الحصول على معلومات جديدة حول هذه الغابات المتوحشة لم يكن يعرفها أحد على سطح الأرض بما في ذلك سكانها الأصليون. وأظهرت كشوفهم



تعيش قبائل «الأقزام» في أكواخ عشبية وتمتهن الصيد بالطرق البدائية



هذه الغابات إلى لسعات النحل السام والتصاق ديدان العلق لتمتص منه الدماء ويصعب اقتلاعها إلا باستخدام النار

نوع من النمامس النادرة المنتشرة في غابات ندوكي



نوع من الظباء النادرة المكتشفة مؤخرًا في

تُعرف الفيلة بقدرتها على هندسة الغابات وجعلها موطنًا مناسبًا للحصول على الغذاء والاختباء والتنقل والمرح

أن غـابات نواباله ـ ندوكـي لم تزل تتـضـمن أكـبـر عـدد من أنواع الحيوانـات والحشـرات والطيـور في أفريقيا الاستوائية برمتها.

وكـانت الأهداف التي سـعت إليـهـا حكومـة الكونغـو من إنشـاء حديقة نواباله ـ ندوكي الوطنيـة هي حـمـاية الغابات من مطـامع تجّار الأخشاب، والحفاظ على البيئة البرية المناسبـة لعيش الحيـوانات النادرة، وصـيـانة مـيـاه الأنهار والروافـد والبـحيـرات من التـلوث. ولعل هذا الإجراء الحكيم من حكومة الكونغو جاء بعد أن أعلنت منظمات حـماية البيئة العـالمية عن أن أفريقيا الغربية فقـدت حتى الآن ثلاثة أرباع ثـروتها الغابية، لأن حكومـات دولها لم تكن جـادة في اتخاذ الإجراءات المناسبـة لحـمايتـهـا. وبمجـرد إعلان حكومـة الكونغـو عن عزمها على إنشـاء هذه الحديقة المحمية تلقت مساعدة عاجلة لتنفيـذ المشـروع من وكـالة التنميـة الدوليـة التـابعـة للولايات المتـحـدة بالإضافة لهبات أخرى حصلت عليها من منظمـات عالمية عـديدة. وهكذا أصبـحت حـديقـة نـواباله ـ ندوكي الوطنيـة بمثابة النواة المركزية لمجموعة من المحـميـات الطبـيـعيـة التي يزمع استحداثها في المنطقة.

ولجأت حكومة الكونغو أيضا إلى تحديد منطقة واسعة تحيط بهذه الحديقة حظرت فيها الصيد ومطاردة الحيوانات والتحطيب وقطع الأشجار والسياحة إلا بعـد الحصـول على ترخيص رسـمي وتحت مراقـبـة السلطات المختـصـة. وكانت ترمي من وراء ذلك إلى صيانة الطبـيـعـة والحـفـاظ على المصـالح الاقتصادية للسكان في الوقت نفسه.

ومما يضـاعف من أهمـيـة هذا المشروع هو أن حديقة نوابله ـ ندوكي

ندوكي.. آخر الغابات المتوحشة في العالم

الوطنية جاءت لترفد الجهود التي قامت بها حكومة أفريقيا الوسطى، المجاورة لجمهورية الكونغو، التي عمدت مؤخرًا إلى إنشاء محميّتين طبيعيتين أخريين تعدان امتدادا طبيعيًا لها أطلق عليهما الاسمان: حديقة دزانغا ـ ندوكي الوطنية DZANGA NDOKI NATIONAL PARK ومحميّة دزانغا ـ سانغا - DZANGA SANGHA RESERVE. وهناك منطقة أخرى مقترحة لتكون محمية طبيعية في جمهورية الكاميرون.

وفي الطريق إلى مستنقعات ليكوالا، يقع الزائر على أعداد هائلة من أنواع الحيوانات والطيور التي لاينقطع زئيرها وتغريدها. ولقد لاحظ علماء الأحياء في البعثة التي زارت المنطقة أن سلوكها جميعا يوحي بأنه لم يسبق لها أن رأت البشر أو تعرضت للصيد أو لأي من بقية الأخطار التي يمكن أن تهدد حياتها وتنغص عيشها على الإطلاق. وكان دليلهم على ذلك سلوك قرود الشمبانزي التي عُرف عنها وحشيتها وخوفها من بني البشر، حيث كانت تراقب أعضاء البعثة بفضول واستغراب دون أن تبدو عليها علامات الاضطراب أو الخوف. ولقد عثر أعضاء البعثة على بعض مظاهر السلوك الذكي الذي تتميز به قرود الشمبانزي؛ حيث شاهدوها وهي تستخدم الأغصان المكسورة لسحب النمل من أوكاره تحت التربة. كما أنها تلجأ إلى حفر التربة بالأعواد اليابسة ولعمق يصل إلى أكثر من نصف متر وهي تبحث عن يرقات الحشرات التي تتغذى عليها. ولقد وقع علماء دراسة سلوك الحيوانات في البعثة الأمريكية على الشواهد التي تدل إلى أن الغوريلا تلجأ أيضًا إلى استخدام الأعواد اليابسة لنبش التربة بحثًا عن طعامها المفضل من يرقات الحشرات التي تفقس في أوكارها، وكان هذا أول دليل يكشف عن أن الغوريلا المتوحشة تستخدم الأدوات لتيسير أمور حياتها.

هذا المشهد لغوريللا تعبث بالماء أثار استغراب أعضاء البعثة العلمية الأمريكية التي قامت باستكشاف مجاهل غابات ندوكي مؤخرًا. إذ من المعروف لدى علماء الحيوان أن الغوريللا تخاف الماء. ولقد افترض أحدهم أنها لابد أن تكون من نوع غير معروف من قبل تمكّن من التكيف مع الماء

...يز بأن إناثها تحمل قرونًا كذكورها

وبالإضافة للغوريلا والشمبانزي، وجد أن بعض مناطق حديقة نوابله ـ ندوكي تستوطنها القردة بكثافة كبيرة تصل إلى نحو ١٥ قردًا في الكيلو متر المربع، في حين تزيد أعداد الحيوانات ذوات الحوافر التي تستوطن هذه المنطقة على ذلك بكثير حيث يصل عدد ما يستوطنها من الظبي الأفريقي الأزرق BLUE DUIKER وحده إلى ٣٠ ظبيًا في الكيلو متر المربع. وإذا ما أضيفت إلى هذه الحيوانات الأنواع السائدة الأخرى كالفيلة والخنازير والحيوانات الليلية فإنها ستكون بلا شك أغنى مناطق العالم بالحيوانات البرية على الإطلاق.



أنواع كثيرة من الطيور لم تكتشف من قبل

وفي هذه الغابة، لايعكس توافر الحيوانات والحشرات والطيور بأعداد هائلة مجرّد غنى بيئتها بعناصر الحياة؛ بل إنه يؤكد أن هذه المخلوقات تؤدي أيضًا دورًا بارزًا في خلق هذه العناصر وتحفيزها. فالخفافيش، مثلا، التي تتغذى بالفواكه، تنقل بذور التين إلى جحورها التي تقع عادة قريبا من قمم الأشجار، حيث تتحقق هناك الشروط اللازمة لإنتاشها ونموّها بسبب توافر الرطوبة وضوء الشمس. بعد ذلك تبدأ البذور الناتشة بإرسال جذورها الهوائية نحو الأسفل حتى تلامس التربة وتغوص فيها. وليست هذه إلا واحدة من صور التكافل المعيشي الذي يعد السمة الأساسية للحياة في مثل هذه البيئة العذراء.

وبالرغم من لجوء حكومة الكونغو إلى وضع القوانين الصارمة لحماية الغابات والحيوانات في هذه الحديقة من الأذى الذي يمكن أن يلحقه بها الإنسان، فإن هذه القوانين كثيرا ما تُخترق في بلد مثل الكونغو؛ حيث تنخفض فرص العمل ومصادر الدخل إلى الحد الذي يجعل من الغابات أحد

ندوكي.. آخر الغابات المتوحشة في العالم

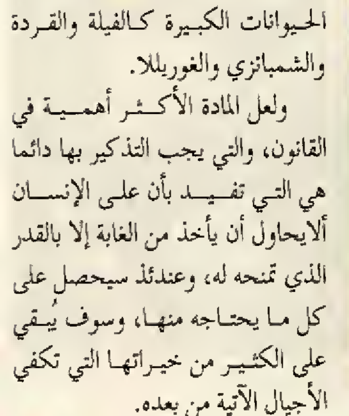
أهم مصادر الغذاء. فمعظم السكان الذين يستوطنون تلك المناطق النائية يحصلون على غذائهم من صيد الغزلان والخنازير والقطط البرية والطيور؛ نظرًا لكون الزراعة وتربية المواشي والطيور الداجنة هناك لم تزل تمثل الأعمال النادرة التي لاتستهوي إلا القليلين منهم. وبعضهم يساهم في تدمير البيئة الطبيعية من خلال العمل في الشركات الأجنبية العاملة في استغلال الأخشاب، والتي يزداد عددها عامًا بعد آخر. وأصبح الزائر لتخوم هذه المناطق الغابية الكثيفة كثيرًا ما يقع على «البلدوزرات» والجرافات وناقلات الأخشاب الضخمة التي لاتتوقف عن توسيع دائرة عملها باختراق مساحات جديدة من الغابات وفتح طرق جديدة عبرها حتى يتسنى لها الوصول إلى مناطق جديدة لهذا الاستثمار المدمّر للبيئة. ومما يزيد المشكلة تعقيدًا هو احتواء غابات حوض نهر الكونغو على مجموعة من أندر أنواع الأخشاب وأغلاها ثمنًا من أهمها خشب الماهوجني MAHOGANY الذي يتميز بلونه البني الضارب إلى الحمرة، والذي يصنع منه أفخر أنواع الأثاث المنزلي على الإطلاق. وتنص قوانين حماية البيئة في الكونغو على أن قطع الأشجار في هذه المناطق النائية يجب أن يتم وفق أسس صارمة للانتقاء والاختيار. ولعل من حسن الحظ أن أشجار الماهوجني لاتنتشر في غابات حوض الكونغو على نطاق تجاري إلا في المناطق البعيدة ذات المسالك الوعرة والغابات الكثيفة، مما يجعل من الصعب الوصول إليها أو نقلها بعد قطعها إلى مصانع الأخشاب.

ولمواجهة هذه المشكلة بحزم، عمدت حكومة الكونغو ـ مؤخرًا ـ إلى إنشاء مراكز للمراقبة تهدف إلى تطبيق القوانين الصارمة المتعلقة بحماية الحياة البرية في معظم مناطق حوض نهر الكونغو. ومن شأن ذلك أن يقلل من الأخطار التي تتهدد الغابات، وأن يخلق فرصًا جديدة للعمل من خلال توظيف بعض السكان في دوائر الحماية كإداريين أو مراقبين أو حراس. ويعتقد المسؤولون أن الأمر لم يصل بعد إلى مرحلة الخطر لسبب أساسي يتمثل في نقص عدد السكان الذين يستوطنون هذه المنطقة قياسًا إلى مساحتها الشاسعة؛ بحيث بقي هناك الكثير من الغابات التي لم يصل إليها إنسان على الإطلاق. وإلى جانب ذلك، تهتم الحكومة بنشر التعليم ومحو الأمية في الأرياف سعيا وراء تثقيف السكان بالأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها صيانة الحياة البرية، وتوعيتهم بأصول صنعة الصيد والأماكن التي يسمح فيها بممارستها، والأنواع التي يسمح باصطيادها والأوقات الملائمة لذلك من أشهر السنة. وتنص أهم مواد قانون حماية الحياة البرية على منع استخدام الأفخاخ السلكية التي تستعمل كثيرًا لاصطياد الحيوانات الصغيرة؛ لأن من شأنها القضاء عليها بسرعة كبيرة كما أنها تؤذي الحيوانات الكبيرة كالفيلة والقردة والشمبانزي والغوريللا.

ولعل المادة الأكثر أهمية في القانون، والتي يجب التذكير بها دائما هي التي تفيد بأن على الإنسان ألايحاول أن يأخذ من الغابة إلا بالقدر الذي تمنحه له، وعندئذ سيحصل على كل ما يحتاجه منها، وسوف يُبقي على الكثير من خيراتها التي تكفي الأجيال الآتية من بعده.


تقوم شركات تجارة الأخشاب الأجنبية بقطع أشجار الماهوجني النادرة بالرغم من القوانين الصارمة التي وضعتها حكومة الكونغو لحماية الغابات


درس تثقيفي لبعض أفراد قبائل «الأقزام» حول أهمية الحيوانات البرية وضرورة المحافظة عليها


الصيد مصدر أساسي لرزق قبائل «الأقزام» التي لاتحسن الزراعة أو تربية المواشي والدواجن

شَبَّتَايْ صِبِي.. المسيح المهرج!



د. حسن ظاظا

في متاهات التاريخ اليهودي الطويل تقابل الباحث وجوه غريبة، مفزعة أحيانا، غامضة طورا، مثيرة للشفقة هنا وهناك، أو ضائعة في جمهور بني آدم لاتكاد تحسّ بوجودها. أما صاحبنا هذا، على الرغم من تهريجه المضحك، فخطير.. وخطير جدا. وما زلت أعجب لماذا لم يفكر أحد المهتمين بالمسرح أو السينما في العالم العربي في إتحافنا بسيرته في مسرحية هزلية، أو فيلم كوميدي. فكل عناصر (التشويق) ولوازم (التسويق) موجودة في قصة حياته من أولها إلى آخرها، وحياته جزء من تاريخنا مع التآمر اليهودي، إذ كان مسرح نشاطه الشرق الأوسط، من وطنه، تركيا العثمانية، إلى الشام، وفلسطين (بيت القصيد)، إلى مصر، إلى جبال البلقان التركي الإسلامي حيث قضى نحبه. وسنرى في سيرته العنصر النسائي، والمال، والطبول والمزامير، والأفراح والليالي الملاح، واللعب بعقول العامة من المسلمين والنصارى، وبعقول الخاصة من اليهود، مع أغلظ التأويلات الدينية اليهودية، وأعسرها هضما على أي إنسان عنده ذرة من نور العقل، مهما كان دينه وعقيدته، بحيث يبدو (مسيلمة الكذّاب) مبتدئًا متخلفا بالقياس إلى هذا اليهودي. صحيح أن الفرق الزمني بين الرجلين يناهز الألف سنة، ولكن مسيلمة الكذاب ادّعى النبوة فقط، أما هذا المهرج فكان منهجه التدرج في تسميم الأفكار. فبدأ يهوديا حريصا على الشريعة، ثم راح يفسر فيها ويؤول على هواه، مما زعزع لحَى أشد الحاخامين وقارًا، ثم تصوّف، وادعى أنه (ارتقى) سلّم التصوف كله بمقاماته العشرة المنصوص عليها في كتاب التصوف الكبير ـ الزُوهَرْ للحاخام «لوريا» مؤسس «الدروشة» اليهودية ـ واسم هذا الكتاب الضخم معناه بالعبرية (الإشراق). ومن التصوف إلى الاتصال بالملأ الأعلى ـ والأسفل أيضا ـ وادعاء علم الغيب، ومؤاخاة الملائكة والشياطين، ثم قرّ في نفسه أنه أكبر من إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى.. لا .. لا.. إنه هو الربّ، تمثّل للناس بشرا سويا، وبهذه الصفة اختار له نبيا يبلغ رسالاته إلى أولئك الضالين!

اسمه (شبّتاي) نسبة إلى السَبْت، أقدس أيام اليهود، واسمه الثاني «صبى» أي الظَّبى بالعربية، واسم أسرته «كوهين» أي الكاهن المنحدر من سلالة هارون أخي موسى عليه السلام. ونطق اسمه الثاني «صبي» أصابته اللكنة الإشكنازية في شمال أوربا وشرقها فأصبح يُنطق «تسفي» مع أن هذا المهرج كان يهوديا تركيا، من يهود الشرق (السفرد) لا الغرب (الإشكناز). ولم تنطفئ شهرته في الآفاق إلى يومنا هذا، أي بعد أكثر من ثلاثمئة سنة منذ وفاته! إلى حدّ أن أكبر أساتذة التصوف اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس ـ وقد توفى منذ سنين قلائل ـ خص هذا الكذّاب بكتاب من أشهر كتبه. لم يتعامل معه في كتابه هذا على أنه مهرج؛ بل متصوف أصابه (لُطف) فصار مجذوبًا، ثم كافرًا مرتدًا. وقد نشير إلى المؤلف «البروفيسور جيرشوم شولم» وكتابه «شبتاي صبى» في هذا المقال؛ فالرجل كان أستاذا لي في الجامعة العبرية بالقدس، وهو صهيوني متعصب، ومادام شبتاي صبى يعمل في اتجاه تكتيل اليهود، وتدعيم سيادتهم على فلسطين؛ فهو بطل الأبطال وقطب الأقطاب. أما إذا ادّعى أنه ملك العالم، وأنه الرب شخصيا، ثم ارتد عن دينه، فإن الأستاذ شولم يكتفي بأن يسوق له الأعذار في ذلك، وينحى باللائمة على (الظروف) ـ أية ظروف هذه التي تقف في وجه الرَّبّ! ـ، أو على إسلام الدولة العلية العثمانية بكل هيلمانها: الباب العالي؛ أي الخليفة أو السلطان، والصدر الأعظم؛ أي رئيس الوزراء، وشيخ الإسلام، والمفتي، ومجلس علماء الشريعة.. ثم الجالية اليهودية التركية.

بدء ظهور ذلك الشيطان

كان مولد شبتاي في مدينة أزمير بتركيا في التاسع من شهر آب اليهودي من صيف عام ١٦٢٦م. والتاسع من شهر آب في التقويم اليهودي يوم ذكرى أليمة إذ هو عندهم يوافق يوم تدمير الهيكل الأوّل على يد بختنصر الكلداني، إمبراطور بابل، وتدمير الهيكل الثاني على يد الرومان. وقال الباحثون في تاريخ أسرته إنها من أصل إشكنازى ـ لا سفردي ـ هاجروا قديما من ألمانيا، وأقاموا ردحًا

من الزمان في شبه جزيرة المورة باليونان، ثم انتقلوا إلى تركيا، وأقام أبوه مردخاى صبى في مدينة أزمير يشتغل بتجارة البيض والطيور، وتصديرها إلى أوربا. وكان له اثنان من الأولاد غير شبتاي. وتقدمت أحواله وأصبح وكيلا لشركة بريطانية تجارية ربح منها أموالاً كثيرة.
وفي سنّ السادسة من عمره ظهر على شبتاي أمارات الذكاء والتعلق بالدين، فأدخله أبوه مدرسة يهودية دينية تعلّم التوراة والتلمود. وبدأ يشتغل بالتدريس في الخامسة عشرة من عمره، وأخذ يتبحر في التصوف اليهودي (القبالة). وفي الثامنة عشرة أجيز من شيوخ اليهود للتدريس. وكان إلى جانب كل هذه المزايا حسن الهيئة والمنظر، متكلما لسنًا وخطيبًا ماهرًا. وكان يميل إلى العزلة والتأمل، وإلى التطهر في ماء البحر صيفًا وشتاء. وفي تلك الأثناء قام نزاع حول جزيرة «كريت» بين تركيا وإمارة البندقية (فنيسيا)، فنشطت التجارة في أزمير وأصبح أبو شبتاي من كبار أثرياء البلد؛ فخطب لابنه بنت بعض أغنياء اليهود، ولكنه لم يدخل بها وطلقها، على الرغم من جمالها الفائق. ويقال إنه تزوج بأخرى ونفر منها وطلقها أيضا.

كان متأثرًا بعلم الباطن بدراسته للقبالة، وانهمك في الحسابات الغيبية، فوصل منها إلى أن سنة ١٦٤٧م هي سنة الخلاص لليهود! وأن ظهور (مسيح منتظر) ضروري لهذا الخلاص، وأحسّ بأنه هو نفسه هذا المسيح المنتظر. وأعلن الأمر لتلاميذه، وشاعت في كل أزمير خلاصة ما وصل إليه شبتاي بحساباته الباطنية، وآمن به كثيرون من عوامّ اليهود، فاستدعاه رؤساء الدين اليهودي في المدينة وناظروه، وثبت لهم ضلاله، فطردوه ولعنوه هو ومن يؤمنون به. فتنكر له اليهود، وحاول بعضهم العدوان عليه هو وأتباعه بالضرب والقتل، فهرب من أزمير بحرًا إلى القسطنطينية. وكان السلطان العثماني (محمد الرابع) وحاشيته وحكومته يقيمون في «أدرنة»، فانتهز شبتاي الفرصة وراح يبشر - في عاصمة الإسلام إذ ذاك - بالمسيح المخلص، واقتراب ظهوره. ووجد له هناك عونا في اليهودي أبراهام ياكيني. لكن رجال الدين اليهودي في أزمير أرسلوا تحذيرا إلى يهود القسطنطينية، فخاف وهرب هو وعدد من أتباعه إلى مدينة «تسالونيكي» في شمال شرق اليونان. وكانت هذه المدينة قد صارت مركزًا نشطًا للدراسات اليهودية الصوفية والباطنية (القباله). وهكذا كثر أتباعه وتلاميذه والمؤمنون به، وطاب له المقام هناك وامتدّ ثمانية أعوام. وفي مناسبة دينية، واليهود يشربون الخمر في تلك المناسبات، خطر له أن «يتزوج» فيكون هو العريس، والتوراة هي العروس... وتمت حفلة الزفاف على أفخم ما أمكن! وأعلن في هذا الزحام أنه المسيح المخلص المنتظر. ولكن شيوخ الدين اليهودي التقليديين، غضبوا لهذه المهزلة، وأوصلوا شكواهم إلى المحكمة المليّة لشؤون اليهود.. وبعد جدال طويل استغرق مدة من الزمن، صدر حكم هذه المحكمة بأن شبتاي صبي كافر ومرتدّ ومستحق للقتل. ففرّ من المدينة عام ١٦٥٨، وبقي مختفيا سنة، ظهر بعدها في أثينا ثم إلى أزمير فالقسطنطينية حيث اشتغل بالتنجيم وحساب الطوالع والقرانات. ثم أعلن أن وقت الخلاص قد حان، وأن دولة اليهود ستقوم في فلسطين. وفي القسطنطينية ضاقت عليه المراقبة، وكانت سمعته فيها قد ساءت، فهرب سرًا إلى أزمير، وبقي فيها ثلاث سنين ملتزمًا الصمت، والحذر الشديد في اتصالاته.

الصحافة الأوربية كانت تعنى بتضخيم أخبار (معجزات) شبتاي صبي لمجرد النيل من الإسلام

إشاعات حركت رغبته المجنونة

وانتشرت دعوته إلى عام الخلاص بشكل مجهول الأسباب، حتى إنها انتشرت في الأوساط الإسلامية والمسيحية. فكثر الحديث بين المسلمين في تلك الحقبة عن اقتراب ظهور (المهدي المنتظر)، كما حدّد المسيحيون عام ١٦٦٦م موعدًا لتجلّي المسيح على الأرض! بل بالغ بعض المسيحيين - كما قال المؤرخ اليهودي الألماني هاينريش جريتس في القرن الماضي في كتابه «تاريخ اليهود» الجزء الخامس من الطبعة الفرنسية ص ١٩٤ وما بعدها - فأكدوا أن تلك السنة هي سنة خلاص اليهود أيضا. وتحتاج هذه الإشاعات إلى دراسة للخلفية السياسية والاقتصادية للدول المختلفة المعادية للامبراطورية العثمانية بوصفها زعيمة الإسلام في تلك الأزمان.

وحركت هذه الإشاعات رغبة شبتاي صبي في القيام بمحاولة جديدة. فزار القدس ثم ذهب إلى غزة. وهناك وجد ضالّته المنشودة في يهودى ألماني غريب الشأن: هو أبراهام ناتان بن إليشع حاييم الإشكنازي، الذي اشتهر باسم «ناتان الغزّاوي»، وصار الأول في (صحابة) هذا المسيح المنتظر، والمحرك لكل نشاطه، وباختصار كان شبتاي هو بطل المهزلة، وكان المخرج ناتان الغزاوي.
ويبدو لنا هذا الرجل على أنه (مشبوه) بجميع المقاييس. فهو في مظهره الخارجي يهودي تقي وفقير، في بلد يندر أن يعيش فيها يهودي، حتى في أيام داود وسليمان، وهو يجلس في حانوت حقير يبيع فيه الزيت، ويقضي وقته يقرأ في كتب الباطن باللغة العبرية والآرامية والإشكنازية، والحانوت لايدرّ عليه ما يقوم بنفقاته. فمن أين يعيش؟ طبعا إذا سألناه فإنه يجيب: بمعجزة! فهل كان جاسوسا يعمل لحساب دولة من أعداء الإسلام، أو أعداء الأتراك؟ أم هل كان يدرس الإمكانات الاقتصادية في فلسطين لحساب مؤسسة تريد أن تستثمر هنالك؟ لا أحد يدري. هل كان متصوفا من أولئك الحالمين بالمعجزات، فقوي إيمانه بذلك عند رؤية هذا المسيح المنتظر، المثقف، الوجيه، المتحمس؟ ربما!
المهم، اتفق الرجلان على أن يذهب شبتاي إلى مصر، ويبقى ناتان في غزة يبشر بقرب ظهور المسيح، ويزعم أنه رآه في رؤيا صوفية غيبية، ويعطي بدقة أوصاف شبتاي صبي.
ذهب من غزة إلى الإسكندرية بطريق البحر، ثم من الإسكندرية إلى القاهرة، وهناك تعرف إلى يهودي مصري من علية القوم اسمه رفائيل يوسف جلبي، وكان رئيسا للطائفة اليهودية بمصر، ومديرا لدار سك العملة الأميرية (الضربخانه). وسرعان ما (آمن) به هذا اليهودي، وتوطدت بينهما صداقة متينة. ثم عاد إلى فلسطين من جديد، وكانت الحالة الاقتصادية لليهود هناك في الحضيض؛ فأثرياء اليهود تركوا فلسطين مهاجرين فرارا من الفقر والكساد، ولم يبق من اليهود بها إلا البؤساء جدا.

المسيح المهرج!

وفي فلسطين زار شبتاي صبي القدس مرة أخرى، ثم الخليل، وغزة أخيرا. وما إن رآه ناتان الغزاوي حتى انطلق يصيح بأن المسيح المنتظر، الموصوف في الكتب، والذي رآه عيانا أكثر من مرة في مناماته قد ظهر! وآمن أولئك المفاليك اليهود بدعوة شبتاي صبي، وتهافتوا عليه كما تتهافت الفراشات على النار، وتشبثوا به كما يتشبث الغريق بالقشة. واليهود مصابون بسرعة الإيمان بالخرافات، لأنهم دأبوا على أن يربطوا خلاصهم لا بحسن تصرفهم، ولكن بمعجزة!

وحدث في تلك الفترة أن (القائمقام) التركي الحاكم في فلسطين رفع قيمة الضرائب والإتاوات المفروضة على اليهود، فسوّى لهم شبتاي المشكلة باتصال شخصي بصديقه اليهودي المصري الكبير رفائيل يوسف جلبي، مما أكد الإيمان بمسيحانيته في هذه الجماعات من بؤساء اليهود.

النار تسري في الهشيم

وعاد بعدها إلى القاهرة. وكانت أخبار (معجزاته) قد وصلت إلى أوروبا، وعنيت الصحافة الغربية بتضخيمها (لمجرد النيل من الإسلام ممثلا في الدولة العلية العثمانية). وذاع صيت هذا المسيح الأفاق المهرّج خصوصا بين النساء؛ فهو جميل الطلعة، وفيه (بركة) واتصال بالسماء، وهو بطل لايقل عن موسى. فقد قام موسى في وجه فرعون، وقام شبتاي في وجه (فرعون عصره) خليفة المسلمين التركي، والعدو التقليدي العنيد للنصارى واليهود.

وتسابق النسوان في الكتابة إليه، والتملّق له. وتصادف في هذا الزحام وجود امرأة جميلة، وسيئة السمعة.. جدا، وعلى درجة لا بأس بها من البلاهة الحالمة، اسمها (سارة)، وكانت يهودية بولندية هربت من بلادها بسبب فتنة (لاسامية) هناك، واستقرت في أمستردام بهولنده حيث تعيش جالية يهودية مهمة ونشيطة تشتغل بالتجارة والصناعة. وانطلقت تبشر بحلول زمان المسيح المخلص، وشجّع جمالها وسهولة القرب منها الكثير من العابثين على (الإيمان) بها. وخيل إليها أنها قد (أوحي إليها) ببشرى المسيح المنتظر، فراحت تطوف أوربا كلها وتدعو اليهود - وغيرهم - إلى الإيمان بما أوحيَ إليها، حتى انتهى بها المطاف إلى مدينة (ليفورنو) بإيطاليا. وسمع شبتاي بخبرها وهو في القاهرة، فأرسل إليها يدعوها إلى الزواج منه، وكان رفائيل يوسف جلبي قد أعطاه مبلغا ضخما من المال لإعانة يهود القدس على سداد ضرائب القائمقام التركي. وأثناء مروره بغزة لقي ناتان الغزاوي، وهذا الرجل غامض - كما ذكرنا - محيّر في كل شيء. فدائرة المعارف اليهودية القديمة الصادرة في أمريكا تسميه كما ذكرنا: أبراهام ناتان بن إليشع حاييم الإشكنازي، ودائرة يهودية أخرى تسميه: ناتان بنيامين هاليفي، فحتى اسمه تحيط به الشبهات!

فأعلن شبتاي أنه اختاره «نبيًا» في بني إسرائيل، وزيف معه وثيقة تؤكد أن شبتاي صبي هو المسيح المنتظر. إذ أحضرا قطعة قديمة جدا من رقّ الغزال، وأزالا ما كان عليها من كتابة، وكتبا عليها بخط يحاكي الخطوط القديمة نصّ الوثيقة المزيفة. ودخل هذا المسيح الكذاب مدينة القدس في أواخر عام ١٦٦٤م في (زيارة رسمية) تحيط به جموع من (المؤمنين). وكان الله في عون القدس مما رأته من الأنبياء الكذّابين قديما، ومن وثنية اليونان والرومان، ثم تعصب الصليبيين بعد ذلك، ثم من زحمة المُسَحَاء المنتظرين، ثم من تكالب الاستعمار عليها مستعينا بالصهيونية وكهنتها!

وحضرت (سارة) إلى مصر، وتم زواجهما بفضل أموال رفائيل يوسف جلبي، وانتشر أمر الوثيقة المزوّرة، فثار رجال الدين اليهود، وبخاصة يهود القدس الذين انتهزوا فرصة زيارة من زياراته وهجموا عليه وطردوه هو وناتان الغزاوي. والتزم الرجلان السكينة والانكماش فترة ما، ثم أشاعا في الناس أن شبتاي صبي (المسيح المخلّص) سيظهر للناس يوم عيد رأس السنة اليهودية وكان يوافق ١٠ ديسمبر ١٦٦٥م. وكان ظهوره في ذلك اليوم يبدو تحديا للسلطة الدينية اليهودية الرسمية، فأصدرت فتوى تكفيره وإهدار دمه. ومنذ تلك الفتوى انقسم الناس قسمين: نصفهم مع الشريعة التقليدية لليهود، ونصفهم مع شبتاي صبي. وانتشرت الفتنة وتأججت نيرانها عندما بدأت تمسّ سياسة الدولة. ذلك أن شبتاي دعا أحد أخويه لترتيل التوراة في المعبد كأنه حاخام مُجاز من سلالة هارون، ومنحه لقب «ملك تركيا»، أما أخوه الثاني فعينه «إمبراطور روما»! أما هو فقد شهد شهود بأنهم سمعوه يقول للمؤمنين به: «أنا الرب إلهكم!»، وإن كنت أميل إلى التوصية بالحذر الشديد في الأخذ بهذه التهم، فاليهود عباقرة في تشويه صورة من يكرهون، والذي توسع في هذا هو الأستاذ جيرشوم شولم انطلاقا من صهيونيته المحافظة جدا.

إن شبتاي صبي قد «انسلخ» من انتمائه لليهودية، وانتقل إلى الإسلام - كما سنرى -، وكان ذلك نفاقا منه، ليواري نشاطا ملحوظا في تأسيس «دين جديد» أو «تيار جديد» في اليهودية هو (الدونمه) وسيأتي الحديث عنها حالاً. وبمجرد أن الرجل قد تقطعت وشائج الولاء بينه وبين الصهيونية التقليدية، أصبح منبوذًا وهدفا لكل تهمة بالكفر أو الردّة أو الجبن، وقد تبنى رأي الأستاذ شولم الدكتور موريس رأوبين حيّون في كتابه «الدين اليهودي الجديد - باريس ١٩٩١م».

وبدأت منذ ذاك الوقت المناوشات والمعارك بين أعوانه وخصومه من عامة اليهود، ووصل أمرها إلى السلطات التركية، فاستدعاه أحد قضاة المسلمين للتحقيق معه في نشر القلاقل والفتن في الجاليات اليهودية في الدولة العثمانية، وفي بعض المأكولات أو المشروبات المحرمة في الفقه اليهودي، وفي رفع الحظر عن النطق باسم الله الأعظم «يَهْوه» واستعمال بديل آخر هو «أدْناي» أي مولاي. فأشاع شبتاي أنه سيذهب للقاء قاضي المسلمين، وسيرغمه على تصديقه عندما يقوم أمامه بأداء بعض الكرامات والخوارق والمعجزات، وتحولت الإشاعات إلى حقائق، وظهرت في أزمير وحلب وغيرها أغنيات تشيد بما أدهش به شبتاي قاضي المسلمين من (معجزات). ويسأل الإنسان أمام هذه المغلّطات: أين كانت الحكومة التركية؟ لماذا لم يصدر منها أمر بالقبض على هذا اليهودي المزعج؟ ويأتي الرد اليهودي تشهيرا بالإدارة الإسلامية، يقولون جميعا إنه كان ينجو من قبضة الأمن العام بالرشوة! أما أنا فقد خطر إلي أن أكتب: ويقول مؤرخو هذه الفترة، من اليهود التقليديين المعادين لحركة هذا الرجل إن السبب في سكوت دوائر الأمن التركية عنه طيلة هذه المدة أنه كان يدفع لهم مبالغ طائلة من المال رشوة

حتى يغمضوا أعينهم عنه، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء المسؤولين الأتراك كانوا يكرهون اليهود ويحتقرونهم، ولا يهمهم أن تحدث مثل هذه الفتن الدينية في أوساطهم (من كتابنا: الفكر الديني اليهودي ـ ١٢٥).

ولكن أصداء هذه الفتنة وصلت إلى مسامع الوزير التركي «كوبرلي» بالقسطنطينية. فأرسل يستدعيه للتحقيق معه في العاصمة، وكان البليغ آتيًا إليه بطريق محكمة أزمير الشرعية، وأن عليه التوجه إلى العاصمة في ظرف ثلاثة أيام، وعند تسلم هذا الاستدعاء قال إنه سيذهب وسيقيم الدليل على صحة نبوّته أمام كوبرلي باشا. فاستشاط الباشا غضبا من هذا الردّ الجريء، وأرسل أمرا بالقبض على هذا الدجّال وإرساله مكبلاً بالحديد، وتحت الحراسة. فتم ترحيله بحرًا من أزمير يوم ٣١ ديسمبر ١٦٦٥م، ولكن البحر في فصل الشتاء هذا كان هائجا جدا، فطالت الرحلة إلى ٤ فبراير سنة ١٦٦٦م ولم تصل إلى غايتها، وأصاب السفينة عطل قرب بوغاز الدردنيل، فأُنزل ركابها إلى الأرض، ووضعت حراسة مشددة على شبتاي صبى، واستمرت رحلته في عربة بطريق البر حتى وصلت إلى قرية قريبة من القسطنطينية تدعى «كوجوك جكمجي»، ووصل خبر وجوده إلى العاصمة التركية فخرج اليهود لاستقباله مهللين مرحبين. فعاد إليه الأمل القديم في مواصلة ادعاء أنه (المسيح المخلّص). وسأله ضابط تركي شاب من الموكلين بحراسته عندما سمعه يؤكد أنه المسيح النازل من السماء: هل يستطيع أن يُنزل على إنسان صاعقة من السماء؟ فقال: نعم! فصفعه الضابط على وجهه صفعة قوية قائلا: الآن أنزل عليّ صاعقة! فأدار له خده الآخر، ولم يزد على ذلك.

وعندما مثل أمام الوزير أحمد كوبرلي باشا سأله: مَنْ هو؟ وماذا دعاه إلى إثارة الفتنة؟ أنكر في إجابته كل شيء مما يقال عنه، وزعم أنه مجرد حاخام يهودي من القدس، يطوف البلاد ليجمع الصدقات. ولم ينخدع كوبرلي بكلامه وأمر بوضعه في السجن. وكان ينقل من سجن إلى سجن خوفا من أن يحاول أتباعه إخراجه بالقوة، حتى وضع في النهاية في قلعة حصينة على الدردنيل اسمها «مفتاح البحر». ومنذ ذاك الوقت إلى الآن يسميها أتباع شبتاي صبي من الدونمة «مفتاح العز» أو «إقليد العز».

بدء مخادعته للمسلمين

وجرت في موضوعه مشاورات واتصالات على مستوى رفيع جدًا، وتم إحضاره إلى أدرنه مقر الحكومة العثمانية في تلك الفترة من السنة، وفي يوم ١٦ سبتمبر ١٦٦٦م سيق شبتاي للمثول أمام السلطان محمد الرابع. وفي هذه المقابلة عبر عن رغبته في اعتناق الإسلام، ووافقه السلطان فورًا، وأحضر له في اليوم التالي جماعة من كبار علماء الإسلام، وأمر بإدخاله عليهم، فدخل في زي شيوخ المسلمين: القميص، والسروال، والطيلسان، والصدرية، والحزام، والجبة، والعباءة، والعمامة، وتحت إبطه المصحف. وقال له أحدهم: أنت إلى الآن لم تدخل في الإسلام! فأجاب: بلى، والحمد لله! قال الشيخ: على يد مَنْ؟ قال: على يد حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وضع يده في يدي في المنام وقال: قل لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبعد ذلك قال أنت من الآن لن يكون اسمك شبتاي صبى؛ بل محمد أفندي قابوجي باشي إطراق». وترجمة هذا إلى العربية «السيد محمد حارس الباب وخادم الأعتاب». وذكر بعض من كتبوا تاريخ حياته ـ منهم الأخوان تاروه مثلا ـ أن الصدر الأعظم؛ أي رئيس الوزراء محمد باشا الصقلي كان حاضرا، وكان يحاول إقناع الشيوخ بأنه منافق وكافر وساع في الأرض فسادا وعليهم أن يحكموا عليه بالقتل. ولكن بعض كبار العلماء الذين استمعوا إلى قصة إسلامه عارضوا في قتله أو حتى حبسه، فكل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله، وليس بيننا وبين الكافر إلا (أشهد أن لا اله إلاّ الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم الأنبياء والمرسلين). وألح الصقليّ باشا في الحصول على إذن أو حكم شرعي بقتله، لكن دون جدوى، حتى إنه سأله: وهل أسلمت سارة، زوجتك فقال: نعم! إذ رأت النبي عليه الصلاة والسلام في منامها، وفي نفس الوقت الذي كنت أراه فيه، وأدخلها في الإسلام وغير اسمها من سارة إلى (فاطمة قادن)؛ أي السيدة فاطمة.

بدء المؤامرة وظهور يهود الدونمة

وبعد إعلان إسلامه بتسعة أيام فقط كتب إلى أتباعه رسالة يقول فيها: الآن ألحقوني بنسل إسماعيل ـ العرب ـ، ومع ذلك فأنا أخوكم محمد قابوجي باشي إطراق. وكان بعد أن ذاع إسلامه وشاع، وملأ الأسماع، إذا قابل بعض أتباعه القدماء أنكر إسلامه وتبرأ منه، وأفهمهم أن إسلامه مجرد ستار يحتمي به ويختفي وراءه. فإذا التقى بالأتراك راح يتهم اليهود بالسخرية من الإسلام، والدسّ على المسلمين، محاولاً بذلك استمرار الفتن بين أتباع الملتين في أدرنة والقسطنطينية. وكيف لا، وهو يحقد على شيوخ اليهود بسبب تكفيرهم له، واهدارهم لدمه، ويحقد على المسلمين لأنهم قبضوا عليه، وصفعه ضابط منهم، ثم سجنوه وحاكموه، ولولا حيلته في التظاهر بالإسلام لكان جزاؤه القتل أيضا، بتهمة التآمر على الدولة، والاخلال بالأمن فيها.

المراجع اليهودية المعتمدة لا تذكر شيئا عن يهود الدونمة رغم دورهم في محاربة الإسلام في تركيا

وطالت هذه المهزلة بضع سنين، إلى أن حسمها رئيس الوزراء التركي محمد باشا الصقلي فنفاه إلى قرية صغيرة نائية في ألبانيا هي قرية الباسان، وهناك أقام يتصل بأتباعه القدماء والداخلين الجدد في عقيدته، بالرسائل والمندوبين المتحدثين بلسانه، إلى أن مات في ٣٠ ديسمبر ١٦٧٥م، ودفن في مقابر المسلمين في هذا المكان.

وكان اسم أتباعه فيما بينهم «المؤمنين» وسماهم اليهود الأتراك: «الدونمة» ومعناها «المنافقون»، وكتبها بعض المؤرخين لهذه الحركات اليهودية غير الشرعية «الدومنة». ويقال إن بعضهم، أو بعض المتعاطفين معهم، أيدوا مصطفى كمال وساعدوه على قلب النظام العثماني ـ والإسلامي إلى حد كبير ـ في تركيا، ووصل أفراد منهم ـ تحت مظلة الإسلام

المسيح المهرج!

ـ إلى مناصب خطيرة في تركيا الكمالية، بعد تصفية الإمبراطورية العثمانية بسبب هزيمة تركيا ـ حليفة ألمانيا ـ في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م. وما تزال طائفة الدونمة موجودة إلى الآن بأعداد قليلة جدا في تركيا ومنطقة تسالونيكي باليونان، وأفراد في الصرب والجبل الأسود وكوسوفو وألبانيا وربما في البوسنة والهرسك. ومن الصعب تحديد أماكنهم أو عددهم لأن ديانتهم (سرّية) يمكن أن يمارسوها في المساجد والكنائس دون أن يجهروا بقراءاتهم.

الصهيونية تتجاهلهم والمراجع لا تذكرهم

لكن تبقى أمامنا ملاحظة تدعو إلى التأمل ـ وراء ما يقوله المؤمنون بالصهيونية في أسباب ظهور أولئك المجانين ـ؛ فهم يقيدون هذا في حساب الحركة الصوفية الوجدانية اللاعقلانية التي عاصرت هذه الفترة تحت اسم «الحسيدية» وكلمة «حسيد» باللغة العبرية معناها الرجل التقي الذي لايكاد يترك قراءة التوراة والتلمود لا ليلا ولا نهارا. وهو العابد المبالغ في العبادة، وهو المتقشف الذي أسقط من حسابه متاع الحياة الدنيا، وهو الزاهد حتى في ما جاوز الضروري لحفظ الحياة من الطعام والشراب، يجد البديل عن ذلك كله في التأمل ـ بقلبه ووجدانه لا بفكره وبرهانه ـ فترتاح نفسه في الحرمان، ولايبحث في عدل الله إذا أحاطت به المكاره، بل «ينعم في ظل السكينة التي ترفرف عليه بجناحيها». والسكينة في التصوف اليهودي هي مخلوق سماوي علوي شبيه بالملائكة ـ كما صوّرها لهم أنبياؤهم (إشعيا وحزقيال على الخصوص) ـ تنزل إلى الأرض فتقيم في المعبد ، ولا يشعر بها إلا (الواصلون) إلى الملكوت الأعلى، لا بالفلسفة، ولا بالعقل، ولا بالمنطق، ولا بالجدل والمناقشة، ولكن بجوهر الروح التي تنطلق وراء النصوص الظاهرة التعبدية إلى ما اختبأ من أنوار وراء ألفاظها وحروفها، هي كما يقولون أنوار الأسرار! ومثل هذه الرياضة تستهوي البؤساء من العامة، إذ يجدون فيها العزاء عن همومهم، وباختصار هي مخدرات في أعماق النفس، تنبثق تلقائيا ـ أو بوسائل مساعدة ـ فتأتي بالراحة، بل أحيانا بالفرح والسعادة .

ومن الطبيعي أن تتنكر لها الشريعة الحرفية التقليدية عند اليهود، ومن الطبيعي أن تعاديها الصهيونية، لأنها يهودية إيجابية محاربة استعمارية. لذلك لانجد الدونمة في إسرائيل على الرغم من نشاط شبتاي صبي المركز على القدس والخليل، والحسابات الفكلية (للصحابي) ناتان في غزة. وقد هلك الأول في ألبانيا، وضاع الآخر في خضم الموت فلا يدري أحد كيف ولا أين انتهى. ونظرًا للسرية التي أحاط بها شبتاي صبي دعوته، ومبالغة أتباعه من بعده في تلك السرّية؛ فإن ما يجيئنا من معلومات ينبغي أن نأخذه بحذر شديد. فاليهود الرسميون كان الشرع عندهم قد كفَّر هذه الفئة، والمسلمون نظروا إليها بعين الشك والارتياب، والدونمة لا مسلمون ولا يهود؛ بل منافقون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. والصهيونية التزمت الصمت عنهم كما تفعل الأقلام الصهيونية في إسرائيل، فالمعجم الموسوعي عندهم لايتضمن كلمة واحدة عن هذه الحركة، ولايذكر اسم زعيمها أو صاحبه في غزة، وكذلك كتاب تاريخ الأمة اليهودية من أقدم عصورها إلى هذا القرن العشرين من تأليف إسكندر ماركس وماكس مرغوليس يتجنب أية إشارة إلى هذه الفئة، مع أنه يذكر إنه (مرجع) يسجل كل وقائع التاريخ اليهودي.

سلسلة من المجانين

وبعد أكثر من ثلاثمئة سنة، مازال الدونمة يؤمنون بأن مسيحهم لم يمت، وأنه سيظهر فجأة في الوقت المناسب فيأخذ صولجان الملك ـ على الدنيا بأجمعها ـ وعصا كبير الكهنة أيضا.

وبعد موته ـ أو اختفائه ـ ورثه ابن له اسمه يعقوب صبي، فزعم هو أيضا أنه المسيح المنتظر، وأمر أتباعه بالجهر بالعبادات الإسلامية، فتبعه حوالي أربعمئة يهودي أظهروا إسلامهم عام ١٦٨٧م. وسافر هو إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وتوفي في الإسكندرية في طريق عودته إلى تركيا عام ١٦٩٠م.

وخلفه ابنه «بركْيا» (١٦٩٥-١٧٤٠م) فورث المسيحانية عن أبيه وجده، ولكن قام في وجهه مجنون آخر من الدونمة فزعم أنه «المسيح بن يوسف» وهو اسم عيسى بن مريم عليه السلام في كتب اليهود. ثم انقطعت ضوضاء هذه الطائفة، ويبدو أنها ـ بعد ذلك ـ اشتغلت بالسياسة، وإلاّ فلماذا طفت على سطح الحوادث، وكثر اللغط حولها مع سقوط الإمبراطورية العثمانية في أوائل هذا القرن العشرين، وقيام الجمهورية التركية (العلمانية) على يد مصطفى كمال؟

وفي فترة مابعد موت شبتاي صبي ظهر (خليفة) آخر له اسمه (مُردخاي) من مدينة أيزنشتادت الألمانية، وبشر في البداية برجوع شبتاي من السماء بعد ثلاث سنين، فاتبعه جمهور كبير من اليهود، ولكن مضت الأعوام الثلاثة وشبتاي لم يهبط من السماء، فاخترع لأتباعه حجّة لهذا الغياب خلاصتها أن شبتاي صبي (أضاع) صفة المسيح، لأنه عندما ظهر في هذه الدنيا انصرف إلى متع الحياة فجمع مالا كثيرا، وأحاط نفسه بالجميلات من النساء، وركب السفن والعربات والخيول المطهمة، مع أن المسيح المخلص يشترط فيه أن يكون فقيراً، وأن يركب حمارًا في تنقلاته، فصدّقه أولئك الحمير، خصوصا عندما كان يسمّي نفسه بهذه الهيئة القذرة الرثة (المسيح بن داود)! ووصل صيتُهُ إلى إيطاليا ـ مع ما يلزم لذلك من معجزات وكرامات مزعومة ـ فدعاه يهود روما للاحتفال به سنة ١٦٨٠م، ولكن قساوسة محاكم التفتيش النصرانية علموا بأمره وقرروا قتله، فهرب من إيطاليا إلى بولندة، وظل بها يرتعد خوفًا وفزعا إلى أن مات.

ونختم هذا الزحام من المسحاء الكذابين بالانتقال من الشرق إلى الغرب على خطى الألماني (مردخاي)، لنكمل هذه الجولة مع (يعقوب فرنك) ـ يهودي من شرق أوروبا، وُلد سنة ١٧٢٦م وهو مؤسس يهودية تسمى (الفرنكيّة). انصرف أولاً إلى دراسة العلوم الروحانية حتى آمن بتقمص الأرواح، وانتقل من هذا إلى أن روح المسيح عيسى بن مريم انتقلت في رحلات ودورات حتى سكنت فيه. فقد سكنت أولاً في داود، وانتقلت من داود فحلّت في النبي إلياس ثم عيسى ثم نبي المسلمين (محمد صلى الله عليه وسلم). وبعد ذلك حلّت ـ في قفزة واسعة جدا ـ في شبتاي صبي، وخلفائه حتى وصلت ـ على مهل هذه المرة ـ إلى حفيده بركيا، ومنه انتقلت روح المسيحانية إليه هو شخصيًا! فأطلق على نفسه لقب «السيّد القدّوس» وباللاتينية «سنيور سانتو»، وعندما تصدى له كهنة اليهود، وكانوا في تلك الأقاليم في منتهى التزمت والعصبية والقسوة، أعلن هو إلغاء التلمود.

الكاتب في عالمه المغلق:

هل هو منغلق حقًا؟

د. نعيم عطية

الحديث عن انحصار الأديب داخل نفسه إنما يعني مواجهة قضية الإبداع الفني بصفة عامة، وهي قضية لا تفنى ولا تستنفد، وتظل تطرح نفسها على الدوام، مادام هناك عطاءات أدبية تترى، وتجارب في التعبير الفني تظهر يومًا بعد يوم، في مجتمعات مختلفة، وأزمان شتى؛ ذلك أن الأديب المبدع لم يكن في وقت من الأوقات مخلوقًا أسطوريًا ولا كائنًا أثيريًا، لا محصلة له من تجارب معيشة. إن العمل الأدبي مهما بدا، مناجاة أو صوتًا منفردًا، فهو الذي توصل علم الأدب إلى وصفه بـ«المونولوج الداخلي»، وليس ذلك، إلاّ اصطلاحًا يدل على نوعٍ حديثٍ من التعبير الأدبي، ولكنه لا ينفي وجود ذلك الحوار بين الذاتي والموضوعي، كل ما هنالك أن ممارسي هذا الأسلوب، ونقصد المجيدين منهم، قد أعادوا ترتيب أوراق اللعب من جديد فحسب، دون أن ينكروا، وماكان بإمكانهم أن ينكروا، أن لحمة ذلك (المونولوج) أو الصوت الفردي لا يقصي، ولا يستطيع أن يقصي نهائيًا وكليةً، المقوماتِ الموضوعيةَ الخارجية التي يتحول الصوت المنفرد من دونها سريعًا إلى صمت، وصمت مطبق.

ومهما كان الأمر في هذا الأسلوب الأدبي قائمًا على إعلاء «المونولوج»، فهو ما زال يبدو «كمونولوج» أي كصوت منفرد، وهذا يختلف كل الاختلاف عن الصمت الذي ليس تعبيراً على الإطلاق، في حين أنّ الفن، مهما كان الأمر، هو تعبير، وليس «لا تعبير».

الأدب مجاهدة

إن الأديب على الدوام بحاجة، كي يعبر ويواصل التعبير، إلى مواجهة صعوبات خارجية تجعله يرتد إلى داخله، ولكن هذه الصّعوبات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو أسرية أو قومية أو عرقية، هي المحك الذي تشتعل شرارة التعبير الفني من لحظة الاحتكاك الذاتي للأديب بها، ومن ثم فإنها تترك انعكاسات وألوانًا على تعبير الفنان الذي وجد انطلاقته منّ الاحتكاك أو الاصطدام بها، ومهما كان هذا الاحتكاك أو الاصطدام مفضيًا بالفنان إلى الانطواء على نفسه والانزواء بداخلها، فإن ذلك «المونولوج الداخلي» لا ينسكب اعتباطًا وتلقائيًا، بل ينسكب ويتدفق من جراء علاقات تبادلية إيجابية أو سلبية بين كيانه الفردي والكيانات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحيط به ويتجوّل داخلها، بل إن الشيء الذي يجب ألاّ يغيب عن البال - رغم غرابته - هو أنه حتى السلبية المفرطة التي قد يُطلَق عليها بعض الأحيان «العبث» أو «اللامعقول» أو «التجريد» إنما تُفْهمُ الآن فهمًا سليمًا على أنها ليست مواقف إنسانية اعتباطية؛ بل هي مواقف رفضٍ لما هو قائم في الزمان أو المكان.

وعلى ذلك، فان مجال النشاط الإبداعي للكاتب مرتبط أوثق ارتباط بعوائق أو ضغوط

يتفاعل معها الفنان. ومن هذه العوائق أو الضغوط مايكون خارجيًا، ومنها أيضًا مايكون داخليًا. فالتركيب النفسي أو العضوي للكاتب يفرض حتمية معينة على إبداعاته، ولا يمكن أن نتصور كتابة غير مرتبطة على الإطلاق بضرورة من الضرورات. ومتى أدرجنا فكرة الضرورة التي تتعامل معها إرادة الكاتب في محور العمل الأدبي، أمكننا أن نفهم حقيقة المثبطات التي يجب على الأديب أن يحرص على ألاّ تشده إلى القعر فيغرق، بل عليه أن يسبح ضد تيارها ويطفو على سطحها ويملأ رئتيه هواء. ولكننا سنفهم أيضًا من عبارات الكاتب، مهما تعمد أن يتحاشى الإفصاح، ما العوائق التي أحاطت به، وماالصدمات التي تعرض لها قلمه.

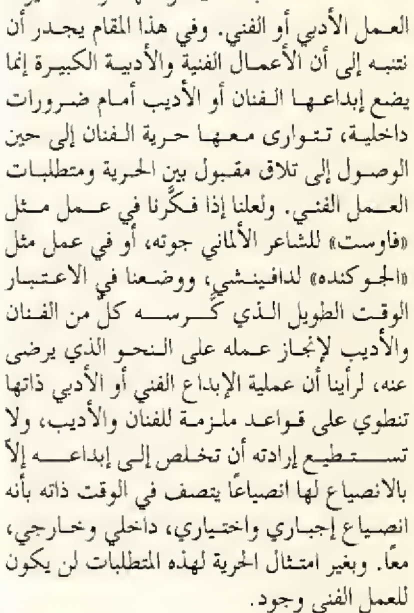
الأغلال الإنسانية

إن المبدع ليس كائنًا منعزلاً، مُنبَتَّ الصلة بكل الناس، وعن كل شيء، بل هو مرهف الحس، شديد الوعي بالعالم الذي يحيط به، حتى إذا عمد إلى التعبير عنه من خلال «لاوعيه»، فهو إنما يمارس بالنسبة لهذا العالم ذاته، عمليات تصوير، أو فضح، أو سخرية، أو احتجاج، أو تحوير، أو مسخ، أو معارضة، أو نبذ، أو مهاجمة. وعلى أي حال، فإن أيّ تعامل إنما يكون بهذا العالم وليس بأي عالم آخر. إن هذا العالم بالنسبة للأديب، مهما كان مبدعًا، هو ماكان، وماهو كائن وماسوف يكون. وحتى خيالات الفنان تكون مغموسة مع هذا العالم، فعندما يتحدث روائي مثل جوناثان سويفت عن عالم أقزام أو عالم عمالقة، فهو إنما يستمد كل مقومات خيالاته من العالم المحيط به، وإليه، ومن خلال خيالاته، يصوب نقده ويوجه نصائحه. وعندما تشطح خيالات كُتّاب أدب الخيال العلمي إلى عوالم في الفضاء أو المحيطات أو الأقمار فإن حديثهم مايلبث أن يفصح عن الأغلال الإنسانية التي تكبل الأديب والتي لا فكاك له منها. بل إن الأدب الشعبي أو أدب الخرافة عندما يحدثنا عن الغول والعفريت والعنقاء فإنه لا يلبث أن يُركِّب هذه المخلوقات من مقومات واقعية معكوسة أو مقلوبة أو مضخّمة أو ممسوخة، ولكنها على أي حال ليست إلا انعكاسًا للعالم الواقعي بحيث تتجلى حقيقة من حقائق الإبداع الفني والأدبي، وهي أن الكاتب أو الفنان ليس مغلقًا على نفسه انغلاقًا تامًا، وليست حاسته الإبداعية منبتة الصلة نهائيًا بالواقع. فالواقع يلاحق الفنان والأديب، حتى إذا ماعتزل العالم، وأغلق على نفسه باب مكتبه أو مرسمه أو صومعته، معتقداً أنه بذلك سوف يتسنّى له أن ينفض عن قلمه إسار الواقع، وأدران العالم الخارجي الذي أدار له ظهره. فالعالم الصغير، عالم الفنان الداخلي الذي يسمى «ميكروكوزم»، ليس إلا صورة مصغَّرة للعالم الكبير: العالم الخارجي. وقد يرد في هذا المقام تحفظ نجده عند دارسي القدرات الابتكارية للإنسان، فهم يقررون وبحق أن مستويات الخيال وآفاقه تتنوع تنوعًا كبيرًا على أية حال، حتى تبدو إبداعات بعض الفنانين والأدباء أكثر طلاوة وإبهارًا من إبداعات غيرهم. وفي نطاق القدرة على التذكر واستحضار التذكارات الموغلة في القدم، يؤكد بعض الدارسين أن بعض الأدباء كانوا قادرين أن يستجلبوا في كتاباتهم تذكارات حدثت لهم في سنوات سابقة على سن الخمس سنوات، بل أشاد بعض الدارسين أيضًا إلى ادعاءات بعض الأدباء، وربما منهم صمويل بيكيت، باستدعائه لبعض التذكارات التي ترجع إلى وقت أن كان جنينًا مستكنًا في رحم أمه. وهذه التذكارات من أيام الرحم، يتعداها البعض أيضًا، مقررين أنهم إنما كانوا قادرين على تذكر أحداث حدثت لهم في حيوات أخرى سابقة، ، ومن هؤلاء السريالي سلفادور دالي الذي، رغم شطحاته البالغة، فعبقريته أضحت غير منكرة.

معاناة المغامرة

وإن كان لنا أن نبدي تعليقًا في هذا المقام، فإننا نسلم بأن الواقع ليس هو كل الحقيقة، وأن على الأدب والفن تقع مسؤولية كبيرة لتوسيع آفاق المعرفة الإنسانية بالحقيقة، ومن حق الفنان والأديب أن يطرق بقلمه وفرشاته آفاقًا جديدة، مهما أوغلت في الانسلاخ من حدود مايمكن أن تطوله الحواس من جسد الحقيقة، ومن هذا المنطلق يصبح الخيال بالنسبة للفنان ضرورة ومطلبًا مشروعًا ومسلمًا له به. فهو من خلال ممارسة الخيال لا يلهو ولا يعبث؛ بل يعاني مغامرة قد تكون في بعض الأحيان باهظة ومرهقة، وبخاصة أن مايعرفه الإنسان من الحقيقة حتى اليوم لا يعدو الفتات، وأضحى من مقتضيات وجوده وأمنه أن يعرف المزيد منها. وفي هذا المجال يتخذ الأديب والفنان مكانه إلى جانب العلماء والفلاسفة في معركتهم الإنسانية، مهما كانت هذه المعركة شاقة والتضحيات كبيرة، بل قد تتجاوز تضحيات بروميثيوس الذي ضحى بأمنه الشخصي وإلى الأبد، من أجل أن ينتزع رفاقه البشر النار المقدسة من على قمة جبل الأوليمب حيث مأوى الآلهة، كما تقول الأسطورة المعروفة.

ولهذا كان تقويم العمل الأدبي الحديث لا يتوقف كثيراً عند التسجيل غير المبدع للواقع الاجتماعي، بل يتجاوز ذلك معولاً على مافي العمل الأدبي من قدرة على الإيحاء والإيماء والقيادة إلى ماهو أبعد من الظواهر السطحية والصور المعادة. ومن هذا المنطلق يُسْمحُ في العمل الأدبي الحديث بتعدّي الفهم الذي ألف الدعة والاستكانة. وأضحى العمل الأدبي مقلقًا، محيرًا، بل مرهقًا في بعض الأحيان للكاتب أثناء عملية الإبداع، لأن ثمة مشكلات، وصعوبات، وحواجز عليه أن يذللها ويتعداها. وهناك عملية نقدية أثناء صياغة الكاتب لعمله الأدبي، لأن هناك عبارات يجب أن تُختار دون غيرها، ومن خلال هذه العبارات يجب إيصال رسالة. وهناك نقد لأن الكاتب عليه أن يوصل أفكاره واضحة إلى جمهور ينتظر كلماته كي تحقق له التماسك والوحدة. إن نور الكلمة يجب أن يتسلل إلى الظلمات ويبددها؛ وعندئذ فإن الصيغ الشكلية يجب أن تتواءم مع المضامين الإنسانية عندما تتواجه مع المتناقضات الخارجية بمختلف أنواعها. وعندئذ يولد العمل الأدبي أو الفني. وفي هذا المقام يجدر أن نتنبه إلى أن الأعمال الفنية والأدبية الكبيرة إنما يضع إبداعها الفنان أو الأديب أمام ضرورات داخلية، تتوارى معها حرية الفنان إلى حين الوصول إلى تلاق مقبول بين الحرية ومتطلبات العمل الفني. ولعلنا إذا فكّرنا في عمل مثل «فاوست» للشاعر الألماني جوته، أو في عمل مثل «الجوكنده» لدافينشي، ووضعنا في الاعتبار الوقت الطويل الذي كرسه كلّ من الفنان والأديب لإنجاز عمله على النحو الذي يرضى عنه، لرأينا أن عملية الإبداع الفني أو الأدبي ذاتها تنطوي على قواعد ملزمة للفنان والأديب، ولا تستطيع إرادته أن تتخلص إلى إبداعه إلاّ بالانصياع لها انصياعًا يتصف في الوقت ذاته بأنه انصياع إجباري واختياري، داخلي وخارجي، معًا. وبغير امتثال الحرية لهذه المتطلبات لن يكون للعمل الفني وجود.


جوناثان سويفت

ماهذا المطلب؟ وماهذه الضرورة؟ إنه مطلب

الإتقان، وضرورة نشدان الكمال.

إن كل مايصدر عن الإنسان له معنى، وكل مابداخل الإنسان أيضًا له معنى؛ وهذا يعني أن كل كتابة لها دلالة مرتبطة بمصير الإنسان، مهما كانت هذه الدلالة كبيرة أم صغيرة، واضحة أو خفية.

عيون داخلية

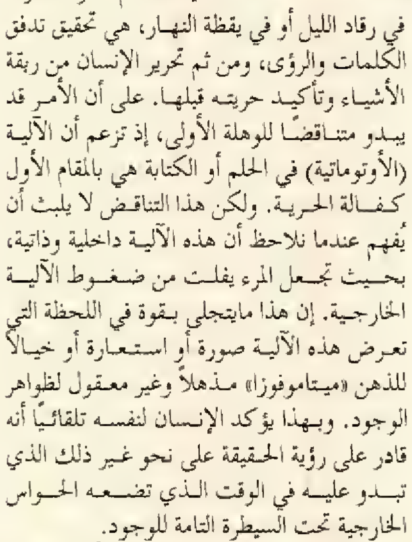
وقد جرت العادة على إجراء المقابلة بين «الصور الداخلية والصور الخارجية» على أساس أن الصور الخارجية وحدها هي التي تفرض وجودها، فالعالم الموجود حقًا هو العالم المرئي، أما العالم المتوهَّم فليس له وجود يُعتدّ به. تشرق الشمس على الدنيا وتغمر بالضياء أرجاءها، ومع ذلك ففي وضح النهار هناك المئات ممن يقصون الشمس عن أنظارهم دون وعي، ومنهم عشاق، ومناضلون فدائيون، ومتصوفون زاهدون، وحالمون، وعلماء، وموهومون تسلطت عليهم الأوهام. ودون أن تنطبق أجفانهم تنفتح فيهم عيون داخلية تبعد من أمامها وهج الشمس، بينما تمتلىء عيونهم الروحية بأنوار غير مادية.

ولا يتأتى للفكر التأملي التحليق لإدراك الوجود وتفسيره إلا بمساعدة تلك الكائنات الأثيرية الشفافة غير الملموسة التي هي الكلمات والصور، ولكن يجب أن نعرف أن الوعي لا يصطنعها في الوقت الذي يريد استخدامها، بل هي تكمن منذ أول الأمر مضمرة في تلك البقاع المجهولة، ومن هذه البقاع الشاسعة: الحقيقة، التي وإن كانت خافية بسبب الانبهار بضوء النهار الساطع، فإن السحب المحرِّكة لهذه المادة اللفظية المهاجرة نحو العقل الواعي تتصاعد. إن المشيدات الوطيدة الضخمة للفكر الفني والعلمي لا يمكن أن تستغني عن هذه المنحة المسبقة من المادة الأولية المقدمة من جانب اللاوعي أو العقل الباطن.

وكما أن الشمس المرئية لا يمكنها أن تنمّي الزرع وتنضج الثمر في الأثير أو على الصخر الجاف، بل يمكنها ذلك فقط في التربة العضوية المملوءة بالبذور النشطة والعناصر الغذائية اللازمة؛ فكذلك شمس العقل الواعي لا تنتج بذاتها محاصيل الفكر، بل لابد من الالتقاء بتربة اللاوعي الغائرة في الأعماق بكل بذورها وعناصرها العضوية؛ أو بعبارة أخرى بكل تلك الكتلة الحية المضمرة من الكلمات والصور التي تدفع إلى سماء الفكر العدد اللامتناهي من صنوف الزهر والثمر.

رؤية الحقيقة

ويصر البعض على اعتبار نتاج «التلقائية» مجرد رواسب لنشاط الذهن، ويستخفّون بهذه الرواسب. على أنه بالأمكان أيضًا أن نَسْخَرَ من الذكريات ولا نعتبرها سوى رواسب خاملة للأزمان الماضية، ولكن المرء الذي ليس لديه أية ذكريات هو إنسان ميت من الناحية النفسية (السيكلوجية)، وهو إذ لا يتذكر شيئًا لا تكون لديه أية سيطرة على الحاضر أو على المستقبل، ومن ثم يكون رازحًا تحت عبء المظهر الهائل وغير المفهوم لكل الأشياء المحيطة به، منجرفًا في خضمها دون أن يجد أدنى عون له أو دعامة يرتكز إليها ليستردّ أنفاسه اللاهثة. وسوف يعترض المعترضون على ذلك بأن الكتابة التلقائية، وهي تلك الكتابة التي دعا إليها أدباء مافوق الواقع «السيرياليون» لا تقدم عادة سوى رواسب زهيدة الشأن، على أنهم في ذلك مخطئون، لأن الذكرى مائدة روحية حافلة بالإحالات والمراجع. ولكن الذكرى بدورها لا تخلو من نقائص وتصدُّعات.. إن الوظيفة الأساسية للحلم، سواء جرى في رقاد الليل أو في يقظة النهار، هي تحقيق تدفق الكلمات والرؤى، ومن ثم تحرير الإنسان من ربقة الأشياء وتأكيد حريته قبلها. على أن الأمر قد يبدو متناقضًا للوهلة الأولى، إذ تزعم أن الآلية (الأوتوماتية) في الحلم أو الكتابة هي بالمقام الأول كفالة الحرية. ولكن هذا التناقض لا يلبث أن يُفهم عندما نلاحظ أن هذه الآلية داخلية وذاتية، بحيث تجعل المرء يفلت من ضغوط الآلية الخارجية. إن هذا مايتجلى بقوة في اللحظة التي تعرض هذه الآلية صورة أو استعارة أو خيالاً للذهن «ميتامورفوزا» مذهلاً وغير معقول لظواهر الوجود. وبهذا يؤكد الإنسان لنفسه تلقائيًا أنه قادر على رؤية الحقيقة على نحو غير ذلك الذي تبدو عليه في الوقت الذي تضعه الحواس الخارجية تحت السيطرة التامة للوجود.


صمويل بيكيت

ومن أجل هذا اعتُرف للفنان والأديب بالحق في الخلوة المطلقة، ولكن حتى في خلوته ستلاحقه «المدينة» رضي بها أو رفضها، ذلك أن الأدب الطوباوي أو أدب المدينة الفاضلة (اليوتوبي) ذاته مهما ارتبط بمثالية الكاتب وتنزه عن الواقع، أدب غير منبت الصلة بأرضية الفنان التي تضرب جذوره في تربتها. وليس من شجرة مهما سمقت أغصانها في الفضاء بغير أرض تنبت فيها. وفي إطار جدلية (ديالكتية) الإبداع هذه يمكننا أن نضع مسألة العوائق في موضعها السليم، ونواجه العلاقة بين الحرية والضرورة مواجهة صحيحة تتنوع تبعًا للمجتمع والعصر اللذين تتعامل فيهما. ومن ثم تتجلّى الإبداعات الأدبية والفنية كردود أفعال، فلا وجود لعمل أدبي معرًى عن سبب، مهما تنوعت الأسباب وتلونت.

عصب العمل الأدبي

لم يعد يُعْتقدُ بأن الانسان ـ في العمل الأدبي ـ أداة في يد قدر متحكِّم، أو واقعة في تاريخ حتمي، أو بطولة ظافرة أو مخفقة. ولم تعد الأخلاقيات، والسياسات، والاجتماعيات، والأمور النفسية (السيكلوجيات) هي العصب في العمل الأدبي، انما يتعلق الأمر قبل كل شيء بعملية كشف واستقصاء للوجود بغير التفات إلى أي إقحام يشوه الرؤية الفنية. وأصبحت كثيرٌ من تجارب الأدب الحديث ترفض تمدد الشخصية. وأضحى الكاتب لا يجعل ذاتيته تتضخم، وتُزْحِمُ أرجاء الوجود الذي هو مدعو إلى أن يستكشفه. ودعا كثير من النقاد الجدد إلى أن الأوان قد آن كي يفكّ إسار الكاتب من ربقة النقل الحرفي للواقع واجترار الأحداث التي يرويها كما هي. وأضحى القارئ من ناحيته إزاء عمليات التجهيل والتعمية التي مارسها عليه الأدب الطليعي الحديث من عبثي ولاشعوري وسيريالي ملقًى به في صميم تيه متشابك الدروب، وعليه أن يشق هو طريقه عبره دون معاونة الكاتب أو غيره. فالقارئ الحديث مُطالبٌ من ناحيته بإجراء عملية كشف مباشر قدر الإمكان للعالم الذي توجَّه إليه تساؤلاته، ولكأنما استهدفت كل إجراءات التجريد والحذف والتعمية التي استخدمت معه وضعه هو ذاته، موضع التجربة تلو التجربة.

ولكن نعود فنقول للكاتب: إنه رغم أنه قد تكون ثمة اعتبارات تجعله محقًا في أن يغلق بابه ويصد عن ذاته ذلك الخارج الذي أضحى منفرًا، عدوانيًا، سقيمًا، لكن الذات إذا انغلقت تخرّبت هي أيضًا. إن بين الذات والخارج حوارًا، وتبادلاً وتواصلاً، وعلى الكاتب ألا يقطع هذا الحوار، ولا يبدد هذا التواصل، حتى لا يضحي الكاتب قوقعةً جوفاء، بما عششت فيها مسوخ هو نفسه لايرضى عنها، أما مع الإنسان ودفء الحياة، فهذا أفضل.

هل هو منغلق حقاً؟

هل يستطيع الفنان أن يهرب؟

انفصلت أيها الفنان، وانطويت على نفسك. ولكن ماذا بعد؟ صرت في مكمنك غير مكترث بما يجرى خارجك، وإذا ركزت فعلى ذاتك، أو على الخارج العرضي من خلال ذاتك التي مهما صور لك فهي لاتقل عرضية.

وماتلبث الأمور أن تلتبس على الأديب وهو يصورها، فيركن إلى السخرية. وتؤدي سخرية الذات من الحقيقة الموضوعية إلى نوع من «التهكم السوداوي»، فيهاجم الأشياء والأشكال معًا، وذلك من زاوية مـا يضفيه عليها انطباعه الشخصي. وفي ظل هذا التهكم السوداوي الذي عرفه الأدب الحديث على يدي الفريد جاري وأمثاله تُنْتزعُ الوقائعُ من مجالها العادي، ويُدفَعُ بها إلى لعبة من الروابط غير المتوقعة. ومن ثم يختلط الواقع والجزافي خارج حدود المألوف اليومي، فيكتسي ماحول الأديب بجدة جهمة خشنة، وإنْ ظل الطابع السائد وهمًا موحيًا بعدمَ الوجود، أو على الأقل بأهمية زائفة خداعة، أو بموضوعية مشكوك فيها. وينظر الفنان إلى ماحوله بغير رضا، ويعمد إلى تفادى العالم الخارجي، معتمدًا في أحاسيسه وأحكامه على ذاتية كامنة في الأعماق التي لاتطولها تفاهة العلاقات الاجتماعية ورثاثة الحياة اليومية. وفي خضم الغُثاء والرثاثة المحاصرة للأديب رغم محاولته الهرب منها، يعتصم بعزلة، لاتُنجيه في النهاية من مطارحات عالم عدوانيّ مستغرب، ويضحي هذا الجانب اللامعقول من الوجود الإنساني محملاً بعبء رازح على الأديب، مايلبث أن يصرخ من أعماقه: «غير معقول أن يكون هذا الغثاء والرثاثة خاتمة المطاف». ويظل الأديب يعد نفسه مسؤولاً. مسؤولاً عن ماذا؟ عن الحفاظ على مالَهُ وحده معنًى في الحياة الإنسانية، ويظل يشعر بمسؤوليته عن الإنسانية، التي اعتقد أنه تركها في الخارج، ولكن هاهي ذي تلاحقه. وهل يستطيع أن يفلت منها؟ حتى في مكمنه وعزلته هل يستطيع أن يهرب؟ هل كتبتْ له ذاتيته خلاصًا؟ إن القدر المتيقن من إجابة مرجوة من الأديب المعتزل هو أنه على الأقل لم يَخُن، وأنّ أدبه صادر من الأعماق. إنه يعرف كم هو منسحق، ولكنه يضحك. يضحك من انسحاقه ذاته. إنه ضحكُ العجز والتحدي، في آن واحد. إنه ضحك الشجاعة، وليس ضحك الخنوع، ولا ضحك النفاق والغثاثة، ويحتفظ الأديب في «الضحك الأسود» لنفسه بسر ضحكته. هي ضحكة لامعقولة بحت. ضحكة من يكتشف بداخله قوةً مبرئةً ومدمرة، قوة أوصلت إلى حدود اليأس والعدم وأوشكت على اجتيازه وتجاوزه.

ويقفز إلى أذهاننا هنا قول الشاعر الإنجليزي ت.س. إليوت بأن الجزء الأكبر من عمل الأديب هو عمل نقدي. ولاشك أن هناك نقدًا ذاتيًا، نابعًا من مطلب الأديب بأن يرقى عمله إلى مرتبة الكمال. وهذه المثالية التي تتسلط على نشاط الفنان بمحض إرادته، هي ضرورة داخلية لايمكن تجاهل مسوّغها أو التغاضي عن نفوذها، وذلك بعكس كل التزام آخر وافد على إرادة الأديب الإبداعية من قواعد مسبّقة مملاة عليه من خارجه، فهذه لاتفضي في النهاية إلى أيّ إنتاج فني ذي قيمة، ذلك أن هذه القواعد الآمرة تحطّم الخصيصة الحوارية بين الفنان وذاته المبدعة، بل وحتى بينه وبين الخارج الاجتماعي الذي يحتاج إليه الفنان بشدة كي يصوغ عمله الأدبي، وذلك لأن العمل الأبداعي الحقيقي يحتفظ على الدوام بخصيصته الاستقلالية، تلك الخصيصة التي تتمثل في حرية التوفيق بين الأفكار والأشكال الأدبية، وكفالة التناسق بينها. وإذ يُرفَضُ على مستوى الإبداع الأدبي استبداد فكرة أو تسلُّط أسلوب على مسارات التعبير، من خلال تحاور الذات الحرة للفنان وشتى الضرورات التي يتعامل معها، فإن «الديمقراطية» التي تتقبل وحدها تعددية الأفكار والصيغ، تضحى أنسب صيغة تصاغ في ظلها العمليات الإبداعية التي تتنوع ذلك التنوع الذي يُعدُّ وحده نبع الطلاوة والجمال، والترياق الفعال ضد تحول النشاط الأدبي إلى «نمطية» مملَّة وسقيمة.

> **الواقع يلاحق الفنان والأديب، حتى لو اعتزل العالم، وأغلق على نفسه باب مكتبه أو مرسمه**

إن المبدع، الذي يُعد على الدوام جلاّبًا لبذور جديدة، يجب أن يجد أرضًا خصبة متقبِّلة للابتكار الذي سوف يُنْبتُ في الحقل زهرًا لم يسبق له مثيل. ولهذا، فإن تقبّل علاقات جديدة بين الأشياء والأفكار، يجب أن يكون تقبلاً عن طيب خاطر لوظيفة الإبداع، وبغيره لايتأتى للمجتمعات أن تنمو، وتتقدم وتطرق أبوابًا جديدة. وهذا قانون اللعبة، وليس لهذا القانون بديل.

العشق المتغلغل في الكيان

إن الوجود يتمثَّل أمام الأديب المبدع في كل لحظة بكرًا وفي صور غير مسبوقة، والأشكال أشبه بالجزر التي تبزغ كل صباح من لجة اليَمّ الصافي، ومن المؤكد أن أبجدية الكتابة يتعلمها الكاتب على الدوام في لحظات الخلوة والتمزق، وليس لأحد عليه في ذلك فضل أو سلطان، دون أن يكون مضطراً للخضوع إلى عبودية حسية جمالية نمطية موحدة. وسوف يظل تنوع الأشكال وتعدد الأفكار على الدوام حجر الزاوية في العملية الإبداعية الفنية.

وهكذا يضحي الكاتب العاشق المتيم للمجهول غير المسبوق من الأفكار والتصاوير والرؤى، وذلك إلى حدٍ لا برء له من هذا العشق المتغلغل في كيانه المشدود الحواس على الدوام إلى كل ماهو جديد ومتفرد. أما ماهو مستتب، ومكتسب، ومتواتر عليه فإنه لايكاد يشد الفنان المبدع أبدًا. فهو على الدوام عطش إلى المطلق. ومتأرجح بين المحدود واللامحدود، بين المتناهي واللامتناهي. إنه طَمُوح ويبقى على الدوام غير راض إلى أن يلتقي بذلك الجوهر الأبدي الذي يختلف تمامًا عن كل ماهو موجود غيره. وفي هذه المسيرة الخلاقة يؤدى الفنان دور الوسيط بين العالمين الكائن والمتعدي، بين عالم الجمال وعالم الأكذوبة.

وإننا لن نصل إلى كفالة الإبداع بغير الاعتراف بحق الانفتاح على المجهول كي نجد في هذه الأعماق اللانهائية مايسميه بودلير «الجوهرة الفريدة»، ومايسميه تنيس ليامز «الوردة الزرقاء». وهكذا تصبح «الابتكارية» متعددة الأبعاد ومتفتحة على كل المجريات. أما العالم ذو البعد الواحد فهو عالم آلي مسدود، مقدّر للإبداع في إساره أن يصاب بالاختناق. وفي عالم الفنون والآداب، عالم الصحوة والارتضاء الحر للمتنوع، لاينغلق في عالمه إلاّ من لايرفع غير علم واحد، يؤدّي له التحية كل صباح وينتحر. إن في عالم الفن لاتوجد راية واحدة، بل الرايات المرفرفة كثيرة، ومتنوعة الألوان إلى ما لانهاية.

وحتى لانوقّع على شهادة بوفاة الإبداع الفني والأدبي، يجب علينا من منطلق الحب الذي يقود إلى ثراء لا نهاية له، أن نظل نتقبل العطاءات المتباينة بقناعة. لانُطلق أحكام الإعدام والإدانة، بل على الدوام نقول «ومن يدري؟ ربما». ومن خلال الزهد الروحاني يمكننا أن نفجر ينابيع كثيرة تروي صحارينا المعاصرة!.



تحرك القيم الإسلامية حول الكليات الخمس في إطار العقيدة

عبدالمجيد بنمسعود

إن كل إنسان محكوم عليه بالخسار، وإنه لن يخرج أحد من ذلك الحكم، إلا بفضل إيمانه بالله عز وجل وتَحلّيه بمكارم الأخلاق التي تنعكس على علاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان وبظواهر الكون من حوله. والإنسان كائن اجتماعي إضافة إلى كونه يشعر بعمق بكيانه الفردي الأصيل ويريد له الاستمرار والبقاء، ويدافع عنه لذلك بكلِ ما أوتي من إمكانات ووسائل.. وأوضَحُ مقومات هذا الإنسان عقلُه ونفسه ونسله، فالعقل هو أداة الإنسان الفعالة التي يمارس بها أمانة الاستخلاف عن طريق عملية التفكير والتدبّر في ملكوت السموات والأرض، بحثا عن الطاقات المسخرة فيها من أجل إنجاز عمله الحضاري وحماية وجوده.

وهنا يأتي عنصر المال كأداة ضرورية لاستمرار العمل الحضاري، وقبل ذلك لاستمرار حياة الإنسان. غير أن العناصر الضرورية السالف ذكرها (العقل والنفس والنسل والمال) لاتكتمل إلا بعنصر ضروري آخر هو: الدين. بل إن الحياة الإنسانية أو الوجود الإنساني لايقوم إلا به.. وهذه العناصر الخمسة هي ما اصطلح على تسميته بالكليات الخمس. يقول الإمام أبوإسحاق الشاطبي وهو يتحدث عن تلك الكليات: «إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لاتعدو ثلاثة أقسام: أحدها «أن تكون ضرورية» والثاني «أن تكون حاجية» والثالث «أن تكون تحسينية». فأما الضرورية فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فُقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة. وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين. والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما مايقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني مايدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها. وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»(١).

ويتبين لنا من خلال كلام الشاطبي أن الهدف من تكاليف الشريعة يتمحور حول صيانة مجموعة من المقاصد المرتبطة بالحياة الاجتماعية والفردية للإنسان وحفظها، ومن ضمن هذه المقاصد ماهو ضروري مما سبقت الإشارة إليه، وأنه من دون تحقيق هذه المقاصد تختل حركة الحياة وتصير إلى فساد... ويتبين لنا أيضا من خلال المقتطف السابق أن الحفظ لتلك المقاصد يكون أولا: بإقامة أركانها، وتثبيت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود؛ أي رعاية الشروط التي تحمي كيانها وتحافظ عليه في صفة السلامة والكمال والتوازن، ويكون ثانيا: بدرء الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم؛ أي الحيلولة دون ما من شأنه أن يعرضها ـ أي المقاصد ـ للتلف أو الضعف والنقصان. إذا عرفنا هذا عرفنا تبعا له أن حفظ تلك المقاصد لايتم إلا من خلال تشبع الأفراد بنظام من القيم يتصف بالكمال، ومن خصائص الكمال أن تكون تلك القيم ملامسة لشغاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لصيقة بها، لاتنفك عنها قيد أنملة. وليس ذلك النظام إلا النظام القيمي الإسلامي الذي هو قوام النظام التربوي في الإسلام. وهذا النظام القيمي ـ كما ذكرت ـ هو الذي يتشكل منه النظام الاجتماعي، ويقوم على أساس راسخ من الإيمان بالله والإقرار بالعبودية الخالصة له؛ إذ إن هناك ارتباطا بين طبيعة «النظام الاجتماعي وطبيعة «التصور الاعتقادي»؛ بل هناك ماهو أكبر من الارتباط الوثيق. هناك الانبثاق الحيوي؛ انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الاعتقادي ... هذا الانبثاق ثم هذا التكيّف وجه من وجوه الارتباط بين التصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي؛ بل منهج الحياة كله، بما فيه مشاعر الأفراد وأخلاقهم وعباداتهم وشعائرهم وتقاليدهم وكل نشاط إنساني في هذه الأرض جميعاً»(٢).

على هذا الأساس، فإن القيم التربوية من تعاون، وصدق في القول، وإخلاص في العمل ووفاء واحترام لكرامة الإنسان، وحب الخير للناس، وتقدير لأمانة الاستخلاف، وإغاثة الملهوف، والصبر على الشدائد، وغيرها من القيم التربوية الإسلامية، لايمكن أن تَيْنَعَ وتزدهر إلا في ظل الاعتقاد الصادق في الله ومراقبته بصفة دائمة، وهذا الشرط وحده هو الكفيل بضمان الحفاظ على المقاصد التي رمت إليها الشريعة الإسلامية.

إن الإسلام «يعتبر القيم عماد المجتمع وسنام نظامه؛ بل نظام الأمة الاجتماعي كله، ولهذا السبب فإننا لانجد أي مفهوم للأخلاقيات الشخصية أو التقوى يخلو من العمل الاجتماعي في ظل الإسلام، وبالتالي تحتل الشريعة مكانة سامية في إطار المجتمع الإسلامي، فإذا حدث خروج عليها، اختلت الشخصية الإنسانية وتأثر الفرد ماديا واجتماعيا»(٣) وانهار المجتمع بأكمله.

ولايفوتني وأنا أعالج هذه النقطة المهمة الإشارة إلى أن القيم التربوية الإسلامية لاترتبط بصلة وثيقة مع الكليات الخمس التي تكتسي طابع الضرورة فحسب، بل إنها تمتد لتنسج خيوطها مع دائرتين أخريين اهتم بهما علماء أصول الشريعة ومقاصدها، وهما دائرتا الحاجيات والتحسينات.. وقبل بيان تلك العلاقة لابد من تعرف فحوى كل منهما. «أما الحاجيات: فمعناها أنها مفتقَرٌ إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلَّفين ـ على الجملة ـ الحرج والمشقة، ولكنه لايبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة، وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات... وأما التحسينات: فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق... كإزالة النجاسة ـ وبالجملة

الطهارات كلها - وستر العورة، وأخذ الزينة والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات وما أشبه ذلك، وفي العادات كآداب الأكل والشرب ومجانبة المآكل النجسات والمشارب المستخبثات والإسراف والإقتار في المتناولات وفي المعاملات كالمنع من بيع النجاسات وفضل الماء والكلأ وسلب العبد منصب الشهادة والإمامة، وسلب المرأة منصب الإمامة ونكاح نفسها.. إلخ»(٤).

نستنتج من هذا النص أن القيم التربوية في مفهومها الإسلامي تنشر أجنحتها على سلوك الإنسان في جوانبه الدقيقة لتضمن لها الارتقاء والتدرج في مستويات الكمال والذوق الرفيع. وإذا كان المسلمون يتفاوتون فيما بينهم في الأذواق والأشواق، فإن ذلك التفاوت يقوم على المقدار الذي يجنيه كل فرد من هؤلاء من الشحنات والدفقات التي تهبها القيم التربوية لكل متشبع بها؛ أي إن ذلك التفاوت ينبني، بتعبير آخر، على حظ كل واحد من أفراد المسلمين في المسابقة والمسارعة إلى الخيرات التي يسعى المسلم أن يصل من خلالها إلى الله تعالى فيقف بين يديه وهو على قدر كبير من الصفاء والارتقاء.

ونخلص، في ضوء المعطيات التي مرت بنا، إلى أن القيم التربوية الإسلامية تتمحور حول الكليات الخمس ومايتعلق بها من حاجيات وتحسينيات، وأنها تتحرك في إطار العقيدة، أي في إطار التصور الشمولي الذي يمنحه الإسلام للإنسان، فهو المحرك الذي يحفز تلك القيم ويمنحها قوة الدفع.

ودونها يظل الإنسان متثاقلا إلى الأرض راسخاً في أغلال الماديات. فـ «إقامة الحق والعدل وتحمل مشاق البناء الصالح بحاجة إلى دوافع تنبع من الشعور بالمسؤولية والإحساس بالواجب، وهذه الدوافع تواجه دائما عقبة تحول دون تكونها أو نموها، وهذه العقبة هي الانشداد إلى الدنيا وزينتها والتعلق بالحياة على هذه الأرض مهما كان شكلها... فلابد، لكي تجند طاقات كل فرد للبناء الكبير، من تركيب عقائدي له أخلاقية خاصة تربي الفرد على أن يكون سيدا للدنيا لاعبدا لها، ومالكا للطيبات لا مملوكا لها، ومتطلعا إلى حياة أوسع وأغنى من حياة الأرض، ومؤمنا بأن التضحية بأي شيء على الأرض هي تحضير بالنسبة إلى تلك الحياة التي أعدها الله للمتقين» (٥).

المراجع:

(١) أبوإسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، مج ٢، ص٩.
(٢) سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، ط٦، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت، ص ١٢-١٣.
(٣) سجاد حسين وسيد علي أشرف: أزمة التعليم الإسلامي، ص٩٠.
(٤) أبوإسحاق الشاطبي: المرجع السابق، ص١٠-١١.
(٥) محمد باقر الصدر: منابع القدرة في الدولة الإسلامية، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص١٤-١٥.



كلمات مضيئة:

خذ من حيث أخذوا

وحيد الدين خان

قال الإمام مالك: «ما مِنّا إلا من يخطىء ويُرَدّ عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم».

وقال الإمام أبو حنيفة: «لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي..»، وكان إذا أفتى يقول: «هذا رأي النعمان بن ثابت وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب».

وقال الإمام الشافعي: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط..(إذ) لا حجة في قول أحدٍ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم.. وخذ من حيث أخذوا».

يتضح من أقوال أئمة المذاهب الأربعة هذه أنهم كانوا يرون القرآن والسنة هما الأصل.. وكان من الخطأ عندهم أن يصبح أحد الناس مقلّدًا لأحدٍ منهم ولا يستقي الدين من منبعه الأصلي مباشرةً..

إنها الحقيقة، فإن التقليد الذي راج في زمنٍ لاحقٍ لم يكن له علاقة ما بأولئك الأئمة أنفسهم.. وإن الخسارة الكبرى التي تمخضت عن رواج التقليد العام بين المسلمين هي أن صلتهم بالقرآن والسنة لم تعد حيّةً.. إن القرآن والسنة هما غذاء المؤمن الحقيقي.. ولكن بعد شيوع التقليد أصبح القرآن والسنة إنما يُلجأ إليهما لأحد غرضين لا ثالث لهما: إما لإثبات صواب أحد المذاهب التقليدية، أو لأجل الحصول على البركة.. وهكذا يصير المرء بعيدًا من القرآن والسنة باسم القرآن والسنة!!

تعليم العربية للأجانب ومستقبلها في صراع اللغات

د. عبده عبود

هل يستحقّ تعليم العربية للأجانب أن نتخذ منه موضوعاً لمقالة أو بحث أو حتى حديث؟ ماذا تعنينا هذه المسألة؟ وماذا يعنينا أن يتعلم الأجانب اللغة العربية أو ألاّيتعلّموها؟ أليست هذه مسألة تخصّ الأجانب وحدهم، إن شاؤوا تعلّموا العربية وإن شاؤوا أعرضوا عن تعلّمها؟

لا جدال في أنّ تعلّم أية لغة أجنبية هو، من حيث المبدأ، شأن يعني المتعلم نفسه أكثر مما يعني أيّ طرف آخر. فهو الذي يقرر تعلم تلك اللغة، وهو الذي يقوم بالتعلم، وهو المستفيد من تلك العملية وصاحب المصلحة فيها. إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ المتعلم هو الطرف الوحيد ذو المصلحة؛ فهناك طرف آخر تعنيه هذه المسألة وله مصلحة فيها، ألا وهو الأمّة صاحبة اللغة المتعلَّمة. لماذا؟ لأنّ تعلّم أية لغة أجنبية يؤدّي - بالضرورة - إلى انفتاح المتعلم على ثقافة الأمّة صاحبة تلك اللغة. فاللغة وعاء للثقافة، واكتساب اللغة هو - بالضرورة - اكتساب للثقافة واستيعاب لها. ومن يستوعب لغة أمّة وثقافتها يصبح قادراً على فهم الواقع الاجتماعي لتلك الأمة وعلى تفهّم قضاياها ومشكلاتها. إنّ الإنسان ليس عدواً لما يجهل فحسب، بل هو صديق لما يعرف أيضا، ومن يتعلم لغة قوم يأمن مكرهم، ويفهم قضاياهم ويتفهمها، وذلك لأن التفهّم مشتقّ من الفهم وناجم عنه، ليس في اللغة فحسب؛ وإنّما في الواقع أيضاً. واللغة التي يتعلمها الأجانب هي لغة أمّة يطلع العالم الخارجي على ثقافتها، مما يوفّر مقدمة لفهم قضاياها وتفهمها. وبصريح العبارة فإنّ تعليم اللغة للأجانب هو عملية ذات أبعاد ثقافية وإعلامية. هو نوع من الإعلام الثقافي الهادئ المتغلغل الذي يتمّ بعيداً من ذلك الصخب الذي يرافق الإعلام السياسي. هو إعلام يغزو العقول والقلوب معاً، ويرتكز إلى قاعدة اجتماعية واسعة؛ لأنه لا يستهدف نخبة قليلة العدد، بل أكبر عدد ممكن من الناس. إنّ الإعلام الثقافي الذي يمارَس من خلال تعليم اللغة للأجانب هو أكثر أشكال الإعلام فعالية وأعمقها تأثيراً، ولكنه في الوقت نفسه أكثرها صعوبة ودقّة واستهلاكاً للجهد.

الدول المتطورة ترعى لغاتها

وقد وعت الأمم المتطورة هذه الحقيقة بشكل جيّد، ونشطت بقوة في مجال تعليم لغاتها ونشرها في العالم؛ فرصدت ميزانيات مالية كبيرة لهذا الغرض، وطوّرت مؤسسات وأجهزة تعليمية مناسبة، وحدّثت طرائق التدريس ومواده وتقنياته بصورة جذرية، منطلقة في ذلك من أنّ تعليم لغاتها للأجانب هو لبّ نشاطها الثقافي الخارجي، وركيزة من ركائز سياستها الخارجية. إنّ من يرجع إلى ميزانيات وزارات التربية والتعليم العالي والخارجية والثقافة لدول غربية كبرى، كفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، يجد أنّ مبالغ معتبرة من تلك الميزانيات قد خُصِّصت لدعم تعليم لغات الدول المذكورة في الخارج. وقد أُحدثت مؤسسات تمارس ذلك التعليم وترعاه تربوياً، كالمراكز الثقافية بفروعها الكثيرة المنتشرة في مختلف أرجاء العالم، والإدارات الخاصّة في وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة، والدوائر الخاصّة في الجامعات. وتقوم المراكز الثقافية وأقسام تعليم اللغة التي تحتوي عليها بدور مركزيّ في تنشيط تعليم اللغة للأجانب ودعمه، سواء من خلال الدورات التي تقيمها، أم من خلال تقديم العون للمؤسسات المحلّية التي تدرس

تلك اللغة، وذلك بتدريب المدرسين وتطوير المناهج والكتب والمواد التعليمية وما شابه ذلك من أعمال "الارتباط التربوي".

ولكي تتمكن تلك المراكز من أداء دورها على الوجه الأكمل فإنها تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية، ولا تتدخل الجهات الحكومية التي تقدّم لها الدعم المالي في شؤونها بصورة مباشرة، بل تفسح لها المجال لأن تعمل وتنشط بالشكل الذي تراه مناسباً.

وللجامعات في الأقطار المتقدمة دور كبير في مضمار تعليم اللغة لغير الناطقين بها، ويتمثل ذلك الدور في تأهيل الكوادر التعليمية والعلمية، وممارسة البحث العلمي، وإقامة الدورات والنشاطات التعليمية. وقد ذهب بعض تلك الجامعات إلى حدّ إحداث أقسام خاصة باللغة كلغة أجنبية، يدرس فيها الطالب دراسة جامعية نظامية تستمر بضع سنوات، تنتهي بالحصول على شهادة جامعية كالإجازة أو الماجستير أو الدكتوراة، ويؤهّل الطالب خلال تلك الدراسة لأن يكون مدرّساً للغة كلغة أجنبية أو باحثاً في هذا المجال. ومن الأمور المألوفة ـ بل البديهية ـ أن تقيم الجامعات في الأقطار المتقدمة دورات لتعليم اللغة كلغة أجنبية للطلاب الأجانب الذين يدرسون فيها، وأن تنظّم "دورات صيفية" للطلاب والمدرّسين الأجانب لقاء رسوم رمزية.

وللمدارس والمعاهد الخاصة دور كبير في تعليم اللغة القومية للأجانب؛ بل إنّ لتلك المؤسسات التعليمية الدور الأكبر في تعليم هذه اللغة داخل البلاد نفسها، كتعليم الألمانية في ألمانيا أو الفرنسية في فرنسا، ويندر أن تخلو برامج المعاهد والمدارس الخاصة من دورات لتعليم اللغة لغير الناطقين بها، وهي تفعل ذلك بتشجيع من الحكومات التي تقدّم لها التسهيلات والدعم المالي. نتيجة لذلك ازدهر تعليم اللغة للأجانب ازدهاراً كبيراً في الأقطار المتقدمة، وتحوّل إلى مضمار يوفّر فرص العمل لعدد كبير من الناس. وواكب ذلك ازدهار لحركة التأليف والنشر المتعلقة بهذا المجال، فأخذت دور النشر تتنافس فيما بينها على إصدار الكتب التعليمية والمواد الصوتية والبصرية التابعة لها، وصدر العديد من الدوريات الاختصاصية بحيث بات من الصعب على المرء أن يتابع كلّ ما يُنشر من أبحاث ومقالات. وتأسست روابط وجمعيات اختصاصية علمية للأساتذة والباحثين الذين يعملون في حقل تعليم اللغة للأجانب. نتيجة لذلك كلّه شهدت طرائق تدريس اللغة القومية للأجانب والكتب والمواد والتقنيات التعليمية المتعلقة بها قفزات هائلة إبّان العقود الثلاثة الأخيرة، بحيث يمكن القول إنّ ثورة حقيقية قد تمّت في هذا المجال، ثورة وُظّفت فيها العلوم الإنسانية المختلفة، وفي مقدمتها علم النفس وعلم اللغة وعلم الاجتماع، واستخدمت أحدث التقنيات كالفيديو والحاسوب والبث التلفزيوني.

التنافس على المكانة الدولية

من الواضح أنّ هناك تنافساً؛ بل صراعاً محموما بين الأقطار المتقدمة في مجال تعليم لغاتها للأجانب. إنّه تنافس يسعى فيه كلّ طرف لأن يعلّم لغته بصورة أفضل، وأن يقدّمها للعالم الخارجي بشكل أكثر جاذبيّة، وأن يضمن لها مزيدا من الانتشار والمكانة إقليميا ودوليا. وفي الحقيقة فإنّ التنافس العالمي بين اللغات هو تنافس سيتوقف عليه مصير كلّ من اللغات الحية، ومن ثم المستقبل اللغويّ للعالم، وهذا ما دعا حكومات ودول الأمم الواعية لغوياً لأن تلقي بثقلها المالي والبشري والثقافي والتقاني (التكنولوجي) في هذه المعركة. ويظهر هذا الصراع بصورة خفيّة في بعض المجالات، وبصورة معلنة وواضحة في مجالات أخرى. ومن أهمّ المحافل التي ظهر فيها علناً منظمة الأمم المتحدة UNO ومؤسساتها الإقليمية والفرعية، وأبرزها اليونسكو UNESCO، والاتحاد الأوروبي EU ومؤسساته، حيث تحاول كلّ دولة أن تنتزع للغتها القومية مكانة لغة رسمية أو لغة عمل على الأقل. ومن الجلي أنّ الصراع اللغوي في العالم قد حسم جزئياً لصالح اللغة الإنجليزية، التي تكرست كلغة رسمية في المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية، وكلغة تعامل وتداول عالمية، وكاللغة الأكثر تعلّما وتعليما بصفتها لغة أجنبية. ولكنّ هذه الحقيقة لا تعني نهاية الصراع اللغوي، فهناك أمم لم تسلّم بهذا الوضع، وهي مستمرة في بذل ما تملكه من جهود من أجل تحسين مكانتها اللغوية في العالم، أو من أجل الحدّ من الضرر الذي ألحقه ذلك الوضع بمكانة لغاتها في الخارج.

وعلى رأس تلك الأمم أمم ذات رصيد حضاري كبير وإمكانات مادية جيدة كفرنسا وإسبانيا وألمانيا. فهي تقاوم الهيمنة اللغوية الأنجلو-أمريكية باعتبارها شكلاً خطيرا من أشكال (الإمبريالية) الثقافية التي تهدد بإلغاء التعددية اللغوية والتنوّع الثقافي في العالم. وتأتي فرنسا في طليعة الدول التي تنافح عن المكانة العالمية للغتها، وتزجّ بإمكاناتها المادية والثقافية والسياسية في سبيل الإبقاء على الفرنسية لغة عالمية، وإيقاف التراجع الذي شهده تعلّمها وتعليمها في الخارج إبّان العقدين الأخيرين.

للوهلة الأولى يبدو أنّ تلك الأمم تخوض صراعا باهظ التكاليف، خاسرا من المنظور الاقتصادي، ولكنّ المعنيين بهذه المسألة يرون أنّ الصمود في الساحة الثقافية يتمم الصمود في الساحتين الاقتصادية والسياسية، وكما لا يجوز لأمّة أن تسمح بأن يُهيمَن عليها اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، فلا يجوز أن تسلّم بالهيمنة اللغوية والثقافية. فالهيمنة والتبعية وجهان لنظام واحد لا يتجزأ. وقد حاول الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان أن يبسّط الأمور ليفهمها رجل الشارع الفرنسي فأطلق جملته الشهيرة: "من يتكلّمْ لغتنا يشترِ بضاعتنا". إلاّ أنّ العلاقات التجارية الدولية تحوي أمثلة كافية للتقليل من صحّة هذه المقولة. وتقف اليابان على رأس الدول التي راجت بضائعها ومنتجاتها عالميا بسبب جودتها وأسعارها المناسبة، لا بسبب انتشار اللغة اليابانية في العالم؛ بل إنّ المعجزة الاقتصادية اليابانية هي التي أثارت الاهتمام باللغة اليابانية ودفعت كثيرا من الأجانب لتعلّمها. ولكنّ المثال الياباني لم ينقض مقولة ديستان بصورة كاملة، وبقيت حقيقة الترابط بين الأمور اللغوية والأمور الاقتصادية قائمة؛ فالتعامل التجاري مع طرف يعرف المرء لغته وثقافته أسهل بكثير من التعامل مع طرف يجهل المرء لغته وثقافته. وفوق هذا وذاك فإنّ الناس لا يتعلمون اللغات الأجنبية لأسباب اقتصادية فقط، بل هناك أسباب ودوافع كثيرة لتعلم تلك اللغات.

مهما تكن النتائج التي سيسفر عنها الصراع الدولي حول اللغات فمن المؤكّد أنّ الشعوب ستواصل في المستقبل التمسّك بلغاتها الوطنية، وذلك برغم الاتجاه المتنامي إلى التدويل INTERNATIONALISATION في

الهيمنة اللغوية شكل خطير من أشكال الغزو الفكري، وتهديد للتنوع الثقافي

العالم المعاصر، الذي حوله التقدم التقني إلى "قرية كونية". فاللغة مكوّن رئيسي من مكونات الهوية القومية التي لا يتخلى عنها أي شعب مهما تعرض للضغط والإغراء. وأحدث مثال على ذلك هو ما شهدته الساحة الأوروبية الشرقية في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الشيوعي، فقد هبّت الشعوب، حتى الصغير منها، مطالبة بحقها في هوية ودولة قوميتين، مما أدخلها في صراعات مع شعوب كانت مهيمنة كالروس والصرب.

من الصعب أن يرسم المرء صورة دقيقة للوضع اللغوي العالمي في المستقبل البعيد، ولكن من المرجح أن تستمر التوجهات الحالية لذلك الوضع في المستقبل المنظور على الأقل. وأهم تلك التوجهات:

- استمرار تكريس الإنجليزية كلغة تداول وتعامل وتواصل عالمية، ولا يتوقع أن تتمكن أية لغة أخرى من منازعتها هذا الدور، أو من دحرها والحلول محلها. أما الفرنسية، التي تشكّل المنافس الجدّي الوحيد للإنجليزية على المكانة العالمية، فمن المتوقع أن يستمر تراجع مكانتها الدولية رغم كلّ ما تبذله الدولة الفرنسية من جهود بغية وضع حدّ لذلك التراجع. إنّ الصراع بين الإنجليزية والفرنسية حول مسألة أيهما ستكون اللغة العالمية الأولى قد حُسم بصورة نهائية.

- كانت الروسية اللغة المهيمنة في المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفييتي، وبانهيار ذلك المعسكر انهارت مكانة اللغة الروسية لصالح لغات أجنبية أخرى كالألمانية والفرنسية والإنجليزية. ومن المرجح أن يستمرّ هذا التوجّه مستقبلاً مع استمرار تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية في جمهورية روسيا الاتحادية.

- تعزيز المكانة الإقليمية والدولية لبعض اللغات، وعلى رأسها الألمانية، لغة أكبر جماعة بشرية داخل الاتحاد الأوروبي، ولغة ثالث قوة اقتصادية في العالم، وكذلك اللغة الإسبانية، التي ليست لغة إسبانيا وحدها، بل لغة القسم الأكبر من أقطار أمريكا الجنوبية؛ واللغة التركية، لغة العديد من شعوب آسيا الوسطى التي كانت خاضعة للهيمنة الروسية.

- سيكون لكلّ شعب من شعوب الأرض لغته الوطنية الخاصة به، مهما كان ذلك الشعب صغيراً، ولن تتمكن أيّة قوة من أن تحرمه منها أو أن تمنعه من ممارستها.

العربية في صراع اللغات

تلك هي المعالم الرئيسية للوضع اللغوي على مشارف القرن الحادي والعشرين.

فأين تقف العربية من ذلك الوضع، وما مستقبلها في ضوء الصراع الدولي بين اللغات؟ تتمتع اللغة العربية من حيث المبدأ بفرص طيّبة لأن تكون في المستقبل لغة ذات مكانة إقليمية ودولية مرموقة؛ فهي اللغة القومية لجماعة بشرية يقرب عددها من مئتي مليون نسمة، يعيشون في واحدة من أهم مناطق العالم استراتيجياً واقتصادياً. والعربية هي الوعاء اللغوي لإحدى الحضارات العريقة الكبرى، وهي لغة مهمّة في مجالات الاقتصاد والسياسة وتاريخ العلوم والثقافة. إنّ العربية لغة لا غنى عن تعلّمها لكلّ مهتم بتاريخ الأديان والتاريخ الحضاري والسياسي لمنطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بأكمله. هذه الأمور تجعل العربية - من الناحية النظرية - لغة تحظى بفرصة كبيرة لأن تكون في المستقبل إحدى اللغات الحيّة الرئيسية في العالم. هذا من الناحية النظرية؟ فماذا من الناحية العملية؟ من الناحية العملية: تلك الفرص لا يمكن أن تتحقق من تلقاء نفسها، بل يتوقف تحققها على الجهود التي يبذلها أصحابها للاستفادة منها. والتاريخ العربي حافل بالفرص الضائعة. فهل سيكون العرب في المضمار اللغوي أيضاً أمّة لا تحسن الاستفادة من الفرص المتاحة لتحسين المكانة الدولية للغتها؟ إن مستقبل المكانة اللغوية للعربية سيتحدد في ضوء عدة عوامل، منها ما هولغوي ومنها ما هو غير لغوي، ومن أهمّ تلك العوامل ما يبذله العرب من جهود على صعيد تعليم لغتهم لغير الناطقين بها، أي للأجانب. فهل ترقى تلك الجهود في وضعها ومستواها الراهنين إلى مستوى الفرص التي تتمتع بها العربية؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي منّا التطرق إلى القضايا والمشكلات الرئيسية لتعليم العربية للأجانب، وأبرزها:

الوعي اللغوي:

إلى أيّ مدى يعي العرب أهمية لغتهم وضرورة تعزيز مكانتها العالمية؟ صحيح أنهم لا يكفّون عن التغني بجمال تلك اللغة، وعن وصفها بأنها أمّ اللغات، وعن التباهي بحقيقة أنّ القرآن قد نزل "بلسان عربي مبين"، ولكنّ ذلك الوعي اللغوي المتضخّم الذي يصل لدى البعض إلى درجة "الشوفينية اللغوية"، يعرقل ظهور موقف واقعي وموضوعي من اللغة العربية، موقف يجعل العرب يعون مشكلات تلك اللغة وضرورة العمل الجدّي من أجل حلّ تلك المشكلات. ويؤدّي هذا الوعي المهيمن إلى نوع من القَدَريّة اللغوية القائلة بأنّ اللّه سبحانه قد نزّل الذكر، أي القرآن الكريم، بالعربية، وبحفظه لذلك الذكر فإنّه سيحفظ اللغة التي نزّله بها. وجنبا إلى جنب مع تلك الوثوقية المريحة، يسود لدى قسم كبير من الرأي العام العربي الاعتقاد بأنّ العربية لغة عسيرة يستحيل على الأجنبي أن يتعلمها، مما يعني أنّ كلّ جهد يبذل في مضمار تعليم العربية للأجانب هو جهد ضائع. فالوعي اللغوي العربي هو وعي متناقض مشوّش، لا يخدم قضية تعليم العربية للناطقين بغيرها. والعاملون في هذا الميدان هم أكثر الناس معاناة من النتائج السلبية لذلك الوعي. فهم يواجهون بسلوك المواطن العربي العادي تجاه الأجنبي الذي يريد التواصل معه بالعربية. إنه يقابل محاولات من هذا النوع بمزيج من الرثاء والاستغراب والريبة، وقلّ أن يقابلها بالتفهم والارتياح والتشجيع. فالأجنبي الذي يتعلم العربية ويتكلّمها هو، في رأي المواطن العربي العادي، إمّا شخص ساذج مخدوع لا يعرف صعوبة تلك اللغة، ومن ثم فهو يستحقّ الرثاء، أو هو من ذوي الأغراض والنوايا الخبيثة، كالعملاء والجواسيس، الذين يتعلمون العربية لا حبّاً فيها، بل ليصبحوا أكثر قدرة على إيذاء الناطقين بها. وفي معظم الحالات يتجنب المواطن العربي العادي التواصل مع الأجنبي بالعربية ويجرّه إلى استخدام لغة أجنبية يعرفها. وهكذا يجد الأجنبي الذي يتعلم العربية نفسه في موقف صعب، يتمثّل في أنّ العرب يرفضون التواصل مع الأجنبي باللغة العربية.

«الشوفينية اللغوية» تعرقل ظهور موقف واقعي وموضوعي من اللغة العربية

الدعم المالي:

ما هي الموازنات المالية التي ترصدها الدول العربية لدعم تعليم العربية للأجانب بهدف تعزيز مكانة العربية في العالم؟ إن قلة قليلة من الحكومات العربية ترصد ميزانيات كهذه، وجُلّ ما يفعله غالب تلك الحكومات هو تمويل معاهد

تعليم العربية للأجانب الملحقة بالجامعات أو بوزارات التربية. ومن هذه الناحية يمكن تقسيم الدول العربية إلى قسمين: أغلبية ساحقة لا تولي تعليم العربية لغير الناطقين بها أيّ اهتمام، ولا تبذل أيّ جهد على هذا الصعيد، وأقلية بذلت شيئاً من الجهد الذي تجسد في إحداث المعاهد السابقة الذكر. وفي الحالتين فإنّ تعليم العربية للأجانب لا يتبوأ مكانا مناسبا لأهميته في سلّم الأوليات التعليمية والثقافية والسياسية للحكومات العربية. أمّا على الصعيد القومي فإنّ جامعة الدول العربية أبدت بعض الاهتمام بهذه المسألة، وترجمت ذلك بصورة عملية من خلال إحداث "معهد الخرطوم الدولي لتعليم العربية لغير الناطقين بها"، وقيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإصدار "الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها". ولكنّ ما قامت به (الأليكسو) كان أقلّ بكثير مما هو ضروريّ على هذا الصعيد، ولم يؤدّ إلى إحداث القفزة النوعية المطلوبة في تعليم العربية للأجانب. وعموماً يمكن القول إنّ ذلك التعليم لا يحظى بدعم مالي رسمي يستحقّ الذكر ويقترب ولو نسبيا من الدعم الذي توفره الأقطار المتقدمة لدعم تعليم لغاتها ونشرها في العالم.

التنسيق والتعاون:

ومما يقلّل من فاعلية الجهود العربية في مضمار تعليم اللغة العربية للأجانب عدم وجود الحدّ الأدنى من التعاون والتنسيق بين المعاهد العربية التي تعمل في هذا المجال. فالمعاهد القُطرية يعمل كلّ منها بمعزل عن الآخر، وليس هناك أي شكل من أشكال تبادل المعلومات والخبرات والمواد التعليمية ناهيك عن تبادل المدرّسين، مما يحول دون استفادة كلّ معهد من خبرات المعاهد الأخرى. ولقد كان من الممكن أن يقوم "معهد الخرطوم الدولي" بذلك الدور، إلا أنّ شيئاً من ذلك لم يحصل ولو في الحدود الدنيا.

البحث العلمي:

لقد بات في حكم المسلّم به أنّ هذا العصر هو عصر تحوّل فيه البحث العلمي إلى قوّة منتجة رئيسية، ووسيلة أساسية لتطوير الممارسات العملية والارتقاء بها إلى درجات أعلى من الفعالية والنجاعة. وتنطبق هذه المقولة على تعليم العربية للأجانب. فالبحث العلمي يقيم هذا التعليم على أسس سليمة ويطوّره ويحلّ مشكلاته. ولكن من الملاحظ عدم وجود بحث علمي يستحقّ الذكر في هذا المجال. وكلّ ما أنجز على هذا الصعيد هو عدد محدود جداً من الرسائل الجامعية وبعض الأبحاث (الامبيرية) التي أجراها عاملون في "معهد الخرطوم الدولي" ونُشرت في مجلّته. ولكنّ تلك الأبحاث، على أهميتها، لا تفي بالغرض، ولا تشكّل انطلاقة في مضمار تعليم العربية لغير الناطقين بها. وما دام البحث العلمي الجديّ شبه غائب فإنّ هذا المجال لن يتطوّر إلاّ ببطء شديد، وسيظلّ مرتعاً للمتطفلين الذين لا يفرّق بعضهم بين تعليم العربية لأبنائها وتعليمها للناطقين بغيرها.

الكتب والمواد التعليمية:

ومن المسائل المركزية لتعليم العربية للأجانب (وتعليم اللغات الأجنبية بصفة عامّة) مسألة الكتب التعليمية، فهي الترجمة العمليّة للأهداف التعليمية؛ وفيها تتجلّى التوجهات التربوية (البيداغوجية) لواضعيها. ومن الملاحظ أنّ تراكماً كمياً لا يستهان به قد تمّ على هذا الصعيد خلال العقدين الأخيرين. فقد صدر عدد كبير نسبياً من الكتب التعليمية لمختلف المستويات، أبرزها "الكتاب الأساسي في تعليم العربية لغير الناطقين بها" بأجزائه الثلاثة. ولكن رغم التقدّم النسبي الذي تمّ، فإنّ كتب تعليم العربية للأجانب ما زالت بعيدة من مواكبة المستويات المتقدمة التي بلغتها الكتب التعليمية التي تُدرّس بها لغات حديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، بل إنّ بعض كتب تعليم العربية للأجانب لا يستند البتة إلى أسس تعليم اللغات الأجنبية، وهو وليد جهود فردية موسمية، صدرت عن أشخاص لا يربطهم رابط بتعليم اللغات الأجنبية، ناهيك عن أنهم لم يستوعبوا الأسس العلمية التي يرتكز إليها ذلك التعليم؛ كاللسانيات التطبيقية ونظريات اكتساب اللغة الأجنبية، وعلوم التربية وعلم النفس (السيكولوجيا)، والاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغات الأجنبية وعلى رأسها الاتجاه التواصلي. ولئن كان البعض الآخر من مؤلفي كتب تعليم العربية للأجانب يمتلك شيئاً من الخبرة العملية في التدريس، فمن المؤكّد أنه غير مؤهّل علمياً لوضع كتب تعليمية متطوّرة. ومن الملاحظ أيضاً أنّ التراكم الذي تمّ على صعيد تأليف الكتب التعليمية ونشرها لم يواكبه تراكم مواز أو مناسب على صعيد المواد التعليمية السمعية والبصرية. وخير دليل على ذلك هو "الكتاب الأساسي"، الذي بذل جهد كبير في تأليفه، ولكن إلى اليوم لم تُنتج مادّة صوتية مسجّلة إلاّ للجزء الأول منه. أمّا الكتب التعليمية الأخرى فلم توضع لها أية موادّ صوتية ولا بصرية من شفافيات وشرائح ملونة (سلايدات) وما شابه ذلك، ناهيك عن المواد السمعية-البصرية، كأفلام الفيديو والسينما التعليمية، فليس لها دور يُذكَر في تعليم العربية للأجانب. وقد أدّى ذلك إلى جعل هذا التعليم يُكسب المتعلمين كفاءة لغوية على صعيد القواعد والقراءة والكتابة، ولكنه لا ينمّي لديهم مهارات لغوية رئيسية أخرى كفهم المسموع والتعبير الشفهي. أمّا القدرة على المحادثة فهي عقبة كأداء تعترض طريق تعليم العربية للأجانب الذي لم يجد لها بعد حلاً مناسبا. وأساس هذه المشكلة هو انقسام العربية المعاصرة إلى فصحى تُستخدَم في الكتابة ولا تُستخدَم في التواصل اليومي، وعدد هائل من العاميات القُطرية التي تُستخدَم في الحياة اليومية ولكنّها لا تُكتَب.

دعم الجهات الأجنبية التي تعلّم العربية:

من المعروف أنّ هناك جهات ومؤسسات أجنبية كثيرة تقوم بتعليم اللغة العربية، نذكر منها معاهد الاستشراق والدراسات الإسلامية والشرق-أوسطية ومراكز اللغات في الجامعات الأوروبية والغربية، والمدارس والجامعات في عدد كبير من أقطار العالم الإسلامي، حيث تدرّس العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية. إنّ المصلحة الثقافية العربية تقتضي دعم هذه المؤسسات التعليمية الأجنبية، غربية كانت أم إسلامية، في مجالات إعداد المدرّسين والكتب والمواد التعليمية والإشراف التربويّ والإطار التدريسيّ. ولكنّ الدول العربية لا تقدم للجهات الأجنبية التي تعلّم العربية مساعدة تستحقّ الذكر، وتقتصر تلك المساعدة المحدودة على إعداد المدرّسين وتقديم بعض المنح الدراسية في معاهد تعليم العربية للأجانب. وقد أدّى التقصير العربي في هذا المجال إلى تخلّف تعليم العربية في الخارج عن تعليم اللغات الأجنبية الأخرى، وإلى انتكاسات كبيرة، مثلما حدث في الباكستان، تلك الدولة الإسلامية التى فرضت فيها الحكومة تدريس العربية في المدارس، ولكنّ الدول العربية لم تدعم تلك الخطوة مما أدّى إلى إخفاقها. إنّ دعم تعليم العربية في الخارج مسؤولية ثقافية قومية عربية، تقع على عاتق وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والخارجية والشؤون

الإسلامية، وجامعة الدول العربية. وهذه الجهات كلّها لا يمكن أن تُعفى من مسؤولية التقصير الكبير الحاصل في مجال رعاية تعليم العربية في الخارج.

دور الجاليات العربية:

من المعروف أنّ في الأقطار الأجنبية جاليات عربية يعُدّ أفرادها بالملايين، ويمكن أن يكون لتلك الجاليات دور كبير في تعليم العربية ونشرها في العالم. ولهذه المسألة شقّان: أوّلهما: تعليم العربية لأبناء الجاليات العربية بغية ربطهم لغوياً وثقافياً بوطنهم الأمّ، ومنع انسلاخهم قومياً والذوبان في المجتمعات الأجنبية التي يعيشون فيها. أمّا الشقّ الثاني فهو: الاستفادة من تلك الجاليات في تعليم العربية وتعزيز مكانتها في بلدان المهجر. ومع أنّ تحقيق هذين الهدفين أمر ممكن فإنّ الدول العربية لم تحقق إنجازات كبيرة على هذا الصعيد، ولم تتمكّن من توظيف الجاليات العربية الكثيرة العدد العالية التأهيل لخدمة هدف ثقافي قومي كتعليم العربية للناطقين بغيرها. إنّ جلّ ما تمّ في هذا المجال هو إقامة عدد قليل مما يعرف "بالمدارس العربية" في الخارج، وهي مدارس ذات انتماء قطري، ويكاد الانتساب إليها أن يقتصر على أبناء الدبلوماسيين العرب. وفي كلّ الأحوال فإنّ هذه الخطوة، على أهميتها وإيجابيتها، هي أقلّ بكثير مما هو مطلوب على صعيد التعامل اللغوي مع الجاليات العربية. فالمطلوب هو وضع برامج لغوية وثقافية مناسبة، تربط تلك الجاليات بلغتها وثقافتها الأصليتين.

دور التعليم الخاص:

من الملاحظ أنّ المعاهد والمدارس الخاصّة العربية غائبة عن تعليم العربية للأجانب غياباً يكاد أن يكون كاملاً. وهذه ظاهرة يمكن أن تُردّ إلى سببين: الأول هو اعتقاد القائمين على تلك المعاهد والمدارس بأن ذلك التعليم لا يعود عليهم بربح مجز. أما السبب الثاني فيتمثل في انعدام التشجيع وكثرة المعوقات والعراقيل الرسمية (البيروقراطية) التي تضعها الجهات الحكومية في بعض الأقطار العربية بغرض إبعاد المدارس الخاصّة عن ممارسة تعليم العربية للأجانب، وذلك بذرائع أمنيّة واقتصادية ومذهبية (إيديولوجية). ولكن مهما تكن الأسباب فإنّ تعطيل دور التعليم الخاص في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها هو أمر له عواقب وخيمة على ذلك التعليم. أليس من المستغرب أن يسمح لمؤسسات تعليمية أجنبية، كالجامعة الأمريكية في القاهرة ولبنان والمراكز الثقافية الأجنبية في بعض العواصم العربية، بأن تمارس تعليم العربية للناطقين بغيرها، وألا يُسمح للقطاع الخاصّ التعليمي العربي بممارسة ذلك التعليم، أو ألاّ يشجّع على ذلك؟

استيعاب التجارب الأجنبية المتقدمة:

وثمّة أخيرا مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، ألا وهي استيعاب الخبرات والتجارب الأجنبية المتقدمة في حقل تعليم اللغة لغير الناطقين بها بغية الاستفادة منها في تطوير تعليم العربية للأجانب. فهناك أمم سبقت العرب في هذا المضمار وراكمت خبرات قيّمة يجدر بالعرب أن يدرسوها ويقيّموها، ليس بهدف تقليدها بكلّ حذافيرها، بل بغرض الأخذ بما هو مفيد منها في تعليم العربية؛ كأصول التدريس، وأنماط التمارين، والتقنيات التعليمية، والتنظيم وغير ذلك. ومما لا شكّ فيه أنّ نوعاً من انتقال الطرائق METHODEN TRANSFER بين تعليم اللغات الأجنبية في العالم وتعليم العربية للناطقين بغيرها يتمّ، ولكنه يتم ببطء وبصورة تفتقر إلى الجديّة والشمول. ولو كان هناك بالفعل استيعاب جدّي للخبرات الأجنبية المتطورة في حقل تعليم اللغة القومية كلغة أجنبية لقدّم ذلك دفعا تطويريا هائلاً لتعليم العربية للأجانب. وبالطبع فإنّ تلك المهمة ليست سهلة ولا مؤقتة؛ بل هي مهمة شاقة تتطلب رصدا منظّما ومنهجيا مستمرا لما يستجدّ في مضمار تعليم اللغات الأجنبية في العالم من تطورات. وهذه المهمة منوطة بالجامعات العربية وبالجهات المسؤولة عن البحث العلمي فيها.

وماذا عن الحلول؟

تلك ـ في رأينا ـ أهمّ المشكلات الراهنة لتعليم العربية للأجانب، فما الحلول؟ لقد انطوى عرضنا للمشكلات على الحلول بشكل أو بآخر. ومع ذلك لا بأس من بلورة ما هو مطلوب وضروري للنهوض بتعليم العربية للأجانب لتتعزّز مكانتها الدولية والاقليمية في المستقبل. وتتلخص تلك المترتبات في:

- أن يعي الرأي العام العربي، رسمياً كان أم شعبياً، ما لتعليم العربية للأجانب من أهمية إعلامية وثقافية واقتصادية وسياسية.
- أن تخصص الحكومات العربية وجامعة الدول العربية ميزانيات مناسبة لدعم تعليم العربية للأجانب.
- أن تتعاون المؤسسات التعليمية العربية العاملة في مضمار تعليم العربية للأجانب فيما بينها، فتتبادل المعلومات والخبرات، وتنسّق الجهود.
- تطوير تدريس العربية كلغة أجنبية من حيث طرائقه وكتبه التعليمية ووسائله، لايرقى إلى مصاف تدريس اللغات الأجنبية في الأقطار المتقدمة، وهذا يتطلب إعداد مدرّسي العربية للأجانب إعدادا تربويا وعلميا خاصاً يختلف جذريا عن إعداد مدرّسي العربية للناطقين بها.
- دعم الجهات الأجنبية التي تعلّم العربية، وذلك بمساعدتها في إعداد مدرسيها، ومدّها بالموادّ والوسائل التعليمية والخبرات التربوية.
- تكثيف البحث العلمي في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها، وذلك بإحداث شعب خاصّة به في الجامعات العربية، وتشجيع كتابة رسائل الماجستير والدكتوراه فيه، وإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية حول قضاياه.
- تشجيع القطاع الخاصّ التعليمي العربي على الاضطلاع بدور أكبر في تعليم العربية للأجانب، وذلك بإزالة المعوقات الإدارية وتقديم الحوافز المادية له.
- استيعاب التجارب والخبرات الأجنبية المتطورة في مضمار تعليم اللغات الأجنبية والاستفادة منها في تطوير تعليم العربية للأجانب.
- تأسيس جمعية علمية عربية متخصصة في تعليم العربية كلغة أجنبية، توجّه ذلك التعليم وتشرف عليه وترسم خططه وتحقق تبادل المعلومات والخبرات بين العاملين والباحثين فيه.

أما الجهات التي توجّه إليها هذه التوصيات فهي كثيرة، وتأتي في مقدمتها أقسام اللغة العربية وآدابها وكليات التربية ومراكز اللغات الأجنبية في الجامعات العربية. ولكنّ الجامعات لا تحمل بمفردها مسؤولية النهوض بتعليم العربية للأجانب، فهذه العملية تتطلب أن تتضافر جهود وزارات التربية والثقافة والخارجية والإعلام وجامعة الدول العربية ومجامع اللغة العربية في إطار خطة (استراتيجية) متكاملة لتعزيز المكانة الدولية للغة العربية.

وبعد:

فإنّ العربية تتمتع بفرص جيدة لأن تكون في القرن المقبل إحدى اللغات الحيّة الرئيسة في العالم. ولكنّ كلّ شيء يتوقّف على ما ستبذله الأمة العربية من جهود للاستفادة من تلك الفرص وتحويلها إلى واقع عملي. أمّا إذا تقاعست الأمة في هذا المضمار فإنّ ذلك سيؤدي إلى ضياع الفرص مهما كانت كبيرة، وتراجع المكانة الدولية والإقليمية للعربية، وانضمامها إلى قائمة اللغات التي ليس لها أكثر من أهميّة محليّة. فأيّ مستقبل نختار للغتنا؟

مع الموسوي المكي في رحلته (٨)

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

«٨»



حلقات يكتبها :
الشيخ حمد الجاسر

رحلة بطريق السراة إلى القنفذة

كان استقرار الرحالة آخر حياته في بلدة (المخا) المشهورة على ساحل البحر الأحمر في تهامة اليمن، ويبدو أن أغلب أسفاره إلى (الهند) وإلى (بلاد فارس) وإلى غيرهما من البلاد كان بدافع الفاقة والفقر للاستجداء، وطلب الرفد، لهذا لما وجد في والي (المخا) من العطف والرعاية، ما كان يتوقعه ويتوخاه ويطمح إليه، استقر في تلك البلاد آخر حياته.

ولا أدري لماذا اختار الرحلة إلى اليمن هذه المرة عن طريق (السَّراة)؟ ولعل من أسباب ذلك أن السير بحرًا قد لا يكون مناسبا حين عزم على الاتجاه إلى اليمن، وهو في رحلته هذه لم يكتف بالذهاب إلى (المخا)؛ بل زار (صنعاء) وأقام فيها فترة، وتحدث عنها وعما شاهده خلال رحلته في ذالك القطر الميمون، وهو مما لا أطيل بذكره، بل أكتفي بما يتعلق برحلته عن طريق السراة.

ذكر أنه يوم الجمعة(١) بعد الزوال لتسع بقين من شوال عام واحد وأربعين وألف ومئة، خرج من الطائف قاصداً (يمن الحجاز) فقال: فأتينا على أرض (لِيَّة) وهي قرية(٢) بها أشجار مؤتلفة، وأثمار مختلفة.

ثم أتينا على (الصخيرة) عند الغروب، وبتنا بها، وبها أشجار تين ومزارع وآبار.

وفي الصباح رحلنا فأتينا (عباسة) قبيل الظهر، وهي قرية بها أشجار وآبار وأثمار.

ثم أتينا (أم شرب)، وقال عنها ما قال عن التي قبلها.

ثم أتينا (الحواك) وكذا وصفها.

ثم أتينا (بقران) قال: وهي كذلك.

فلما كان العشاء أتينا إلى (سوق الضراب) وهو سوق بأعلى رِيْع صغير، وفيه حوانيت موضومة بالصخر، وتحته بساتين، وأشجار وفواكه، وآبار، وبتنا هناك.

وفي الصبح رحلنا فأتينا على (المهضم) وبها بساتين ومزارع وآبار.

ثم أتينا (جبارة) وهي قرية محاسنها أصيلة، لا مستعارة، أشجارها مثمرة، وبدور محاسنها مُسفرة، وهزَارُها على الورد يغرِّدْ، وشحرورها فوق الأغصان يردد، والبلابل هيجت الأشواق وعيون أزهارها لوجوه

الوافدين شاخصة، ومياه آبارها مصفقة وراقصة:

(ترى) السرورَ في رياضها المعَطَّرة
كغَادَةٍ أذيالها مُشَمَّرةٍ

ثم أتينا (السراة) وهي قرية كبيرة وبها مزارع كثيرة، ومياه غزيرة، وأشجار نضيرة، وحصون شواهق، ترى الحصن أنه بالفلك الأطلس لاحق، ثم أضاف: أقول (السراة) متصلة إلى ديار بَجيلة، وزهران وعَنْز، وبني القَرْن وبني شبابة، والمعافر، وفيها قرى عظيمة وجبال، والسراة تصدق أيضا على أعلى عقبة وغيره، كالمسمى في هذا الزمان (يَعْرِج)(٣) بفتح الياء وكسر الراء، والمسمى (عَفَارة) بفتح العين والفاء، والمسمى (خُروب) بضم الخاء المعجمة والراء المهملة، والمسمى (كُنْفَعْر) بضم الكاف وسكون النون وفتح الفاء وسكون العين المهملة بعدها راء، وغير هذه المذكورات مما هي كلها سراة الجبل المسمى بالطود.

ثم نقل تعريف صاحب "القاموس" للطود وقال: إنه ينقاد إلى صنعاء.

ثم أتينا (الحَدَب) وهي قرية ذات بساتين وأشجار.

ثم أتينا (عتمة)، ووصفها كما وصف (الحدب) وقال: فلما كان يوم الأحد عند غروب الشمس دخلنا أرض (ناصرة) ونزلنا بقرية تسمى بـ (المخرة) وأقمنا بحصن الحباب، بدار محمد بن الشيخ ضيف الله القرشي الناصري، فرأيت من أهلها المحبة والإكرام، دون غيرهم من الأنام.

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء، مشينا من (حصن الحباب) إلى (حصن السعاب) لملاقاة الجناب الكريم، بحر الجود الرابي، مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ حسن العرابي، فتلقانا بالقبول والإكرام، وأقمنا بداره العامرة خير مقام.

فلما كان تاسع وعشرين شوال سرنا من (دار الشعاب)(٤) إلى (دار الحباب) وأقمنا بدار الفقيه موسى القرشي.

لن أقف عند ذكر القرى التي سماها ووصف بعضها، وأغلبها لايزال معروفا، وهناك من إخوتنا سكانها من المثقفين من هم أعرف مني بها، وحبذا لو أبدى كل من يعرف عن شيء منها ما فيه إفادة لقراء هذه الصحيفة.

عقبة ذي قين وسكانها

وذكر أنه يوم السبت خامس ذي الحجة سار إلى تهامة، قال: «فأتينا على (عقبة ذي قين) وهي عقبة ما رأتْ مثْلها في الطول عَيْن، صعبة السلوك جدًا، ويسكنها عرب يقال لهم (الغميات) ووصفهم وصفا سيئا لا أراه إلا مبالغا فيه، وقال عنهم: بأنهم يسكنون الكهوف، إلى غير ذلك مما وصمهم به» انتهى، ولا أعرف شيئًا عن هذه العقبة، ولا عن أهلها (وأهل مكة أدرى بشعابها).

من قرى تهامة

وقال: ثم نزلنا من العقبة فأتينا أرض تهامة، ونزلنا بمراح الشيخ علي بن هلال، وفي هذه الأرض أنواع الحَيَّات والأفعوان مختلفة الأشكال والألوان، ونوع منها يسمى الفاسق كالليل الغاسق، ينشط بأنيابه، وينكز بأنفه ووسطه وذيله.

ثم أتينا على مراح أولاد الشيخ إبراهيم السني، وهم من كرام العرب، أهل شيمة وأدب ونسب.

ثم أتينا على مراح آل صلاح، وهم كذلك من أولاد الشيخ، أهل همة وأَرْيحية، ونفوس حاتمية.

وفي يوم الأحد أتينا سوق الأحد، وهو أرض بني سليم.

ووصف هاؤلاء العرب بما اعتاد به وصف غيرهم، ويبدو أنه كان متطلعا لما يناله من هبة، أو رفد، فمتى حُرم من ذلك وصَم من حرمه بما أراد من سُوء، وغلا في ذلك، وهكذا كل محروم مما يتطلع إليه.

وذكر أنه في يوم الاثنين أتى سوق الاثنين.

وفي صبح الثلاثاء أتى (قرية الخليف) وسماها قرية الشيخ الولي إبراهيم الخليفي، ووصف قبره وذكر أولاده، واصفا إياهم بأنهم أهل همم وسماح، ووقار وصلاح.

ثم ذكر بلوغه (أرض دَوْقَة) ونزوله بفريق أولاد الشيخ إبراهيم الخليفي.

ذكر بلدة (القُنْفُدَة)

ويحسن إطالة الوقوف عند ذكر هذه البلدة الكريمة، لا لكون هذا الرحالة نال منها، ومن أهلها، وتلك سجيته في كثير مما يمر به من البلاد، ولكن لمحاولة ضبط اسمها والإشارة إلى شيء من تاريخها.

ضبط الاسم: ورد في رحلة الموسوي الاسم (القنفدة) بالدال المهملة غير مضبوط، ولكن السجعة والقافية تدل على أنها عنده بالدال المهملة، وكذا فعل صاحب "تاج العروس" قائلا في رسم (قنفد) القنفدة ناحية من بحر عدن بين جبلين، وقرية بسواحل مكة، وماءٌ من مياه بني نُمير، كذا في "المراصد"، ويقصد كتاب "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع" لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩هـ، وهو مختصر "معجم البلدان" لياقوت، والغريب أنني لم أر هذا الكلام في مطبوعة كتاب "المراصد" كما لم أره في "معجم البلدان" لياقوت، وهو أصل كتاب "المراصد". وإذا صحَّ هذا فهو يدل على أن البلدة معروفة قبل القرن الثامن الهجري، وهي التي على البحر المتصل بعدن، كما أنها من السواحل الملحقة بمكة.

والأغرب من هذا أن صاحب "تاج العروس" قال في رسم (قنفذ) بالذال المعجمة

في شرح قول صاحب "القاموس": والقنفذ مكان ينبت نبتا ملتفًا، وبالهاء ماءة لبني نمير. ثم أضاف صاحب التاج: وبالهاء - يعني القنفذة - ماءة لبني نمير - كذا في النسخ -، وفي «التكملة» لبني تميم بين مكة واليمن، وهي الآن قرية عامرة على البحر، والمشهور بإهمال الدال، وقد ذكرناها. انتهى كلام صاحب "التاج". فهذه الماءة التي لبني نُمَيْر(٥) انتقلت - بقدرة قادر - عند صاحب "التاج" حتى أصبحت قرية بين مكة واليمن على البحر!!

والواقع أن الماءة التي من مياه بني نُمَيْر تقع في بلادهم في الجنوب الغربي من إقليم (الوَشْم) في نجد، ولبني تميم قرية بهذا الاسم تقع في شمال القصيم بمنطقة (عيون الجواء)، أما (القنفدة) الميناء الوارد ذكرها في الرحلة فيتضح مما تقدم أن الاسم ينطق بالدال وبالذال، وهكذا اسم (القنفذ) كما نص على ذلك علماء اللغة، ولا شك أنها قديمة، ولكن ليس كل قديم له تاريخ مدوّنٌ.

ومن الحوادث المحزنة حول القنفذة هذه ما فعله أمير مكة بركات بن محمد حين استعاد ولاية مكة من أخيه أحمد الجازاني سنة ٩٠٧هـ، فعمد إلى قاضي مكة أبي السعود بن ظَهيرة، وكان قد قرر الإمارة لأحمد الجازاني، فحكم عليه بالسجن، ومصادرة أمواله وعقاره، وقد حاول المجتمعون طلب العفو عنه فأبى، وأصر على إهانته، ولطمه أخوه قايتباي بن محمد على وجهه، ثم أغلق بيوت أبناء القاضي وبناته بعد أن جمع نساءهم في مكان، وأمر بغلّ أيدي بعض أبناء القاضي في خشب مسمر، ثم استولى على جميع ما في بيوتهم من موجودات وأثاث وكتب، وأمر بنفي عائلة القاضي على إثر ذلك إلى جزيرة (ابن بركوت) أو (جزيرة الصبايا) بقرب القنفدة، فأركبهم نائبه في مركب صغير فأغرقهم. وانظر وصف ما جرى من تعذيب هذا القاضي في كتاب "الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة"(٦).

ويأتي الكلام حول نيل الموسوي المكي من هذه البلدة الطيبة وسكانها، وتلك سَجِيَّتُهُ، ومن المعروف أن ما ينسب إلى سكان أية بلدة من البلدان فيما لو صح فهو خاص بهم ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾. فكيف إذا كان من إنسان دَيْدَنُه النيل ممن حرمه، إنْ حَقًا وإنْ باطلا، ولهذا فلا غضاضة من سياق كلامه بعد حذف بيت منه أقذع فيه، وما أراه صادقا حين قال: بأنه مكث فيها أياما وهو جائع؛ فأهلها مسلمون، وهم يعرفون حقوق الضيف، ووجوب الضيافة ثلاثة أيام. قال(٧): «ثم خرجنا من (دوقة) في ساعة مسعدة، ودخلنا (القنفدة) فرأيتها قرية الفَقْرُ بها قاطن» ثم استرسل ما شاء في إسباغ أسوأ الأوصاف عليها وعلى أهلها، وأورد من شعره فيها:

لما أتيت القنفده
تبًا لها من قنفدهْ
رأيتها بليدةً
من كل خير مبعده
ثلاثُ أيام مضتْ
بحالة منكَّده
مكثت فيها طاويًا
والجوع نار مؤصده
ولم أجد فيها فتًى
ذا هِمَّة مسدده
إلا الوزير الشهم من
صاد العلى وأيَّده
(رضوان) مأوى الضيف ما
أعزه وأرشده
فهو الذي أحلّني
جنته المخلده
من بعد نار مالكٍ
أعني بلاد القنفده
أبقاه ربُّ العرش في
رياسة مؤبده
وحفَّهُ بلطفه
طول المدى وأسعده

ومن القنفدة قصد (بَنْدَرَ اللُّحَيَّة) في التاسع والعشرين من ذي الحجة بطريق البحر فبلغها يوم الجمعة في شهر محرم عام اثنين وأربعين ومائة وألف، وتوسع في الحديث عنها.

وليكن الانتهاء من هذه الرحلة عند هذا الحد مكررا القول: بأن هذا الرحالة تطغى عاطفته في كثير من الأحيان، فيضفي على بعض سكان القرى من الصفات ما هم بَريئون منه. والغاية من دراسة التاريخ أن يعتبر المرء بما يمر به من حوادث، وألا يستهين بأي أمر من الأمور التي قد تسبب له سوءا، إذ سيزول هو ولا يبقى سوى ذكره، إن كان حسنا فحسن، وإن كان غير ذلك فإن اللوم يقع عليه هو، لا على من أضفى عليه ذلك الذَّمَّ، وكما قيل:

قد قيل ما قيل إنْ صدقًا وإنْ كَذبًا
فما اعتذارك من قول إذا قيلا؟!

وقال الآخر - وهو ابن دُرَيْد -:

وإنَّما المرءُ حديثٌ بعدَه
فكُنْ حديثًا حسنًا لِمَنْ رَوَى

الحواشي:

(١) ج٢ ص٤٤٢.
(٢) لِيَة - بكسر اللام وتشديد المثناة التحتية وآخرها هاء - ليست قرية، بل واد فحل من أشهر الأودية التي تنحدر من السراة حتى تفيض مع بقية أودية الطائف في صحراء ركبة.
(٣) جبل بقرب وادي نعمان يمر به الطريق إلى الطائف من بلاد هُذيل.
(٤) تقدم الاسم مهمل السين وهنا بالشين المعجمة ولم أهتد إلى صوابه.
(٥) بنو نمير بن عامر بن صعصعة من هوازن أصبحوا مغمورين وليسوا معروفين الآن.
(٦) ص٧٨٥، ط دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
(٧) ج٢ ص٤٤٥.



شرح الله صدره للإسلام، فصدوه عن السبيل

د. محمود جبر الربداوي

صاحب هذه القصيدة الشاعر المشهور ميمون بن قيس الملقب بالأعشى، ويعرف الناس أنه من أعلام الشعراء في أواخر العصر الجاهلي، ويعرفون أنه من أصحاب المطوَّلات (المعلقات)، ويعرفون أنه أحد أربعة يكوّنون الطبقة الجاهلية الأولى في تصنيف كتب الطبقات، ويعرفون أيضا أنه (صنَّاجة العرب) لقوة طبعه وسيرورة شعره، كما يسوّغ الذين يدافعون عنه وجهة نظرهم في تقديمه بكثرة قصائده الطوال الجياد، وتصرّفه في سائر فنون الشعر، وأنه أشعر الناس إذا طرب، وأنه أستاذ الشعراء في الجاهلية، وأنه صاحب أغزل بيت وأخنث بيت وأشجع بيت، يمدح الملوك والأعيان، ويتجاوز أطراف الجزيرة في الشمال، فيتصل بنصارى الحيرة يعاشرهم ويأخذ بعض أفكارهم، فيقولون إنه كان قَدَريًا جاءته القدرية من معاشرة بني عبّاد من نصارى الحيرة(١)، ويصل في الشمال إلى بلاط كسرى، وينشده معلقته فيه، ويسمع تعليق كسرى على غزله بعد أن فُسِّر له، ويعرف الناس أيضا أسطورة لقائه بالجنّي الذي كان الأعشى يزعم أنه يلهمه قول الشعر(٢).

كل ذلك يعرفه الناس من أخبار الأعشى، ولكنّ الذين درسوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لابد أنهم ألمّوا بخبر تعاورته كتب الأدب والسيرة والأخبار، ذلكْ هو خبر قدوم الأعشى على المدينة مرورًا بمكة عندما بلغته أخبار دعوة الرسول الكريم، وما نادى به من مبادئ نبيلة سامية راقت للأعشى، على الرغم من سيرته الأولى الطافحة بالبحث عن المال ليشتري به اللذة من شتى وجوهها. غير أن الرجل انشرح صدره للإسلام، وشجعه قدوم شاعر آخر، وهو كعب بن زهير، على الرسول وظفره ببردته، بعد أن كان قد أهدر دمه، فماذا على الأعشى لو أنه قدم على الرسول، بعد أن شبع من زينة الحياة الدنيا ولذتها، فدبّج قصيدة دالية أعدّ معانيها بما يليق بمقام الرسول الكريم، وعزم على أن يفد إليه مع تلك الوفود وفي جعبته تلك القصيدة التي تشيد بمآثره وتُعلي من مقام دعوته، فلما سمعت قريش بذلك خشيت من سيرورة هذه القصيدة التي نظمها (صنّاجة العرب) أن تشيع بين القبائل فترجح كفة هذا النبي على خصومه من قريش، فتصدى له أبو سفيان وأغراه بما يُغرى به شاعر مثله فصدّه عن سبيل الله، وعن الوصول إلى رسول الله.

قال الأعشى:

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرْمدا ... وعادَك ما عاد السليم المسهَّدا

وماذاكَ من عشقِ النساء، وإنّما ... تناسيت قبل اليوم خُلة مَهْدَدا(١)

ولكنْ أرى الدهر الذي هو خاترٌ(٢) ... إذا أصلحتْ كفّاي عاد فأفسدا

شباب وشيب وافتقار وثروة ... فلله هذا الدهر كيف ترددا

ومازلت أبغي المال مذ أنا يافع ... وليدًا وكهلاً حين شبتُ وأمردا

فإن تسألي عني، فياربّ سائلٍ ... حفيٌّ عن الأعشى به حيث أصعدا

ألا أيهذا السائلي أين يممتْ ... فإنّ لها في أهل يثرب موعدا

فآليتُ لا أرثي لها من كلالةٍ ... ولامن حفًى حتى تزور محمدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ ... تُريحي وتلقَيْ من فواضله يَدا

نبيٌّ يرى ما لاترون، وذكره ... أغار - لعمري - في البلاد وأنجدا

له صدقاتٌ ما تُغِب ونائل ... وليس عطاءُ اليوم مانعَه غدا

أجدكَ لم تسمع وصاة محمد ... نبيِّ الإله حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيتَ بعد الموت من قد تزَوَّدا

ندمتَ على ألا تكون كمثله ... وأنك لم تُرصد(٣) لما كان أرصدا

فإياك والميتاتِ لا تأكلنَّها ... ولا تأخذن سهمًا حديدًا لتفصدا

وذا النصب المنصوب لاتنسكنّه ... ولاتعبد الأوثان والله فاعبُدا

وصلِّ على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان، والله فاحمدا

وللسائل المحروم لاتتركنّه ... لعاقبة ولا الأسير المقيّدا

ولاتسخرنْ من بائسٍ ذي ضرارة(٤) ... ولاتحسَبنَّ المرء يومًا مخلَّدا

ولاتقربنَّ جارةً إن سرَّها ... عليك حَرَام فانكحنْ أو تأبّدا

فلنستمع إلى قصة عزمه على القدوم على الرسول كما يرويها رجل عالم بأخباره اسمه هشام بن القاسم الغنوي، قال: «وفد الأعشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهَّدا
وما ذاك من عشق النساء، وإنما
تناسيت قبل اليوم خُلّة مهددا

وفيها يقول لناقته:

فآليت لا أرثي لها من كلالة
ولا من حفًى حتى تزور محمدا
نبيٌّ يرى ما لاترون وذكره
أغار - لعمري - في البلاد وأنجدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم
تُراحي وتَلْقَيْ من فواضله يدا

وبلغ خبره قريشًا، فرصدوه على طريقه، وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح أحدًا قط إلا رفع في قدره، فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك، وكلها بك رافق ولك موافق، قال: وما هنّ؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا... والقمار... والرِّبا... والخمر... وأضاف أبو سفيان: هل لك في خير مما هممتَ به؟ قال: وما هو؟ قال نحن وهو الآن في هُدنة، فتأخذ مئة من الإبل، وترجع إلى بلدك سنتَك هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنتَ قد أخذت خلفا، وإن ظهر علينا أتيته، فقال: ما أكره ذلك، فقال: أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى، والله لئن أتى محمداً واتبعه ليُضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مئة من الإبل. ففعلوا، فأخذها، وانطلق إلى بلده، فلما كان بقّاع منفوحة رمى به بعيره فقتله»(٣).

بعض الدارسين يقسم هذه القصيدة التي تقع في الأصل في ٢٤ بيتًا إلى قسمين: قسم يشمل الأبيات الخمسة عشر الأولى، والقسم الآخر يشمل الأبيات التسعة الأخيرة، أما القسم الأول فيرى هؤلاء الدارسون أن نسبته للأعشى نسبة صحيحة لايرتقي إليها الشك، فعليها سماته، وتظهر فيها قوة طبعه وملامح أسلوبه، وأما القسم الثاني فيزعم هؤلاء الدارسون أن أسلوبه دون أسلوب الأعشى جزالة ورصانة، ويذهب بهم الزعم إلى أن الأبيات الأخيرة - عدا عن رخاوة أسلوبها - تتحدث عن أفكار إسلامية واضحة، في الوقت الذي لم يكن فيه الأعشى قد أسلم، كالحض على التقى، والتزود للدار الآخرة بصالح الأعمال، والإعراض عن لحم الميتات وفصد عرق الحيوان لشرب دمه، وهي عادات جاهلية، والنهي عن عبادة الأصنام وتقديس الأوثان، والأمر بإقامة الصلاة، وإعطاء السائل المحروم، وفك الأسير، واحترام الآخرين، والابتعاد عن مخاتلة زوجة الجار، وغيرها. ويشك هؤلاء الدارسون في أن تصدر مثل مكارم الأخلاق هذه عن رجل كالأعشى عاش حياته لاهيًا عابثًا باحثًا عن اللذة، لذلك يعتقدون أنّ هذه الأبيات منحولة أضافها بعض الورعين لدالية الأعشى مستغلاً قدوم الأعشى على النبي راغبًا في الإسلام مقدّمًا بين يدي إسلامه تلك الأبيات الأولى، يمدح فيها الرسول الكريم ويمجد دعوته وما تضمنتْه من أفكار مثالية. وإشكالية (نحل الشعر) هذه وإن أشار إليها ابن سلام الجمحي في مقدمة (طبقاته) منذ ألف سنة وتزيد؛ ودعا فيها إلى تحري صحة الشعر وصحة نسبته إلى قائله، إلا أن هذه الإشكالية اتخذت في مطلع القرن العشرين شكل قضية كبيرة، نادى بها المستشرقون الذين جيء بهم للتدريس في جامعة (فؤاد الأول) آنذاك، ثم تطورت قضية نحل الشعر حتى أصبحت نظرية نادي بها الدكتور طه حسين والتمس لها الشواهد والدلائل وصدع بها في كتابه الذي صدر آنذاك بعنوان (في الشعرالجاهلي)، وأثار زوبعة كبيرة انتهت بإحراق الكتاب وإبعاد طه حسين من المناصب. ولانريد أن نقف عند قضية نقدية عفا عليها الزمن، ولكنْ حسبنا أن نشير إلى أنها كانت مجرد (إشارة) في كتب التراث، ثم تحولت على يد بعض المستشرقين إلى (قضية) أدبية، ثم نمّاها بعض الدارسين الراغبين في التزيد والتكثر فجعلها(نظرية) حشد لها كل طاقاته الفكرية والأدبية ليجيء بجديد ومثير ولو كان تخيلاً وتقولاً على التراث وأهله.

ولاتظنَّن أنني بملاحظتي هذه أغمط المستشرقين حقوقهم، فليس هذا قصدي البتة. فأنا أقسم المستشرقين إلى قسمين: قسم وظفوا أقلامهم وأفكارهم وجهودهم في سبيل الدوائر الاستعمارية والسياسية التوسعية والمؤسسات العسكرية الجامحة لامتلاك الدنيا واستعمار الشعوب والتي بلغت أوج نشاطها واتساعها في النصف الأول من هذا القرن.

والقسم الثاني لم يوظفوا أقلامهم وأفكارهم لخدمة الدوائر السياسية والاستعمارية، وإنما وظف هذا الصنف أقلامه لخدمة العلم والأدب وإغناء المعرفة الإنسانية. وخير من يمثل هذا الصنف المستشرقون الألمان خاصة؛ لأن أكثرهم كان في معزل عن الارتباط بالاستعمار الاقتصادي والعسكري؛ لذا انصبّتْ جهودهم في قنوات حضارية وإنسانية بعيدة من القهر العرقي والجنسي.

وفي موضوعنا هذا عن الأعشى وصلته بالمستشرقين نسجل بمداد الثناء الجهود المتميزة التي قام بها المستشرق الألماني (توربكه) الذي حظيتْ قصيدة الأعشى الدالية في مدح الرسول بعنايته في فترة مبكرة، حيث نشرها في ليبزغ سنة ١٨٧٥م، هذه العناية التي سبقت الكثير من عنايات الدارسين العرب تجعلنا نكبر بعض المستشرقين - وخاصة الألمان منهم - لأنهم خدموا الثقافة العربية والإسلامية خدمة جُلّى. ومثل توربكه مواطنه المستشرق الألماني (رودلف غاير) الذي ترجم لاميتَيْ الأعشى الكبريَيْن إلى الألمانية، وشرحهما شرحًا مطولاً، كما عني بطبع ديوانه، ونشر سنة ١٩٢٧م كتابه (الصبح المنير في شعر أبي بصير)، كما أن المستشرق (لايل) نشر معلقة الأعشى مع ترجمة إنجليزية لها.

ومعذرة لهذا الاستطراد الاستشراقي الذي جرنا إليه الأعشى، ولكن عُذري في هذا الاستطراد أن أذكر الشباب المثقف في الوطن العربي الكبير بأنّ في تراثنا العربي القديم نقاطًا مضيئة كثيرة فتح المستشرقون أبواب البحث فيها وتركوا لنا أن نواصل الجهود العلمية والتفسير السليم الواعي لهذه النقاط، فهلاّ شبابنا يفعلون؟!

غريب الألفاظ:

١- مهدد: اسم فتاة.
٢- خاتر: غادر.
٣- الكلال: التعب.
٤- أرصد الشيء: أعدّه.
٥- ضرارة: ذهاب البصر والنقص في الأموال والأنفس.

المصادر:

١- الأغاني ١١٠/٩.
٢- الأغاني ١٠٨/٩.
٣- الأغاني ١٢٣/٩.

من مظاهر تكريم الإنسان في الحضارتين الإسلامية والغربية

سعيد شبار

تختلف مظاهر تكريم الإنسان في الحضارتين الإسلامية والغربية باختلاف طبيعة الإنسان في هاتين الحضارتين. ففي الوقت الذي يستقي فيه المرء مبادئه ومفاهيمه وتصوراته ودوره في هذا الوجود وغايته فيه، في الحضارة الإسلامية من الوحي الإلهي قرآنا وسنة، نجده في الحضارة الغربية، التي لم تعرف ولم تعش هداية الوحي الصحيح مادامت النصوص الدينية المنزلة قد أفسدتها يد التحريف والتبديل - باعتبار أن الخطاب الإلهي هو أجدر خطاب بتحديد حقيقة الإنسان: ﴿ألا يعلمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير﴾(الملك: ١٤) - نجد مرجعيته تُحدَّد انطلاقا من طبيعة المرحلة التاريخية التي تجتازها حضارة الغرب، والأنماط الاجتماعية والثقافية السائدة فيها، مما يجعل فلسفة هذا الكائن المحددة لقيمه في الوجود تكون عرضة لتقلبات هذه المراحل التاريخية.

ولهذا كانت صورة الإنسان في الحضارة اليونانية تتجلى في الإنسان العاقل، المفكر، المُنظِّر المتأمل. ثم تراجعت هذه الصورة كي تفسح المجال لصورة أخرى في العهد الروماني، هي صورة «الإنسان المصارع والمحارب»، أو الإنسان الجسد الذي وُظِّف لبسط نفوذ روما على العالم. ثم جاءت الكنيسة لترسم صورة أكثر تطرفا للإنسان، هي صورة الإنسان المتطهر المنسلخ المتحرر من مطالب الجسد؛ صورة «الراهب المتبتل» داخل الكنيسة، المحروم من رغباته وتطلعاته الفطرية.. إلى أن آل الوضع إلى عصر النهضة الأوربية الحديثة، حيث ساد فكر «النزعات الإنسانية» وظهرت الفلسفات التنويرية التي حاولت رد الاعتبار للقيم المفقودة وتحرير الإنسان من إساره؛ إلا أن تركيز هذه الفلسفات على جوانب من الإنسان كان مسكوتا عنها، وإلغاءها لجوانب أخرى، جعلها تتطرف على الواجهة الأخرى المقابلة لتطرف التصور اللاهوتي الكنسي. لذا فالاتجاهات العقلانية والمادية التي ظهرت ركزت على الجانب النفعي والإنتاجي في الإنسان، حيث تحول من جديد إلى آلة - أداة للإنتاج - محكما منطق الربح ورأس المال.

الدولة مصدر التشريع

وقد صاحب تزايد هيمنة الفلسفات المادية، عدم الاكتراث بالأخلاق باعتبارها قيما مثالية غيبية غير مادية، وغير كمية، فقدت أي إطلاق، وأصبحت حقائق اجتماعية نسبية، تُردّ بأكملها لجذورها الاجتماعية المادية؛ أي إن المجتمع أصبح هو مصدر القيمة الأخلاقية، وليس الموضوع الذي يحاكم من منظور هذه القيمة.، وأصبحت الدولة هي التي تقدر ما هو خيرٌ وما هو شرير، ماهو نافع وما هو ضار، ومن ثم تراجعت العقيدة الدينية، وانحسر الإيمان بالمطلقات المعرفية والأخلاقية، وبدأت محاولات لتأسيس علم أخلاق يستند إلى القوانين العلمية والحسابات الرياضية الدقيقة.. بحيث أصبحت الأخلاق هي المنفعة واللذة، وأصبح الهدف من الحياة هو البحث عنها، وتعظيم الإنتاج والدخل، وهي أهداف تتسم بأنها كمية مادية يمكن قياسها؛ ولا علاقة لها بغيب أو أسرار»(١).

وجوهر فكر حركة الاستنارة عموما يمكن اختزاله في عنصرين مهمين:

أ- التركيز على عنصر الطبيعة، باعتبارها متّسقة مع نفسها وتتحكم فيها مجموعة من القوانين الواضحة البسيطة المطردة، وحيث ثمة قانون طبيعي يهدي الإنسان في سلوكه.

ب - التسليم بقدرة العقل الإنساني على الوصول إلى الحقيقة، بمعرفة قوانين الطبيعة وأنظمتها من خلال التجربة والملاحظة دون حاجة إلى وحي إلهي(٢).

لا للعبثية والنفعية

وإذا عدنا إلى الحضارة الإسلامية، نجد نظرة الإسلام إلى الإنسان، تنطلق من وظيفة هذا الأخير في الكون، المتمثلة في عبادة الخالق بخلافته في أرضه، وفق سننه الدينية الشرعية والكونية القدرية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنس إلا

لِيَعبُدُونِ﴾(الذاريات:٥٦)؛ فيكون لحياة الإنسان بذلك هدف وغاية، ينفيان عنها العبثية أو النفعية والركون إلى مطلب من مطالب الجسد أو النفس: ﴿أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خلقناكم عَبَثًا وأنكم إلينا لاتُرجعونَ﴾(المؤمنون:١١٥). وكفى الإنسان في ظلال الاسلام تكريما أن يكون محور الحياة والأداة الفاعلة والمقررة فيها بما حباه الله من نعم وقدرات، وبما فضله وسخر له من مخلوقات. ﴿ولقد كَرَّمْنَا بني آدم وحملناهُمْ في البَرِّ والبحرِ ورزقناهم منَ الطيبات وفضَّلْناهم على كثيرٍ ممَّن خلقنا تَفْضيلاً﴾(الإسراء:٧٠). وإذا كان الإسلام قد حرر الإنسان المسلم من استرقاق المخلوقات الأخرى له بمبدأ التوحيد من جهة؛ إذ «كمال الحرية في كمال التوحيد» كما يقرر علماء أصول الدين؛ فإنه - من جهة أخرى - جرد معيار التفاضل بين المسلمين من كل مقياس مادي، إذ جعل ميزان التفاضل هو «التقوى»: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات:١٣). ومن أهم القضايا التي عُني بها الإسلام في الإنسان، الحفاظ على توازنه واعتداله في الحياة، كي لايجنح إلى أحد تطرفين؛ التطرف الروحاني أو الترهب المسيحي، والتطرف المادي في ظل الفلسفات المادية. لذا نجده يطوق جيد هذا الإنسان بحقيقتين كبيرتين تعصمانه من الاستكبار والاستعلاء كما تعصمانه من الذل والمهانة. الحقيقة الأولى تذكره بمهمته في هذا الكون، وهي العبادة عن طريق الاستخلاف، وتحمل الأمانة، والتكريم، وتعمير الأرض وبناء الحضارة، فهو بهذا المعنى سيد في هذا الكون معزز مكرم. لكن الحقيقة الثانية تنبهه إذا ما طغى وتجبر وخرج عن خط الوسطية والاعتدال إلى أصله وخلقته، إذ هو مخلوق تافه أصله الأول من تراب، وسلالته من ماء مهين، والشأن فيه - إن طالت به الحياة - أن يعود إلى أرذل العمر لكي لايعلم بعد علم شيئًا. «فالإنسان في كينونته الذاتية عبد مملوك لله عز وجل، خُلق من ضعف وينتهي إلى ضعف، ولكن نَظَرًا للرسالة التي حملها فإنه يتمتع بصفات نادرة جهزه الله بها فاستحق بموجبها الرفعة والتكريم. ورجل الحضارة الإسلامية هو الذي رُبّي في ظلال هاتين الحقيقتين». ولا يكتفي الإسلام بتقنين التوازن على المستوى الفردي؛ بل ينقله إلى المستوى الجماعي؛ فنجده تارة يرغب في الحياة وملاذها، وأخرى يصرف عنها ويدعو إلى حياة أخرى أفضل. يقول الله تعالى:

﴿زُيِّن للناس حُبُّ الشَّهوَاتِ منَ النِّسَاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحَرْث ذلك مَتَاع الحياة الدنيا﴾(آل عمران:١٤) ويقول أيضا: ﴿قل أَؤُنَبِّئُكُم بخير من ذلكم للذين اتقوا ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوانٌ من الله..﴾ (آل عمران: ١٥)(٣).

كان هذا السلوك التربوي العام، الذي حكم حياة المسلمين في الصدر الإسلامي الأول، والذي عبر عنه بوعي الصحابي الجليل ربعي بن عامر أمام قائد الفرس: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»؛ حيث عاش الإنسان في ظل هذه المرحلة - التي يسميها مالك بن نبي «مرحلة الروح»، وتمكن الفكرة الدينية التي تمثل الطاقة الحيوية، والإيمان الباعث على العمل - مظاهر وتجليات قيم التوحيد والعدل والحرية، كما عبَّر عنها بوعي الصحابي الجليل.

ولاينحصر هذا التكريم في دائرة الولاء لعقيدة الإسلام؛ بل يتجاوز ذلك إلى التكريم في إطار الولاء الإنساني العام. ولهذا جاء الإسلام بتغييرات جذرية لكثير من قضايا الإنسان. نذكر منها - على سبيل المثال - معالجته لظاهرة الرق قصد تصفيتها، والتي اعتبرت في الحضارات القديمة والعصور الوسطى؛ بل إلى مشارف القرن الأخير ظاهرة اجتماعية طبيعية؛ ورفعه للظلم والحيف اللذين لحقا بالمرأة طوال قرون وقرون، ومحاربته لكل صور الظلم والاستغلال والنفوذ التي يعلو بها إنسان على إنسان، ومظاهر السفور والميوعة والاغلال التي ينسلخ بها الإنسان عن إنسانيته.

أما المرحلة الحضارية الثانية - التي يسميها مالك بن نبي «مرحلة العقل»؛ حيث سيادة علم الكلام والفلسفة - والتي بدأ الإنسان يبتعد فيها عن بعض هذه القيم والمبادئ باستغراقه في المجادلات النظرية التي أملاها تحدي الفكر الوافد؛ فإن مبحث الإنسان عمومًا ظل حاضرًا ولو في الإطار النظري بطرح القضايا المتعلقة به، كما في الفكر الاعتزالي، كمسائل الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، ومرتكب الكبيرة وخلق أفعال العباد وغيرها. ولعل أخطر محطات هذه المرحلة عصور الانحطاط التي تم فيها تجميد العقل الإسلامي وتكريس مجموعة من العادات والتقاليد التي مازال فكرنا يعاني منها إلى اليوم.

المرحل الثالثة والأخيرة «مرحلة الغريزة»؛ حيث طغيان نزعات التملك والأنانية وسيادة منطق الكم والمادة، وحيث تلاشى ماانتُقض من عُرى الوحدة والعدل والحرية. فإذا أضيف إلى هذا عدم الاقتدار المادي (العلمي والتقني)، علمنا سر استضعاف إنسان هذه الأمة وإذلاله أمام استكبار إنسان الغرب واستعلائه بما يملكه من وسائل الضغط والتأثير التي اخترق بها جسم هذه الأمة فَشَلَّ حركتها. والحضارة القائمة على الاقتدار المادي بمختلف أشكاله، والنظرة المركزية الضيقة ذات الولاء الإقليمي أو القطري، المتحللة من القيم الأخلاقية والنفسية ذات الولاء الإنساني العام، لايمكنها إلا أن تكون مصدر تهديد ورعب لباقي الشعوب المستضعفة.

حقائق غائبة

إريك فروم، واحد من أبناء حضارة الغرب، رأى أن السبل تضيق بالإنسانية في ظل النظم الحالية، وأن أشكال المجتمعات الغربية الحالية تدفع بالإنسان إلى الاختلال والاضطراب. ولابد - في نظره - من بناء مجتمع جديد، يقوم على علم جديد للإنسان وقضاياه، يتغير بموجبه نظام القيم والأخلاق الراهنة. ويتخذ موقفا جديدا من الطبيعة. مجتمع جديد يقوم على أساس الكينونة والوجود لا على أساس الأنانية والتملك، يعطي الاعتبار للإحساس والشعور والوجدان والعقل والتعاون والإخاء والمحبة، بدل اعتبار الإنتاج والربح ومنطق المنفعة وسحق «الإنسان الحر» في «الإنسان الآلة». ولهذا فهو يحكم على العصر الصناعي بأنه أخفق في الوفاء بـ «وعده العظيم» الذي هو تحرير الإنسان والعيش في المجتمع الحر. إذ تزايد عدد المدركين للحقائق التالية(٤):

الاتجاهات العقلانية والمادية تركز على الجانب النفعي في الإنسان دون الاكتراث بالأخلاق.

* إن اشباع كل ما يعن للناس من رغبات بغير قيود لايوصل للحياة الطيبة، وليس هو السبيل إلى السعادة، ولا حتى إلى المتعة القصوى.

* إن حلمنا بأن نكون السادة الأحرار لحياتنا قد انتهى، وذلك عندما بدأنا نتنبه إلى أننا جميعا قد أصبحنا مجرد تروس في الآلة (البيروقراطية).

* إن التقدم الصناعي ظل مقتصراً على الأمم الغنية، وإن الهوة التي تفصل هذه الأمم عن الأمم الفقيرة تزداد اتساعاً يوما بعد يوم.

* إن التقدم التقني نفسه خلق مخاطر «أيكولوجية» (= بيئية طبيعية)، ومخاطر الحرب النووية، وهذه أو تلك أو كلتاهما معا، يمكن أن تكون السبب في إنهاء كل أشكال الحضارة، وربما كل أشكال الحياة على ظهر هذا الكوكب.

وهكذا أصبح الإنسان، كلما اقترب من نموذج «السوبرمان» ازداد فقره، وكلما تطلع إلى ذلك النموذج تجرد من إنسانيته، لا بمقياسه هو، بل بمقياس القيم الحقيقية للإنسان، التي بدأت تفرز نفسها بالقوة والفعل من خلال التجارب الفاشلة لأنماط الحياة المختلفة في المجتمع الغربي.

ويرجع إريك فروم إخفاق الوعد العظيم للعصر الصناعي إلى المقدمتين النفسيتين اللتين بُني عليهما، وهما:

أـ جعل الهدف من الحياة، السعادة، أي تحقيق أقصى متعة، وإشباع أي رغبة أو حاجة ذاتية تعنّ للمرء (= مذهب اللذة الراديكالي)(*).

ب ـ جعل الأنانية والسعي لتحقيق المصلحة الشخصية والجشع تفضي إلى الإنسجام والسلام.

ويمكن للمرء أن يلاحظ إذا ما أتيحت له فرصة الاحتكاك بديار الغرب حقيقة هذا التطور. وإذا أخذنا بلدًا كإيطاليا نموذجًا، عاش تجربة تاريخية مريرة مع الكنيسة؛ فإننا نلمس ـ من خلال ملاحظات ومناقشات مع شرائح مختلفة، بعضها ينتمي إلى الكنيسة وبعضها ينتمي إلى الاتجاه العلماني أو الإلحادي ـ، أن الإنسان هناك قد استبدل بالثالوث التي أرغمته الكنيسة على الإيمان به واعتقاده، المتمثل في تقديس الأب، والابن والروح القدس، ثالوثا آخر هو معبوده ومقدسه الحقيقي، وهذا الثالوث هو: العمل، والأكل والنوم. وكل واحد من هذه الآلهة الثلاثة له فلسفته الخاصة وتصوره الخاص به، يرتبط بالتصور الغربي العام لحقيقة الإنسان والكون والحياة. فالعمل مصدر الرزق، والحرص عليه حرص على هذا المصدر، والانضباط والجدية مبعثهما الاستزادة والاستكثار من الربح والمال الذي هو قوام الحياة المقدسة. وليس في هذ التصور مصدر آخر للرزق، أو اعتقاد في الله الرزاق والتوكل عليه. فالحرص على العمل مبعثه الخوف من عدم العمل الذي معناه انقطاع مصدر الرزق، ومن ثم عدم إمكان تلبية حاجات الجسد المختلفة. أما الأكل فإنه هناك لايقتصر على تلبية مطلب حيوي (بيولوجي) في الجسم ضروري للكائنات الحية، لكن يتعداه إلى نوع من الحرص والشراهة الزائدين، مبعثهما الحرص على الذات واستمراريتها لتستمتع أكثر بالحياة ولذتها..

لحياة الإنسان، في المنظور الإسلامي، هدف وغاية ينفيان عنها العبثية والنفعية.

والنوم الذي يمكن اختزاله في الجنس عموما، فهو أيضا أحد المتطلبات الذاتية التي تجاوزت إطارها الفطري الغريزي إلى أنواع من الإدمان والشذوذ معروفة. خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العزوف عن الإنجاب وتربية الأبناء وتعويضهم بالحيوانات عند نسبة كبيرة من شرائح المجتمعات الغربية.

فهذا الثالوث الآن: العمل، والأكل، والنوم، يمثل الأقانيم التي تشكل الإله المعبود الواحد عند عموم الناس هناك، وكلها تعبير حقيقي عن نزعات التملك لديه، أما ثالوث الكنيسة، فلا يعدو أن يكون شعاراً لا مضمون حقيقيًا له؛ بل يجهله حتى أرباب الكنيسة نفسها. وقد شاهدت بصحبة أحد الزملاء ونحن في القطار من ميلانو إلى تورينو، مشهدا حيا لهذه الحقيقة؛ إذ جلست بالقرب منا راهبة بزيها الكنسي، وما من أحد يمر بجانبها من ركاب القطار، إلا وقال كلاما، أو كشر عن ملامح الغضب في وجهه. فسألت زميلي عما يقوله هولاء ـ وكان عارفا بلغتهم ـ فقال: إنهم يسبونها، يقذفونها بالكلام السخيف والبذيء، ويتعوذون منها. قلت: ولماذا؟ قال: لأنهم يكرهون الرهبان والقساوسة وكل من له علاقة بالكنيسة عموما. قلت له: فلنفتح معها حواراً حول الموضوع، فلما سألناها عن ذلك قالت: كل واحد حر يفعل مايريد. فطلبت من زميلي أن يسألها أن توضح لنا معالم العقيدة المسيحية وتصورها للدين عمومًا، لعلنا نوفق في تقديم بديل لها في عقيدة الإسلام ووضع المرأة فيه. إلا أنها اكتفت بالقول بأنها معتقدة فقط cooyante وممتثلة للأوامر. ثم سألها زميلي ـ مترجما ـ: هل قرأت الأناجيل، واطلعت على ما فيها من اضطراب وتناقض؟ قالت: لم أقرأها، ولا أعتقد أن فيها تناقضا، فأنا لست باحثة، أنا معتقدة فقط. ثم اعتذرت وقامت لتنزل في محطتها. قلت لزميلي: إذا كان هذا الجهل حال من يتبنى المسيحية ويعيش في كنفها ودائرتها، فكيف بمن يتنكر لها ويجحدها، بل لايجد في نفسه مجرد الرغبة والاستعداد حتى للنظر إلى أهلها. كيف يكون معتقدا حقيقيا، وفيا لمبادئه الدينية؟!

ورغم هذا كله فالغرب مجمع على اعتبارها الديانة الرسمية، لأنها جزء من تاريخه وكيانه الحضاري، ولايمكنه أن يتنكر لهذا الجزء أو ينقطع عنه مهما تبدي له من سلبياته؛ بل يوظفه لأغراض سياسية، استعمارية، تضليلية. كما هو واضح الآن في علاقة ما هو سياسي بما هو ديني في المجتمع الغربي.

الإنسان والأشياء

الفارق إذن بين الكينونة والتملك هو «الفارق بين مجتمع محوره الأساسي الناس، وآخر محوره الأساسي الأشياء، وما يميز المجتمع الصناعي الغربي، هو التوجه التملكي، حيث أصبحت شهوة تملك المال والشهرة والسلطة، هي الموضوع المسيطر على الحياة»(٥) إلى درجة بدأ يسود فيها الشعور بالخوف المستمر من فقدان ما يملكه الإنسان. ساد الخوف من اللصوص والتقلبات السياسية والاقتصادية والثورات والموت.. «فتحول الإنسان إلى كائن مشغول بالدفاع عن نفسه، تتملكه الحاجة لامتلاك مزيد من الأشياء التي ينشد فيها مزيداً من الحماية»(٦). انعكست نزعة التملك على مستوى العلاقة بالعمل أيضا، إذ تولد نوع من الشعور بالاغتراب عن العمل الذي يقوم به الإنسان، حيث لايشعر أنه فاعل لنشاطه، أو قريب منه، كما لايهتم بناتج النشاط مادام منفصلاً عنه، وواقعًا تحت فعل قوى داخلية أو خارجية وضغطها، بخلاف الشعور

غير المغترب عن العمل؛ حيث يشعر الإنسان أنه الفاعل لنشاطه، موصول بناتجه الذي يعتبره عملية ولادة، التي هي في نهاية المطاف، تعبير عن طاقاته وتجلٍّ لقدراته»(٧).

وقدم إريك فروم نماذج متعددة حول انعكاس هذه النزعة على مستوى التخاطب (ص٥٣)، والإيمان (ص٦٢)، والحب (ص٦٥)..الخ.

فعلى المستوى اللغوي مثالا لاحظ تزايدا مطردا في استعمال الأسماء مع تقلص استخدام الأفعال. ذلك أن الأسماء هي الرموز المناسبة للأشياء، كقولك: أملك سيارة، أو منزلاً، أو دراجة.. بينما الأفعال هي الرموز المناسبة للنشاط والفعل، كقولك: أبني، أنظف، أصلح، أكره، أجد.. الخ.

فكان تزايد استخدام الأسماء تعبيرا عن تلبية نزعة التملك في الإنسان. ومَثَّل لذلك بشخص فيه نزعة تملك حادة يعرض نفسه على طبيب نفساني، فيبادر بالقول: يا دكتور أنا عندي مشكلة، عندي أرق، عندي دوار وصداع، وعلى الرغم من أن عندي منزلاً لطيفًا وأطفالاً ظرفاء، وزواجا سعيداً، إلا أن عندي هموماً كثيرة.. يقول إريك فروم: لو جرى مثل هذا الحديث منذ بضعة عقود لقال هذا القائل: أنا قلق، بدلاً من أنا عندي قلق. ولا أستطيع النوم، أو لا أنام عوض: أنا عندي أرق. وأعيش في بيتي سعيدا، عوضا من: أنا عندي أولاد وعندي زوج وعندي منزل.. وهكذا يكون التعبير بالأفعال تعبيرًا عن الكينونة، أي عن إنسانية الإنسان، واحترامه للآخر وما حوله بدل اعتباره ملكا له(٨).

ويسمي فروم هذه الشخصية بـ «الشخصية التسويقية»؛ لأنها تقوم على ممارسة الشخص لذاته كسلعة، ولقيمته «كقيمة تبادلية»، لا «كقيمة انتفاعية»، كما يتم التخلص من الأفواه الآكلة غير المنتجة USELESS EATERS حسب التعبير النازي بمختلف الوسائل، بل إن الفارق ـ حسب رأي بعض المتتبعين ـ بين بيوت المسنين في الدول الديموقراطية، وأفران الغاز في الدول النازية ليس جوهريا كما يبدو لأول وهلة، فكلاهما مكان يودع فيه المسنون باعتبارهم غير منتجين. وبينما يتم التخلص منهم عن طريق التبريد في الدول «الديموقراطية» فإنه يتم التخلص منهم عن طريق التسخين في الدول الشمولية. وكلتا الرؤيتين تصدران عن الرؤية المعرفية الإمبريالية وتخدمانها في الوقت نفسه، وهكذا تعرضت قطاعات بشرية في أوربا للإبادة النازية، بعد أن تم فرز القطاعات النافعة منها وعزلها.

بل إنه في ظل إمبريالية الغرب الحديث والمعاصر نجد توجها نحو إنشاء مدن من نوع خاص للعجزة والمتقاعدين. لكن لا على الأساس الخيري الإنساني؛ بل على أساس الغنى والجاه والترف، على غرار مدينة «سان سري» المعروفة بمدينة الشمس الواقعة بولاية أريزونا بأمريكا، والبالغ عدد سكانها حوالي خمسة وأربعين مليون نسمة. وقاطن هذه المدينة النموذجية لابد أن تتوافر فيه ثلاثة شروط:

ـ أن يكون له منزل بالمدينة شراء أو كراء..

أن يكون له مصدر مالي يكفيه مصاريف عيشه وتكاليف الحياة..

ـ أن يتجاوز عمره خمسا وخمسين سنة.

فإذا كانت هذه رؤية الغرب في تكريم الإنسان الذي بلغ من الكبر عتيا؛ فإن التعامل مع نفس هذه الشريحة من المجتمع في الرؤية الإسلامية قائم على أساس: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا﴾(الإسراء:٢٣). ولو أتيح لإريك فروم ـ والاتجاه الذي يمثله الرافض للأنماط الحضارية الغربية ـ فرصة الاطلاع من قرب على مظاهر التكريم والاهتمام بالإنسان في القرآن الكريم، لوجد دعما قويا لكثير من القضايا التي يتبناها، خاصة وأن اتجاهه هذا يدعو إلى تكوين «الإنسان الجديد» لتأسيس «المجتمع الجديد» القائم على أساس خلق الظروف التي يمارس الناس في ظلها نعمة الحياة الطيبة الصالحة، لا إشباع الحد الأقصى لدوافع الشهوانية.. ولاغرابة فهناك حضارة لا مرجعية لها، وهنا مرجعية لا حضارة لها.

تجدر الإشارة في الختام إلى أن الحديث عن الغرب بهذا الشكل، قد يشعر بحساسية معينة تجاهه، إذ لم يرد حديث عن منجزاته ومدنيته الهائلة وقوته التي تعكس نوعا من التربية والتكوين والتنظيم.

ويجاب على هذا الاعتراض أو الإحساس الذي قد ينتاب القارئ من وجهين:

١ـ أن الموضوع يرصد ظاهرة محددة هي «كرامة الإنسان» في الحضارتين الإسلامية والغربية. فلزم من ذلك تتبع بعض مظاهر هذا التكريم وما قد يتعلق بها، دون الخروج إلى غيرها. ولو كان الحديث عن المنجزات التي لاينكرها أحد لكان للموضوع سياق آخر.

٢ـ أن هذه المنجزات نفسها تخضع للعوامل النفسية والذهنية نفسها للإنسان الغربي بحيث يوظفها للحصول على المزيد من الأمن والاستقرار والسيطرة والاستعلاء والتملك. فحتى المفاهيم الأشد ارتباطا بكرامة الإنسان، كالحرية، والديموقراطية، والتعددية، وحقوق الإنسان.. لاتجد تطبيقا حقيقيًا لها إلا في المجتمعات الغربية.

أما خارج هذه المجتمعات، فمصداقية هذه المفاهيم واضحة في محطات عديدة، وفي العالم الإسلامي خصوصا؛ حيث تُسخّر فيها تقنية الغرب للإبادة والدمار، والإلغاء والإلحاق، وحيث تتحول تلك المفاهيم إلى نقيضها تماما.. ومازلنا نعيش في «ظلال» النظام الدولي الجديد، الذي لايعدو أن يكون وجها آخر لـ «المسرح الاستشراقي» القديم والحديث والمعاصر في رؤيته للشرق ـ حسب تعبير الناقد إدوارد سعيد ـ.

ويبقى أن ماتحدثنا عنه هو الوجه الحقيقي الخفي لهذه الحضارة، وهو الذي يعجل بدنو أجلها وخرابها.

الهوامش:

١ـ عبدالوهاب المسيري: الرؤية المعرفية الامبريالية، مجلة منبر الشرق، س٣ ع٧ـ ذو القعدة ١٤١٣هـ/مايو ١٩٩٣م، ص٥٧.

٢ـ المرجع نفسه، ص٤٠

٣ـ انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر ص٤٥ ـ ٦٤ (بتصرف).

٤ـ انظر كتابه القيم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة (١٤)، ص٣٠ـ٣١، وكذا المقدمة.

(*) أصبح مذهب اللذة الراديكالي، اتجاها عاما في الغرب، وله أنصار ودعاة كثيرون. فقد اعتبر هوبز HOBBES أن السعادة هي التقدم المطرد دائما من شهوة لشهوة. ووصل لاميتري LAMETTRIE إلى حد تحبيذ تعاطي المخدرات، حيث إنها تعطي على الأقل وهما بالسعادة. واعتبر دي ساد DE SADE إشباع دوافع القسوة أمرًا مشروعًا، مادام رغبة موجودة تتطلب الإشباع. قال إريك فروم معلقا: «هؤلاء مفكرون عاشوا عصر الانتصار النهائي للطبقة البرجوازية. وما كان ممارسة غير مفلسفة للارستقراطية، أصبح عقيدة وممارسة لدى البرجوازية في (ق١٨). انظر: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص٣٣.

٥، ٦، ٧، ٨ـ المرجع نفسه،ص ص ٣٩ـ١١٣.

أحمد تيمور وقضايا التحقيق في تراثه العلمي

د. ندا الحسيني ندا

هو أحمد توفيق بن إسماعيل كاشف بن محمد بن تيمور باشا. ولد بالقاهرة في (١٢٨٨هـ - ١٨٧١م)، وتُوُفِّي بها عام (١٣٤٨هـ - ١٩٣٠). ينتسب إلى بيت ذي حَسَبٍ ونَسَبٍ، كرديّ الأصل، مات أبوه وعمره لايزيد على ثلاثة أشهر، فتولته أخته عائشة التيمورية(*) بكامل الرعاية والتربية، إذ كان كل ما يحيط به يوحي بالعلم والبحث والدرس، الأمر الذي جعله مشغوفًا به ومقبلا عليه(١).

مصادر التكوين العلمي عند أحمد تيمور

(١) بيئة العلماء المعاصرين: تكشف لنا سيرة أحمد تيمور عن ارتباطه بقراءة التراث العربي، بعد عزوفه عن الوظائف الحكومية جملة، والعكوف على خزانة كتبه الشاملة قراءة وبحثا وتعلُّما وتحقيقا، واتصاله بعلماء عصره الرواد ممن لهم وعي دقيق بالعلوم العقلية والدينية والأدبية واللغوية أمثال: الشيخ حسن الطويل والعالم المحقق محمد محمود التركزي الشنقيطي، والشيخ طاهر الجزائري، وأديب العربية محمود سامي البارودي، والأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ نصر الهوريني، ومحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق(٢). فهو يجالس هؤلاء متلقيا عنهم وعن غيرهم، ومضيفا إلى معارفه كل مايراه صالحا ونافعا.

(٢) مؤهلات خاصة : استقبلت شخصية أحمد تيمور الطموح فنونا شتّى من المعرفة برغبة صادقة، وأمانة وصبر في الطلب يندر أن نجد لها نظيرا؛ يواصل القراءة والبحث والبذل والتضحية، وقد أفرزت هذه الشخصية إصدارات علمية متنوعة، وكوّنت ما نطالعه في دار الكتب المصرية الآن باسم المكتبة التيمورية، التي يرتادها الباحثون للاطلاع عليها والإفادة منها في جانبَيْها المخطوط والمطبوع، وأكدت شخصيته العلمية الواعية والفاهمة أساليب العلوم العربية الأولى على عهد الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني وطرائق المتأخرين إلى زمن الحواشي(٣).

(٣) رأيه في قيمة الكتاب موازنا بغيره من ضرورات الحياة: لقد كان ذا رأي متميز في العلم والعلماء، سخيًا معطاء لايهمه مال الدنيا، لأن: المال يذهب ويعود، أما الكتاب النادر النفيس إذا ذهب فهيهات أن يعود(٤).

ولعل في كرم أسرته المتنوع ما أتاح له أن يقدم نموذجا في الكرم العلمي النادر، أشاد به الأب أنستاس ماري الكرملي في قوله: «أما كرمه فحدث عنه ولا حرج، كنا في حاجة إلى نقل كتاب خط من مكتبته، وكنا قد طلبنا ذلك من صديقنا يوسف إليان سركيس، فلما درى أنه لنا أحضر له ناسخا، وبعد أن أتمه بعث

به إلينا من غير أن يقبل فلسًا منا، والكتاب كان ضخمًا».

وقد ظلت معظم أعمال أحمد تيمور العلمية مخطوطة بخط يده، سواء أكانت تأليفا أم تحقيقا، والسر في ذلك - في اعتقادي - يعود إلى دقة تأنيه، حيث لاتنتهي عنده الفكرة، إذ كان يرمي إلى الكمال كلما وجد في أثناء مطالعاته ما يصح إلحاقه بمؤلف من المؤلفات(٥). وقد دفع هذا مجموعة من العلماء المخلصين إلى أن يتولوا نشر تراثه وإذاعته فكانت «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» التي أثمرت جهودها في إنجاز مجموعة من مؤلفاته الخطيرة، تزخر بها الآن مكتبتنا العربية. نذكر من هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور إبراهيم سلامة، والدكتور حسين نصار، والمهندس الوزير أحمد الشرباصي، والأستاذ أحمد ربيع المصري.

التراث العلمي عند أحمد تيمور

أولا: التراث التأليفي: تزخر المكتبة العربية - على نحو ما قدمنا -، بإسهام علمي أكاديمي متنوع لأحمد تيمور تأليفا وتحقيقا، مما يجعلنا نذهب إلى مايراه بعض المفكرين(٦) أنه صورة رجل ومكتبة يندر أن نجد له نظيرا. ومن ثم نلتقي تأليفا في:

١- الأمثال العامية: وهي مشروحة ومرتبة حسب الحرف الأول من المثل مع كشاف موضوعي. ظهرت منه الطبعة الرابعة عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، و«الكنايات العامية»، وبه ملحق لكتابي الأمثال العامية والكنايات في النحو والصرف وفقه اللغة والبلاغة، ظهرت منه الطبعة الثالثة محققة ومزيدة بما لم يسبق نشره من أصول الكتاب، عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٧٠م، ويقع هذا السفر الرائد في قسمين:

أولهما: معجم للكنايات مرتبة على أحرف الهجاء، جمع فيها تيمور باشا ٣٣٥ كناية(٧)، ونسقها وذيّل كلا منها بشرح مفسرا أصلها اللغوي، وموضحا مغزاها ومرماها، ومن سجلوا المعنى الذي تكني عنه أو ترمز إليه.

والقسم الثاني: ملحق لكتاب الأمثال العامية تتبع فيه مسالك العامية في النحو والصرف وطرائقها في فقه اللغة والاشتقاق، وخصائصها في فن القول مقدما أمثالا من تفننها البديعي وصنعتها البلاغية(٨).

٢- كتاب عيوب المنطق ومحاسنه: وهو دراسة لما يتناوله الباحث من اللفظ العربي وتطوره في الأقوال والأفعال والأحوال والأصوات. قدّم له الدكتور إبراهيم أنيس، ولما استرعى انتباهه طول عنوان الكتاب اقترح على لجنة نشر المؤلفات التيمورية أن يكون عنوانه: «من ثمار ما قرأت»، لأن المؤلف رمز بهذا العنوان إلى رؤوس المسائل التي عرض لها في كتابه، ولعل المنية وافته قبل أن يستقر على عنوان مختصر للكتاب كله(٩)، وقد نشرته دار نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٧٧م.

٣- كتاب لعب العرب، وبعض لعب المولدين: وهو منسق بحسب الترتيب المعجمي في كتب اللغة، والكتاب - على نحو ما يحدثنا الدكتور إبراهيم سلامة في تقديمه له - ثمرة مطالعاته الكثيرة الفنية، فهو يقع على الكلمة عرضا في أثناء المطالعة في بيت من الشعر، أو في عبارة من العبارات فيسير وراء الكلمة يفتش عنها في مظانّها في اللغة، وربما أحالته كتب اللغة إلى شاعر أو راجز فيسير وراءه حتى يقتحم قبيلته، ويقتحم عليه خيمته، ويسمعه شاعرا أو راجزا، عندئذ يقف على أصل المعنى فيثبته في جذاذة، ثم تنضم الجذاذة إلى أختها، وتكون بعد ذلك مجموعة من مجموعاته النادرة، وهو بهذه المقابلة يدرك ما في الكلمة من تصحيف أو انحراف(١٠). وقد نشرته دار نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٨١م.

٤- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: حققه الدكتور حسين نصار ونشرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٣٩١هـ-١٩٧١م، وهو يقع في جزأين. صور لنا أحمد تيمور غرضه من هذا الكنز النفيس، وهو إحياء اللغة العربية الصحيحة بذكر العامي وتفسيره، ورده إلى نصابه من الصحة إن كان عربيّ الأصل، أو ببيان مرادفه - إن لم يكن كذلك - ليحل محله، ويرجع إليه في الاستعمال، فإن جهلناه اقتصرنا على تفسير المعنى وتوضيحه، ليتسنى لمن وجده، بعدنا، أن يتمم ما بدأنا به، ويوفي ما قصرنا فيه، فيكون ذكرنا له بمثابة التنبيه والإرشاد إليه(١١).

٥- المهندسون في العصر الإسلامي(١٢): قدّم له المهندس العالم الوزير أحمد عبده الشرباصي، ونشرته دار نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٧٩م، وكان سبيل أحمد تيمور في التعريف بهؤلاء المهندسين «لم يكن عفوا، وإنما قادتنا إليهم المصادفات أثناء المطالعات، فالتقطناهم من هنا ومن هناك، وجمعنا شتاتهم... قصد أن يكون نواة لغيرنا من الباحثين ومشيرا لهم في التنقيب عن سواهم، حتى يصح بعد ذلك أن نجمع من هذه الأبحاث طبقات لمهندسينا تقوم مقام المفقود من طبقاتهم، وهو في نظري، أقل ما نكافئ به فئة رفعت رؤوسنا بما رفعته من قواعد العمران».

٦- أسرار العربية: وهو معجم لغوي نحوي صرفيّ يحتوى على ذخائر من أسرار العربية، مستقاة من نوادر المؤلفات وأقوال الأئمة في الكتب المخطوطة. أعدته لجنة نشر المؤلفات التيمورية بالقاهرة ١٩٥٤م.

وله أيضا: أوهام شعراء العرب ١٩٥٠م، وتاريخ العلم العثماني، الذي نشرته المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٧هـ، والسماع والقياس، وهو عبارة عن رسالة تجمع ما تفرق من حكام السماع والقياس والشذوذ وما إليها من البحوث اللغوية النادرة في ذخائر الكتب المخطوط والمطبوعة، ونشر عن اللجنة بالقاهرة ١٩٥٥م. والموسوعة التيمورية من كنز العرب في اللغة والفن والأدب، وخيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب، والحب عند العرب، ونظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين...

وله في التراجم: أعلام القرن الرابع عشر، وقد طبع في مجلد واحد بمصرعام ١٩٥٤م، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد طبع ثلاث مرات، والإمام علي بن أبي طالب: شعره وحكمه وأمثاله، وأبو العلاء المعري... وغير ذلك من المؤلفات الخطية أو المطبوعات النفيسة التي تبرهن على قيمته التي ذهبنا إليها في صدر الحديث.

ثانيا: التراث التحقيقي(١٣) بين النظرية والتطبيق: نستكشف الجانب التحقيقي لتيمور

في توجهه العلمي الباكر الذي تنوعت مصادره - على نحو ما قدمنا - من مجالسته أعلام عصره ومحادثتهم والتلقي عنهم، ومقابلاته المستشرقين ومراسلتهم، وإعارتهم مما تحويه مكتبته العامرة التي يدل تصنيفها على إدراكه لفن الفهرسة المعروف حاليا بعلم البيبليوجرافيا(١٤) BIBLIOGRAPHY، وتوالي بحثه عن نوادر المخطوطات العربية في أيّ مكان مستفيدا من مهارته في التصوير الشمسي في خدمة النوادر النفيسة.

وتكشف لنا سيرة تيمور العلمية وهو يتعامل مع مادة الكتاب عن بعض السمات التي يجب أن يتحلى بها القائمون على تحقيق الكتب، كالأمانة والدقة والصبر والتمرس بالأساليب والوعي بالمصطلحات والرموز والتمييز بين أنواع الخطوط، فهو إذا وقف على شيء لم يكن له سبيل إلى العثور عليه إلا بالبحث والتنقيب، قيّده ليجمع إليه نظائره فيما بعد، حتى إذا اجتمع لديه من هذه التقييدات القدر الكافي لتحرير كتاب في موضوع ما، بدأ - حينئذ - في الاستعداد لهذا الكتاب، بما يجب أن لايكون له نظير عند المشتغلين بالتأليف، ومن ثم لم يكن هاويا الإسراع في نشر أعماله، بقدر ما كان حريصا متأنيا قبل إثباته، الأمر الذي دعانا إلى أن نرجّح تأخر نشر أعماله في حياته.

ملامح نظرية التحقيق عند أحمد تيمور

نستكشف ملامح نظرية تحقيق التراث وتوثيقه عند أحمد تيمور في كل أعماله العلمية، فقد كان يفيد من دراسات السابقين، ويدون ما يحث عنه ويسجله، أو يشير إلى الصفحات، ويخلف لنا بيانا شاملا لكل ما قرأ مرتبا مفهرسا حتى لانضل أو نتوه بين تلك الآلاف من الذخائر النفيسة.

وفي ظني أن وعيه المسائل الدقيقة التي تقتضها نظرية تحقيق النص وينشدها المهتمون حديثا من: إلمام بقواعد التصحيف والتحريف، وتعامل مع النصوص العربية نثرا وشعرا، وتفسير لألفاظها، وترجمة لبعض الأعلام وضبطها، وتنبيه على اختلاف نسخ الكتاب والمقابلة بينها، والإحالات، وعزو النص الشعري لقائله.. وغير ذلك من مسائل التحقيق، هي التي جعلت الدارسين يذهبون إلى إطلاق صفة المحقق عليه وارتباطها به، وإن غابت عن الساحة العلمية مؤلفاته التي تضم أصول النظرية وقضاياها.

وتتجلى ثمرة هذه النظرية وهو يتعامل مع المعاجم العربية عامة، على اختلاف مناهج دراستها تصحيحا، وخاصة تعامله مع معجمي لسان العرب(١٥) لابن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، والقاموس المحيط للفيروزأبادي (ت:٨١٧هـ)(١٦)، حيث نطالع في هذين المعجمين تنبيهه إلى بعض الأسس التحقيقية من: صحة اللفظ ودقة الضبط، وما تضيفه التعليقات في الحواشي، وأهمية الإعجام والإهمال، وزيادة الحروف ونقصها، وتنبيهه على اختلاف النسخ في تصحيح الأغلاط، ووصفها، نراه ينص عليها كاشفا عن مراحل عمله وهو يقدم على تصحيح القاموس المحيط الذي لم يسلم بكل ماورد فيه من صحة النص والاحتجاج به، إذ يقول:

فهذه تنبيهات على ما وقع من الأغلاط في نسخة القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، الشيرازي، المطبوعة ببولاق ١٣٠٣هـ، وهي الطبعة الكثيرة المتداولة في الأيدي المشتهرة بالصحة ودقة الضبط، مع ماوشيت به حواشيها من الفوائد التي لايستغني عنها المطالع. وقد كنا قيدنا ما استطعنا تحقيقه من تلك الأغلاط بحواشي نسختنا أثناء المراجعة، ثم رأينا تجريد ما قيدناه وجمعه في هذه الرسالة رجاء تعميم نفعه، ورتبناه ترتيب الكتاب تسهيلا للرجوع إلى مواضعه فيه، بعد أن أضفنا إليه ثلاثة أغلاط، رأينا التنبيه عليها.. مَعْزُوّةً إلى محققيها.. وربمايراها غير جديرة بالذكر لوضوحها كإعجام مهمل أو إهمال معجم، أو نقصان حرف أوزيادته، وعذرنا في التنبيه عليها أن غالب الناظرين في كتب اللغة يتلقون ما فيها بالقبول، اعتماداً على أنها موضع العناية عند المصححين، بل كثيرا ما رأينا من بعض طلبة العلم تسليمهم بصحة ما رُسِمَ في القاموس، وتنزيله منزلة النص في الاعتماد عليه والاحتجاج به، وهو ما دعانا إلى عدم إغفال شيء مما وقفنا عليه(١٧).

من جهوده التحقيقية في إطار تطبيقي

وقد وجه أحمد تيمور هذه الضوابط النظرية للتحقيق في إطار تطبيقي دقيق، نقدم منها:

(١) التنبيه على النسخ وتوثيقها، والنص على ضبط الألفاظ في ضوء القواعد اللغوية:

قال: في مادة ت ر ب - جـ١ ص ٢٢٤ س٧: ابن الأثير: التِّراب جمع تُرْب تخفيف تَرِب، يريد اللحوم التي تعفرت بسقوطها في التراب. وضبط التراب بكسر الأول، وتشديد الراء، والصواب تخفيفها، ولا وجه للتشديد، لأن المطرد في جمع فَعْل بفتح فسكون فعال بالكسر، وتخفيف العين، وبه ورد في نسخ نهاية ابن الأثير التي بين أيدينا(١٨).

وقال: وفي مادة ش ع ب - جـ١ ص ٨٨ س ١٤: والشعوبَى قرية باليمن، وبالضم محتقر أمر العرب وهم الشعوبية، وضبطت (الشعوبى) بفتح الموحدة، أي على أنها مقصورة، ومقتضى العبارة أن: محتقر أمر العرب مثلها في ذلك لايختلف عنها إلا بضم أوله، وهو شيء لم يقل به أحد، لأن الياء التي بآخره لنسبة مشددة مكسور ما قبلها.. والذي في نسختي كلكته المطبوعتين ١٢٣٢هـ، و ١٢٧١هـ ونسخة المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٩هـ والشعوبيّ قرية باليمن الخ، بكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية، والظاهر أنه الصواب المتعين من ضبط اللفظ الثاني، وقد وردت هذه اللفظة في نسخ القاموس المخطوطة التي اطلعنا عليها بلا ضبط، إلا أن الياء وردت فيها منقوطة، وبه يستأنس في عدم القصر. ولم يذكر ياقوت في معجمه، غير شعوب لقصر باليمن أو بساتين بظاهر صنعاء(١٩).

(٢) التنبيه على الأغلاط اللغوية، وتصحيحها في ضوء المسائل الصرفية والقواعد النحوية:

قال: في مادة بـ س أ - جـ ١ ص ٢٥: بسأ به، يَبْسأُ بَسْأً وبُسُوءاً وبَسِئَ بَسَأً: أنس به..

قال زهير:

بسأتُ بنَيِّها وجَوَيتُ عنها
وعندي لو أردتُ لها دواء

وفي هذا البيت ثلاثة أغلاط: الأول: إسناد الأفعال فيه إلى المتكلم، والصواب أنها للمخاطب، وبروايته عندك بدل عندي...

والثاني: ضبط جويت بفتح الواو، والصواب كسرها، ومعناها هناك كراهة الطعام، وعدم استمرائه، وبه ضبط بالقلم في هذا البيت في مادة (ج و ي جـ١ ص ١٧٢).

والثالث: رواية بنيها على أنه تصغير: ابن منصوبا على المفعولية ليسأت، ولا يستقيم به المعنى، فضلا عن أن بسأ متعد بالباء، فالصواب (بنِّيها) بثلاث كسرات على أن تكون الباء للجر، والنِّيِّ الذي لم ينضج، وأصله: النيء بالهمز...(٢٠).

(٣) ضبط الأعلام:

قال: وفي مادة: ج د ب ـ جـ١ص٤٤، س٢٤، وأم جندب الداهية بكسرة واحدة، في آخر (جندب)، ولا وجه له، فالصواب: تنوينه، كما ضبط بعد ذلك في هذا السطر(٢١).

(٤) عَزْو الشعر لقائله، وبيان العلة في ضوء قرائن اعتماد الشعر:

قال أحمد تيمور: وفي مادة خ ف ف ، جـ١، ص ٢٤٨، روى لبيد: خَفَّ القَطِين فراحوا منك أو بكروا.

والبيت مطلع قصيدة للأخطل، لا لبيد، وهي رائيته المشهورة في مدح بني أمية، أما بيت لبيد فهو:

راح القَطِين بهجرٍ بعدما ابتكروا
فما تُواصلهُ سَلْمى وما تَذَرُ

فاشتبه البيتان على المصنِّف، أو من نقل عنه، لأن كليهما فيه قطين و رواح وبكور مع الاتحاد في الوزن والقافية. وخالف شارح القاموس هنا، فنسب البيت للأعشى، والصواب ما ذكرناه(٢٢).

(٥) الإحالات:

يقدم لنا نموذجًا للإحالات وأهميتها في تكامل العمل العلمي مصححًا عزْو البيت الشعري في قوله: في مادة س م ح:

قال أحمد تيمور: في مادة س م ح، جـ ٣، ص٢١٩، روي لجرير:

غلب التساميحَ الوليدُ سماحةً
وكفى قريشَ المعضلات وسادَهَا

والبيت ليس لجرير، بل هو من قصيدة طويلة لعدي بن الرِّقاع، أنشدها في مجلس الوليد بن عبدالملك، وجرير والفرزدق حاضران، ولهما نادرة في بيت منها ذكرناها في ص٣٢ من القسم الأول من هذه الرسالة، وقد قلد شارح القاموس اللسان في هذا الوهم كعادته في نقل كل ما فيه كما هو (٢٣).

(٦) النص على وقوع التصحيف، وتوثيق صحته من المصادر:

قال أحمد تيمور: وفي مادة ف ث أ ـ جـ ١ ص ١١٥ س٢: وفي أمثالهم في اليسير من البرد أن الرثيئة تفثأ الغضب، وأصله: أن رجلاً كان غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعا فسقوه رثيئة فسكن غضبه وكف عنهم، وروي (نفثأ) بالنون في أوله، والمراد: لايخفى أن الرثيئة وهي اللبن الحامض يحلب عليه فيختر تسكن الغضب، فالصواب: تفثأ بالمثناة الفوقية، وبه روي المثل في كتب الأمثال، وبه روي أيضا في مادة (ر ث أ ـ جـ١ ص٧٦ س٢٢)، إلا أنه صحف تصحيفا آخر فجاء فيها: وفي المثل الرثيئة تقثأ الغضب أي تسكره وتسكنه بالقاف، والصواب: بالفاء(٢٤).

(٧) النص على التحريف، ونوعه:

قال: وفي مادة ق و ب، جـ٢ص١٨٦، س١٢: ابن سيده: قاه ب الأرض قوبا وقوَّبها...الخ. وهو تحريف مطبعي، صوابه: ابن سيده: قاب الأرض...الخ(٢٥).

ولخطورة هذين الأمرين في فهم النص، وأثرهما في تغيير المعنى، يصرح في افتتاحية بعض أعماله العلمية بقوله: ومنه ما حرفوه بعض التحريف بتغيير حركة بحركة مثل: (قفل) بالكسر في) (قُفل) بالضم، و(حَندوق) بالفتح في (حُندوق) بالضم، وحاله في الذكر كحال سابقه، إلا إذا وافق تحريفه من لغات العرب كقولهم: (شعير) بالكسر في (شَعير) بالفتح، وككسرهم أحرف المضارعة، فنذكره لبيان ذلك، إما في حرفه من الكتاب، إن كان خاصا بالكلمة، أو في باب القواعد، إن كان عاما. ومنه ما أُبقي على أصله، إلا أنه استعمل في غير معناه، إما اعتباطا، أو تجوزاً لعلاقة ما، فمثله نذكر، ونبين الصواب فيه، ومنه ما كان التغيير فيه كثيراً، أو بدلت بعض أحرفه بأخرى، وحاله في الذكر كحال سابقه(٢٦).

ونلاحظ في تصحيحات أحمد تيمور أنه لايُعْفي النساخ والمطابع من إحداث بعض الأخطاء التي وجهت العبارة على غير وجهها فدخلها التحريف أو أصابها الخطأ اللغوي(٢٧).

الهوامش:

(*) عائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٢م): شاعرة أديبة، نظمت الشعر بالعربية والتركية والفارسية. ولدت وماتت بالقاهرة. توفي زوجها توفيق الإسلامبولي بالآستانة، ثم والدها، فعادت إلى مصر، وعكفت على الأدب. نشرت مقالات في الصحف أعلت شهرتها. لها ديوان «حلية الطراز»، وكتاب «نتائج الأحوال»، أما ديوان شعرها التركي فاسمه «كشوفة». أطلقت عليها مي زيادة اسم: شاعرة الطبيعة، ولها دراسة مشهورة عنها.

(١) انظر في ذلك: الأعلام لخير الدين الزركلي ١٠٠/٩، الطبعة السابعة، بيروت ١٩٨٦م، والموسوعة الثقافية ٣/٨، مطابع دار الشعب بالقاهرة، بإشراف الدكتور حسين سعيد، ١٩٧٢م، وأعلام وأصحاب أقلام للأستاذ أنور الجندي، دار نهضة مصر بالقاهرة، ص١٧. وانظر: عبدالسلام هارون محققا ودارسا نحويا، رسالة دكتوراه غير منشورة مودعة بكلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٩١م للباحث، بإشراف د. يوسف نوفل، د. عفاف محمد حسانين، ص١٨٧.

(٢) الأمثال العامية، بقلم العلامة المحقق أحمد تيمور، كلمة اللجنة: د، الطبعة الرابعة بمركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) الأمثال العامية: هـ من كلمة اللجنة.

(٤) السابق: هـ.

(٥) السابق: و.

(٦) من هؤلاء الأستاذ أنور الجندي في كتابه: أعلام وأصحاب أقلام: ١٧.

(٧) بالرجوع إلى عددها، وجدتها: ٣٣٦ كناية، وليست كما ذكرتها اللجنة.

(٨) من كلمة اللجنة: (٥).

(٩) عيوب المنطق ومحاسنه: (٥) من تصدير الدكتور إبراهيم أنيس.

(١٠) لعب العرب وبعض لعب المولدين: ٨٠

(١١) معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: ج١ ص١٨.

(١٢) المهندسون في العصر الإسلامي: ٩، من مقدمة الكتاب.

(١٣) يرجح الباحث أنه لا خلاف بين المفاهيم العلمية والاصطلاحية التي أوردها المهتمون بهذا الفن الدقيق، وما أثبتته المعاجم العربية لكلمة التحقيق. ويذهب إلى أن التحقيق: «عملية علمية متداخلة تقتضي في النص الأصلي - مخطوطا أو مطبوعًا - محاولات أمينة صادقة لإخراجه مضبوطا قراءة وكتابة على الصورة التي أثبتها عليها صاحبه، أو على الأقل أقرب ماتكون إليها». «عبد السلام هارون محققا ودارسا نحويا، ص١٩.

(١٤) المكتبة العربية والمصادر: د. يوسف نوفل، دار الغد العربي بالقاهرة ط٣، ١٩٩١م، ص٢٩.

(١٥) كتبه أحمد تيمور في جزأين، عنوانهما: تصحيح لسان العرب. طبع الجزء الأول منه بمطبعة الجمالية بالقاهرة عام ١٣٣٤هـ، ويقع في ٥٩ صفحة، وطبع تصحيح الجزء الثاني منه بعناية محمد عبدالجواد الأصمعي في المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٣هـ، ويقع في ٤٨ صفحة.

(١٦) كتبه أحمد تيمور بعنوان: تصحيح القاموس المحيط، وأصدرته المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٤٣هـ، ويقع في ٤٩ صفحة.

(١٧) وانظر الكلام نفسه في تصحيح لسان العرب (٤)، (٤٤).

(١٨) تصحيح لسان العرب:٥.

(١٩) تصحيح القاموس المحيط: ٦ و ٧.

(٢٠) تصحيح لسان العرب: ٤.

(٢١) تصحيح القاموس المحيط: ٦.

(٢٢) السابق والصفحة.

(٢٣) تصحيح لسان العرب: ٤٥ أثناء حديثه عن أوهام المصنف التي خرجت عن أغلاط الطبع.

(٢٤) تصحيح لسان العرب: ٤، ٥.

(٢٥) السابق: ٩.

(٢٦) معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: ج١ ص٢٠.

(٢٧) انظر ما نص عليه تيمور في مادة: بسأ، ومادة: قوب.



حق الله في التشريع إلى أين؟

الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: للقانون الطبيعي ثلاثة مبادئ عامة سميت أوامر القانون، وهي:

١ـ أن تعيش بأمانة.

٢ـ وأن لاتؤذي أحدًا.

٣ـ وأن تعطي كل ذي حق حقه(١).

قال أبو عبدالرحمن: ويمكن اختصارهن في مبدأين، فتجعل الثاني والثالث شيئًا واحدًا، لأنك إذا لم تعط كل ذي حق حقه فقد آذيته، ولأن من حق كل أحد أن لا تؤذيه.

ويمكن جمعهن في مبدأ واحد يكون مبدأ القانون الطبيعي، وهو أن يعيش الإنسان بأمان وأمانة.

قال أبو عبدالرحمن: الإنسان يشمل أنا، وأنت، وهو.. فبالأمان تأخذ حقك، ولا يؤذيك أحد، وبالأمانة تعطي غيرك حقه، ولا تؤذيه.

والحق الطبيعي لهذا القانون هو الحق في الحياة.. وأصبحت الحياة حقا طبيعيًا لأن في الطبيعة الإنسانية غريزة اسمها حب البقاء.

قال انتيفون: «من القوانين الطبيعية أن يسعى الإنسان إلى ما يبقيه حيًا، وأن يبتعد بقدر الإمكان عما يميته أو يؤذيه»(٢).

قال أبو عبدالرحمن: كل ما هو من طبيعة الإنسان فللإنسان الحق الطبيعي في أن يعيشه.

وإذن فالحق الطبيعي ليس هو مطلق الحق في الحياة، وإنما هو الحق في الحياة الطبيعية التي تتحدد حسب القدرة، وتتحدد صفتها حسب الرغبة الصادرة عن حرية اختيار، وهذا ما عناه سبينوزا عندما قال في رسالة السياسة واللاهوت: «حق الطبيعة يمتد بقدر امتداد قدرتها.. وحق الموجود ما يقع تحت قدرته».

قال أبو عبدالرحمن: الصواب أن حقه ما يقع تحت رغبته وإرادته.. والقدرة لتحديد مدى إشباع الرغبة، وتشمل القدرة حركات الجسم، والقوى العلمية والنفسية كالإدراك والإحساس.

وطبيعة البشر غريزية وعقلية؛ إلا أن سبينوزا يجعل الحق الطبيعي للعقل بمعنى حق الناس في شهوات غرائزهم، ولهذا قال ملحم قربان: «وقد زاحم هذا التأويل للمفهوم الطبيعي(٣) تأويل مغاير رغم أن الطبيعي ـ وخصوصا كما يعبر عنه في الانسان ـ هو الأنانية، والأثرة، وتوكيد الذات، والرغبة في الملذات»(٤).

قال أبو عبدالرحمن: من كمال تصور القانون أن تنظر إلى الإنسان غير متمتع بالطبيعة وحده.. وهكذا تنظر إلى الفرد من أفراد الناس.

وكل حي في الطبيعة يرغب حسب قدرته وإرادته ـ بالغريزة والعقل ـ أن يبقى على أقصى ما تقدر عليه رغبته.

ووُجدت في الطبيعة أشياء تموت لعوارض اعترضت قدرتها، وأخرى تموت لأن لها وعيًا أو عقلاً تتكيف به مع المخلوقات إلا أنها عطلت قدرتها، أو جارت عليها فماتت نتيجة التقصير أو التحسير.

ووُجدت كائنات انسجمت مع واقعها، وعاشت تمام رغبتها مقيدة بقدرتها، وعاشت بما لا تحلم به بما هو فوق قدرتها حتى انتهى أجلها بما هو فوق قدرتها.

فهذه هي أحوال الطبيعة التي يُستنبط منها قانونها.

قال أبو عبدالرحمن: والمبادئ المستخلصة من قدرة الموجود الطبيعي العاقل على التكيف مع الطبيعة دون تنظيم من خارج ـ لو افتُرض حصول هذا ـ ليست حقوقًا طبيعية، وإنما هي قوانين طبيعية.

وفرق بين الحق والقانون؛ فقد يكون القانون حقًا عليك لا لك، وقد يكون مجرى سنة كونية لا حق لك فيه، ولا حق عليك فيه لذاته هو كحتمية الموت.

والحقوق مقتضيات القوانين المكتوبة للتشريع؛ فالأحوال الطبيعية وقوانينها يبني عليها الناس حقوقًا وقوانين تشريعية قد تُسمى قوانين إلهية(٥)، أو وضعية، أو طبيعية، ويحرصون أن تكون لصالح الإنسان لتحقق سعادته واتزانه مع غيره في الكون.

قال أبو عبدالرحمن: أحوال الطبيعة وقوانينها أمور مشاهدة محسوسة.

والقانون التشريعي الذي ينشد سعادة الإنسان يقوم على الترجيح بالأولويات، وليس في الطبيعة ألواح تقول: هذا أولى من هذا حتى نعتبر القانون التشريعي حقًا طبيعيًا.

والعقل لايستقل بمعرفة الأولويات، لأن هذه المعرفة تقوم على العلم المحيط بالكون، والهيمنة الكاملة عليه، وليس ذانك إلا لله سبحانه.

والطبيعة سجية الموجود التي وجد عليها، وهي عرف اصطلاحي على الكون المخلوق.

قال شيشرون: «القانون الصحيح هو العقل السليم المنسجم مع الطبيعة لايتغير ولايزول.. يأمر الناس بواجباتهم فيمنعهم عن ارتكاب الجرائم.

وهو وإنْ أثَّر على الأخيار من الناس فلا يؤثر على الأشرار منهم»(٦).

قال أبو عبدالرحمن: الطبيعة ملك الله وخلقه، وعقل البشر جزء منها، والله لم يحرج العقل بالاستقلال مع محدوديته وتعرضه لضلال الشهوات والشبهات، فصار خبر خالق الحقيقة مددًا وهداية لعقل يسعى لاكتشاف ما يقدر عليه منها.

كما أن استقلال العقل إسقاطٌ حرٌّ لحق الله، وتفريط في سعادة دار أبدية سيحياها الإنسان بخير أو شر غير حياته الدنيا المؤقتة.

قال أبو عبدالرحمن: وعند القديس أوغسطين القانون الطبيعي أول قواعد العقل(٧).

وذهب الإسباني سواريز ـ في تعبير وثني كافر ـ إلى استقلال القانون الطبيعي عن تدبير الله شرعًا وكونًا مادامت أوامر عقل الإنسان تقوم بهدايته(٨).

قال أبو عبدالرحمن: تكون هذه صفة العقل لو كان علاّمَ الغيوب، الضامن للجزاء، المهيمن قدرة وحكمة وعلمًا.

وقالوا عن دور العقل: ويشترك أصحاب الديانات السماوية وأصحاب الفلسفة في القول بالقانون الطبيعي، لأن مفهومه الأساس الكرامة الإنسانية الداخل في العنصر المشترك للعقل الإنساني.

وهو يرجع إلى مفهوم القانون العام الذي يتسرب في جميع أنحاء الطبيعة ومجمل الكون، وينشأ من مبدأ إلهي للعقل(٩).

قال أبو عبدالرحمن: مادام العقل صادرًا عن مبدأ إلهي، فليكن من العلم أن خالقه هو الذي أحال إلى علم أكمل وأعدل وأحكم وأرحم، وهو شرع الله خالق العقل.

وعقد الدكتور ملحم قربان بابًا بعنوان «مختارات تاريخية» على أنها نصوص للقانون الطبيعي، وأول نص قول أخناتون: «إله واحد، وعالم واحد، وقانون عالمي واحد توافق البشر».

ثم نقل نصوصًا أخرى له عن الوحدانية، وقال: هل هذا نص للقانون الطبيعي؟(١٠).

قال أبو عبدالرحمن: هذا مزج وتعميم قاله عنه الدكتور ملحم قربان: هكذا ينشأ التميز بين الطبيعي والمصطلح عليه، ويدمج الطبيعي بالقانون الإلهي المسيطر على الإنسان وعلى الطبيعة معًا.

وتصبح الطبيعة من هذه الزاوية ذات مفهومية وغاية وإحسان، ويسبغ هذا الاتجاه على المفهوم صبغة أدبية وربما دينية(١١).

وللحكم ببناء القانون الطبيعي على العقل جاء التأكيد بأن قوانينه التفصيلية كالعدالة تتضارب مع الغرائز والعواطف الطبيعية للإنسان التي تحمله على التحيز والتعجرف والثأر.

ولضرورة الجزاء لسيادة قانون العقل كان لابد له من سلطة، لأن القوانين الطبيعية عقود، والعقود من دون سيف مجرد كلمات(١٢).

وقد وصف بركتن القانون الوضعي بأنه عقال السلطة.

ووصف القانون الطبيعي بأنه ملزم للقانون الإنساني(١٣).

ووصفه مونتسكيو بأنه روح الشرائع(١٤).

قال أبو عبدالرحمن: قد أسلفت أن الطبيعة والعقل ـ وهما مصدرا القانون الوضعي عندهم ـ مُسَيَّران بإرادة إلهية.

ومادام التسيير بإرادة إلهية كونية: فلا يجوز تعطيل برهان دلَّ على أن لذي الإرادة الكونية شرعًا يصلح خلقه، فذلك هو الحق الإلهي الشرعي الذي جعل الله للناس حرية طاعته وعصيانه، وأمرهم بطاعته.. بخلاف سنته الكونية التي لايملكون لها تبديلاً.

ولكن عامة البشر مدفوعة بالشبهات والشهوات، ولقد استخرج فولتير فكرة القانون الطبيعي من فكرة الدين الطبيعي.

والدين الطبيعي معنى مرادف للقانون الطبيعي حيث يُبنى الدستور على شهوات الجسد، وحرية النوازع.

والعقد الاجتماعي عند هؤلاء لإكساب الدين الطبيعي معقولية ومشروعية.

وبعضهم يرى أن العقد الاجتماعي فضول؛ لأن الطبيعة في ذاتها دين تلقائي، ومن هؤلاء روبرت م. ماكيفر؛ فإنه ذهب إلى أن الناس في حالتهم الطبيعية ذوو أواصر اجتماعية لاتحوجهم إلى عقد.

بل الإنسان حيوان اجتماعي كما قال

أرسطو، والحكومة ظاهرة أجتماعية(١٥).

ومن الشبـه في تعطيل الحق الإلهي أن القائم به طغيان الإمبراطور ودكتاتوريته، وأكاذيب البابا، وترويجات الكنيسة.

قال أبو عبدالرحمن: وأضافوا إلى هذه الشبهة أن سيادة الملك مخولة له من الله، فطغيانه حكم بالحق الإلهي(١٦).

وهذه مغالطة لأن كون هذا الطاغية الحاكم بغير ما أنزل الله سُلِّط على قوم إنما هو قضاء قدري لا شرعي.

قال أبو عبدالرحمن: وسلوك خلق الله ليس حجة على الله، ومحل النزاع براهين فكرية وحسية عن هذا الكون: هل خلق نفسه، أم جاء مصادفة، أم له خالق.

ومع الإيمان بخالق واحد يكون الموضوع والبراهين الأخرى على صلاح كون الله هل يكون بشرع الله أو بغيره؟.

وشرع الله ذاته لايرضى بغير أمناء عدول يتلقون الشرع، ويبلغونه وينفذونه.

ثم يلوذ معطلو الحق الإلهي ببدائل ساذجة تافهة يريدونها محل الحق الإلهي كالأساطير.

قال روبرت م. ماكيفر: وتتخذ الأساطير الاجتماعية في بعض الثقافات شكلاً خلقيًا مستقلاً (استقلالاً يكاد يكون تامًا) عن أي وحي سماوي.

وهذا ما حدث للأسطورة الصينية؛ فهي تبشر بفضيلة التقوى، وتوحي بالقيام بالواجبات تجاه العائلة والأقربين، وتشدد على واجبات الزوجة تجاه زوجها، والأطفال تجاه ذويهم، والأقارب تجاه أقاربهم.

ولكنها تعطي هذه الواجبات قيمة ذاتية لاتصدر عن وحي إلهي أو تدخل علوي.

وجزاء من يؤدي هذه الواجبات تقدير الأحياء ومباركة الأموات(١٧).

والحكومة أوامر اجتماعية لأنها ظاهرة اجتماعية كما في موازنة روبرت م. ماكيفر بين العائلة والحكومة.

ثم ذهب في سياق ميتافيزيقي يدعي أن الأوامر الاجتماعية ـ أي دستور الدولة ـ لابد أن تستند إلى الأسطورة، لأن المجتمع يتنفس الأسطورة كما يتنفس الهواء(١٨).

ويفسر بناء الدولة على الأسطورة بأن للمجتمع حكمة أسطورية تقتضي تنظيم بنية جهازية ينشأ عنها تقديس السلطة(١٩).

قال أبو عبدالرحمن: تقديس السلطة لاينتج من تقديس الأسطورة، وإنما ينتج من قدسية الواجبات التي تؤديها السلطة، والحقوق التي تدافع عنها. وموجز هذه الجولة أن الحكومة أوامر اجتماعية، لأنها ظاهرة اجتماعية كما في موازنة روبرت م. ماكيفر بين العائلة والحكومة.

والأوامر الاجتماعية دستور الدولة، ولابد أن تستند إلى الأسطورة لأنها تعبر عن حياة المجتمع!!.

والحكومة في العقد الاجتماعي مناط صرف الحقوق كالحريات، ومناط القيام بفعل الواجبات كالمحافظة على أملاك الرعية.

والعقد عند أناس مثل سبينوزا مقتضى طبيعي، وعند هوبز وضعي وليد إرادة إنسانية.

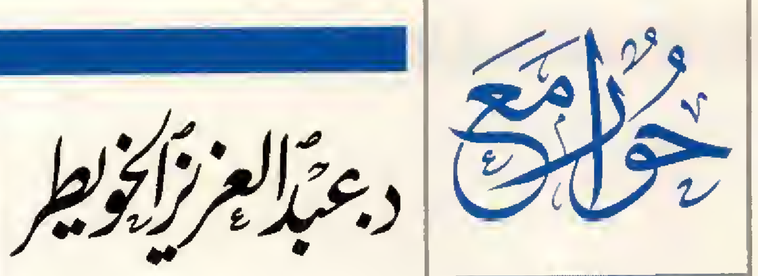
ومن الطبيعة سنة كونية: إما حتمية على الإنسان لافعل له فيها، وإما تتعلق بحريته وقدرته، وكل فعل ينتج نتيجة.

والحق الإلهي يقابل بحرية السلوك الإنساني فيكون المراد به شرع الله.

وهرب قوم من شرع الله فجعلوا القانون الطبيعي هو حق الله الإلهي، لأنه قدره الكوني.

الهوامش:

١ـ انظر: قضايا الفكر السياسي/ القانون الطبيعي، ص٩٦.
٢ـ السابق نفسه، ص٢٧.
٣ـ قال أبو عبدالرحمن: يعني تأويله بنظر العقل مدموجًا بالقانون الإلهي الكوني.
٤ـ القانون الطبيعي، ص٢٦.
٥ـ منهم من ينظر إلى أن قوانين الطبيعة ناموس إلهي، فيجعل التشريع الوضعي إلهيًا لهذا الملحظ. ولكن الاصطلاح السائد أن الحق الإلهي والتقنين الشرعي الإلهي ما صدر عن أمر الله الشرعي بطريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.
٦ـ قضايا الفكر السياسي/القانون الطبيعي، ص٤٠.
٧ـ السابق نفسه، ص٤٣، وقد تقصى في هذا الكتاب أقوالاً كثيرة عن معنى القانون الطبيعي وحكمه عند الفلاسفة والقسس والساسيين.
٨ـ قضايا الفكر السياسي/الحق الطبيعي ص٧٣.
٩ـ المرجع السابق ص٤٩ بتصرف واختصار.
١٠ـ قضايا الفكر السياسي/القانون الطبيعي ص٢٣، وعرف بأخناتون بأنه عاش سنة ١٤٠٠ تقريبا قبل المسيح وعمره ثلاثون سنة عند وفاته، واسمه أمحتب الرابع، ومعنى أخناتون مكرس الله: أي المبشر بإله واحد.
١١ـ القانون الطبيعي، ص٢٦.
١٢ـ قضايا الفكر السياسي/القانون الطبيعي، ص٥١ بتصرف واختصار.
١٣ـ تكوين الدولة، ص٨٩.
١٤ـ قضايا الفكر السياسي/القانون الطبيعي، ص٦٢. ومن السذاجة تعطيل العقوبة والجزاء بهيام صوفي، فإن القانون الطبيعي لما انتُقد بأنه يشجع الأشرار، لأنه لايتضمن عقابًا ولا قصاصًا، رد الدكتور ملحم قربان بأن هذا مدفوع بقول شيشرون: «كما أنه هنالك رب واحد مشترك بين جميع الناس حاكما وسيدًا: فهو الذي يسن هذا القانون، وإن من يتمرد على هذا القانون فهو خارج على نفسه، ولأنه بفعله هذا يتنكر لطبيعة الإنسان، فإن عقابه لعظيم حتى وإن تمكن من أن يهرب من قصاصات تفرضها عليه الناس».. انظر القانون الطبيعي ص٤٠.
١٥ـ تكوين الدولة ص٣٨-٣٩، وانظر ص٤١-٥٧ حيث قارن الحكم في الرعية بالحكم في العائلة لأن التنظيم العائلي صورة مصغرة للتنظيم الحكومي، وجعل من هذه الموازنة برهانًا على فساد مذهب الفوضويين المبشرين بمجتمع لا تكون فيه دولة. أما مفكر الثورة الفرنسية جان جاك روسو؛ فقد وصف روبرت م. ماكيفر مذهبه بأنه استسلام تصوفي حيث يتحول البشر عن الإرادة الخاصة لكل واحد منهم إلى إرادة عامة.. انظر تكوين الدولة ص٣٧، وانظر عن مذهب روسو: قضايا الفكر السياسي/القانون الطبيعي ص٥٧-٥٨.
١٦ـ تكوين الدولة، ص٧٠.
١٧ـ المصدر السابق، ص٦٢. وقالوا: إن الوحدة الدينية السائدة دفعت الجماعة إلى النظر إلى الملك على أنه معين من قبل الله.. انظر تكوين الدولة ص٩٢-٩٥.
قال أبو عبدالرحمن: التعيين من قبل الله شرعا أن تكون البيعة على شرع الله. وأي خروج من الحاكم على البيعة اعتداء على حق الله، وليس حكمًا به.
١٨ـ انظر: تكوين الدولة، ص٥٩-٨٠.
١٩ـ تكوين الدولة، ص٦٤.





أجراه: **محمود رداوي**

الأديب والمفكر الدكتور عبدالعزيز الخويطر أحد الذين ساهموا في خدمة مجتمعاتهم، وتطويرها إلى الأفضل، وذلك من خلال توظيف قلمه في كتابات صحفية وأدبية، ومن خلال المسؤولية المنوطة به في المجالات العلمية والوزارية المختلفة. فهو رجل نبت في قلب الجزيرة العربية، وعاش وترعرع وتعلم في بيئتها، ومن ثم هيأته الظروف إلى المتابعة العلمية خارجها، في بلاد العلم والحضارة، فواكب العصر بفكره وعقله ووجدانه وقلبه، وأحس بمفارقات الحياة بكل وجوده، فلا يعقل أن ينفصل عن واقع الحياة ومنطقها في سُنَّة التغيير والتجديد.

من هنا وجدنا ضرورة محاورته؛ بوصفه أديبا تضمه قائمة النخبة الأدبية السعودية، يستحق أن نعرف تجربته مع بعض القضايا التي أثارت اهتمامه في الكتابة والتأليف، وتوظيف التراث بمختلف فنونه وألوانه.

نود أن نعرف شيئًا عن تجربتكم مع الكتابة والتأليف منذ البدايات الأولى.. وهل ثمة ما يمكن أن نجده من صعوبات مما يعترض البدايات الأولى لكثير من الأدباء؟!

* كانت بدايتي الأولى مع البحوث المحدودة التي كان أساتذتنا في الجامعة يكلفوننا بها، ويرشدوننا إلى المراجع التي يمكن أن نستقي منها المعلومات، ويهدوننا إلى الطريقة التي يمكن بها أن نسير في كتابة البحث، وما يسبق ذلك من خطة، ثم جمع معلومات، ثم التنسيق بينها، واستخراج ما يمكن أن توحي به من أفكار.

ثم جاءت مرحلة كتابة الرسالة العليا، وهي المحك النهائي لمقدرة الشخص على الكتابة، واكتشاف ما إذا كان لديه ملكة لذلك أم لا، وعادة ينطلق حامل الماجستير أو الدكتوراه بعد ذلك إلى دخول ميدان الكتابة، بنشر رسالته، ونشر ما حصل عليه من معلومات لم تتسع الرسالة لها؛ أو أن هذه المعلومات جانبية، وليست في صلب الموضوع، وكم جاء من مثل هذه المعلومات من فوائد، وأصدر منها كتب ومقالات.

هذه هي السبيل التي مررت بها لبدء الكتابة، ولا أنسى موضوعات الإنشاء التي كنا نكلف بها ونحن في مرحلة التعليم العام، فهذه كان لها الأثر الكبير في دخولي وغيري إلى عالم الكتابة والتأليف فيما بعد، ولا أنسى بعض الإرشاد الذي أسداه لي أساتذتي في التعليم الثانوي، ولعل أهميته جاءت في مرحلة السن الغضة التي تستوعب بسهولة، ما يأتيها مخلصا، بينا، واضحا، ومشوقا.

وبعد أن نشرت رسالتي عن الظاهر بيبرس - بعد أن ترجمتها إلى اللغة العربية - التفتُّ إلى ما انشغلت به من مواد التدريس في جامعة الملك سعود، فكتبت، وحققت،

الدكتور عبدالعزيز الخويطر

البطولات المواكبة لتوحيد المملكة تتعدى حدود التخيل

ونشرت حصيلة الجهد في هذا. وتنازعتني قوتان، جاذبية القراءة، وجاذبية الكتابة، وكانت الأولى أقوى، ومع هذا فلا يتبين لغيري إلا الجهد الكتابي. وأخذتني القراءة، واستحوذ العمل على جزء كبير من وقتي، حتى طرق باب فكري حاجة الشباب إلى معرفة ماضي بلادهم، فكتبت «أي بني»، وكانت النية أن يكون جزءًا واحدًا، يساهم في نشاط الجنادرية السنوي، ولكنه امتد إلى خمسة أجزاء، و«أي بني» قادني إلى «إطلالة على التراث»، لأني شعرت أنه إذا كان الشاب السعودي في حاجة إلى أن يعرف ماضي المملكة، فهو في حاجة مماثلة إلى معرفة ماضي المسلمين والعرب، وجعلت اتجاه الإطلالة يأخذ سبيلين، ينشر شيء منه في الصحف، ليتذوق القارئ ما فيه، ثم يوضع في سلسلة من الكتب تترى، وقد خرج منها حتى الآن عشرة أجزاء، والحمد لله على عونه، وأرجو أن يأتي بالنتيجة المرجوة.

- لاقت كتبكم، ولاسيما كتاب «أي بني» بأجزائه الخمسة، استحسانًا وإعجابًا من معظم الدارسين والباحثين والمثقفين بوجه عام.. ماذا يمكن أن تقولوا فيما كتب عنها؟! وماذا يمكن أن تقولوا أنتم عنها ثانيًا؟! هل حققت شيئًا من هواجسكم ورؤاكم وأنتم تكتبون وتؤلفون؟

* ما وصلني من الإخوان والأصدقاء عن كتابي «أي بني» هو الذي شجعني على الاستمرار في كتابته، فبدلاً من أن يكون جزءًا واحدًا، استجابة لهذا التشجيع، امتد إلى خمسة أجزاء. وأنا أدعو الله أن يجزي من كتب عنها خيرًا على ما قالوه، وما قالوه وما شعرت به ممن يحدثني عنها، يجعلني راضيًا عنها، ومن يدري فقد تتجمع مادة كافية لزيادة عدد الأجزاء في المستقبل. ورضاي عنها جاء أيضا من منحى آخر، هو أني لمست أنها جاءت بالتأثير الذي قصدته.

وفي «إطلالة على التراث» بينت في المقدمة للجزء الأول خطة عملي فيها، وبينت أنني وضعت كثيرا مما اعتقده في الحياة، وما أومن به، في ثنايا ما جئت به من آراء، وهي متفرقة هنا وهناك؛ وأشعر أنها بهذه الطريق أقرب للقبول، مما لو جاءت متجمعة في مقال أو في كتاب.

- تراثنا العربي، من تاريخ وأدب وغيره، هل أحسن توظيفه في كتاباتنا المعاصرة الإبداعية والملحمية؟ ماذا قدمتم في هذا المجال لثقافتنا العربية؟! وماذا تقولون في زاوية (إطلالة على التراث) التي يتابعها القارئ العربي شهريًا على صفحات المجلة العربية.. وما نشر منها في كتب؟! أليس فيها بعض من ذلك التوظيف الأدبي والإبداعي؟!

* الحكم على التراث العربي حكمًا عاما جازمًا صعب، ومزلة، وقد يكون أحسن توظيف تاريخه وأدبه في بعض الجوانب، ولم يحسن في جوانب أخرى، والإحسان أيضا درجات، وعدم الإحسان كذلك، والأدباء في العصر الحديث تطرقوا كثيرًا إلى الأدب العربي وتاريخه، ووظفوه في حدود تخصصهم، وميلهم، والرسائل الجامعية قامت بدور فعال في بعض جوانب التراث، وتجاهه. ومن الصعب معرفة مدى تأثير التراث فيما يكتب، فقد تكون الكتابة متأثرة دون أن يشعر بها أحد، حتى كاتبها؛ لأن مخزون التراث العربي في ذهن العربي كبير، ومتغلغل، ويخرج عند اللزوم، يفرض نفسه دون أن يستدعى؛ فكاتب قصة الحب، قد لايدري أنه تحت تأثير جانب من جوانب الغزل في الأدب العربي، وكاتب قصة الخيال لايدري أنه منفعل بقصص والدته عندما كان طفلاً. أعتقد أن التراث العربي خُدم خدمة جلى، سواء قصدًا أو عن غير قصد؛ إلا أن الأدب العربي ثر وواسع، ويحتمل أن يغرف من معينه الكثير دون أن ينقص بئره. والشعر من جوانب التراث التي خدمت، وما لم يأت على نمط شعر التراث معزول، ومعوق، وقصير الحياة.

وفي إطلالة على التراث حاولت من إحدى الزوايا أن أرى بعض المنافذ للاستفادة من التراث؛ بل إن القيمة التي أعطيتُ فكرة عن مداها في التراث هي دعوة للاستفادة منه، سواء صرّحت بهذا أو ألمحت، فعندما أتحدث عن بعض قصص الحيوان التي تحمل الحكمة؛ إنما أقول لمفكري زماننا إن عندنا ما هو أفضل من جراندايزر، وتوم أند جيري، وأمثالها من القصص المستوردة. ولا أترك فرصة دون أن أشيد بمظهر من مظاهر التراث يمكن أن يستفاد منه في زمننا.

- يقودنا السؤال السابق إلى أن نقول: إن التاريخ السعودي بمختلف مراحله، وحتى وحدة الملك عبدالعزيز، زاخر بالأحداث البطولية، والوقائع المعارك الحربية.. هل وُظّف هذا التاريخ توظيفًا أدبيًا - من قصة أو رواية أو مسرحية - وشعريًا ملحميًا؟! ثم هل منحه المؤرخون حقه؟!

* تاريخنا الحاضر، وتاريخ الملك عبدالعزيز بالذات، لم يخدم الخدمة الكافية بصفة قصة أو رواية أو مسرحية، ولعل ذلك يعود إلى أن الحوادث لاتزال حية في أذهان الناس، وفيها من الإثارة والدهشة ما لا تعوض عنه أو تصل إلى حده أي قصة متخيلة، أو رواية مفصلة على حادثة من الحوادث. فالمعارك الحربية، ومظاهر البطولة التي واكبت توحيد المملكة تتعدى حدود

التخيل، والوصف العادي نفسه يجعل السامع يفغر فاه، وإذا كان التأثير والدهشة والانفعال هي الهدف من القصص والروايات والمسرحيات المتخيلة؛ ففي مجرد قص الحوادث عن معارك الملك عبدالعزيز ما يحقق هذا دون الإضافات الفنية، أو السبك الروائي، أو المسرحي، الذي يحتاج إلى كاتب ليبرزه.

ـ هل حقق النقد عندنا شيئًا من رسالته وهدفه في إبراز أعمال مبدعينا وفكرهم تقويمًا ودراسة، أم مازال مقصرًا في إبراز من هم أهل للبروز، ولم يأخذوا نصيبهم من الكتابة النقدية عنهم؟!

* لست متخصصًا في النقد، ولهذا فأنا غير مؤهل للتحدث عنه، وهذا زمن التخصص، وحظي من النقد هو التذوق الشخصي للمقالة أو الشعر، فأقبل هذا، وأرفض هذا، أقرأ هذا وأعزف عن قراءة هذا، وما عندي من قواعد النقد لايعدو ما درسته في كلية دار العلوم عندما كنت طالبا في المرحلة الجامعية، وأصول النقد وقوانينه تغيرت منذ ذلك الحين، ولهذا فلا أستطيع أن أقول إن كان النقد حقق شيئا من رسالته أم لا، أقرأ أحيانًا لبعض النقاد، واستمتع ببعض ما يقولون، ولكني قد أقرأ مقالة واحدة من عشر مقالات، أو كتابًا في النقد من بين عشرة كتب، وهذا لايعطيني الحق في أن أُنصِّبَ نفسي حكما على مستوى هذا النقد.

ـ ماذا تقولون في الدوريات السعودية عمومًا، وفي مادتها الموضوعية خصوصًا، وذلك قياسا بالدوريات العربية.. ومن خلال تجربتكم معها؟!

* ما قد أقوله عن الدوريات السعودية هو ما يمكن أن أقوله عن الدوريات العربية عموما؛ فبعضها رصين ناضج، وبعضها يحبو، وبعضها يحتضر؛ والدوريات العربية للأسف بعضها يُعدُّ سبة للعرب، ولكن لكل ساقطة لاقطة، خاصة تلك التي

قصيدة:

أغلق كتابك

شعر: **فائزة سقباني**

أغلقْ كتابك وابتدئ بكتابيا ... واقرأ سطورًا لا عليكَ ولا ليا

أغلق كتابك لحظةً من ساعةٍ ... ضاقت بي الدنيا وضاقت حاليا

يا من ترومُ سكينةً في منزلٍ ... إن السكينة لاتجاور جافيا

إن الجفاءَ إذا تطاول عمْرُهُ ... تمسي به الأرواحُ ثوبًا باليا

تشكو الملامةَ عند أعلام الورى ... أشكو لمن بثّي؟ وشانك شانيا

كتبٌ تباعد بيننا مطويةٌ ... يا ليت في هذا الكتابِ دوائيا

ينداح حزني كلما لَمْلَمْتُهُ ... ويظل ظني فوق صدري جاثيا

وأروغُ من يأسٍ إذا نجمٌ بدا ... فأرى مسارَ النجم عني قاصيا

فألوذُ في صمتٍ يجدد وحدتي ... وأرى دواء الصمت سُمًّا شافيا

هذا التنائي والقلوبُ قريبةٌ ... يصطاد منها شوقَها المتناهيا

أيظل قلبُ المرءِ مفطورًا على ... حُبِّ الأليف ولو بدا متعاليا

كل القلوب إذا مَسَسْتَ شغافها ... سهمٌ يقرب ما بدا لك نائيا



نجيب الكيلاني والقصة الشعرية

د. جابر قميحة

ولد نجيب الكيلاني (١٩٣١-١٩٩٥) في قرية «شرْشَابة» بمصر، وتخرج في كلية الطب بجامعة القاهرة. عشق الأدب منَ يفاعته، فطبع ـ على حسابه الخاص ـ سنة ١٩٤٨م ـ وهو طالب بالمرحلة الثانوية ـ ديوانا شعريا باسم «نحو العلا»، لم يتيسر لنا الاطلاع عليه. اعتقل وهو طالب في الجامعة، وبعد تخرجه ظل سجينا عدة سنوات متنقلا بين سجون سبعة. وعاش سني حياته الأخيرة في دولة الامارات العربية المتحدة. وهو أحد رواد الأدب الإسلامي، وله مايزيد على ثمانين كتابا في الرواية والقصة والإسلاميات والطب والأدب والنقد والأدب الإسلامي والترجمة الذاتية التي طبع منها خمسة أجزاء. وله خمسة دواوين شعرية هي: أغاني الغرباء، عصر الشهداء، كيف ألقاك، مدينة الكبائر، مهاجر. وقد اشتهر نجيب برواياته، ونادرا ماوقف أحد عند شعره وخصوصاً قصصه الشعري، ومافي شعره من بصمات وملامح قصصية درامية.

وفي السطور الآتية نحاول أن نلقي الضوء -في إيجاز- على موقفه من القصة الشعرية وحظه منها ومدى توفيقه في معالجتها.

صعوبة الجمع بين الشعر وأي فن آخر

والقصة الشعرية تُعَدُّ من أخطر الأعمال الفنية، ومن أكثرها صعوبة ومزالق، لأنها تتطلب شاعرا له أكثر من مقدرة الشاعر، وأكثر من مقدرة القصاص، بحيث يجمع، ويوازن في الوقت نفسه، بين المقدرة الشعرية والمقدرة القصصية.

فلايكفي -كما يقول الدكتور عزالدين إسماعيل- أن يحسن الشاعر نظم الكلام، فينظم لنا قصة كان من الممكن أن يسردها علينا نثرا، وليس يكفي كذلك أن يتقن حبْك القصة، ثم يصوغها في أي مستوى من مستويات التعبير، لابد إذن أن يجعلنا الشاعر في كل لحظة، وفي كل كلمة نحسّ بالشعر، وفي الوقت نفسه نحس بالقصة. وإضافة الشعر إلى القصة ليس مجرد زينة، وليس مجرد إثبات للقدرة على نظم الكلام، وإنما تستفيد القصة من الشعر التعبير الموحي المؤثر، ويستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية(١).

وثمة صعوبة بالغة ومزلق خطير يواجه أي شاعر يتصدى لأن يجمع بين الشعر وفن آخر، وهذه الصعوبة هي القدرة على الإمساك الواعي بمتطلبات الفنين معا؛ فلكي يكون الشاعر قاصا أو مسرحيا ـ في الوقت ذاته ـ فإن عليه ألا يجعل أي فن منهما يقوم على حساب الآخر، وتلك مسألة ليست بالسهلة إطلاقا(٢).

وقد يرجع ذلك إلى أن القصة من عمل الوعي، ونصيب اللاوعي فيها محدود، وأثره لايبدو على كل حال في التصميم الفني للقصة، ولا في التعبير عنها إلا بمقدور؛ فقد يكون له أثر في تلوين الشخصيات وتصوراتها وأفعالها؛ ولكن أثره ضعيف في التعبير عن هذه التصورات والأفعال، لأن التعبير في القصة يتم في حالة وعي

كامل، لا كما يتم في الشعر - في بعض الأحيان - تحت تأثير تيارات لاشعورية تغمر الوعي، وتغرقه لحظات(٣).

ويضيف كير (Ker) صعوبتين أخريين تعترضان القصص الشعري كنمط أدبي جديد، أولاهما أن القصة الشعرية عليها أن تنافس القصص النثري وتزاحمه. أما الصعوبة الثانية فتتعلق بجمهور القراء، إذ إنه يقف في صف القصة النثرية، لأنه لم يتهيأ فكريا وذوقيا للقصص المنظوم(٤).

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا كذلك أن كاتب القصة النثرية يتمتع بقدر من الحرية والحركة الفنية أكثر من الشاعر، وهذه سمة فارقة يجب أن تكون في الاعتبار عند تقييم أعماله القصصية من ناحية مدى التزامها القواعد والأصول الفنية. وإذا كان التسامح مطلوبا من الناقد -إلى حد ما- في تقييمه القصص الشعرية فإن الشاعر يستطيع باللغة الشاعرة القوية الإيحاء والتأثير التعويض عن ضعف بعض العناصر القصصية أو نصولها في قصته الشعرية.

وفي شعر الكيلاني تقابلنا النوعيات الثلاث الآتية:

(١) القصص الشعرية: وهي القصائد التي استكملت كل منها كل العناصر والخصائص القصصية، أو أغلبها، بحيث تمثل الواحدة منها قصة أو أقصوصة من لون رفيع، وتبقى بهذا الوصف لو ترجمت نثرا.

(٢) القصائد القصصية: وهي التي توافر لها الطابع القصصي بمفهومه العام، وإن كانت لاترقى دراميا إلى مستوى النوع الأول.

(٣) العناصر القصصية في بعض القصائد الغنائية مثل الحوار والارتداد واللقطات المتقطعة وغيرها.

موقف يحتاج إلى تفسير

ونلاحظ أن «نجيب الكيلاني» الذي كان يعتز بالشعر، ويطعِّم به بعض أحداث سيرته الذاتية لم يقدم عملا قصصيا أو ملحميا شعريا كبيراً مع أنه كان يملك القدرة الفنية المزدوجة: قدرة الشاعر وقدرة القصاص، كما أن المحن الرهيبة التي مرت به ومرّ بها، والأحداث السياسية المتوهجة، والتناقضات والصراعات المختلفة التي شهدتها مصر والمنطقة.. كل أولئك كان مناخا مناسبا ومشجعا له لتقديم عمل ملحمي شعري جليل طويل، وخصوصا أن ثقافته الفنية والأدبية ومعارفه الموسوعية تجعله على علم وافر بالقواعد والمبادئ الفنية التي يقتضيها مثل هذا العمل. إنه موقف يحتاج إلى تفسير، ولم أقرأ له تفسيرا لموقفه هذا.

ويحتمل أن يكون انصراف الكيلاني عن القيام بمثل هذا العمل أو عدم اتجاهه إليه إبتداء يرجع إلى اقتناعه وحماسته للأعمال القصصية النثرية من روايات وقصص قصيرة، وتوفيقه وتفوقه في هذه الأعمال حتى إنه نال عددا من الجوائز على بعضها وهو في السجن.

كما أن مؤلفاته الأخرى في مجال الإسلاميات والتراجم والطب والتنظير للأدب الإسلامي، كل هذا الإنتاج المتنوع استغرق - ولاشك - كثيرا من وقته وطاقاته.

جمهور القراء يقف في صف القصة النثرية لأنه لم يتهيأ فكريًا وذوقيًا للقصص المنظوم.

على أن حالة القلق والرعب والشعور بفقد الأمان، وعدم الاستقرار حتى لو كان هذا الاستقرار في سجن واحد.. مثل هذه الحال قد تسمح بإبداع عمل نثري - أيا كان طوله - فالتغيير والتبديل في عباراته ومضامينه وشخصياته بالإضافة أو الحذف أو التعديل يعد أمر ميسورا. كما أن مثل هذه الحال قد تسمح بنظم المقطوعة أو القصيدة حين تتوهج أحاسيس الشاعر، فيعيش المعاناة ويعبر عنها. أما العمل القصصي الملحمي الطويل فهو أحوج من الأجناس السابقة إلى «الاستقرار» المكاني على الأقل، والانفعال أو الانفعالات الممتدة أو المتصلة حتى لايأتي عمل الشاعر القاص متمردا على الأصول والقواعد الصارمة التي تحكم الأعمال الملحمية.

إن هذا التفسير الاحتمالي يجب أن لاينسينا حقيقة أو حقائق، أعتقد أنها ليست موضع خلاف، وهي أن أديبا عظيما كالكيلاني لايعيبه ألا ينظم ملحمة شعرية، لأن الأديب - مهما كان فائقا - غير مطالب - ضربة لازب - أن يبدع في كل الأجناس الأدبية.

كما لايعيب الكيلاني أن تتفوق أعماله النثرية على مانظمه من شعر. كما لايعيبه أن نلمس تفاوتا واضحا داخل أعماله الشعرية نفسها، فهذا أمر طبعي لايخلو منه شعر شاعر أو أدب أديب.

وباستقراء دواوين الكيلاني الخمسة نقع على عدد من القصص الشعرية والقصائد القصصية الملحمية، وبعضها يظهر فيه بوضوح بصمات حياة السجن وما لقيه الشاعر فيه. وقد فَصَّل ذلك في ترجمته الذاتية بأجزائها الخمسة. ومن هذه القصص: «في الوادي الرهيب» و «زلزال الرفض». وله كذلك قصص شعرية رمزية مثل «الذئب» و«ليلى المريضة»، ومن قصص الأطفال «سراب»، ومن قصص الحدث اليومي «أم الخبائث». وقد استخدم الكيلاني كذلك «القناع» بمفهومه الفني كما نرى في مطولته «بين عنتر وعبلة».

وفي قصائده الأخرى وظف كثيرا من العناصر القصصية الحديثة مثل الحوار، والسرد التعبيري المتلاحق، والارتداد Flash Back، والمفارقة، واللقطات المقتطعة Cut Away.

وفيما يأتي نتوقف بالنظر الناقد عند واحدة من قصص السجون وهي «في الوادي الرهيب»(٥).

في الوادي الرهيب

تعكس هذه القصيدة الملحمية الطويلة تجربة السجن التي عاشها نجيب لعدة سنوات، وهي تنهج نهج السرد الحواري، والحوار يدور بين فتاة وأبيها، موضوعهُ أخوها «محمود»، ذلك الفتى المسلم التقي النقي الذي قبض عليه الزبانية،

وساقوه إلى جحيم السجون حيث التعذيب والتنكيل، وماذنبه -كما يقول الأب- إلا أنه عاش حرًا و «أراد الناس أحرارا».

ويكرهُ شيمة العبْدان والإذعان إن سارا
ويمقت شيعة الطّغيان أن تبقى لنا جارا

ويجيء الحوار غالبا على هيئة سؤال من الابنة ليلى - شقيقة محمود -، وجواب من أبيها. والأسئلة تتدفق من ليلى قوية متوهجة، وهي تحمل في تضاعيفها خميرة إجاباتها التي تدين عصبة الظلم والظلام:

أبي قد راح محمودٌ
إلى وادي النّوى القاسي
فهل سيعود ياأبتي
حديدَ العزم والبأس ؟
فمن سجنوه ياأبتي
فذاق الذلَّ .. والهُونا ؟
ففيم السجن يلقفه
ويملأ كأسه صَابا؟
(فصاحت) كيفَ ياأبتي
وما أسطورةُ القيم؟
أيجدي القولُ والأطفال مثل بلابل البان؟

ويعود محمود أشلاء ممزقة من التعذيب فتتدافع الأسئلة المحروقة المخنوقة على لسان ليلى:

أهُمْ ذبحوه ياأبتي
فَضَجَّ نجيعه القاني؟
أهم شنقوه في ليل
شحيح النورِ شيطاني؟
أهم حرقوه في وادِ
بنار الحقد ملآن؟

ولم تكن الأسئلة المطروحة من ليلى محصورة في دائرة شقيقها محمود، ولكن مداها يتسع إلى ماهو أرحب بكثير جدا من الأشخاص والمجالات الخاصة، فيمتد مداها إلى أبعاد إنسانية، وقيم عليا مهدورة مطعونه بأيدي الظالمين:

أبي مابالنا نمضي
ورُوحُ الحق مقهوره؟
وأحلامي وآمالي
بسجن الليل مأسوره
يقال الناس أحرار
ودنيا الناس مهدوره

وفي هذه المطولة الملحمية، ولتأكيد مصداقية «الإدانة» التي تطرحها هذه الأسئلة، وكآلية من آليات الإقناع والاستمالة يوظف الشاعر أسلوب المفارقة في الحوار، وهذا الأسلوب يعتمد على محاور رئيسية تتبلور في الحقائق المتضادة الآتية:

- فبالنظر إلى العمل والنتيجة:

سوائية الصورة والعمل [ضد] اختلالية الجزاء والمقابل

وبالنظر إلى المصدر:

الطهر والنقاء وصلاح السلوك [ضد] الظلم والإجرام في التعامل

- وبالنظر إلى الشخوص:

محمود السجين المعذب ثم الشهيد [ضد] الظالم المستبد الطاغية

وتنتظم صورة المفارقة بطرفيها المتناقضين على الوجه الآتي

١- صورة سوية وعمل نبيل يمضي في طهر ونقاء وصلاح متمثلا في صورة محمود.

٢- جزاء «مجنون» ليس من جنس العمل، ينبع من شهوة الظلم والاجرام متمثلا في شخصية المتسلط المستبد

فعن شخصية محمود تقول شقيقته ليلى:

ومحمودٌ له قلبٌ
كبيرٌ ياأبي واسع
هو المتبوع ياأبتي
وليس الحر بالتابع
هو الحبُ هو النُبل
وغيث الخير والهمم

سمعتُ الناسَ قد قالوا
أخي قد صار مسجونا
فمن سجنوه ياأبتي
فذاق الذل والهونا؟
وما في قريتي السمحاء
أعداءٌ ليؤذونا
أما عرفوه إنسانا
وجوّادا ومأمونا
فكيف يصير ياأبتي
بعسف القيد مرهونا؟

وتأتي إجابات الأب المفجوع تأكيدا وتفصيلا مسهبا لحقائق هذا الواقع المر.

مآخذ فنية

وإذا كان الأب وابنته ليلى هما الشخصيتان المحوريتان في هذه القصة الملحمية، فهناك كذلك الشخصية المحورية الغائبة، وهي شخصية محمود، وهو - مع غيابه - أقوى الشخصيات حضورا لأنه «موضوع» هذه المأساة، وهو في الوقت نفسه بطلها، والحوار كله يدور حوله، ويرسم ملامحه النفسية والروحية والخلقية.

ولكن هذا العمل لايسلم من المآخذ التي أساءت إلى درامية هذا السرد الشعري الرائع وذلك من ناحيتين.

الأولى تتعلق بالتدخل القسري اللاّفني، والثانية تتعلق بطبيعة الحوار.

فنرى الشاعر يتدخل - بلاداع - بصوت جهوري يذكرنا بشخصية الراوي، فيقطع بذلك خط التدفق الحواري المتتابع: فليلى تصيح:

.... كيف ياأبتي
أتبكي ضيعة القيم؟

يقول نجيب (أو الراوي) بعد ذلك مباشرة (متحدثا عن الأب):

فكفكفَ دمعةً هطلت
وكوَّر كفَّه الأسمرْ
وحملق في الدجى الساجي
خلال إطاره الأغبر
وصاح وكفُّهُ تهوي
هُويَّ الصخر أو أكبر

امتلك الكيلاني قدرة الشاعر وقدرة القصاص، ومع ذلك لم يقدم عملاً قصصيا أو ملحميًا شعريًا كبيرًا.

على اللاشيء يضربها
فكم قاسى وكمْ أبصرْ
وقال وصوته دوًى
دويّ العصف إذ يزأرْ
«سنسحق عصبة الطغيان
والبهتان والألم»

ولننظر إلى النسق التعبيري لو حذفنا صوت الراوي. إنه سيكون بالصورة الآتية:

فصاحتْ: كيف يأبتي
أتبكي ضيعةَ القيم؟
فقال وصوته دوًى
دويّ العصْفِ إذ يزأر:
«سنسحقُ عصبة الطغيان
والبهتانِ والألم»

إن حذف صوت الراوي - الذي جاء نشازا وثرثرة وإساءة إلى شخصية الأب بهذه الحركات البهلوانية - بُعدٌ - من وجهة نظري - أثْرى للحركة النفسية المتتابعة.

ويعلو صوت الشاعر -أو الراوي- مرة أخرى في المقطوعات الثلاث الأخيرة من القصيدة بلاداع في صياغة تقريرية صاخبة؛ فالأب الشيخ يفيق من حلم رهيب قاس:

وهبَّ كغضبة الإعصار
كي يقتل كي يهدمْ
ويثأر لليالي السود...
ويثأر للدم المهراق...
وينفخ في لهيب الثأر... الخ

وبهذا الأسلوب التقريري لم يترك الشاعر مساحة فنية، ينطلق في سمائها القارئ، إذ عرض كل ماعنده على لسان الراوية، ولو أنه ختم مطولته بكلمات حوارية مكثفة على لسان الأب الشيخ لكان ذلك أدخل في باب الفن الناضج.

ويشدنا المأخذ الثاني إلى الحديث عن الحوار، فالمعروف أن الحوار يجب أن يكون تمثيلاً أمينا «لجوانيّة» الشخصيات في مستوياتها المختلفة: العقلية والثقافية والاجتماعية والنفسية اتساقا مع الواقعية الفنية، بعيدا من القصور والتفريط، ومن الإفراط والشطط، ولكننا رأينا أن الحوار في هذه المطولة ذو مستوى واحد: في الأداء التعبيري، وفي المضامين الفكرية مع الفرق الشاسع بين الأب وابنته في الأبعاد والسمات العقلية والفكرية والنفسية؛ فالأب هو الذي يمثل «المرجعية العليا» للأسرة في تفكيره وحنكته وسلوكه بدليل أنه في هذه المطولة الملحمية كان دائماً مسؤولاً لا سائلاً، فهو كما يقول عن نفسه:

بلوتُ الدهر ياليلى
بماضيه الذي كانا

أما ليلى فهي كما خاطبها أبوها:

فقلبُكِ لم يزلْ يحبُو
صغيرا في روابيها

فالفارق في المستوى العقلي والخبرة العملية فارق شاسع بعيد الآماد، وهذا يستلزم الاختلاف في المستوى الحواري فكرا وتعبيرا.

وحتى لو نظرنا إلى أداء ليلى لذاته دون موازنة بأداء أبيها لهالنا أن يدور على لسان فتاة من الطبقة الدنيا أو المتوسطة مثل العبارات الآتية:

- كيف يأبتي؟ وماأسطورةُ القيم؟
- وفي دمع الأسى المكبوت إرعادات طوفان.
- مضى محمودُ مثل الصوت حين يذوب أصداء
غدا أسطورة بيضاءَ في التاريخ سمحاء
- أبي عجبا قد اختلّت
بدنيانا الموازينُ
إذا ماأبصروا حسكاً
لقالوا عنه نسرينُ

فالأسلوب - كما هو واضح - يتسم بالرفعة والسمو والجلال، وهي سمات تجعله أرفع من مستوى ليلى بكثير. ومثل هذا الأسلوب مطلوب إذا كان العمل القصصي معروضا بالطريقة الملحمية (Epic) أي طريقة القص الغيبي بضمير الغائب؛ بحيث يكون الأداء التعبيري كله ذا مستوى واحد، أما الحوار فيتفاوت في مستواه الفني باختلاف مستوى الشخصيات، كما ذكرنا آنفا.

وثمة ملاحظة أخيرة: وهي أن الشاعر حصر الشخوص الناطقين في اثنين: الأب وابنته ليلى؛ وأغفل استحضار شخصية الأم، فلم يردْ ذكرها إلا مرة واحدة على سبيل الإلماع، وفي بيت واحد فقط على لسان ليلى، هو:

وأمّي لم تزلْ تدعُو..
هُ في صحوِ وفي حُلُمِ

ولو أن الشاعر جعل لهذه الشخصية حضوراً، بل حضورا محوريا لكان أكثر تأثيرا وإقناعاً؛ فالمعروف أن الأم هي أعمق الناس إحساسا وتأثيرا وتعاطفا مع الأبناء في محنهم ومآسيهم.

وقد يوصف الحوار بالبطء والتمطط - في كثير من جوانبه - وربما قصد الشاعر إلى ذلك قصدا حتى يتسع الحوار لمضامين المأساة، والقضايا والقيم التي حرص على إبرازها، وهي في مجموعها إدانة صارخة للظلم والظالمين وأعداء الحق والإنسانية.

إلا أن المطولة بما فيها من توهج العاطفة وصدق الشعور وبراعة التصوير تبقى واحدة من أرقى إبداعات نجيب الشعرية.

المراجع :

(١) د. عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية، (دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م) ص٣٠١.

(٢) د. محسن أطيمش: دير الملاك: دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر (الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٢م) ص٣٨.

(٣) سيد قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه (دار الشروق، القاهرة ط٧، ١٤١٣-١٩٩٣م) ص٨١.

4 - W.D.KER: Form and Style in Poetry P. 280. London 1966.

(٥) نجيب الكيلاني: ديوان أغاني الغرباء، ١١-١٧، ط١، بيروت ١٩٧٢م. واقرأ قصة نظمه لهذا الديوان في كتابه «لمحات من حياتي ٣/٢٠٤-٢٠٥؛ (م. الرسالة، ط١، ١٤٠٩-١٩٨٨م). وكان الاسم الأصلي لهذه القصيدة (سجين الجزائر) حتى يتمكن من نشرها (لمحات من حياتي ٢/١٢١. م. الرسالة ط١، ١٤٠٥-١٩٨٥م، ٣/٤٢، ط١، ١٩٨٨م).

الصراع بين المذهبية الفك

في الرواية التاريخية

(رواية «هاتف من الأندلس» نموذجا) «٢»

د. طه وادي

في الحلقة الماضية تحدث الكاتب عن الرواية التاريخية وازدهارها في الأدب العربي الحديث في الفترة ما بين ١٩١٩-١٩٥٢م، وكان ذلك مدخله لمحاولة الإجابة عن بعض ما يشغل الباحثين، مثل: ما التاريخ؟ ولِمَ تلجأ إليه الشعوب في مرحلة ما من مراحل تطورها؟ وتساءل الكاتب: إذا كان كتاب الرواية التاريخية يلجؤون إلى إحياء مرحلة تاريخية للتعبير عن وجهة نظر خاصة إزاء الواقع الذي يعيشون فيه؛ فهل معنى ذلك أنهم يصدرون عن اتجاه فكري واحد؟

وللإجابة عن هذا السؤال تأمل الكاتب الخارطة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين، وخلص إلى وجود اتجاهين متمايزين للرواية التاريخية. ثم بحث قضية العلاقة بين الفكر والفن في العمل الأدبي، وكيف يمكن أن يتّفقا أو يختلفا داخل إطار واحد.

وفي هذه الحلقة (الأخيرة) يقوم الكاتب الفاضل بتطبيق خلاصة آرائه على رواية الأديب علي الجارم: هاتف من الأندلس.

(١) قصر الحجم

الطول، حد تحكُّمي، نفرّق به بين الرواية وغيرها من أنواع القصّ. ونحن ندرك واعين أن الطول أو القصر أمر نسبيّ، ولايمكن أن يهب العمل ميزة أو ينزّهه عن نقيصة، لكنه يبقى - في النهاية - دليلا ماديا ملموسا، يعكس قدرة صاحبه على الإبداع، وبيان مدى تمكّنه من السيطرة على عناصر التجربة التي يصورها. ولا ريب في أن نقادنا القدماء، لم يحتفوا بالمعلقات السبع أو العشر إلا لأنها قصائد طوال، تفصح عن قدرة أصحابها الفائقة على نظم القصيد.

ورواية «هاتف من الأندلس» تقع في مئة وتسع وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وإذا استبعدنا منها ما ضمّنه المؤلف من شعر ابن زيدون ونثره، وما نقله من نصوص (مُقتبسة) مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والأشعار، والأمثال.. وغيرها، فإن حجم الرواية لن يزيد على مئة صفحة - على أحسن تقدير -. وهذا يدل على أن حجم الرواية عند الجارم أقصر كثيرا مما نراه عند كل كتاب الرواية التاريخية في عصره أمثال: إبراهيم رمزي، ومحمد فريد أبوحديد، وعلي أحمد باكثير، ومحمد سعيد العريان، ونجيب محفوظ، وغيرهم.

وقد يقول قائل: إن هذا الاختصار يمكن أن يساعد المؤلف على التركيز والتحدد دون الوقوع في مستنقعات الثرثرة والإطناب. ويُردّ على هذا بأن الاختصار قد أضرّ هنا بفنية الرواية؛ لأنه لم يسمح للكاتب بأن يقدم تحليلا كافيًا لكثير من المشاهد والمواقف في الرواية، سواء أكانت تتصل بشخصيات رئيسية أم ثانوية. فالمؤلف لم يستطع أن يقدم تحليلا نفسيا وفكريا لأزمة ابن زيدون حين سجنه ابن جهور، خاصة وأنه سُجن وهو في أوج مجده السياسي (وزير) والأدبي (شاعر) والعاطفي (حبّ ولّادة). وكل مافعله هنا هو أنه قدّم هذا الموقف في سطور قليلة، لاتصوّر بحال عظم الكارثة التي وقع فيها ابن زيْدون... «دخل ابن زيدون السجن يائسًا كاسف البال بعد أن طارت آماله، وتقطعت حباله، وبعد أن زلّت به القدم، وأخطأ سهمه الهدف. كان يبني له الهدفُ عزّاً كبيرا، ويصوِّر له الطموح جاهًا عريضًا»(١).

فالكاتب لم يكن مشغولا بتحليل نفسية بطله، أو بيان مدى إحساسه بأزماته.. وإنما كان مشغولاً - فيما يبدو - بالصياغة الإنشائية للجمل، بحيث تكاد لاتخلو من السجع والترادف والكناية والاستعارة.

جانب آخر أضرّ فيه قصر الحجم بفنية

...رية والفن

الرواية، هو (قلة مساحة السرد) إذا ماقيست بالحوار.

فالسرد ـ في هذه الرواية بصفة عامة ـ قليل ومختصر جدًا. وهذا ما حال بين المؤلف ومحاولة تقديم تحليل وتعليل وتفسير كاف لكثير من المواقف. وقد ترتب على هذا أيضًا عدم اتساق في تصوير (الزمان) الروائي، فهناك بعض المواقف يعبّر عنها في صفحات مثل أحاديث السمر والحب والسياسة. وهناك سنوات أو شهور، يرد الحديث عنها سردا في سطر واحد.. مثل «مرت شهور على سجن ابن زيدون لم تهدأ نائلة فيها لحظة...»(ص٦١١).

«بلغ ابن زيدون أشبيلية بعد أيام، وكانت في ذلك العهد من أعظم مدن الدنيا بهجة ورواء....»(ص٦٥٩).

«عاش ابن زيدون بإشبيلية سنوات قَلِقَ النفس مضطرب الخاطر...»(ص٦٦٣).

ويدل هذا على أن الكاتب اختصر ـ ربّما عجزًا ـ كثيرًا من وصف المواقف السردية، التي كانت تحتاج إلى مزيد من الشرح والتحليل. كما أنه لم يستطع أن يقيم توازنا أو تناسبا في تصويره للحظات الزمان الروائي، ولم يقدر أيضا على أن يصور اللحظات الزمانية بمعيار فنّي واحد، حيث أفاض في وصف بعض اللحظات، مثل مواقف السياسة والحب والمكائد النسائية، واختصر في سرد كثير من المواقف المتأزمة لابن زيدون في السجن، وفي أثناء الهرب إلى إشبيلية، وفي لحظات الشوق إلى الوطن والحبيبة.

(٢) العناية بشخصيّة البطل

معظم نتاج الرواية التاريخية الذي ظهر في النصف الأول من القرن العشرين ينْضوي تحت إهاب المذهب الرومانسي. ومن المعروف أن الرواية الرومانسية، تهتم كثيرًا بشخصية البطل؛ لأنه ـ في الغالب ـ حاملُ قضية الرواية، والمعبر عن معظم آراء الكاتب، بل إنه قد يكون معادلاً له، ومترجما عن رؤيته. ذلك أن (الرومانسية) تهتم بالتعبير الذاتي عن الفرد، «فالأدب الرومانتيكي يعتمد على العاطفة، والعاطفة ـ في طبيعتها ـ فردية ذاتية. وقد أطلق الرومانتيكيون العنان لإحساسهم الفردي، حتى جاء أدبهم صورة لذات أنفسهم، ولولا ما يربط بينهم من مبادئ وقضايا عامة، لكان أدب كل منهم ذا طابع خاص، لايشاركه فيه آخر، ولانعدمت الصلة أو كادت، بين ذلك الأدب والمجتمع في صورته الواقعية الصرف.. لأن الرومانتيكي يطلق لنفسه العنان في أحلام، يعوّض بها ما فقده في عالم الناس من حوله، ووجد في هذا الانطلاق إشباعًا لآماله غير المحدودة. فصار عالم خياله أحبَّ إليه من عالم الحقيقة المحدود، حتى إنه لايريد أن يهبط من ذلك العالم الذي خلقه لنفسه، ولو تحققت آماله التي يحلم بها»(٢).



علي الجارم



نجيب محفوظ

وقد نجم عن هذه الذاتية الحالمة أن الكتابات الرومانسية ـ حتى ما كان منها نثرًا ـ أقرب إلى روح الشعر. ونجد هذا واضحا ـ على سبيل المثال ـ في الكتابات النثرية لمحمد المويلحي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، ومحمد حسين هيكل، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وتوفيق الحكيم، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد سعيد العريان، وعلي الجارم، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وأمين الريحاني، وميّ زيادة، وجبران خليل جبران، وعبدالله شحاتة.. وغيرهم.

كذلك ترتب على هذه الذاتية في الرواية الرومانسية ـ سواء أكانت اجتماعية أم تاريخية ـ أن الكاتب (يتوحّد) مع بطل روايته، فيجعله مركز الدائرة فيها. فالرواية تبدأ بالحديث عنه.. وتنتهي السطور الأخيرة منها أيضا بالحديث عنه. كما أنه المحرّك الحقيقي لمعظم الأحداث والقضايا. والرواية تصور قرطبة حينما كان يعيش فيها ابن زيدون، ثم تنتقل إلى وصف أشبيلية عندما ينتقل إليها. كما أن الرواية تصور أحلامه وآلامه وحده دون غيره من شخصيات الرواية الأخرى، بل إنه المتيّم ـ وحده أيضا ـ بكل النساء اللائي يظهرن في الرواية، كأنْ ليس في الدنيا رجل سواه، لذلك تهيم به وَلّادة، وتعشقه عائشة بنت غالب.. وتسانده نائلة الدمشقية. فالرواية كلها تدور في إطار أحلام الوزير الشاعر، وتقدم أدبه شعرا ونثرا، وتصور أحداث حياته والوقائع، التي شارك ـ تاريخيا ـ فيها.

وقد ترتب على هذا ـ فنيا ـ أن ابن زيدون كان ـ وحده ـ الشخصية الرئيسية التي عُني بها الكاتب عناية فائقة، لذلك فإنه جدير بأن نطلق عليه مصطلحًا نقديا، لم يعد متداولاً في النقد الروائي المعاصر.. وهو «البطل»؛ لأن الرواية تدور حول أحداث حياته في المقام الأول؛ فهو إذن قطب الدائرة، الذي يتحرك وحده ويُحرّك غيره.

أكثر من هذا أن الكاتب يقدّمه في صورة مثالية مطلقة.. فهو ـ وحده ـ الذي يهمه حاضر الأمة ومستقبلها السياسي، وهو المحب العفيف، والوزير المؤتمن، والكاتب البليغ، والشاعر الذي لايُبارى، والصديق الذي لايخون ولا يغدر، كما أنه من أشرف العائلات نسبا وأفضلهن حسبا. وهذا النوع من البطولة في الرواية التاريخية يذكرنا ببطل «السيرة الشعبية» مثل عنترة وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن وذات الهمة والزير سالم، وغيرهم. وهذه الصورة (المثالية) للبطل في الرواية والسيرة، كانت مقصودة متعمدة، لأنه يجسّد فضائل أمة، ويقدم «نموذجا» نقيًا للإنسان العربي الأصيل.

(٣) صورة المرأة

يوازي صورة الرجل ـ البطل المثالي في

الرواية التاريخية ـ صورة أخرى للمرأة لاتقل عنها جلالاً وكمالاً وجمالاً ونضالاً، لذلك نجد صورة المرأة في هذا النوع من الروايات أقرب إلى صورة «ست الحسن والجمال» في الحكايات الشعبية، وإذا كان المؤلف لم يهتم كثيرا بسرد مواقف حياتها وتحليل مشاعرها إزاء الأحداث؛ فإنه كان حريصًا على أن يقدّمها في صورة تجمع بين عراقة النسب، (إذْ هي ابنة الخليفة المستكفي بالله) وجمال الشكل، وقوة الشخصية، بل إنها ليست عاطلة عن الموهبة، لأنها أديبة وشاعرة وصاحبة مجلس أدبي. ونظراً لأن الكاتب ليس حفيًا بتقديم الصورة الواقعية التفصيلية للشخصية، وإنما بالصورة الشاعرية المثالية لها، نجده يقدمها على هذا النحو: «كانت ولادة في الثامنة عشرة، رائعة الطلعة، فاتنة مباهر الحسن، وجه لم تشرق الشمس على أنضر منه ولا أصبح، وقسمات تأنق في صنعها الجمال، وقوام لوْ أدرك عهده الإغريق لجعلوا منه تمثالا، لكل مايتخيلونه من رشاقة ولدانة واتّساق خلق. وكان أجمل مافيها تلك النظرات الساحرة التي تنفذ إلى كل قلب، وذلك الشمم العبْشميّ الذي تراه فتحبه وتهابه، والذي يُوحي إليك أن الجمال معنى من المعاني التي يعجز البيان عن وصفها ببيان»(ص٥١٧).

فالمؤلف بالنسبة لشخصية المرأة ـ مثلما كان الحال في الغالب مع شخصية الرجل ـ يهتم بالصورة الشعرية المثالية المسطحة دون محاولة الدخول في التفاصيل، تفاصيل الوصف السردي، أو النفسي؛ فالشخصية ـ مهما كانت المساحة التي تشغلها ـ لايقدم المؤلف مايكشف عن أسرارها النفسية ودوافع السلوك عندها. أكثر من هذا فإنه لايهتم بوصف تفاصيل الجسد وألوان الملابس وبناء القصور والحدائق والشوارع، أو تحديد الميقات وبيان هل تقع الأحداث نهاراً أم ليلا؟ كما أنه لا يفطن إلى أثر العمر في مكونات الشخصية: نفسيا وماديا؛ ولذلك يظل الخيِّر خيّرا، والشرير شريرًا، والوفي وفيّا، والنذل نذلا طوال أحداث الرواية.

وقد ترتب على ذلك كله أن معظم الشخصيات الروائية ـ حتى من كان منها يمثل شخصية البطل، أو البطلة ـ تظل مسطحة، خاوية، لا عمق فيها، رغم أنها قد تشغل مساحة كبيرة في حجم الرواية.

أمر أخير نود الإشارة سريعا إليه في مجال تأثر الرواية التاريخية بالحكاية الشعبية، هو أنها قد أخذت عنها شخصية «التّابع الوفيّ»، الذي يقف بجوار البطل والبطلة من أول الرواية إلى آخرها، وتمثله هنا شخصية «نائلة الدمشقية»، التي حاولت أن تنقذ البطل والبطلة من كثير من المصائب التي وقعت عليهما.

(٤) لغة الرواية

الأنواع الأدبية كلها أداتها التعبيرية هي (اللغة)، لكن اللغة في الشعر تختلف عن اللغة في النثر القصصي، لأن «لغة الشاعر هي لغته هو، إنه يجد نفسه داخلها برمته، وبدون شريك يقاسمه إياها.. ويقتضي الأسلوب الشعري ـ أساسا ـ مسؤولية الشاعر الدائمة والمباشرة تجاه مجموع عمله وكأنها لغته. عليه أن يتضامن كلية مع كل واحد من عناصرها ونبراتها وتلويناتها. إنه في خدمة لغة واحدة ووعي لساني واحد.. أما الناثر ـ الروائي، فإنه



مصطفى لطفي المنفلوطي — محمد عبد الحليم عبدالله

يسلك طريقًا مختلفة تماما، إنه يستقبل داخل عمله الأدبي التعددية اللسانية والصوتية للغة الأدبية وغير الأدبية، دون أن يضعف عمله من جراء ذلك، بل إنه يصير أكثر عمقًا؛ لأنه يسهم في توعيته وتفريده. كما أنه يشيّد أسلوبه الروائي مع الحفاظ على وحدة شخصيته كمبدع وعلى وحدة أسلوبه. إن الناثر لاينقّي خطاباته من نواياها ولا من نبرات الآخرين، ولا يقتل فيها أجنة التعدد اللساني الاجتماعي، ولا يستبعد تلك الوجوه اللسانية وطرائق الكلام، وتلك الشخوص الحاكية المضمرة ـ التي تتراءى في شفافيته خلف كلمات لغته وأشكالها ـ، وإنما يرتب جميع تلك الخطابات والأشكال على مسافات مختلفة من النواة الدلالية النهائية لعمله الأدبيّ... إن الناثر لايعبّر عن نفسه من خلال اللغة (بصفته كاتبا)، بل يظهرها كأنها شيء لغوي أصيل، فهي بالنسبة له موضعة تماما، كما أن التعدد اللساني والسردي [نتيجة لتنوع الشخصيات والأحداث] ينتظم مع توجهات الكاتب بطريقة خاصة، فيصبحان نسقا أدبيا أصيلاً، يقود وينسّق إيقاعات (تيمة) الكاتب القصدية. هكذا يستطيع الناثر أن يستخدم اللغة دون أن يسلم نفسه إليها كلية، إنه يتركها نصف «أجنبية» [عنه] أو «أجنبية» تماما، لكنه في نهاية المطاف يستخدمها ـ في الوقت نفسه ورغم كل شيء ـ لخدمة نواياه. إن الكاتب لايتكلم تلك اللغة التي انفصل عنها تقريبا، بل كأنه يتكلم من خلالها..»(٣).

من هذا يتضح أن هناك فروقا جوهرية بين لغة الشعر والنثر القصصي.. إن لغة الشعر هي لغة الشاعر نفسه، لأن صوت الشاعر هو الصوت الوحيد في القصيدة، إذ تعبر عن مبدعها في المقام الأول. أما كاتب القصة أو الرواية.. فإنه يعبّر باللغة (عن غيره)، من هنا فإن لغة الفن القصصي لايناسبها التفاصح والتقعّر اللغوي، ولا تتحمل ثقل المحسنات البلاغية. إنها لغة ينبغي أن تكون بسيطة بساطة الحياة العادية التي تصورها؛ ومن هنا فإن (بلاغة فنون القص) تتبدّى في قدرتها الشفافة على أن تعكس الحياة الإنسانية في بساطتها، وتصور الشخصيات بما هي عليه في واقع الحياة.

وإذا ما حاولنا أن نتأمل لغة الرواية في ضوء الحقائق النقدية السابقة، فإننا سوف نصدم من طبيعة اللغة الروائية عند الجارم، لأنه يتعمد أن تكون صياغته إنشائية مصنوعة، وهذا التقعر اللغويّ ـ المثقل بالمحسنات والاقتباسات المباشرة وغير المباشرة ـ يطل بوضوح في السرد والحوار على حد سواء. فالكاتب، ساردا أو محاورا، يعاظل ويأتي بحوشي الكلام وغريبه، كأنه يدبّج قصيدة، أو يصنع مقامة، أو ينشئ مقالة، لذلك تحتشد لغته ـ سردًا وحوارًا ـ بالجناس والسجع والمقابلة والتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والتضمين من كافة المجالات الدينية والأدبية، ومن تراث الشخصية التي تكون بطلاً للرواية.

وهذه الصياغة التعبيرية (المصنوعة) سمة مميزة في كل روايات الكاتب، ولكن إذا كانت لغة السرد يمكن أن تتحمل قدراً من جمال الصياغة، فإن الأمر مختلف تماما بالنسبة للغة الحوار التي لا يلائمها التصنّع الأسلوبي إطلاقا؛ لأن الحوار كلام منطوق، يعتمد على منطق، وهذا يقتضي أن تكون لغة كل شخصية (متوافقة) مع درجة ثقافتها ودورها الاجتماعي، وهذا ما لم يفطن إليه الجارم، لأن لغة الرواية كلها - في السرد والحوار - ذات مستوى لغوي واحد، ونكاد لا نحس فرقا - في الصنعة والتكلف - بين لغة السرد والحوار؛ بل بين كل شخصية وأخرى، كما أن حوار الرجل لايختلف عن حوار المرأة. ومعنى هذا أن اللغة عنده - كما أشرنا - ذات مستوى لغوي واحد من حيث الصنعة والتكلف. أكثر من هذا تجاهلا لقواعد اللغة الروائية أن الحوار عنده يطول - أحيانا - بحيث يبدو كأنه خطبة إنشائية، وليس حديثًا بين متكلمين، وحتى نؤكد ما نذهب إليه نتوقف عند هذا الجزء من الحوار بين ابن زيدون وصديقه أبي مروان بن حيان المؤرخ وصديق آخر هو أبوالفضل محمد الدارمي - القادم من بغداد.

«... فهز ابن حيان رأسه وقال:

- مارأيت دستوراً للمسلمين أجمع ولا أوجز من قول النبيّ الكريم: المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم. إن التحاسد والتنافس والاعتصام بالأجنبي والتكالب على الحكم والغلب، كل أولئك كان شرُّه مستطيراً. فقال الدارمي:

- عندنا في المشرق استعان المعتصم بالأتراك، ومكّنهم من رقاب العرب، فكانوا حربًا عليه وعلى خلفائه من بعده، وأصبحت الخلافة في أيديهم لعبة لاعب، يولُّون من يشاؤون، ويعزلون من يشاؤون. فقاطعه ابن حيان قائلاً:

- أما في الأندلس فالمصيبة أشدّ وأنكى، فإن الدولة منذ سنة أربعمائة - وهي سنة الفتنة الكبرى - تتقاسمها ذئاب ضارية: من مضرية ويمنية وصقالبة وبربر وإفرنجة، فما كادت تنتهي الدولة العامرية حتى نعبت غربان الشرّ من كل جانب، وعاثت شياطين الدمار، واندلعت نيران الفتنة، فلم تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم. ويبدأ عهد الخذلان - والعياذ بالله - من ولاية سليمان بن الحكم الذي لقبوه بالمستعين بالله، وكانت أيامه شداداً نَكِدات، صعابا مشؤومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، دولة كفاها ذمًّا أن أنشأها «شانجة»، ومزّقتها الإفرنجة. وكان من نحس رأيه واختبال عقله أن اختار علي بن حمود، ليكون أكبر قوّاده وأقوى مناصريه. اختار بازيًا فاصطاده، وسيفًا فحزّ أوداجه. وإذا أراد الله شيئًا أمضاه، ثم اتجه إلى ابن زيدون وقال في تهكم:

- لقد كان شاعرا مثلك يا أبا الوليد، فاحذر فإن الشعر كثيرا مايكون شؤما على قائليه، وإني أستطيع أن أعدّ لك مئات ممن قتلتهم أشعارهم. فقال الدارمي:

- لست أحفظ إلا قوله:

عجبًا يهابُ الليثُ حدَّ سناني
وأهابُ لَحظَ فواترِ الأجْفانِ
وتملكتْ نفسي ثلاثٌ كالدُّمى
زُهرُ الوجوه، نواعمُ الأبدانِ
هذي الهلالُ، وتلك بنتُ المشْتري
حُسْنًا، وهذي أختُ غُصنِ البانِ

فقال ابن حيان: يزعمون أنه يعارض بهذه الأبيات أبياتًا للرشيد، يقول فيها:

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني
وحللنَ مِنْ قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها
وأطيعهنَّ، وهنَّ في عصياني
ماذاك إلا أن سلطانَ الهوى ـ
وبه قوِيْنَ ـ أعزُّ من سلطاني

فقال ابن زيدون: هذا من وضع الرواة، فإن الرشيد لم يكن شاعرا. فوافق أبو مروان بإشارة برأسه، واتجه إلى الدارمي سائلا:

- وماذا جرى على قرطبة بعد قتل المستعين؟

- تولى الحكم أبناء حمود سبع سنين فكانت كسني يوسف، ثم تولى المستظهر بالله عبدالرحمن بن هشام، ولم يبق في الملك إلا سبعة وأربعين يوما، لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمت جماعة. وهنا أسرع ابن زيدون وقال:

- هذا كان شاعرا بحق يا أبا مروان.

- ما لنا وللشعر يا فتى، إننا أحوج إلى العقل والسياسة منّا إلى خيال رائع أو تشبيه نادر. لقد كان ابن المعتزّ في المشرق أبدعَ شاعر منذ أن تنفس الشعر بقافية، فهل أغنى عنه شعره شيئًا؟»(ص ص ٥١١-٥١٣).

وقد حرصنا على نقل هذا الجزء من أحد مشاهد الرواية، لندلل به على مدى الصنعة المتكلفة، التي يتعمدها الكاتب في الحوار، وكيف أن الاقتباس والمحفوظ من التراث، يظهر في الرواية بشكل واضح رغم اختلاف ثقافة وشخصية المتحاورين، ويبدو هنا - بوضوح - أن الكاتب قد نصّب نفسه (نائبًا) عن كل شخصياته؛ وهذا ما جعل الحوار لا يعبّر عن فروق فردية بين الشخصيات، ولا يدور حول مشاعر ذاتية أو هموم إنسانية خاصة، وإنما يدور حول قضايا عامة في الدين والسياسة والتاريخ والشعر والنقد.

ويبدو أن الجارم لم يكن يقصد من رواياته تعليم التاريخ فحسب؛ وإنما يقصد هدفا آخر أيضًا، هو تعليم اللغة، الذي «يتمثل في تقديم النموذج، الذي يتصوّر أنه «المثال» في الأسلوب، لتستفيد منه الناشئة في كتابتها وإنشائها. وقد حفلت رواياته بذلك الأسلوب الجزل الفخم، الذي يضم عدداً من الألفاظ المهجورة، أو يعتمد على معجم غير مألوف، بهدف تقديم أسلوب يقلده الجيل الجديد، الذي تأثر بلغة الصحافة السهلة»(٤).

وهكذا يبدو أن الجارم - الذي تربى في الأزهر ودار العلوم وبدأ حياته الأدبية شاعرا - لم يستطع أن يتخلص من ثقافته المحافظة؛ ولذلك جاءت الرواية التاريخية عنده (أقل فنية) من أعمال بعض معاصريه، ولكنها تميّزت برؤية معاصرة للتاريخ الإسلامي ومنحازة للأدب العربي، وقد تبدّى ذلك من خلال الرؤية والتشكيل، كما أوضحنا بالتفصيل.

ونود أن نؤكد - في النهاية - أن الرؤية السياسية في روايات الجارم، تعبّر عن (موقف) سلفي محافظ في الفكر والفن. وهذه الرؤية كانت - ولا تزال - تمثّل تياراً حقيقيا في الواقع العربي. لكن المؤلف لم يستطع أن يقدم روايته في شكل فنيّ ناضج، يصل - على الأقل - إلى مستوى الكتابات الروائية عند معاصريه.!!

الهوامش:

(١) رواية هاتف من الأندلس، الأعمال الكاملة للجارم، ص٦٠٥.
(٢) محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ط. دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م، ص٥٣، ٧٣.
(٣) ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، ط. دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٨-٦٧.
(٤) حلمي محمد القاعود: الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، ط. دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٤٣.




الحملة الفرنسية على مصر في أعين أدباء الجزيرة العربية (٢)

١٢١٣-١٢١٦هـ/١٧٩٨-١٨٠١م

د. عبدالله أبو داهش

ويمكن تتبع مواقف أدباء الجزيرة العربية تجاه هذه الحملة من خلال رسائلهم الديوانية ومكاتباتهم المختلفة، فقد ذكرت المصادر الموجودة بين أيدينا الآن أن المجاهدين الذين خرجوا من الجزيرة العربية من أجل قتال أولئك الإفرنج، قد كتبوا عندئذ رسائل لأعدائهم الفرنسيين يدعونهم فيها إلى الإسلام أو للحرب، إذ ذكر لطف الله جحاف في هذا الجانب أن الجيلاني زعيم المجاهدين آنذاك قد: «كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فإن أطاعوا، وإلا فهو مقاتل لهم»(١)، وأضاف هذا المؤرخ إلى قوله أن هناك رسائل متفرقة تحمل أخبار المجاهدين وتعبر عن أحوالهم، وضرب لذلك مثلاً بقوله: «جاءت الرسائل إلى مَنْ بأبنود وبئر عنبر مخبرةً»(٢) بوفاة الجيلاني؛ «طالبة من المسلمين الوصول للاطلاع على الوصية»(٣) التي خلفها.

وقد أفاض محمد بن علي الشوكاني في ذكر الرسائل الواردة من شريف مكة المكرمة إلى إمام اليمن حينذاك، وقال بأن شريف مكة غالب بن مساعد(٤)، أرسل في شهر رجب عام ١٢١٣هـ بكتاب إلى إمام اليمن المنصور بالله علي بن العباس(٥) (١١٥١-١٢٢٤هـ)، وأضاف إلى ذلك قوله: إن الشريف المذكور أرسل «في طيّ كتابه بكتاب من سلطان الروم»(٦)، وقد سرد الشوكاني بعد ذلك أخبار تلك الرسائل الديوانية التي ترد من مكة المكرمة إلى اليمن من أجل هذه الحملة، فقال: «وصل من الشريف كتاب فيه التبشير باستيلاء المسلمين على مَنْ بالقاهرة فضلاً عن الذين منهم بسائر الأقطار المصرية وبالأسكندرية وسنذكر هاهنا(٧) كتاب السلطان، ثم كتاب الشريف الأول، ثم كتابه الثاني، ثم الجواب من مولانا الإمام حفظه الله تكميلاً للفائدة وتبييناً للقضية، فإنها من الحوادث العظيمة التي ينبغي التعريف بها والإعلام بشأنها»(٨) وقد ذكر الشوكاني في موضع آخر بأن هنالك رسائل كثيرة(٩)؛ «وصلت من الشريف فيما يتعلق بهذه القضية»(١٠)، وهذه العناية الفائقة برصد أحداث هذه الحملة، وماجرى بسببها من الرسائل والمكاتبات المختلفة تدل على مواقف الأدباء الواضحة وتشير إلى غيرتهم الدينية؛ وحماستهم الإسلامية.

ومن الواضح أن تلك المكاتبات لم تقتصر على إمام اليمن وشريف مكة فحسب، وإنما جرى شيء منها بين إمام اليمن نفسه، والحاج يوسف باشا(١١) والي المدينة، فقد ذكر الشوكاني أنه ورد ليوسف باشا كتاب من إمام اليمن(١٢)، وقال بأن هذا الباشا رد على إمام اليمن بكتاب آخر(١٣). وعقّب الشوكاني من بعد ذلك بقوله «ثم جاءت الأخبار الصحيحة والكتب من شريف مكة وغيره في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢١٦هـ ست عشرة ومائتين وألف أن الجنود الإسلامية السلطانية أخرجت طائفة الافرنج أقماهم الله من الديار المصرية بعد أن ضايقوهم وحاصروهم وقتلوا أكثرهم وخرج الباقون في أمان، وعادوا إلى ديارهم، وتواترت هذه الأخبار وصحت والحمد لله رب العالمين»(١٤).

وقد عبّر الشوكاني عن موقفه بقوله: «فإن هذه الحادثة العظيمة اضطربت لها جميع الديار الإسلامية ورجفت عندها قلوب الموحدين، وتزلزلت بسببها أقدام كثير من المجاهدين، فالحمد لله الذي نصر دينه»(١٥). وهذا يدل على موقف أدباء هذه الجزيرة العربية وعلمائها من هذه الحملة الفرنسية ويشير إلى اليقظة الأدبية التي انتعشت في هذه الفترة بسبب هذه الظروف العصيبة التي هب فيها الأدباء والأمراء يذودون عن عقيدتهم وأوطانهم، ويعبرون عن مواقفهم تجاه أعدائهم بكل وضوح وصراحة.

وإذا كان محمد بن علي الشوكاني قد أرّخ لحركة الرسائل الديوانية في هذا الميدان، وأشار إلى نتائج الحملة الفرنسية على مصر، فإنه قد شهد أسباب تلك الحركة، واستطاع أن يسهم بشيء من نتاجه الأدبي في ميدانها؛ فالواقع أن الشوكاني ممن نهض بتدوين الرسائل الديوانية في هذا العهد، إذ ذكر عن نفسه أنه هو كاتب تلك الرسائل الصادرة من اليمن إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية من أجل هذه الحملة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «وهذا جواب مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله، وهو جواب عن مجموع كتابيْ الشريف، والمُنشي له على لسان مولانا الإمام هو الحقير مؤلف هذه التراجم التي اشتمل عليها هذا الكتاب»(١٦)، وقال في موضع آخر: «وأنشأ راقم الأحرف جواباتها عن أمر مولانا الإمام»(١٧)، وقال كذلك: «وهذه صورة جواب مولانا الإمام حفظه الله على وزير السلطنة من إنشاء الحقير أيضاً»(١٨)، ويدل هذا الحال على مشاركة الأدباء في هذا الميدان، وأنهم

قد وجدوا في ذلك اللون الأدبي سبيلاً للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم مما يعكس مواقفهم الأدبية تجاه تلك الحملة.

ومن تلك الرسائل رسالة الشريف غالب بن مساعد إلى إمام اليمن المنصور علي بن مهدي العباس التي يقول فيها: «... وإن(١٩) سألتم عنا فنحمده سبحانه على جزيل فضله وعظيم امتنانه، طيبين بخير وعافية، ونعمة من المولى(٢٠) وافية، والذي نبديه إلى مسامعكم العلية، وأفهامكم الذكية من الأمور الحادثة في الوجود، وجريان(٢١) أحكام الملك المعبود، لموجب احتياج أهل الإسلام إلى الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الشعور حتى صار ماصار من شرذمة أهل البغي والإنكار من التهجم على بلاد أسكندرية ومصر(٢٢) القاهرة بجنود من البحر على سفائن متواترة، وهم طائفة من جمهور الفرانسة، والملة الباغية التي بفضل الله أعلامهم ناكسة لمشاهدتهم في أحوال المسلمين ترك الثغور(٢٣) من(٢٤) التحصين فهجموا على تلك البلاد فلم يجدوا لجامحهم مدافعًا ولا حصنًا رادًا...»(٢٥).

وقد بعث الشريف غالب بن مساعد برسالة أخرى إلى إمام اليمن المنصور يخبره فيها بجهاد المسلمين في مصر، وأن الله قد أظهرهم على الفرنسيين، وكان لهاتين الرسالتين أثر كبير في إذكاء روح الحماسة الدينية عند الأئمة في اليمن، إذ يبدو أن خبر دخول الفرنسيين مصر قد أفزعهم وأحزنهم، كما أن أخبار النصر التي وردتهم من مكة المكرمة من بعد ذلك قد أطربتهم وزادت في أفراحهم، لذلك صدرت الرسائل من صنعاء إلى شريف مكة معبرة عن الحالين ومظهرة موقف الأئمة والأدباء في اليمن من هذه الأحداث، ومن تلك الرسائل الرسالة التي كتبها الشوكاني على لسان المنصور علي إلى شريف مكة غالب بن مساعد، وفيها يقول:

«... فإنه وصل من جنابكم العظيم ومقامكم الفخيم كتاب كريم(٢٦) يحكي ماصنعت أيدي الكفر بمصر، صانها الله عن كل نكر، فياله من حادث يبلبل الألباب، ويجلب الأحزان مالم يكن في حساب، فلقد أبكى وروّع وأوجع وأقام وأقعد، وشتت شمل كل أنس وبدد(٢٧). وواها له من خطب يصك مسامع الإسلام، ويخدد الخدود بفيض مدامع الأنام(٢٨)، لاسيما وتلك ديار مطهرة من أدناس الكفران، مقدسة عن أرجاس الطغيان، معمورة بالإيمان وعبادة الملك الديان على مرور الأزمان، فقد افتتحتها سيوف حزب الله ومحت أردان كفرانها صوارم أصحاب رسول الله، فلقد أظلم الخطب، وادلهمّ الكرب، وضاقت الصدور، وغلت من الأحزان قدور، ورغب النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير، وتشوق إلى جهاد أعداء الله كل جليل وخطير، كيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالإسلام والمسلمين، وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين لأنها في الدين. ومن بعدت عنه ديارها، فقد أحرقت قلبه وقالبه نارها...»(٢٩). ثم قال بعد ذلك: ولقد كنا على عزم شن(٣٠) الغارة، وإرسال طائفة من جنودنا المختارة.... وعند ذلك العزم المتين وافى كتابكم الأخير المشير بالفتح المبين، الحاكي لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين، فانشد لسان حال السرور، وحدا(٣١) بنا حادي الحبور الذي عمّ الجمهور:

هناءً محا(٣٢) ذاك الأسى(٣٣) المتقدما
فما عبس المحزونُ حتى تبسّما

فلقد انجابت ظلمات الهموم، وتقشعت غيوم الغموم(٣٤)، وابتلجت الخواطر وقرّت النواظر، وعند بلوغ تلك الأخبار أشعرنا هذهَ المسار الكبار بما شاع في جميع الأقطار وذاع بين البوادي والحضار، فيالها من مسرات شدت من عضد الدين، وفتت سواعد الملحدين، وقصمت ظهور الكافرين، وقلقلت معاهد المعاندين، اللهم إنا نحمدك حمدًا لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيّك من هذا الفتح والنصر...»(٣٥). ولم يكتف المنصور علي بمكاتبة شريف مكة، وإنما أرسل خطابًا آخر إلى وزير السلطنة الزرقاء الحاج يوسف باشا والي المدينة يبين له فيه موقفه الواضح من هذا الاعتداء على مصر، ويظهر له استعداده لحرب أولئك الفرنسيين، ويرى أن لمّ الشمل، واتحاد الكلمة من أسباب النصر والظفر(٣٦)، وهذا يعكس مواقف ولاة الأمر في هذه الجزيرة العربية من تلك الأحداث، إذ برزت واضحة لدى الأدباء الذين تولوا حينذاك كتابة هذه الرسائل وتدوينها.

الهوامش:

١ـ سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص١٠١.
٢ـ المصدر نفسه، ص١٠٣.
٣ـ المصدر نفسه، ص١٠٣.
٤ـ تولى إمارة مكة المكرمة عام ١٢٠٢هـ، وانضم إلى صفوف الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩ـ١٢١٨هـ)، ثم في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨ـ١٢٢٩هـ)، نفاه محمد علي باشا إلى مصر عام ١٢٢٨هـ، وتوفي سنة ١٢٣١هـ. انظر البدر الطالع للشوكاني ج١، ص٤ـ٢٤. وانظر أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم، ص١٢٧ـ١٣١.
٥ـ ولد بصنعاء عام ١١٥١هـ، وتولى إمامة اليمن عام ١١٨٩هـ وظل فيها حتى توفي سنة ١٢٢٤هـ. أفرد له لطف الله جحاف مؤلفًا مستقلاً، انظر نيل الوطر لزبارة، ج٢،ص١٤٠ـ١٤٢.
٦ـ البدر الطالع، ج٢، ص٩.
٧ـ لي المصدر ههنا.
٨ـ البدر الطالع ج٢ص٩.
٩ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.
١٠ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.
١١ـ أمير المدينة المنورة وبندر جدة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وصفه الشوكاني بقوله: «وصلت إلينا الأخبار بأنه من أعظم الأمراء في الدولة العثمانية، وأن له من الجهاد في بلاد الإفرنج مالم يكن لغيره، وله فتوحات عظيمة». البدر الطالع ج٢، ص٣٥٧.
١٢ـ شكك الشوكاني في كون إمام اليمن المنصور أرسل بخطاب إلى الحاج يوسف باشا والي المدينة في بادئ الأمر، وقال: «وصل منه في سنة ١٢١٤هـ كتاب إلى حضرة مولانا الإمام المنصور بالله، وذكر فيه أنه وصل إليه كتاب من مولانا الإمام حفظه الله، ولا حقيقة لذلك، فلعله افتعله بعض المفتعلين..» البدر الطالع، ج٢ ص٣٥٨، ولكن الشوكاني أفاد بأن الإمام المنصور بعث بكتاب إلى الحاج يوسف باشا بعد ما وصله كتاب منه. وقد أورده الشوكاني في كتابه البدر الطالع، ج٢، ص٣٦٤، ولعل الشوكاني صادق في قوله إذ يبدو ان الحاج يوسف نفسه قد بدأ بالكتابة، ثم أجابه المنصور من بعد ذلك.
١٣ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥٨.
١٤ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٨.
١٥ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٨.
١٦ـ كتابه السابق، ج٢، ص٢٠.
١٧ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.
١٨ـ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٦.
١٩ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: فإن.
٢٠ـ زاد في درر نحور العين: الكريم.
٢١ـ كذا في درر نحور العين، وفي البدر الطالع: وجزيل.
٢٢ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: مصر.
٢٣ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: لثغورهم.
٢٤ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: عن.
٢٥ـ محمد بن علي الشوكاني، كتابه السابق، ج٢، ص١٥، ١٦.
٢٦ـ لعله قبس هنا من قوله تعالى: ﴿قالت يأيها الملأُ إنّي أُلقيَ إليّ كتابٌ كريمٌ﴾(النمل: ٢٩).
٢٧ـ زيادة في البدر الطالع.
٢٨ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: الأيام.
٢٩ـ الشوكاني: كتابه السابق، ج٢، ص٢١، ٢٢.
٣٠ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: بعث.
٣١ـ كذا في البدر الطالع: حدى، وقيل خلاف هذا ظاهر في لفظ الرسالة عند لطف الله جحاف في درر نحور العين، والشوكاني في البدر الطالع.
٣٢ـ كذا في درر نحور العين، وفي البدر الطالع: محى.
٣٣ـ كذا في درر نحور العين، وفي البدر الطالع: العزا.
٣٤ـ كذا في البدر الطالع، وفي درر نحور العين: العموم.
٣٥ـ محمد بن علي الشوكاني، «البدر الطالع».
٣٦ـ المصدر نفسه ٢/٣٦٤.

يوسي أوولا

ولدت في اليابان وأسلمت في القاهرة

عشقت يوسي أوولا الفلسفة منذ أن بدأت تعي ما تقرأ. ولا عجب في ذلك؛ ففي بلدها اليابان يرضع الطفل حب الفلسفة مع الغذاء اليومي، فاليابانيون - شأنهم شأن معظم أبناء الحضارات الشرقية - مغرمون بالنظريات الفلسفية، بل إن حضارتهم تقوم أساساً على الفلسفة، ويمكن لأي زائر أن يلمس ذلك بوضوح من خلال مايراه من حرصهم على الاحترام الزائد كلما التقى أحدهم بالآخر، ذلك الحرص الذي يؤكد أن هذا الاحترام الياباني نابع من فلسفة عميقة الجذور في هذا الشعب تدعوه إلى تقدير آدمية الإنسان، وتوقيره بوصفه أرقى أنواع المخلوقات.

مع الفلسفة

انطلاقًا من هذه الرؤية الفلسفية التي توقر الإنسان لم تستطع يوسى أوولا أن تهضم النظريات الفلسفية الأوروبية التي تزعم أن الإنسان كان في أصله قردًا ثم ارتقى، وأحست في قرارة نفسها أن تشارلز داروين حين خرج على العالم بنظريته حول النشوء والتطور قد اتبع قاعدة «خالف تُعرف» واستثمرها - حيث لايجوز الاستثمار ولاينبغي - محققًا شهرة على أساس كاذب خادع، لا يقبله المنطق أو الفطرة الإنسانية السليمة.

وقادها عشقها للفلسفة إلى الالتحاق بجامعة (كي.أو) في طوكيو لتدرس هذا العلم في أحد أقسامها، حيث أتاحت لها هذه الدراسة أن تقرأ كتبًا كثيرة عن الكون، وأن توازن بين ما أنتجته العقول الشرقية والغربية من آراء ونظريات حول هذا الموضوع الشائك الذي شغل الإنسان منذ بدء الخليقة وما يزال يشغله برغم ما تحقق خلال العقود الأخيرة من تقدم علمي جبار على الأصعدة كافة.

دراسات ومؤلفات

تخرجت يوسي أوولا في الجامعة وتزوجت وعملت في شركة سوميتومو إحدى كبريات الشركات اليابانية؛ إلا أن الزواج والعمل لم ينسياها عشقها للفلسفة أو رغبتها العارمة في معرفة الإجابات الحقيقية لكيفية نشأة هذا الكون، بل تأججت هذه الرغبة حين بدأت تقترب من سن الأربعين؛ فأخذت تبحث عن الإجابات عبر استقراء الثقافات الشرقية في منابعها الأصلية ببلادها، وكان أن سافرت إلى بلدان عديدة، وأخرجت كتبًا منها كتاباها: «أصل الكون»، «فلسفتي والهند».

تبلور فكرتها عن الكون

كان كتابها «أصل الكون» بداية اتجاهها نحو عتق روحها، إذ بدأت فكرتها عن الكون تتبلور، وأحست أن هناك قوة إلهية غامضة هي التي أوصلتها إلى تقديم ما قدمته في كتابها من تفسير لأصل الكون، وتعمقت رغبتها في مزيد من الاطلاع، فقرأت لمفكرين آراء في التصوف، وبدأت تشعر بصفاء نفسي مثير ومنشط للعقل، وأخذت تقرأ عن الإسلام وتفسيره للوجود، وعرفت

خلال رحلتها إلى الهند معلومات كثيرة عن هذا الدين، ولم تلبث أن عرفت من بعض مَنْ خالطتهم من الهنود المسلمين أن كثيرا من المعلومات والآراء التي أخبروها بها قد عرفوها من مصر، ومن أزهرها تحديدًا.

في القاهرة

ظلت يوسي تحلم بالمجيء إلى مصر، والنهل من مناهل جامعتها الأزهرية، وتحقق لها هذا الحلم في شهر سبتمبر عام ١٩٩٤م، حيث جاءت إلى القاهرة في رحلة سياحية كان الظاهر منها ارتياد مزاراتها الأثرية مثل الأهرامات ومعابد الفراعنة في الأقصر وأسوان، وغير ذلك من الآثار، إلا أن هدفًا آخر كان يعتمل في عقلها، وهو البحث عن إجابات لأسئلتها الحائرة حول الكون والإنسان.

وأحست يوسي حين وطئت قدماها أرض مصر بشعور خفي بأن ما تبحث عنه سوف تجده لدى المصريين، لهذا لم تضيع وقتها وبادرت لدى وصولها إلى طلب مساعدة بعض أصدقائها من المصريين الذين يتقنون اللغة اليابانية، لتعريفها بالإسلام والقرآن الكريم.

مع كلمات الله

الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.... كمثل شدو البلابل عانق صوت المؤذن أذنيها، وهو يؤذن معلنًا المسلمين للصلاة، وانساب إلى ثنايا قلبها، فمس شغافه، وانتبهت يوسي من استغراقها الروحي البديع مع صوت المؤذن على مشهد المسلمين وهم يسيرون إلى المسجد زرافات ووحدانًا متجهين لأداء نسكهم في خشوع يتساوى فيه فقيرهم وغنيهم، مهما علا مركزهم الاجتماعي أو تدنى.

استوقفها المشهد بما يوحي به من قيم روحية وارتباط وثيق بين المسلمين وخالقهم، فازدادت رغبة في التزود من هدى القرآن الكريم لعلها تجد في كتاب الله ما يكشف لها حقيقة هذا الإيمان الغامض.

الاتجاه إلى الإسلام

وجدت يوسي أوولا في كتاب الله ما لم تجده في كتاب آخر، فهو بمعانيه المعجزة يقدم تفسيرًا لنشأة الكون والإنسان في تسلسل واتساق بديعين محال أن يقدمه كتاب آخر، وازدادت دهشتها حين علمت أن خمسة عشر قرنًا قد مرت على نزول هذا الكتاب الذي سألت عمن ألفه فكانت الإجابة: لا أحد.. هذا كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقطع - عز وجل - على ذاته الكريمة عهدًا بحفظه.

لم يطل الأمر كثيرًا بتلك الباحثة عن الحقيقة، فما جاءت إلى أرض مصر من أجله قد وجدته، إذ شدها الإسلام عقيدة وسلوكًا بما احتوى عليه من قيم سامية، وأدركت أن روحها قد وجدت أخيرًا ما تبحث عنه، فاتخذت قرارها باعتناق الإسلام، بعد أن آمنت به عن قناعة واقتناع كاملين وأدركت بروحها وعقلها أنه الدين الحق.

حين اتجهت يوسي أوولا إلى الجامع الأزهر لتشهر إسلامها رسميًا كان الرضا يظلل روحها، فلم تشعر بالزمن الذي قطعته كي تصل إلى المسجد، وما إن وقفت أمام الإمام لتنطق الشهادتين، حتى أحست بلسانها يتسق مع دقات قلبها، وينطق بشهادتي الإيمان بسهولة ويسر بالرغم من عدم معرفتها باللغة العربية، وخرجت يوسي من الجامع الأزهر تحمل اسمًا جديدًا هو مريم نوسي وهدان، إذ بدأ مولدها الحقيقي مع هذه اللحظة الخالدة التي خلعت فيها ضلال جاهليتها وظلمات روحها، ولبست رداء الإيمان الكامل بالله وحده الذي لا شريك له.

وتضحك مريم كلما تذكرت اليوم ما كانت عليه في حياتها الأولى من ضياع روحي، ثم تسجد شاكرة لله، مؤكدة أنها تسعى كل يوم إلى الاستزادة من معرفتها بالإسلام من خلال الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغة اليابانية، وفي الوقت ذاته تدرس اللغة العربية لعلها تتمكن يومًا من قراءة كتاب الله بلغته بعيدًا من ترجمات المعاني.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

موسى وهارون عليهما السلام

موسى وهارون نبيان ورسولان عليهما الصلاة والسلام، فهل يعني إرسال هارون شيئًا غير الرسالة؟

بو حامدو نالي جابا، ساحل العاج.

لا.. فإن موسى وأخاه أرسلا إلى فرعون وملئه بالدعوة إلى التوحيد والحكم بشريعة الله في شؤون الدين والدنيا على ما في سور: هود والأنبياء والقصص والشعراء. لكن إرسال هارون مع موسى عليهما السلام كان بشفاعة من موسى عليه السلام فيكون ردءًا ليصدقه فرعون والملأ؛ فيكون هارون عليه السلام كالمبلغ والداعي في كثير من الكلام. قال تعالى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني﴾ (القصص:٣٤).

وهناك نقطة مهمة في أساسيات الرسالات؛ هي أن الجهد ضروري جدًا وليست الدعوة والبلاغة هي كل شيء. فلابد بجانب الدعوة اللفظية من العمل الحكيم العاقل الأمين المخلص الدؤوب.

صحة أحاديث

ما صحة هذه الأحاديث:

١- من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

٢- إحياء أبويْ النبي صلى الله عليه وسلم فآمنا به.

٣- أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

٤- إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا.

٥- اختلاف أمتي رحمة.

مخلص بن موسى الطويل، دمشق، سورية.

الأول: ضعيف لخلل في سنده لكن معناه صحيح، وقد دلت عليه نصوص أخرى من الكتاب والسنة

٢- الثاني: لم يصح أبدا.

٣- الثالث: موضوع.

٤- الرابع: لم يصح بهذا اللفظ ولابغيره.

٥- الخامس: ضعيف جدا.

أما البقية فهي تدور بين الضعف والحُسْنِ، ولعل من ناقشكم حولها وحكم عليها جميعا بالوضع لم يدر ما يقول. لكن ناقشوه في الأسانيد وعللها بهدوء وعلم وفهم ونية خالصة، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء والإسناد من الدين.

ميل القلب

لي زوجتان أميل إلى إحداهما دون الأخرى بسبب حسن صورة وجمال أخلاق فماذا عليَّ؟

داود. س.س.س، جدة.

الواجب: العدل في النفقة والمكث والعلاج والتبسط والزيارة الواجبة لأهلهما.

ومَيْلُ القلب لاتملكه فلا تُؤاخَذ على هذا، إلا إذا قادك إلى الظلم. لكن تودد لتلك وعاشرها بنية صالحة مخلصة.

المرور بمكة دون إحرام

ما حكم المرور بمكة دون إحرام مع المكث بها؟

سليم بن ناصر اليافعي، تعز،اليمن.

لابأس بهذا، فمن أراد السفر إلى مكة ولم يرد حجًا ولا عمرة فلا عليه ألا يحرم، لكن الأفضل في حق البيت الحرام هو أن يذهب إلى الكعبة فيطوف حولها سبعة أشواط تحية البيت العتيق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فإنه صلى الله عليه وسلم كان أول ما يبدأ به هو الطواف قبل كل شيء يريده.

ردود خاصة

السائل: يعقوب عوض ميخائيل، كلورادو، الولايات المتحدة:

الدين النصراني يقوم على التقليد والعواطف والاتباع المتكئ على الإرث دون جدل عقلي أو نقاش علمي جاد أمين متجرد، ولذلك لاتجدهم ذوي حوار أصيل فيما يتعلق بأمور أساسية. خذ مثلاً:

١- هل يمكن أن يولد الإله؟ تعالى الله عما يقولون.

٢- حينما حَلَّ اللاهوت في الناسوت وتم الصلب كما يزعمون، هل سكت اللاهوت؟

٣- هل يكون تحمل (آلام البشر) بهذه الصورة؟

٤- من كان يقوم على شؤون الخلق والأكوان حال الحلول كما يقولون؟

٥- إذا كانت كلمات عيسى عليه السلام هي كلمات الرب؛ فكيف يتم تغييرها وتبديلها من قبل الأتباع؟

ألا يدل هذا كلُّه وغيره على التجاهل والحمق واتباع الهوى؟

ومهما بدت الإجابات عن تلك الأسئلة، فيبقى أن الإجابات لن تكون بصدق وعلم وعقل وسداد.

وسورة مريم في القرآن الكريم من تأملها بعقل وتجرد وطلب للحق يوشك أن يلحق بالحق ولايتعداه.

الأخ ص.ص.ص، الرياض:

لاتيأس، واصبر بوعي دائم وتحمَّل ما أنت فيه بسبب الزوجة. استعمل سلاح الدعاء مع نية حاضرة مخلصة، واسأل الله سؤال المضطر بإلحاح، وتحرَّ أوقات الإجابة.

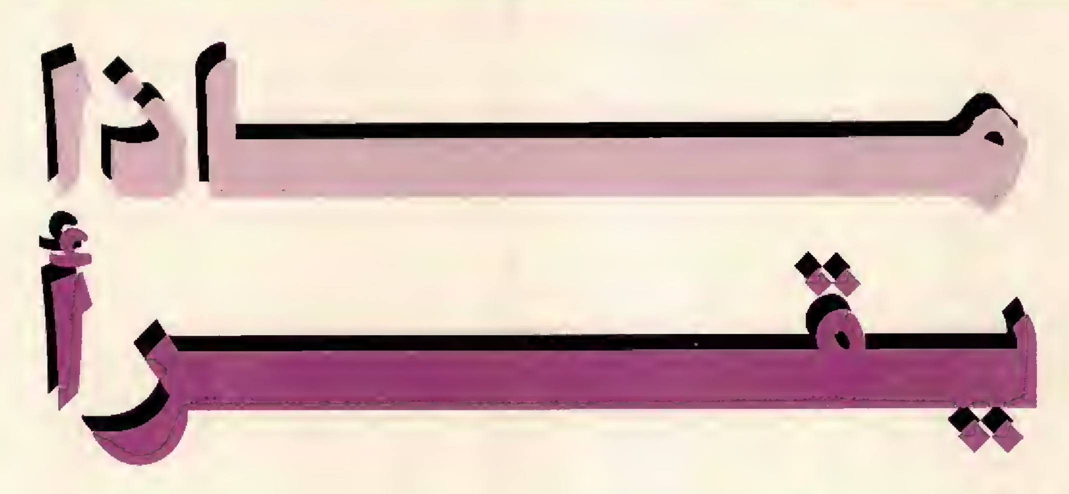
ولاتستعجل الإجابة لكنها قاب قوسين أو أدنى لمن كان في مثل حالتك الصعبة. كرر الدعاء واستعن بالصبر، وانتظر الفرج.

الأخوة: محمد بن ركاد بن ضاوي، ومحمد بن سجا العنزي، وسلمان بن هادي الشمري، وعلي بن عفنان المطيري، الكويت:

تصلكم أجوبة خاصة حول: زراعة الأعضاء، وكذا استعمال المنظار المقرِّب (التلسكوب) في عملية إدخال الأهلَّة، وكذلك استبدال العملة المعدنية بالعملة الورقية.

الأخ مصطفى نجيب، ج.م.ع:

لم يقع الطلاق، ويصلك تفصيل علمي شرعي حسب رغبتك.





حسن بن حسين المهنّا

الفلاح الحصيف والزارع الخبير لا يضع جهده في أرض إلا بعد أن يختبرها، ويعرف نوعها، ويتأكد من مقدار خصوبتها، أو عيوبها، وهل هي من الرمل أم من الطين أو الصخر، وهل هي سبخة أو خصبة، وغير ذلك من خواص التربة. فإن هو بذر البذور وصار يسقي الأرض وهو لم يفعل شيئًا مما سبق، طال انتظاره، ولم ينتج نخله بعد ذلك إلا شيصًا، فلا يلومنَّ إلا نفسه (الشيص: تمر لم يتم نضجه لسوء تأبيره أو لفساد آخر).

والمفكر الإسلامي الذي يريد أن يغرس بذرة الخير والإحسان في نفوس البشر هو أولى بتعرّف التربة التي ينوي أن يزرع فيها، وأحوج إلى الدراسات «التسويقية» - إذا صح التعبير - وخاصة ونحن نتدحرج نحو زمان يوغل في المادية كما لم يحدث من قبل.

وهذا الدراسة تحاول أن تجيب عن هذا السؤال: «ماذا يقرأ العالم؟»، لأننا إذا عرفنا ماذا يقرأ عرفنا بماذا يهتم، وعرفنا بذلك المدخل إلى نفسيته وتفكيره. وقد تم في هذه الدراسة مسح أكثر من ألفين من المطبوعات العالمية، ولكننا قبل البدء لا بد أن ننبه القارئ إلى عدة ملاحظات:

أول ملاحظة أن هذه الدراسة لا تشمل الجرائد اليومية لأنها غير متخصصة؛ بل تعالج مواضيع عامة من السياسة إلى الاقتصاد والرياضة والفنون، لذلك فإن إضافتها إلى هذه الدراسة لن تسعفنا بمعلومات دقيقة عن توجهات القراء في العالم واهتماماتهم، ونحسب أن الجرائد اليومية متشابهة وكل منا يعرف طبيعتها وتوجهاتها، وقد استثنينا من ذلك جريدة وول ستريت جورنال الأمريكية المعروفة وجريدة غانجي جانجماو الصينية وجريدة نيكان كوغيو شينبان اليابانية لأن هذه الجرائد الثلاث ليست عامة؛ بل متخصصة في التجارة والاقتصاد، كما أنها ليست يومية تمامًا؛ بل تصدر خمس مرات في الأسبوع.

والملاحظة الثانية أن هذه الدراسة اقتصرت على المطبوعات التي لا يقل توزيع الواحدة منها عن ربع مليون نسخة، ومن أسباب ذلك مايلي:

أولاً - المطبوعات ذات التوزيع الأعلى تعطي فكرة أفضل عن توجهات حقيقية لدى أعداد كبيرة من الناس، فهناك مثلاً مطبوعات توزع بالآلاف أو المئات فقط، وهذه لا يمكن أن نستنتج منها اهتمامًا عامًا أو توجهًا أو ثقافة معينة.

ثانيًا - ميدان النشر متحرك وليس ثابتًا، أي إن هناك كثيرًا من المطبوعات التي تخرج إلى الساحة بين حين وآخر، وتلك التي تتوقف عن الصدور، وفي القائمة التي تضمنتها هذه الدراسة بدأنا بعدد من المطبوعات هو ٢٠٦٣، ولكن لم يبق منها إلا ١٧٤٤ مطبوعة (بفارق ٣١٩ مطبوعة)، والأكثرية من المطبوعات التي أسقطت توقفت عن الصدور في السنوات الأخيرة، ولو أن الدراسة شملت كل المطبوعات في العالم لكان هناك الآلاف من المطبوعات التي تبدأ أو تتوقف عن الصدور يوميًا بشكل لا يتمكن فيه أحد من حصر عددها ومضمونها في أي وقت من الأوقات.

وفي بداية الدراسة رأينا أن هناك ما يقارب ٣٢٠٠٠ مطبوعة في العالم يصل عدد قراء كل منها إلى عشرة آلاف فما فوق، ومنها ٥٤٦٤ من المطبوعات يزيد عدد قراء كل منها على ١٠٠.٠٠٠ قارئ، ومن ضمنها ٢٠٦٣ مطبوعة لا يقل قراء كل منها عن ربع المليون قارئ، ومنها ٤٣٠ مطبوعة أقل واحدة منها ذات مليون قارئ، كما أن من هذه المطبوعات ٢٠ مطبوعة لا يقل قراء كل منها عن ثمانية ملايين قارئ، وقد اخترنا التوقف عند حد ربع المليون نسخة كحد مناسب متوازن يجمع بين شمولية الدراسة من ناحية، ومعقولية الجهد الضروري للدراسة من ناحية أخرى.

ولا بد لنا من وقفة أخرى، للاتفاق على معيار محدد لموازنة مدى انتشار مطبوعة مع أخرى، فنحن نعرف أن المطبوعات تختلف في إصدارها؛ فهي قد تصدر ٥٢ مرة في السنة (أسبوعية) أو ١٢ مرة (شهرية)، أو قد تكون على شكل تقارير سنوية أو نصف سنوية أو فصلية وغير ذلك، ولهذا فإنه ليس من الدقة موازنة المجلات بكمية النسخ المطبوعة للعدد الواحد فقط.

فنحن - مثلاً - لا نستطيع أن نقول بأن توزيع نشرة المتقاعدين (واسمها الكامل نشرة الجمعية الأمريكية للأشخاص المتقاعدين) هو ضعف توزيع دليل التلفاز TV GUIDE، فالأولى شهرية وتوزع ٣٣ مليون نسخة في الشهر،

والثانية توزع ١٥.٨ مليون نسخة في الأسبوع (أي ٦٣ مليون نسخة في الشهر)، وبسبب اختلاف التكرار التوزيعي (شهريًا أو أسبوعيًا) تمت موازنة جميع المطبوعات على أساس عدد النسخ الموزعة في السنة كلها، وأعطيت كل مطبوعة عددًا من النقاط بحيث تساوي النقطة الواحدة مليون نسخة توزع في السنة، فعلى سبيل المثال حصلت مجلة ريدرز دايجست (الطبعة الأمريكية) على ١٩٥ نقطة لأنها توزع شهريًا ستة عشر مليونا وربع المليون نسخة (١٦.٢٥X١٢=١٩٥).

وحسب هذا المعيار فهذا جدول يبين أشهر خمسين مطبوعة في العالم.

اسم المطبوعة	دولة المنشأ	تخصص المطبوعة	الأعداد سنويًا	التوزيع (بالمليون)	النقاط
دليل التلفاز	أمريكا	التلفاز	٥٢	١٥.٨٠	٨٢١.٦
ديوان الأخبار الوطنية	أمريكا	عام	٥٢	١١.٠٠	٥٧٢.٠
نشرة المتقاعدين	أمريكا	الشيخوخة	١٢	٣٣.٠٠	٣٩٦.٠
بيونرسكايا برافدا	روسيا	الأطفال والشباب	١٠٤	٣.٦٠	٣٧٤.٤
برج المراقبة	أمريكا	المسيحية	٢٤	١٥.٥٧	٣٧٣.٧
استيقظ	أمريكا	المسيحية	٢٤	١٣.١١	٣١٤.٦
أخبار العالم	أمريكا	عام	٥٢	٤.٨٦	٢٥٢.٦
غانجي جنجماو	الصين	التجارة والاقتصاد	٢٦٠	٠.٩٦	٢٤٩.٦
وول ستريت جورنال	أمريكا	التجارة والاقتصاد	٢٦٠	٠.٩٣	٢٤٥.٩
زراعة لانكاستر	أمريكا	الزراعة	٥٢	٤.٢٣	٢٢٠.٠
تايم	أمريكا	عام	٥٢	٤.١٦	٢١٦.٣
آر تي في	أمريكا	مذياع/تلفاز	٥٢	٣.٨٧	٢٠١.٥
ريدرز دايجست	أمريكا	عام	١٢	١٦.٢٥	١٩٥.٠
ناشيونال انكوايارر	أمريكا	عام	٥٢	٣.٧١	١٩٢.٧
هوير زو	ألمانيا	السفر والسياحة	٥٢	٣.٤٠	١٧٦.٩
تيلي ٧ جورز	فرنسا	التلفاز	٥٢	٣.٣٤	١٧٣.٤
أوغونيك	روسيا	الأدب السياسي	٥٢	٣.٢٠	١٦٦.٤
بيبل ويكلي	أمريكا	عام	٥٢	٣.١٥	١٦٣.٨
الرياضة المصورة	أمريكا	الرياضة	٥٢	٣.١٥	١٦٣.٨
أوف إين بلوف	ألمانيا	عام	٥٢	٣.١٠	١٦١.٣
نيوزويك	أمريكا	عام	٥٢	٣.١٠	١٦١.٢
ستار	أمريكا	عام	٥٢	٣.٠٨	١٥٩.٩
سيني - ريفيو	بلجيكا	السينما/الفيديو	٥٢	٣.٠٠	١٥٦.٠
تي في تايمس	بريطانيا	التلفاز	٥٢	٢.٩٤	١٥٣.١
مدام فيغارو	فرنسا	الموضة	٥٢	٢.٨٧	١٤٩.٢
ميديتسينسكايا جازيت	روسيا	الطب والصحة	١٠٤	١.٤٣	١٤٨.٧
تي في سوريسي	إيطاليا	التلفاز	٥٢	٢.٨٠	١٤٥.٦
بيلد أم سونتاغ	ألمانيا	عام	٥٢	٢.٧٥	١٤٣.١
نيكان كوغيو شيبان	اليابان	التجارة والاقتصاد	٢٦٠	٠.٥٥	١٤٣.٠
مودرن ماتشوريتي	أمريكا	الشيخوخة	٦	٢٢.٤٥	١٣٤.٧
بان يو تان	الصين	الأدب السياسي	٢٤	٥.٣٨	١٢٩.١
فيرنسيه ووش	ألمانيا	عام	٥٢	٢.٤٨	١٢٨.٩
ساندي اكسبرس	بريطانيا	عام	٥٢	٢.٣٩	١٢٤.٣
يو إس نيوز	أمريكا	السياسة	٥٢	٢.٣٥	١٢٢.٣
ناشيونال جيوجرافيك	أمريكا	الجغرافيا	١٢	٩.٧٠	١١٦.٤
بيلد دير فراو	ألمانيا	الموضة	٥٢	٢.٢٣	١١٦.١
فانك أوهر	ألمانيا	عام	٥٢	٢.٢٢	١١٥.٣
فيسلي كارتينكي	روسيا	الأطفال والشباب	١٢	٩.٣٥	١١٢.٢
فاميلي سيركل	أمريكا	المنزل والديكور	١٧	٥.٩٤	١٠١.١
بتر هومز آند غاردنز	أمريكا	المنزل والديكور	١٢	٨.٠٠	٩٦.٢
تينا	أمريكا	المرأة	٥٢	١.٨٤	٩٥.٧
نيو بوست	ألمانيا	المرأة	٥٢	١.٨٣	٩٥.٠
بيونته	ألمانيا	عام	٥٢	١.٨٠	٩٣.٦
تيلي - بوشه	فرنسا	التلفاز	٥٢	١.٨٠	٩٣.٦
فيمي اكتويل	فرنسا	المرأة	٥٢	١.٧٧	٩١.٩
يو إس آ ويكند	أمريكا	عام	٥٢	١.٦١	٨٣.٧
راديو تايمس	بريطانيا	الاتصالات	٥٢	١.٥٦	٨١.٣
واين أون ذ لاين	أمريكا	طعام ومشروبات	٥٢	١.٥٠	٧٨.٠
كروز روجا إسبانولا	إسبانيا	اجتماعيات	١٢	٦.٥٠	٧٨.٠
برزيجاكيولكا	بولندا	المرأة	٥٢	١.٥٠	٧٨.٠

وفي ضوء ما سبق لنا أن نتساءل: ما المواضيع التي يقرؤها العالم؟ وما المواضيع التي تخصصت فيها المطبوعات العالمية الكبرى؟ الجدول التالي يجيب عن هذا السؤال حيث نذكر فيه أهم ثلاثين تخصصًا للمطبوعات العالمية:

رقم	الموضوع	عدد المطبوعات	مجموع النقاط
١	عام	٢٠٣	٥٩٠٣.٦
٢	التلفاز	٤٨	٢٥٢١.٢
٣	المرأة	١٠٤	١٩٩٤.١
٤	التجارة والاقتصاد	٩٥	١٥٨٩.٥
٥	الأطفال والشباب	٩٧	١٢٥٤.٩
٦	المسيحية	٦٠	١١٩٦.٦
٧	الأدب السياسي	٣٧	٩٠٧.٦
٨	المنزل والتصميم (الديكور)	٨٤	٧٩٤.٢
٩	التربية	٤٧	٧٠٣.٤
١٠	الموضة	٤٠	٦٥٠.٩
١١	الشيخوخة	٢٢	٦٤٢.٨
١٢	الطب والصحة	٦٧	٥٤٣.١
١٣	السفر والسياحة	١٦٣	٥٠٠.٧
١٤	الزراعة	٢٥	٤٦٥.٨
١٥	الرياضة	٥٨	٤٥٩.٧
١٦	وسائط النقل	٦٠	٣٦٠.٢
١٧	التلفاز/المذياع	٣	٣٣٤.٠
١٨	السينما والفيديو	١٨	٢٧٣.٠
١٩	نقابات وشؤون العمال	٣٣	٢٦٧.٤
٢٠	الموسيقى والرقص	٢٥	٢٣٣.٧
٢١	اجتماعيات	٢٧	٢٢٨.٦
٢٢	شؤون المستهلكين	٢٣	٢١٨.٦
٢٣	السياسة	١٣	٢١٧.٤
٢٤	اهتمامات الرجال	٢٣	٢١٣.٧
٢٥	العلوم والتقنية	٢٩	٢٠٩.٨
٢٦	طعام ومشروبات	٢٧	١٩٤.٦
٢٧	الأدب	٢٦	١٨٤.٤
٢٨	الحاسوب (الكمبيوتر)	٢٥	١٧٦.٦
٢٩	الرحلات الخلوية	٣١	١٤٢.٠
٣٠	الجغرافيا	٥	١٣٢.٩

وهنا يلزم أيضًا توضيح بعض المفردات؛ فالمطبوعات المتخصصة في السياسة هي التي تعالج المواضيع السياسية عن طريق كتاب متخصصين أو دبلوماسيين، أما مطبوعات الأدب السياسي فهي تلك التي تخلط الأدبيات بالسياسة وتحتوي على كتابات ساخرة أو رسوم كاريكاتورية أو ندوات عامة أو غير ذلك مما يتعلق بالأحداث السياسية.

أما مجلات الرجال فتعنى بملابس الرجال ومواضيع عن فرص العمل والسفر ومقالات فكاهية وبعض المواضيع الإباحية. ومجلات المرأة تشمل اهتمامات المرأة من الأزياء والزينة (الموضة) إلى الطبخ مرورًا باحتياجات المرأة العاملة. أما مجلات (الموضة) فهي التي تقتصر على الملابس وأدوات الزينة (الأكسسوارات) بشكل رئيس، ومجلات المنزل والديكور تشمل بناء المنزل وتعديل التصاميم أو وصفات الطبخ والاقتصاد المنزلي و(الديكور) وكل ما يتعلق بالمنزل.

أما مجلات الاجتماعيات فهي تلك التي تهتم بفئة اجتماعية معينة (كالأمريكيين الأفارقة أو الآسيويين)، أو تهتم بالمشكلات الاجتماعية كانتشار المخدرات وإدمان الخمر وجرائم الأحداث وغيرها. ومجلات الشيخوخة هي التي تهتم بقضايا التقاعد والقوانين الأخرى المهمة لكبار السن وقد تتعدى ذلك إلى القضايا الصحية المتعلقة بالشيخوخة. ومجلات الأطفال والشباب تتدرج في اهتمامات مراحل العمر المختلفة، من مجلات الأطفال إلى مجلات اليافعين ثم المراهقين والشباب، وكان الواجب فصل مجلات الأطفال لنتعرف نسبتها، ولكن لم تتوافر إحصائيات منفصلة لهذه الفئة.

أما مجلات وسائط النقل فتعنى غالبًا بالسيارات، فمن بين ٦٠ مجلة في هذا المجال هناك مجلات قليلة جدًا مخصصة للسفن أو القطارات. أما مجلات الرحلات الخلوية فهي مخصصة لصيد السمك والقنص والتخييم ورحلات الاستكشاف والأنشطة الخلوية الأخرى.

من الجدول السابق يتضح لنا الحجم الهائل الذي استحوذ عليه التلفاز من اهتمام الناس، فالناس لا يشاهدون التلفاز فقط، بل يقرؤون عنه أكثر مما يقرؤون عن أي موضوع آخر في العالم. ولو جمعنا المجلات المخصصة للتلفاز مع تلك التي تغطي التلفاز والمذياع (الراديو) معًا لرأينا أن هناك ٢٨٥٥.٢ مليون نسخة توزع وتقرأ في العالم سنويًا.

من جهة أخرى لم يفاجئنا المركز المتقدم للتجارة والاقتصاد في دائرة الاهتمام العالمي، لكن الانتشار الهائل للمطبوعات المسيحية أكبر مما كان متوقعًا بكثير، وهو يؤكد تزايد المد الديني في الغرب بالرغم من الأفكار العلمانية التي ما تزال تنتشر

من الغرب نفسه إلى أرجاء العالم كله.

ولعل تقدم مواضيع المرأة والأزياء الحديثة (الموضة) في الجدول وتأخر اهتمامات الرجال إلى المركز الرابع والعشرين جدير بالتأمل والتدبر، ولو جمعنا ما خصص (للموضة) مع المجلات النسائية الأخرى لوصل المجموع إلى ٢٦٤٥.٠ نقطة، وذلك يعني أن ما يكتب للمرأة وشؤونها هو الموضوع الثاني في اهتمامات الناس في العالم بعد التلفاز.

وهذا يطرح أمامنا تساؤلاً (قد يكون تساؤلاً مشاغبًا نوعًا ما) عن حقيقة قولهم بأن المرأة تأتي في المرتبة الثانية بعد الرجل وأنها حتى الآن لم تنل حقوقها.. إلخ، فإن كان هذا صحيحًا (وهو لا يخلو من صحة)، فهو ينبئنا عن قيمة - أو الأصح عدم قيمة - أغلب هذه الكتابات، حيث إنها لم ترفع مستوى المرأة، مما يجعلنا ندرك أنها هي التي كبلتها بالقيود الفكرية، وبعبارة أوضح، فإن كاتب هذه السطور لو كان من رؤساء أنصار المرأة الذين ملؤوا الدنيا ضجيجًا، لكان أول ما تهجم عليه، وأولى شيء بالاتهام في نظره هو هذا الفيض من المطبوعات التي ما زالت تحاول جهدها استنزاف إنسانية المرأة، بدلاً من رمي التعاليم الدينية (الإسلامية بالخصوص) بأنها تحط من شأن المرأة، وكما أن من يتسبب في إصابة أحد بعاهة يجب أن يُحاكَم، فإن هؤلاء الذين أذابوا العقول البشرية (النسائية)، وأصابوها بعاهات وتشوهات، يجب أن يكونوا موضع مساءلة ومراجعة.

وعود على بدء، يمكننا أن نذكر بعض المواضيع التي لم ترد في الجدول، فالمطبوعات اليهودية الكبرى عددها خمس وقد حصلت على ٢٠.٩ نقطة، والمطبوعات الكبرى للشواذ جنسيًا اثنتان حصلتا على ٦.٩ نقطة، أما الحفاظ على البيئة فقد تخصصت فيه ١٩ مجلة حصلت على مجموع ٦٧.٣ نقطة، والمجلات العسكرية الكبرى عشر، وقد حصلت على ١٠٧,٦ نقطة.

ومن الأمور المفاجئة حصول مطبوعات التنجيم على ١٨.٠ نقطة (أي إنه يوزع منها ثمانية عشر مليون نسخة سنويًا)، بينما حصلت مطبوعات الصناعة على ١٠.٧ نقطة، ومطبوعات حقوق الإنسان على ٩.٣ نقطة، وأحسب أنّ في هذا أمرًا جديرًا بالتأمل والتدبر والموازنة، ثم جاءت الفلسفة في آخر المطاف (نقطة واحدة)، وكان قبلها علم المكتبات وعلم النفس.

وهناك موضوع آخر سقط تمامًا من هذه الدراسة لأن عددًا من المجلات المتخصصة فيه قد توقف عن الصدور، وهو موضوع السلامة والدفاع المدني.. والحقيقة أن الأمر مثير للقلق، فهل يعني هذا أن العالم غير مهتم بالحوادث والكوارث؟ وإذا أضفنا تأخر موضوع المحافظة على البيئة إلى المركز الثامن والثلاثين فهل يعني ذلك أن العالم يعيش فترة من اللهو وعدم المبالاة؟ وأن الانسان يعيش ليومه فقط ولا يفكر في غده؟ إننا فعلاً نرجو غير ذلك، ولكننا حين نرى مطبوعات الموسيقى والرقص تحصل على اهتمام أكثر من مطبوعات توعية المستهلكين أو العلوم والتقنية، فإننا لا نستطيع أن نكون متفائلين.

أما وقد تعرفنا المطبوعات التي يقرؤها العالم، فلنا أن نتساءل الآن: ما الدول التي تنتج هذه المطبوعات؟ حين ندقق في الأمر فإن أول ما يلاحظه المرء هو التفوق الساحق للولايات المتحدة في مضمار النشر العالمي، فهي وحدها تنتج ٩٣٥ مطبوعة من ضمن ١٧٤٤ مطبوعة عالمية لا يقل قراء كل منها عن ربع المليون، أي إنها تتفوق على كل الدول الأخرى مجتمعة. كما يلاحظ المرء التوزيع الهائل لبعض الدوريات الأمريكية، فنشرة المنظمة الأمريكية للأشخاص المتقاعدين توزع ثلاثة وثلاثين مليون نسخة شهريًا، ومجلة النضج المعاصر (مودرن ماتشوريتي) توزع اثنين وعشرين مليونًا، وهناك مجلة معروفة لدينا أكثر، هي مجلة ريدرز دايجست يبلغ توزيعها كالتالي:

الطبعة	كمية التوزيع شهريًا
الطبعة الأمريكية	ستة عشر مليونا وربع المليون نسخة
الطبعة الصينية	مليونان
الطبعة البريطانية	مليون وستمئة ألف
الطبعة الألمانية	مليون وستمئة ألف
الطبعة الكندية	مليون وثلاثمئة ألف
الطبعة الإيطالية	مليون

كما أن هناك طبعة استرالية وهندية وطبعة جنوب أفريقيا وهونغ كونغ وغيرها، وكل منها تتراوح بين ربع المليون ونصف المليون نسخة شهريًا، أما الطبعة العربية (المختار) فلم تتوافر عنها معلومات، ونعتقد أن توزيعها أقل مما ذكر.

وهذا جدول يوضح أول عشرين دولة في نشر المطبوعات، ومدى توزيعها، ومن ثم انتشار ثقافتها محليًا أو عالميًا:

	الدولة	السكان (بالملايين)	عدد المطبوعات	النقاط
	المجموع العالمي		١٧٤٤	٢٤٨١٦.٤
١	الولايات المتحدة	٢٥٢.٦	٩٣٥	١١٢٣٥.٧
٢	ألمانيا	٧٩.١	١٧٠	٣٥١١.١
٣	روسيا	١٤٩.٥	٤٧	١٣٩٧.٠
٤	فرنسا	٥٦.٤	٧٨	١٣٨٢.٣
٥	بريطانيا	٥٧.٤	٨٥	١٣١٥.٠
٦	إيطاليا	٥٧.٧	٦٤	٩٩٤.٦
٧	اليابان	١٢٣.٦	٥٩	٨٤٣.٦
٨	الصين	١١٣٣.٧	٢٥	٧٥٣.٢
٩	إسبانيا	٣٩.٣	٢٢	٤٥٠.١
١٠	إستراليا	١٧.٠	١٧	٣١٤.٩
١١	بلجيكا	١٠.٠	١١	٢٩٧.١
١٢	كندا	٢٧.٠	٤٧	٢٩٢.٢
١٣	هولندا	١٥.١	١٢	٢٦٦.٦
١٤	سويسرا	٦.٨	٢٠	٢٤٤.٨
١٥	الهند	٨٤٤.٣	١٧	٢٤٣.٤
١٦	هنغاريا (المجر)	١٠.٤	٨	٢٠٣.٦
١٧	المكسيك	٨٤.٣	١٢	١٨٨.٠
١٨	السويد	٨.٦	١٧	١٨٣.٩
١٩	بولندا	٣٨.٢	٥	١٧٧.٥
٢٠	البرازيل	١٥٨.٢	١٢	٨٣.٥

من الجدول ندرك مدى الانتشار الهائل للمطبوعات الأمريكية، ومن ثم الانتشار العالمي للثقافة الأمريكية، كما تتبادر إلينا سريعًا ملاحظة عن حصة اليابان من المطبوعات، فلو وازنّا كمية مطبوعاتها لرأيناها أقل من مطبوعات كل من بريطانيا وفرنسا، بل إنها أقل من ضعف المطبوعات الإسبانية، مع أن الشعب الياباني ثلاثة أضعاف الشعب الإسباني، ويبدو أن أهم أسباب ذلك أن المطبوعات الأوربية المذكورة منتشرة في بلاد كثيرة مرتبطة ثقافيًا بتلك اللغات الأوربية بسبب التاريخ أو الاستعمار، بينما اللغة اليابانية لا تكاد تستعمل في بلاد غير اليابان.

وقد استمرت هذه الدراسة لتشمل بالتفصيل أية موضوعات محددة هي ذات مطبوعات أكثر في أي بلد، لكن المجال لا يسعفنا هنا لكل ذلك التفصيل، ويكفي أن نقول: إن الولايات المتحدة التي تفوقت بشكل عام في كمية المطبوعات، قد تفوقت أيضًا في كل مجال بذاته، فمثلاً تفوقت كمية المطبوعات التجارية والاقتصادية في الولايات المتحدة على كمية مثيلاتها في أية دولة أخرى، ولكن هناك استثناءات بسيطة؛ فقد تفوقت فرنسا في المطبوعات التي تخصصت في (الموضة)...

وبالكاد نسمح لأنفسنا بالتساؤل عن العالم العربي، ويؤسفنا أنه لم يبرز في أي حقل أو موضوع غطته هذه الدراسة، صحيح أن في العالم العربي (في مصر مثلاً) بعض الجرائد التي توزع يوميًا أكثر من مليون نسخة، ولكن الدراسة لم تشمل الجرائد اليومية، وفي العالم العربي مطبوعات متخصصة نفتخر ونعتز بها، ولكن توزيع كثير منها لم يصل حتى إلى مئة ألف نسخة شهريًا، أي إنه لا يقرأ أيًا منها ربع المليون قارئ، ولا حتى مئة ألف، بل لوحظ أن توزيع أغلب المطبوعات العربية يتراوح بين ثلاثين ألفًا ومئة ألف نسخة، مع استثناءات هنا وهناك.

وختامًا فإن المؤمل أن تكون هذه إطلالة مفيدة على ما يقرؤه العالم، وأن تكون مصباحًا يضيء الطريق.

المصادر:

1- Ulrich database for Periodicals.
2- Information Please Almanac.
3- World Almanac.

الكوارك السادس
نهاية المطاف أم علامة أخرى

د. شذى سلمان الدركزلي

يسعى الإنسان منذ القدم نحو هدف حل لغز المادة وتركيبها ضمن رغبته في فهم العالم المحيط به، وهذه الرغبة أساسها أمله في استغلال طاقات الطبيعة وتسخيرها لتوفير حاجاته المتفاقمة.

إن حلم العلماء، الذي كلف كثيراً من الأموال والعقول والقوى البشرية، استعاد بعض الحيوية - مؤخرا - حين ضجت الأوساط العلمية بخبر أعلنه باحثو مختبرات فيرمي في الولايات المتحدة الأمريكية عن احتمال اكتشافهم للكوارك السادس المسمى TOP الذي عجز العلماء عن اكتشافه حتى الآن. لقد كان الكوارك «العلوي» هو الوحيد الذي تعذر كشفه عملياً من الجُسيمات الأساسية. فهل اكتشاف الإنسان لهذا الجسيم هو نهاية مطاف بحثه القديم، أم إن هنالك المزيد مما يخفيه المستقبل في هذا المجال.

ولكن ما الكوارك؟ وما الجُسيمات الأساسية وما فرقها عن الجُسيمات الدقيقة؟ وما النظرية الحديثة للمادة؟ وما طرق البحث التجريبي المستخدمة في هذا المجال؟ وهل ما يصرف من أموال باهظة في هذا الاتجاه هو أمر سليم، أم إن الحكمة هي في التراجع عندما تصبح كلفة التجارب أكثر مما يمكن الدفاع عنه كما حصل مؤخرا مع الحلم الذي تبدد مع المُعجِّل الفائق في الولايات المتحدة؟ سوف نحاول في هذه المقالة الإجابة عن هذه الأسئلة.

النظرية الحديثة لطبيعة المادة

لم تتبلور النظرية الذرية الحديثة للمادة إلا في بداية القرن العشرين بناء على العديد من التجارب التي أجريت على مدى سنين طويلة. فالذرة التي اعتُمدت كوحدة البناء الأساسية للمادة توجد في الطبيعة بأكثر من مئة شكل يعرف كل منها «بالعنصر». ومن تجمع أعداد مختلفة من ذرات عنصر واحد أو عناصر مختلفة تكون ما يعرف بالجزيء الذي هو وحدة البناء الأساسية للمركب. فجزيء الهيدروجين H_2 مثلاً يتكون من اتحاد ذرتي هيدروجين H، فيما يتكون جزيء الماء H_2O من اتحاد ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين. وبينما يتكون جزيء الماء من تآلف ثلاث ذرات من عنصرين مختلفين، فإن جزيئا معقد التركيب مثل جزيء الحامض النووي في الخلية الحية DNA - الوحدة الأساسية لبناء الكائن الحي - يتكون من تجمع ملايين الذرات لعديد من العناصر. وكما تتحدد صفات العنصر كالأوكسجين ٠ من خلال تركيب ذرته؛ فإن خواص المركب، كالماء وملح الطعام NaCl يحددها تركيب جزيئه.

يتكون معظم فضاء الذرة من فراغ حيث توجد نواة ثقيلة في مركزه تحيطها غيمة من الإلكترونات (سالبة الشحنة الكهربائية). وتشغل النواة حيزاً أصغر ١٠٠٠٠٠ مرة من الحيز الكلي الذي تشغله الذرة. ولتسهيل تصور الفرق بين الأبعاد الذرية والنووية يمكن تشبيه حجم الذرة بحجم ملعب ضخم لكرة قدم تمثل النواة حجم حبة أرز في وسطه. وتحتوي النواة على نوعين من الجُسيمات هما: البروتونات (الموجبة الشحنة الكهربائية) والنوترونات (المتعادلة الشحنة الكهربائية). أما الذرة فإنها متعادلة الشحنة الكهربائية لأن عدد البروتونات الموجبة في نواتها يساوي عدد الإلكترونات السالبة التي

على الطريق؟

تحيط بالنواة. وتتساوى تقريبا كتلتا البروتون والنوترون اللتان هما أكبر بنحو ألفي مرة من كتلة الإلكترون. وبهذا فإن كتلة الذرة تتمركز في نواتها.

لقد عُرف الإلكترون والبروتون والنوترون لمدة طويلة بالجُسيمات الأساسية، بسبب الاعتقاد بأنها لا تتكون من أجزاء أصغر منها. ولم يحتفظ بهذا التعريف إلى اليوم إلا الإلكترون، فيما أصبح مصطلح «الجُسيمات الدقيقة» (المتناهية في الصغر) هو التعريف الذي يطلق على الجسيمين النوويين. إذ إنه خلال عقدي الخمسينيات والستينيات، وبعد تطور الكواشف والمعجلات، تم اكتشاف كثير من الجُسيمات الدقيقة الأخرى حتى وصل عددها إلى نحو ثلاثمئة جسيمة، وأصبحت تُعرف بحديقة حيوان الجُسيمات الدقيقة. وبهذا فقد تم التمييز بين نوعين من الجسيمات هما الجُسيمات الدقيقة Ele-mentary Particles (المتناهية في الصغر)، كالبروتونات والنوترونات، والتي تتكون من أجزاء يُعرف كل منها بـ«الكوارك» QUARK، والجُسيمات الأساسية Fundamental Particles، كالإلكترون، التي يُعتقد أنها لا تتكون من أجزاء أصغر منها.

لقد سعى العلماء لمعرفة تكوين مركبات الذرة من خلال تحرير مكوناتها ودراسة صفات هذه الأجزاء. فبتأيين الذرة يتحرر الإلكترون الذي يمكن دراسة خواصه وتفاعلاته مع المادة، ومن ثم الاستفادة من هذه الخواص وتسخيرها في العديد من التطبيقات العملية. ويمثل المجهر الإلكتروني - الذي يفوق المجهر البصري بآلاف المرات في قدرتي التكبير والتحليل - أحد أهم التطبيقات العملية التي أُنجزت بعد معرفة ميزات الإلكترون. وبالنسبة للبروتونات فإن مصدرها الرئيس هو الهيدروجين المتأين؛ حيث تتكون ذرة الهيدروجين من إلكترون واحد وبروتون واحد يشكل نواتها. أما النوترونات فمصدرها الرئيس هو المفاعلات النووية أو بعض التفاعلات النووية الأخرى. لقد دُرست التفاعلات النووية منذ ثلاثينيات هذا القرن بعد اكتشاف النوترون، وأدت البحوث في هذا المجال إلى الكشف عن كم هائل من المعلومات عن التركيبين الذري والنووي أسفر في النهاية عن صنع القنبلة النووية؛ إلا أن بحوث الجُسيمات الدقيقة لم تتطور إلا بعد تطوير ما يُعرف بالمُعجلات والكواشف.

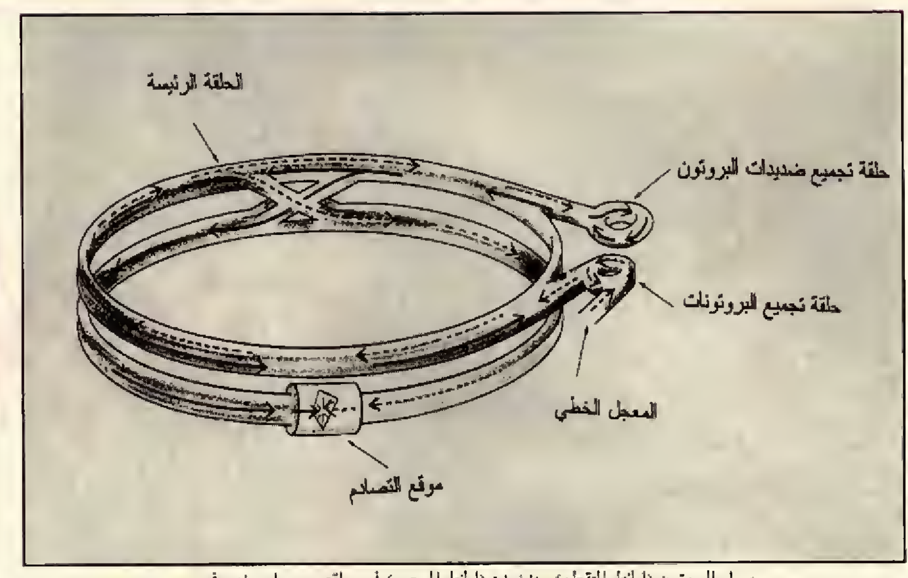
مُعجّلات الجُسيمات

لقد تطورت المُعجلات خلال النصف الثاني من هذا القرن، مثل بقية الوسائل التجريبية الأخرى: من حجوم صغيرة وطاقات متواضعة إلى منظومات عملاقة تصل أبعادها إلى بضعة كيلو مترات، وطاقاتها إلى بلايين الإلكترون فولط. وكما كان التسابق في مجالي التسلح النووي وغزو الفضاء من وسائل الحرب الباردة بين الكتلتين السياسيتين الرئيستين في العالم بعد الحرب العالمية الثانية؛ فإن إنشاء المُعجلات الضخمة أيضا كان يحمل صبغة المنافسة ولكن من دون أن يجذب الكثير من الانتباه.

يعتمد المبدأ الأساس للمُعجل على تأثير المجال الكهربائي أو المغناطيسي أو كليهما في الجُسيمات المشحونة. فالجسيمة المشحونة المتحركة تكتسب طاقة إذا وقعت تحت تأثير مجال كهربائي أو مغناطيسي. وتعتمد هذه الطاقة على نوع شحنتها ومقدارها، إضافة إلى فرق جهد المجال الكهربائي واتجاهه أو شدة المجال المغناطيسي واتجاهه. إذ بزيادة المجال المسلط تزداد الطاقة المكتسبة من قبل الجسيم المشحون. ويستخدم الإلكترون فولط (إ.ف) كوحدة لقياس الطاقة. ويُعرف الإلكترون فولط بأنه الطاقة المكتسبة من قبل الإلكترون في مجال ذي فرق جهد مقداره فولط واحد. ومضاعفات هذه الوحدة هي الكيلو إلكترون فولط (ك.إ.ف)، والمليون إلكترون فولط (م.إ.ف) والجيجا (بليون أو ألف مليون) إلكترون فولط (ج.إ.ف) وهكذا. ولتفادي أي فقدان للطاقة المكتسبة من قبل الجسيم بسبب تصادمه مع مكونات الهواء يتم تعجيل الجسيمات داخل أنابيب مفرغة من الهواء وتحاط هذه الأنابيب عادة بمغانيط متعددة لتوجيه حزمة الجُسيمات نحو الاتجاه المطلوب.

توفر مُعجلات الجسيمات مثل الإلكترون أو البروتون إمكان اكتساب هذه الجسيمات طاقات عالية أكبر ملايين المرات من طاقة كل منها داخل الذرة أو النواة. بعد اكتساب الطاقة العالية تمرر حزمة الجُسيمات هذه لقصف أهداف من مواد مختلفة (على





مسار البروتون (الخط المتقطع) وضديده (الخط المستمر) في حلقتي معجل مختبر فيرمي

شكل شرائح رقيقة) أو لتصدم حزمة أخرى ذات طاقة عالية أيضا تصادمًا رأسيًا. إن هذه التصادمات التي تجري على مستوى الأبعاد النووية المتناهية الصغر يمكن مشابهتها بما يحدث عند تصادم سيارتين؛ إذ كلما ازدادت سرعة أيا من السيارتين كانت قوة التصادم أكبر، ومن ثم كان احتمال التحطم والتفكك أكثر. لذلك يسعى العلماء لزيادة سرعات الجُسيمات الدقيقة المتصادمة أملا في حصول تفكك أكبر، ومن ثم الوصول إلى تفاصيل أدق عن تركيب المادة. فبقذف جُسيم طاقته بضعة إلكترون فولط يمكن تحطيم ذرة الهدف، فيما يتطلب تحطيم نواة الذرة بضعة ملايين إلكترون فولط، أما إحداث «خدش سطحي» في البروتون فيتطلب مئات أو آلاف الملايين إلكترون فولط.

ويبين الجدول (١) أهم المعجلات في العالم وبعض صفاتها. وكما يتضح من الجدول فإن هذه المُعجلات هي إما لتعجيل الإلكترونات أو البروتونات. لقد استخدمت المعجلات القديمة الأهداف الثابتة، أما في الثمانينيات فقد اعتمدت المعجلات الخاصة بالتصادم الرأسي بين الجسيمة المشحونة وضديدها مثل الإلكترون والبوزترون أو البروتون وضديده. ويوضح جدول (١) هذا في عمود الطاقة حيث يوجد رقم واحد لمعجلات الهدف الثابت ورقمان لطاقتي تصادم الجسيمين في معجلات الحزم المتصادمة. وتوجد أنواع عديدة للمعجلات يتميز من بينها نوعان هما: المعجل الخطي والمعجل الدائري، حيث يعتمد النوع الأول المسار الخطي لتعجيل الجسيم والثاني المسار الدائري. وأضخم معجل خطي في العالم هو معجل ستانفورد SLAC، الذي اكتمل بناؤه في عام ١٩٦١م، وتم تطويره في الثمانينيات، حيث يبلغ طول أنبوب تعجيله ميلين (أي أكثر من ثلاثة كيلو مترات) فيما تصل طاقة الحزمة فيه إلى ٥٠ جيجا إلكترون فولط. أما أضخم معجل دائري في العالم فهو معجل مختبرات فيرمي؛ حيث يصل محيط دائرته إلى ٦.٤ كيلوا متر وطاقة الحزمة إلى تيفا (ألف جيجا) إلكترون فولط. وأما المعجل التصادمي الفائق الخاص بالبروتون وضديده، فلم يكتب له أن يرى النور بعد أن قُطع شوط في إنشائه، وكان قد تم اختيار موقعه قرب

الجدول (١): خصائص بعض المُعجلات المهمة في العالم:

الاسم والموقع	الجسيمات المعجلة	الطاقة (ج.أ.ف)	التاريخ
الولايات المتحدة الأمريكية			
١- سلاك الخطي (ستانفورد)	الكترون - بوزترون	٢٠	١٩٦١
(SLAC)		٥٠	١٩٨٧
٢- تيفاترون فيرمي (قرب شيكاغو)	بروتون	٨٠٠	١٩٨٤
٣- مصادم تيفاترون فيرمي (قرب شيكاغو)	بروتون وضديده	٩٠٠×٩٠٠	١٩٨٧
٤- المصادم الفائق (تكساس) (SSc)	بروتون وضديده	٢٠٠٠٠×٢٠٠٠٠	بدأ ١٩٨٨ وألغي مؤخرًا
المختبرات الأوروبية (سيرن) في جنيف/سويسرا			
١- السينكروترون الفائق (Spps)	بروتون وضديده	٣١٥×٣١٥	١٩٨١
٢- المعجل الكبير الأول (LEP1)	الكترون - بوزترون	٥٠×٥٠	١٩٨٩
٣- مصادم الهادرون الكبير (LHC)	بروتون وضديده	٦٠٠٠×٦٠٠٠	مقترح
٤- المعجل الكبير الثاني (LEP II)	الكترون - بوزترون	١٠٠×١٠٠	١٩٩٥
روسيا			
١- VEPP IV	الكترون - بوزترون	٦×٦	١٩٧٨
٢- UNK I	بروتون	٣٠٠٠	١٩٩٣
٣- UNKI II	بروتون وضديده	٣٠٠٠×٣٠٠٠	مقترح
٤- سيربرخوف خطي	الكترون - بوزترون	١٠٠٠×١٠٠٠	مقترح
اليابان			
١- كيك (KEK)	بروتون	١٢	
٢- تريستان (TRISTAN)	الكترون - بوزترون	٣٠×٣٠	١٩٨٧
الصين			
(بكين) (BESR)	الكترون - بوزترون	٣×٣	١٩٩٠

مدينة شيكاغو في عام ١٩٨٨م، ويبلغ محيط دائرته ٨٥ كيلو مترا، فيما تصل طاقة الحزمة إلى ٢٠ ألف تيفا إلكترون فولط. وكان متوقعًا إنجازه في مدة تتراوح من ٨ إلى ١٠ سنوات، وبتكلفة تصل إلى ستة بلايين دولار، وتبلغ تكلفة تشغيله السنوية ٢٥٠ مليون دولار. وقد تقرر مؤخرا إلغاء المشروع بسبب نفقاته الباهظة مما تسبب في خيبة أمل كبيرة لعلماء فيزياء الجُسيمات الدقيقة النظريين والتجريبيين في أنحاء العالم كافة.

كواشف الجسيمات

إضافة إلى توفير الطاقة العالية المطلوبة وتوجيه مسار الحزم إلى موقع التصادم، يتطلب استخدام المعجلات توفير منظومات للكشف عن نواتج التصادم، وتسجيل مسارات الجسيمات الناتجة لكي يتم بعد ذلك تحليلها واستخلاص المعلومات منها. ولا تقل منظومات الكواشف تعقيدًا عن منظومات المعجلات؛ إذ شهدت الستينيات والسبعينيات بحوثا مكثفة لتطوير الكواشف وجعلها قادرة على تسجيل نواتج التفاعلات والتحللات الناتجة من التصادمات بدقة تحليل زمني ومكاني عالية جدًا.

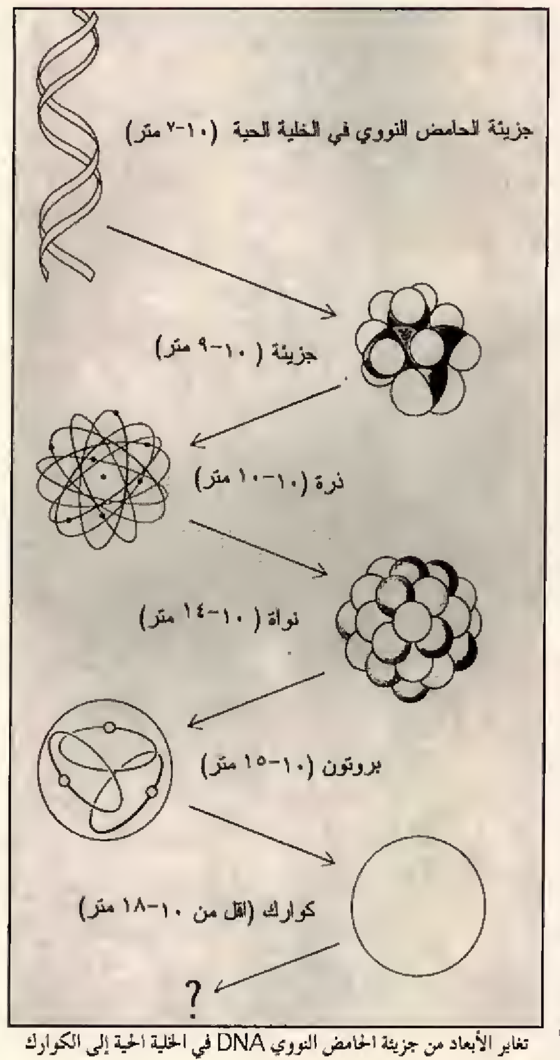
ويعتمد عمل الكواشف بصورة أساسية على تسجيل تفاعلات الجسيمات (الناتجة من تصادم الحزم) في مادة الكاشف. وتسجل هذه التفاعلات بالتقاط آلاف الصور بالتزامن مع دخول حزمة الجسيمات إلى موقع التصادم. ثم تُدرس هذه الصور وتصنف لاستخلاص تلك التي تحتوي على تفاعلات مهمة. ومن تحليل هذه الصور يمكن حساب، ومن ثم، استنتاج الكثير من المعلومات.

عند استخدام مجال مغناطيسي حول الكاشف فإن الجسيمات المشحونة الناتجة من التفاعل تنحرف بمسار دائري يساهم في إعطاء المزيد من المعلومات عن نواتج التفاعل. أما الجسيمات المعادلة فلا تترك أثرا في مادة الكاشف، ويمكن تشخيصها من تحللها إلى جسيمات مشحونة، ويرسم عادة مسار الجسيم المعادل في مخطط التحليل بخطوط متقطعة. إن تحليل التفاعل ينتج من إجراء قياسات دقيقة لأطوال مسارات الجسيمات أو أنصاف أقطار الانحراف الدائري للجسيمات المشحونة، إضافة إلى تطبيق قوانين الحفظ كقوانين حفظ الطاقة والزخم والشحنة وغيرها.

الجسيمات الدقيقة

أدى استخدام المعجلات والكواشف في متابعة التفاعلات والتحللات إلى الكشف عما يزيد على ٣٠٠ جسيم دقيق يتميز كل منها بمواصفات فيزيائية خاصة. وكما نظم مندلييف العناصر في الجدول الدوري تسهيلا لفهم صفاتها الكيميائية ومعرفة سبب تشابه الصفات الكيميائية في بعضها؛ فقد أقدم الفيزيائيون على خطوة مماثلة لتصنيف «مخلوقات» حديقة حيوان الجسيمات الدقيقة. ومثلما توقع مندلييف وجود عناصر لم تكن مكتشفة في حينه لملء فراغات في الجدول الذي وضعه؛ كذلك فعل جيل مان، أحد رواد النظرية القياسية ومقترح الترتيب الثماني للجسيمات - ثمانية جسيمات في مجموعة واحدة - الذي توقع وجود جسيمات تشغل أماكن معينة في المجموعة الناقصة. وقد تم فعلا اكتشاف هذه الجسيمات فيما بعد.

لقد تبلورت النظرية الحديثة لتفسير صفات العناصر بعد ملاحظة ترتيب العناصر في الجدول الدوري، وكذلك حصل الشيء نفسه مع مجموعات الجسيمات الدقيقة؛ حيث أدت جدولة هذه الجسيمات إلى اقتراح جيل مان لأنموذج «الكوارك» عام ١٩٦٤م. ومن الجدير



تغاير الأبعاد من جزيئة الحامض النووي DNA في الخلية الحية إلى الكوارك

بالذكر أن زفايج كان قد توصل - في الوقت نفسه وبصورة مستقلة - إلى الأنموذج نفسه مطلقا على الجسيمات التي اقترحها اسم «الآس»، إلا إن تسمية «الكوارك» هي التي اعتمدت بعد أن أثبتت التجارب العلمية صحة الأنموذج النظري المقترح.

رُتبت الجسيمات المكتشفة في مجموعات اعتمادا على تشابه بعض صفاتها كما يلي:

١- اللبتون LEPTON (وتعني في اليونانية "الخفيفة"): وتضم هذه المجموعة ستة جسيمات أساسية هي: الإلكترون والميوون MUON والتاو TAU ونوترينو -NEUTRI

NO خاص بكل واحد من هذه الجسيمات الثلاثة.

٢ـ الباريون BARYON (الثقيلة): وتضم أكبر عدد من الجسيمات الدقيقة، ومنها البروتون والنوترون، وتتميز بزخم من المضاعفات الفردية للنصف.

٣ـ الميزون MESON (الوسطى): وهي مجموعة ضخمة أخرى من الجسيمات الدقيقة وتتميز بزخم من المضاعفات الزوجية للنصف.

ولكل جسيم في المجموعات الثلاث أعلاه جسيم مشابه له في الصفات كافة باستثناء واحدة ويسمى الضديد. فإذا كانت شحنة الجسيم موجبة فشحنة الضديد سالبة وبالعكس. مثل البروتون وضديده أو الإلكترون وضديده المسمى البوزترون. أما في حالة الجسيمات المتعادلة فيحصل الاختلاف في اتجاه الجسيم. ويبين الجدول (٢) الجسيمات الأساسية وبعض الجسيمات الدقيقة مع بعض من صفاتها.

لقد اكتشفت معظم الصفات الفيزيائية لهذه الجسيمات كالكتلة والشحنة وغيرها، واستنتج من طرق تحلل هذه الجسيمات قوانين حفظ وأعداد كم خاصة لكل مجموعة. ومعظم الجسيمات الدقيقة وبعض الأساسية غير مستقرة، أي إنها تتحلل تلقائيا بعد مدة زمنية معينة إلى نوع آخر من الجسيمات كما يتضح في الجدول (٢).

اعتبر الكشف عن وجود عدد كبير من الجسيمات دليلا على أن هذه الجسيمات ليست أساسية؛ مما قاد إلى ظهور نظرية الكوارك لجيل مان (أو الآس لزفايج). ووفقا لهذه النظرية فإن هنالك عدداً قليلاً جداً من الجسيمات الأساسية وهي الجسيمات الستة التي تنتمي إلى مجموعة اللبتون (اللبتونات) إضافة إلى ستة كواركات، أما باقي

الجدول (٢): صفات بعض الجُسيمات من المجموعات الثلاث:

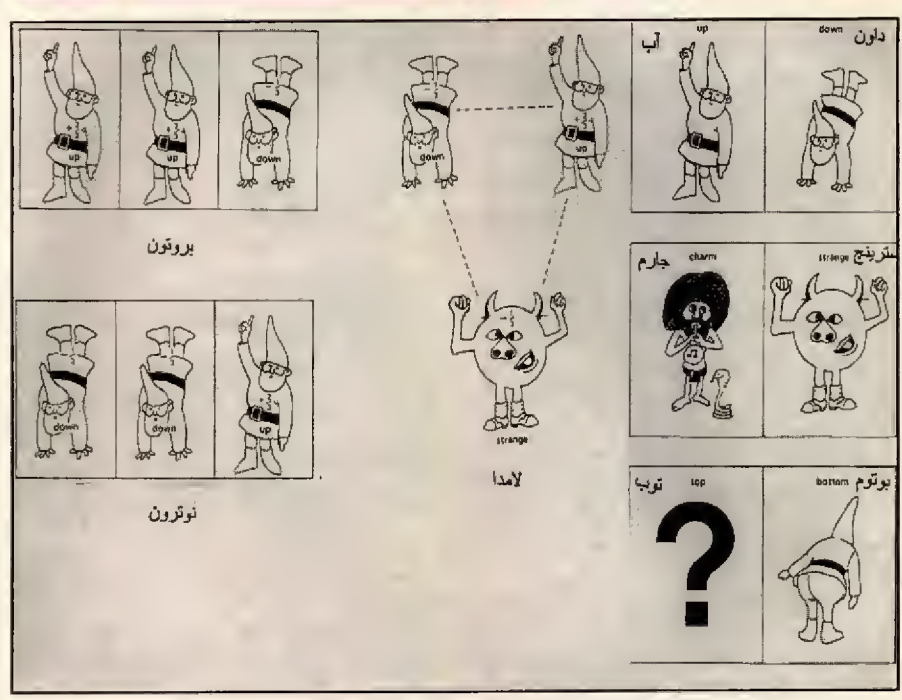
اسم الجسيم ورمزه	الشحنة	الكتلة(م.أ.ف)	العمر (ثانية)
جسيمات مجموعة اللبتون الأساسية (الزخم الزاوي ـ المضاعفات الفردية للنصف)			
الالكترون (E)	١-	٠,٥١١	مستقر
نوترونيو الالكترون (ve)	صفر	صفر	مستقر
ميون (u)	١-	١٠٥,٧	٦-١٠×٢,٢
نوترينو الميون (Vu)	صفر	صفر	مستقر
تاو (T)	١-	١٧٨٤	١٣-١٠×٤
نوترينو التاو (Vt)	صفر	صفر	مستقر
بعض من جسيمات مجموعة الميزونات (تتكون من كواركين والزخم الزاوي = المضاعفات الزوجية للنصف)			
بايون موجب (+r)	١+	١٤٠	٩-١٠×٢٦
بايون سالب (-r)	١-	١٤٠	٩-١٠×٢٦
بايون متعادل (r0)	صفر	١٣٥	١٨-١٠×٨٧
كيون موجب (+k)	١+	٤٩٤	١٨-١٠×١٢
آبسيلون (Y)	صفر	٩٤٦٠	٢٠-١٠×٢
بعض من جسيمات مجموعة الباريونات (تتكون من ثلاثة كواركات والزخم الزاوي = المضاعفات الفردية للنصف)			
بروتون (P)	١+	٩٣٨	مستقر
نوترون (n)	صفر	٩٤٠	٨٩٨
لامدا (A)	صفر	١١١٦	١٢-١٠×٢٦٣
أوميغا (- Ω)	١-	١٦٧٢	١٢-١٠×٨٢

الجسيمات فهي جسيمات دقيقة تتكون من أنواع مختلفة من الكواركات. فالباريونات تتكون من ثلاثة أنواع من الكواركات، أما الميزونات فتتكون من نوعين. أما أنواع الكواركات التي اقترحتها هذه النظرية وأيدتها لاحقا التجارب العملية فهي كما في الجدول (٣). إن أغرب مافي هذه النظرية هو افتراضها بأن شحنات الكواركات تقل عن شحنة الإلكترون. إذ كان من المسلم به سابقا أن شحنة الجسيمات تساوي شحنة الإلكترون أو مضاعفاتها وليس أجزاءها. وبذلك فقد كانت تعتبر إحدى المتغيرات المكممة من صفات الجسيمات. ولكن نظرية الكوارك ـ التي تعرف حاليا بالنظرية القياسية Standard Theory ـ غيرت هذه النظرة باعتمادها لقيمة ثلث أو ثلثي شحنة الالكترون. فالبروتون يتكون من كوارك داون Dawn (شحنته ثلث سالبة) وكواركين آب up (شحنة كل منهما ثلثا موجبة)؛ والنوترون يتكون من كوارك آب وكواركين داون. أما في مجموعة الميزونات فإن البايون الموجب يتكون من ضديد الكوارك داون (شحنته ثلث موجب) وكوارك آب (شحنته ثلثا موجب).

إن الصفات الممنوحة للكواركات الستة هي صفات رمزية لاهدف لها سوى التمييز بينها؛ مما حدا بفرانك كلوز ـ أحد مشاهير كتاب العلوم لغير المتخصصين ـ إلى اختيار شخصيات من قصص الأطفال الشهيرة مثل شخصية القزم في قصة الأميرة والأقزام السبعة ليمثل بعض أنواع الكوارك.

وبغض النظر عن مقدار ما تبدو أية نظرية واضحة ومقبولة فإن مصيرها يبقى

معلقًا بتجربة حاسـمة تؤيدها أو تنقضها. إلا إن وجود معوقات تقنيـة أمام القيام بمثل هذه التـجربة يؤخـر حسم أمـر النظرية حتى يتم التـغلب على الصـعوبات العـملية لإجـراء التـجـربة. وبالنسـبة لموضـوع الجسـيمـات الدقـيقة والأسـاسـية فإن أهم معـوق عـملي تواجهه التـجارب المطلوبة في هذا المجال هو الحصول على مقـدار الطاقة الكافي لتفكيك الجسيمات الدقيـقة إلى مكوناتها الأساسية، ومن ثم إثبات التوقعات النظرية أو دحضها. فكمـا ذكر سابقًـا فإن الطاقـة المطلوبة تزداد بشكل كـبير كـلما توغلنا أكـثر في أعـماق المادة، حـتى أطلق الفـيـزيائيون اسم فـيـزياء الطاقة العالية علـى فرع الفيزياء الذي يدرس هذا الموضوع. كما إن مواصفات الكواشف اللازمـة لتـسـجـيل النتـائج تزداد تـعـقـيـدًا وصعوبة في التصنيع.



الأشكال الرمزية لأنواع الكواركات وبعض الجسيمات الدقيقة (لامدا والبروتون والنوترون)

لقد سـاعدت التجـارب في فهم طبيـعة القـوى التي تربط بين الجسـيمـات وتعـوق تفكيكها إلا بتـعريضها لطاقـات هائلة. وقد صنفت القوى في الـطبيعـة إلى أربعة أنواع. وتجري المحاولات النظرية والعـملية لإثبـات الصـفات المشتـركـة بين هذه القوى لغـرض توحيدها. إذ إن القوى جميعـها سببها تبادل جسيم وسيط بين الأجسـام أو الجسيـمات المتفـاعلة، ويمثل ذلك بـلاعبين بينهـما كـرة يتبـادلانها ممايتحـتم تحركهمـا سويا اعتـمادًا على مـوقع الكرة. والقـوى الأربع هي كـما يلي:

١ـ التـشاقليـة GRAVITATIONAL: وهي قـوة تجـاذبيـة تعـتـمـد على الأجـسام والمسـافـة بينهـا، مـثل الجاذبيـة الأرضيـة والتجاذب بين الكواكب. ويكون تأثير هذه القـوة محسـوسا في الكتل الكبيـرة وشبه معـدوم في عالم الجسيـمات الدقيقـة. وتتبع القوة التثاقليـة قانون التربيع العكسي، أي إن قـوة التـجـاذب تتناسب عكسـيـا مع مـربع المسـافـة بين الكـتلتين وطرديًا مع حـاصل ضرب الكـتلتين، لذلك فهي قوة ذات مدى لا نهائي التـأثير، وتنتقـل القوة التثـاقلية بين جـسمين بواسـطة الجرافيـتون Graviton وهو جسيم افتراضي لا يملك كتلة.

٢ـ الكهـرومغناطيسـية ELECTRO-MAGNETIC: وهي قوة تجاذبيـة أو تنافرية تعـتـمـد على شـحنة الأجـسام وصـفـاتهـا المغناطيـسيـة. وتتبع هذه القـوة أيضا قانون التـربيع العكسي. والجسيم المنتقل هنا هو الفـوتون Photon الذي لا يملـك كـتلة سكونيـة. إن هذه القـوة هي الأكـبر تأثيـرا بالنسـبـة للمسـتـوى الذري لـلمـادة، بين الإلكتـرونات المدارية والنـواة، وبالنسـبـة للمستوى الجزئي، بين إلكترونات الذرات.

٣ـ الضـعـيفة Weak: وهي قوة نووية تفسر تحلل بعض الجسيمات مثل الباون إلى ميـون أو الميوون إلى إلكترون، إضـافة إلى تحلل بيتـا أي تحـول النـوترون إلى بروتون. وهذه القوة ذات مـدى تأثير قـصير وتعمل

الجدول (٣) أنواع الكواركات وبعض صفاتها (زخمها الزاوي = نصف):

الاسم والرمز	الشحنة	الكتلة (م.أ.ف)	تاريخ الاكتشاف
آب (u)-up	+٢\٣	٥	الجيل الأول (الستينيات)
دوان (d) down	-١\٣	٩	الجيل الأول (الستينيات)
ستريتج (s) Strange	-١\٣	١٨٠	الجيل الثاني (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦)
جارم (c) Charm	+٢\٣	١٥٠٠	الجيل الثاني (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦)
بوتوم (b) Beauty,Bottom	-١\٣	٥٠٠٠	الجيل الثالث (١٩٧٧)
توب (t) Truth,top	+٢\٣	٤١٠٠٠	١٩٩٤؟

من خـلال ثلاثة أنواع من الجـسـيـمـات الوسيطة أُثبت وجودها في مختبرات سيرن عام ١٩٨٣م.

٤ـ القوية Strong: وهي القوة النووية المسـؤولة عن ترابط الكواركـات داخل الجسيمات وبعض التحللات النووية. وهذه القوى أيضا محـدودة المدى وجسيـمهـا الوسيط هو الجلوون Gluon أي اللاصق، وقد اكتشف بصورة غير مباشرة.

يبين الجدول (٤) بعض صفات القوى الأربعة ومقاديرها نسبة إلى القوة النووية القوية.

الجدول (٤) ملخص صفات القوى في الطبيعة:

النوع	المدى (متر)	الجسيم الوسيط	كتلته (ج.أ.ف)	شحنته	القوة النسبية	الاكتشاف
الثاقلية	لانهائي	غرافيتون	صفر	صفر	١٠-٣٨	افتراضي
الكهرومغناطيسية	لانهائي	فوتون	صفر	صفر	١٠-٢	عملي مباشر
الضعيفة	محدد	W+	٨١	+١	١٠-٣	عملي مباشر ١٩٨٣
	١٠-١٨	W-	٨١	-١		عملي مباشر ١٩٨٣
القوية	محدد	zo	٩٣	صفر		عملي مباشر ١٩٨٣
	١٠-١٥	غلوون	صفر	صفر	١	عملي غير مباشر

الاكتشاف الأخير

شـهـد الأسبـوع الأخـيـر من نيـسـان (أبريل) ١٩٩٤م إعلان مجموعة بحثية من مختبرات فيـرمي عن اعتـقادهم بأنهـم قد يكونون اكتشفوا الكوارك السادس والأخير TOP، الذي كان قد استعصى كشفه على العلمـاء حـتى الآن. وقـد تجنب هولاء الباحثون ادعاء الاكتـشاف بصورة مؤكدة. فبعد ثلاثين عاما من إعلان نظرية الكوارك أو الأنموذج القياسي يأتي إعلان احتمال وصول الدعم الأخير لها. وهذا الإعلان هو نتيجة تجارب استغرقت سنة في معجل فيـرمي الشهير لتصادم البـروتون وضديده. فقـد سُجِّلَ خلال هذه المدة ترليون (مليون مليون) تصادم ثبت منها سبعة ملايين على أشرطة التحليل الخاصة التي أشارت إلى ظهـور الجسـيم W ٢٠٠٠٠ مـرة، وهو الجسيم الذي يصاحب الكوارك العلوي TOP. أما الكوارك العلوي نفسـه فقد ظهر في ١٢ حدثا فقط.

إن سبب عدم تـأكد البـاحثين بشكل حـاسم من أن الأحـداث الاثني عشـر هي للكوارك العلوي يعود إلى سببين: أولهمـا قلة الأحــداث المسجلة، التي وإن كـانت أكـثر من أن تُهـمل فإنها أقل من أن تحـسم الأمـر أيضـا. والسبب الثـاني أن العلوي لا يسـجل مبـاشرة وإنما يستنتج بصـورة غير مبـاشرة، والمشكلة في ذلك أن جـسـيمات أخـرى تترك آثـارا مشـابهـة لآثار العلوي مما يجعل حسم الأمر غاية في الصعوبة. لذلك يأمل هؤلاء البـاحـثـون في أن يـتـمكنوا من خلال تجاربهم المستقبلية من توفير المزيد من الدلائل على صـحة اكـتـشافـهم. لقد قـام هؤلاء الباحثون بإعلان نتائج بحثهم ـ الذي يجري منذ ١٧ عـامـا ـ في أشـهر دورية في الفيزياء: فيـزيكال ريفيو Physical Review D وذلك بهـدف استـقـصـاء أكـبـر عدد ممكن من آراء المختصين.

لقـد سـبق وأن خُـدع علمـاء آخـرون باحتمال اكتشـافهم للعلوي. فالعالم كارلو روبيـا مدير مـختبرات سيرن الأوربيـة في منتـصف الثـمانينـيات والحـائز على جـائزة نوبل ظنَّ أن فـريق بحثه اكـتـشف العلوي حينذاك، إلا إنهم عـرفـوا فيـمـا بعـد بأن مـالوحظ خلال التجربة لم يكن له علاقـة بالعلوي. لذلك فقد فضل باحثو مختبرات فـيـرمي الحـذر والحـيطة عند إعـلانهم لاكتشافهم المحتمل.

إن التنافس بين دول العـالم في مـجـال البحوث العلمية يتجلى في الرغبة في إنشاء المعجلات الضخـمة؛ فـالمشروع العـملاق الذي كـان حلم الفـيـزيـائيين في أمـريكا والعـالم والذي أجـهـض في نهـايـة عـام ١٩٩٣م لارتفـاع كلـفـتـه يقـابله مـايأمله علماء أوربا المشتركون في مـختبرات سيرن من أمل في المشروع المقترح لمعجل مصادم الهـادرون الكبيـر Large Hdron Collider. وتقـدر كلفـة إنشـاء هذا المعجل بـبليـون جنيـه اسـتـرلـيني. إن هذا المشـروع الذي يؤمل إنجـازه في بداية القـرن القـادم يمكن أن يجهـز طاقة تقارب طاقة الانفـجار الكبـيـر Big Bang حـيث يعـتـقـد بأن الكواركات ستنهمر حينئذ بغزارة.

فهل سيتنازل الكوارك العلوي (TOP) ويؤكد وجوده في تجارب مختبرات فيرمي خلال وقت قريب، أم إننا سننتظر إلى بداية الألف الثـالثـة للحـصـول على مـعلومـات مـؤكدة من خـلال تجارب المعـجل الأوربي المقترح؟

المراجع:

1- Frauenfelder, H., & Henley, E., 1991, Subatamic Physics, Prentice Hall, London.
2- Lederman, L. M. & Schramm, D.N., 1989, From Quarks to Cosmos, Scientific American Library, NY.
3- Close, F., 1983, The Cosmic Onion, Heinemann, London.
4- "New Scientist", 1994, 7 May, P.6.





د. نبيل عيد

المتخصص في تجهيز المستشفيات وإدارتها:

لم أندم على هجر الطب من أجل السجاد

حاوره: إيهاب الحضري

على كون صناعة السجاد لها قواعدها وأسسها وأهدافها الاقتصادية؛ إلا أن الدكتور نبيل محمد عيد حسن (المولود في القاهرة ١٩٣٩م) لم يحلق في أجوائها بوصفها مشروعًا استثماريًا فقط، بل كان يحمل رؤية خاصة تقوم على اعتبار صناعة السجاد غاية ووسيلة في الوقت ذاته. وإذا كانت الرؤية التقليدية تركز على كونها غاية، تكفل الحصول على أكبر ربح ممكن، فإن رؤيته الذاتية تتخطى هذه النظرة المحدودة إلى استخدامها كوسيلة من وسائل تغيير المجتمع، على اعتبار أن كل سجادة تمثل وعاء لونيا يسهم في التغيير التدريجي للسلوك، حسبما أثبتت الدراسات.

وإذا كان هذا هو المرجو فإن ما تحقق على المستويين الاجتماعي والاقتصادي فاق التوقعات. ولأن الحاجة أم الاختراع؛ فقد تمكن بمساعدة بعض الجهات من إنشاء أول آلة عربية لصناعة السجاد فاقت مثيلاتها العالمية بمراحل، وإذا كانت بدايته مع تلك الصناعة مثلت له حلما قد لايتحقق، فإن النتائج تشير إلى أن الطبيب الذي ترك الطب من أجل الحلم لم يندم على الإطلاق.

ولتعرف تجربة عقل عربي خرج عن المألوف وانطلق من الجزئي إلى الكلي، فلم يتوقع في بؤرة فنه، بل مزج بينه وبين متغيرات اجتماعية واقتصادية، فأنتج في النهاية ما يرضي أذواق الآخرين ويلبي حاجاتهم؛ فقد التقينا في القاهرة الطبيب الذي هجر مهنة الطب إلى صناعة السجاد.

ـ دخولك هذا المجال يشير بالضرورة إلى وجود موهبة تشكيلية.. فمتى بدأت وكيف تطورت؟

* أنا منذ صغري مولع بالرسم، وعندما التحقت بكلية الطب انتظمت في الاشتراك بمسابقات أسبوع شباب الجامعات التي كانت تضم طلابا من مختلف الجامعات المصرية، بل وجامعة دمشق بعد إعلان الوحدة مع سورية، وبالطبع كنت أشترك في الجانب الخاص بالفنون التشكيلية، وقد حصلت على الميدالية الذهبية أكثر من مرة ولأعوام متتالية، كما أشرفت ـ خلال الفترة نفسها ـ على جمعية الفنون التشكيلية بالكلية، مما قربني لأساتذتي في مختلف المجالات، وبما أنهم يعتمدون على خيال يحاولون إثبات حقيقته في أمور كثيرة، فقدْ كانوا في حاجة لرسوم توضيحية، تجعل أفكارهم التي تتضمنها أبحاثهم أكثر وضوحا للقارئ والمتابع، وكنت أتولى القيام بالرسم في أغلب الأحيان ولمعظم الأساتذة، والطريف أنني أثناء دراستي في السنة الثالثة، لم أكن قد درست الجراحة بعد، ومع ذلك اعتاد أستاذ الجراحة اصطحابي معه إلى غرفة العمليات، وإعطائي الصدارة في الوقوف بجانبه، لأستوعب شرحه بالتفصيل كي

أنقل خطوات العملية رسمًا إلى الكتب التي تُدرّس في الكلية، والمفارقة أنني درست الجراحة في كتاب وضعت رسومه بنفسي، ورغم تخرجي عام ١٩٦٣م إلا أنه ما تزال توجد بعض الكتب تضم أشكالاً توضيحية رسمتها.

ولاشك أن الفنون التشكيلية تضفي على الإنسان قدرة على التخيل، بينما تمنحه دراسة الطب مقدرة على التحليل والإلمام بالعلوم التطبيقية العملية المختلفة، مما يجعله أكثر قدرة على الرؤية الواضحة في المدى الأوسع، لأنه لاتوجد دائما أمور مطلقة تطبق عليها قواعد ثابتة، ومن ثم يصبح الإلمام بالقواعد الأساسية مهما جدا، وهو ما نفتقر إليه في حياتنا التطبيقية والعملية، فننظر إلى التخصص العلمي على أنه تميز عظيم، ولكنه تميز يعزل الحاصل على هذا التخصص عن مختلف التطبيقات الأخرى سواء كانت في العلوم المكملة أو التطبيقية.

وأذكر ما سبق من أفكار لأنها ظلت تراودني طوال الوقت، ومنها وضعنا القواعد التطبيقية الأساسية في مصانع «راج آرت».

ـ وكيف جاءتك فكرة التحول من الطب إلى تصنيع السجاد؟

* بدأت الفكرة بمحاولة لوضع قيمة الإنسان بمنطقتنا في موضعها الصحيح، كمحصلة سفر في أنحاء العالم واختلاط بجنسيات مختلفة، ومعرفة قواعد التطور وأصوله الممكنة، وتساءلت عن كيفية بلورة كل هذه الأمور إلى صورة من صور التقدم، فالإنسان عندما يخرج عن الإطار القديم للعمل وينتقل لآخر يسمح له بالاطلاع والرؤية، فالنتيجة المنطقية هي الانضباط في الأداء، وأحببت أن أخوض تجربة كانت تمثل لي حلمًا طوال الوقت، وجاءت الفرصة عندما شاركتُ في بعض مشروعات صناعة السجاد في مدينة العاشر من رمضان، بعد عودتي لمصر، من خلال ذلك وصلت إلى إمكان وجود مجال للتجميع بين أمور عديدة، أولها حبي للفنون التشكيلية، فالسجاد سطح كبير يرسم عليه، أما الأمر الثاني فهو سد الفراغ الصناعي في مجال السجاد الذي لم يتناوله أحد رغم احتياج المجتمع الغربي المستمر. وبدراسة الموضوع وجدت أن تناول الأمور بطريقة تقليدية يمثل تكلفة عالية جدا يتحملها المنتج النهائي سواء في السجاد الميكانيكي أو اليدوي، وخاصة أن هذه الصناعة تتعلق بالتنسيق الداخلي لبيوتنا الحديثة، التي تغيرت خطوط أثاثها في السنوات الأخيرة إلى الخطوط العصرية. ولذلك كان لابد أن يواكب السجاد هذا التغيير بما أنه جزء من مكوناته، ولكن صناعة سجادة لكل بيت على أساس تصميمه الجمالي عملية مستحيلة، حلّها بعض الناس ـ لفترة ما ـ باستخدام (الموكيت) أو السجاد ذي اللون الواحد في الأرضيات، فظلت المشكلة قائمة حتى بدأت المجتمعات الأوربية في عشر السنوات الأخيرة تلح باستمرار على وجود قيمة لونية تشكيلية على الأرض، فبدأ اللجوء إلى (الكليم) بألوانه التقليدية، ثم وجدوا أنه من الممكن أن يُلوَّن، ولكن نشأت مشكلة جديدة؛ حيث إنه يعتمد في طريقة تصنيعه أو غزلة على أشكال محدودة التكوين، وهي هندسية في الأغلب. ورغم نشاط صناعته وانتشاره في دول كثيرة كسلعة من سلع التصدير المهمة؛ إلا أن الفراغ ظل موجودًا، ولكي نسدّه فلابد من الدخول بأسلوب عملي اقتصاديا، وبحيث تكون تكلفة القطعة منافسة لكل الأبدال الأخرى، مع مراعاة وجود متغير مستمر للقيمة التشكيلية طوال الوقت. وقد كان ذلك أحد مكونات الهدف الذي نود الوصول إليه، وهو ما يعني الوصول إلى سوق محتمل، ومن ثم قدرة على استيعاب أيد عاملة؛

قد نبتكر تصميمًا معينًا للسجاد بأكثر من حل لوني لإرضاء مجتمعين مختلفي الهوية

واتجاه هذه العمالة لمثل ذلك النشاط يؤدي بالضرورة إلى تغيير طريقة حياتها، فيتحول المهندس والطبيب إلى مبدع ينتج تكوينات تشكيلية، مما يرضيه نفسيًا، وخاصة عندما يظهر الناس إعجابهم به، وتخيل النشوة التي يمكن أن يشعر بها عندما يجد أحد تصميماته على غلاف مجلة، وحاولنا تحقيق هذا الحلم الكبير بتعرف ما يفعله العالم فوجدنا ثلاث وسائل مختلفة في التصنيع: الأولى هي الوسيلة اليدوية التقليدية، ولم يكتب لها أن تكون أساسية في مصر؛ لأنها تعتمد على تصميمات تركيا وإيران مما جعلها مجرد تقليد. وإذا انتقلنا للوسيلة الميكانيكية فهي محاولة لتصنيع السجادة اليدوية بطريقة ميكانيكية للحصول على منتج مشابه قد يكون من الخامة نفسها ولكن بسعر أرخص. ولكن ذلك يستلزم أن أصنع من النموذج الواحد آلافًا من الوحدات لتتوزع التكلفة الأساسية عليها، وظلت هاتان الطريقتان أساسيتين حتى ظهرت في ألمانيا طريقة جديدة يطلقون عليها اسم (الطفت) اليدوي، واخترنا هذه الطريقة وقررنا الاعتماد على مسدس(طفت) يدوي مصنع في الخارج، وبعد فترة احتجنا لبعض قطع الغيار فوجدناها باهظة السعر، من هنا بدأنا نفكر في صناعة بعض قطع الغيار، ولجأنا للمصانع الحربية التي فاجأتنا بصناعة قطع طبق الأصل وبجودة عالية من ناحية تحليل الخامة وكفاءة التشغيل، كما أنها أرخص من المستورد بكثير، ونقلنا ذلك لمستوى آخر وهو التفكير في بناء مسدس، ولذلك بدأنا نطلّع على ماوصل إليه العالم في هذا المجال، وبحثنا مشكلات المسدسات وأوجه التصرف فيها، واستطعنا أن ننتج أول عينة لمسدس مصري قبل أربع سنوات ونصف السنة تقريبا، وسُجل كبراءة اختراع. وعملت هذه العينة بكفاءة عالية جدًا لدرجة أنها تفوقت على كل المسدسات العالمية الأخرى؛ فمثلاً عملية لضم الخيط كانت تستغرق وقتا يصل إلى دقيقتين في المسدس العادي، أما في الجهاز المصري

فأصبحت هذه العملية ذاتية وبمجرد اقتراب الخيط من الإبرة يُلضم بشفط الهواء، كما تفوق في السرعة التي كانت تبلغ ١٥٠ غرزة في الدقيقة بأحسن مسدس لكي يتم العمل بكفاءة، وتمكّنا من جعلها تصل إلى ثلاثة آلاف غرزة في الدقيقة ليتم العمل نفسه. ورغم هذا الإنجاز لم نقف عند هذا المسدس وبدأنا تطويره إلى حوالي ثمانية نماذج أخرى، ونستخدم حاليا آخر نموذج توصلنا إليه ولا يوجد لإمكاناته الضخمة مثيل على الإطلاق؛ إذ يمكن تشغيله بمولد صغير، كما أنه يؤدي عمله من دون أخطاء في حين أن أي مسدس آخر تصل أخطاؤه إلى ٥٠ - ٦٠٪ من وقت التشغيل، وبهذا أصبح من الممكن تصنيع سجادة ببساطة تامة ولو في وسط الصحراء، مما يعني إمكان التوجه بهذه الصناعة إلى أماكن تجمع العمالة وليس العكس.

- وما المقومات الأساسية لهذه الصناعة؟

* الفن هو المقوِّم الأساسي فيها، ولكن هذه التجربة لاتعتمد على الفن والصناعة فقط؛ بل تشمل عدة أبعاد أخرى: بعد شخصي نحاول من خلاله أن نثبت كأسرة (أصحاب المصنع) أن أي أسرة مماثلة تستطيع أن تنجز الكثير، إذا وجهت نشاطها نحو هدف معين بإيمان، أما البعد الثاني فاجتماعي يقوم على أن المال لا قيمة له إلا بتوظيفه، لأنه إذا ظل مجرد أصفار على ورقة فقد قيمته، فإذا وظفه صاحبه أصبح ذا قيمة كبيرة، تتولَّد من عمل الإنسان وإنجازاته وإضافاته.

إن الموضوع إذن يمثل لنا قضيه - لا أريد تحويلها لشعار -، وقد بدأنا بأنفسنا، وسعدنا بهذا العمل الذي مكننا من فعل الكثير، وهو ما ينقلنا للبعد الثالث الذي يرتبط بالمجتمع ويهتم بضرورة التفاعل معه، لأن مشكلاته إذا لم تنعكس علينا بشكل مباشر فستنعكس على أولادنا وأحفادنا، والنتيجة أن ما نزرعه اليوم سيحصده الأولاد غدا، والمطلوب أن يكون الإنسان إيجابيا. يكفي أن أخبرك أننا ظللنا ندفع من أموالنا في سبيل حلم لانعرف ما سيجلبه لنا، ولكن شعورنا بأن الهدف قابل للتحقيق كان يدفعنا للاستمرار.

- أرى حولي كمًّا هائلاً من التصميمات. فمن الفنانون الذين يتعاونون معك في تصميم ذلك كله؟

* التصميمات التي تراها حاليا إضافة إلى مئات غيرها - لا أريد أن أقول آلاف - من إبداع أفراد الأسرة (أنا وزوجتي وابنتي)، وقد ابتكرناها بناء على فهم معين ولغة محددة، فنحن ندرك تماما أننا لانصمم لأنفسنا بل للغير، وهذا مفهوم يختلف عن نظيره بالنسبة للفنان التشكيلي الذي يعمل لنفسه، أما عندنا فنستطيع أن نضع حدا فاصلاً عند نقطة ما، فنحوّل الإرضاء الذاتي إلى محاولة لإرضاء العميل المرتقب، عن طريق ضبط الإيقاع من خلال العلاقات اللونية والمساحات بمفهوم علمي يؤدي لصياغة الشكل والمضمون اللذين نتوقع أن يرضيا إنسانًا في مكان ما.. له ذوق معين، ولذلك نجد أننا قد نبتكر تصميما معينًا بأكثر من حل لوني لإرضاء مُجْتَمَعَيْن مختلفي الهوية، فكما نعرف فإن تصميم العلاقات بين المساحة والخط يمكن أن يساير ذوق شخصين في بلدين مختلفين ولكن مع تغيّر الألوان.

- من الملاحظ أنك تركز على اللون وتأثيراته في الإنسان، نرجو توضيح هذه الجزئية؟

* وجدنا بدراسات خاصة أن الألوان لها دور كبير في حياتنا؛ ومن وسائل تغيير مجتمع ما تشجيعه على استخدام الألوان في حياته.. كيف؟.. إذا نظرنا لأي مجتمع متقدم، نراه يوظف الألوان توظيفا دقيقا جدا، ويتمثل ذلك في اهتمامه بالزهور التي تعتبر وعاء لونيا ذا تشكيل جميل، ونلاحظ أن المجتمعات النامية عندها قصور في استخدام الألوان.

واكتشفنا أن للألوان تأثيراً مباشرًا في الوظائف العضوية للجسم، فتخيل تأثيرها إذا وظّفت في صورة أو تشكيل، إن تأثيرها يمتد ليتدخل تدخلا مباشرًا في وظائف الجسم الحيوية، فمن الممكن أن ترى صورة لحريق فينبض قلبك، ولذلك ركزنا على مجموعات الألوان وتشكيلها بناء على رغبة العميل، وبعد أن يصف لنا طبيعة المكان نبدأ في التعرف منه ومن عائلته على الألوان التي يحبونها والعلاقات اللونية التي يميلون إليها ومن خلال كل ذلك نصنع سجادة لهم. وهو اتجاه تقبله المجتمع، فالناس يحبون اللون ويريدون استخدامه ولكنهم لايجدون من يعطيه لهم، وعندما خرجنا للمعارض الدولية اكتشفنا احتياج العالم كله لهذا الأمر، على أساس مجموعة الألوان التي تحكم كل مجتمع وتعطي له إطارًا معينا، ثم وجدنا أن الألوان تنعكس من السجادة على لون الحائط، فتدخل في مضمون متكامل، وعن طريق ذلك كله نستطيع تغيير سلوكه،

أي أسرة تستطيع أن نحقق إنجازات كثيرة، إذا وجهت نشاطها بإيمان نحو هدف معين

والمفتاح هو إدخال سجادة تساهم في تغيير الستائر وما يرتبط بها؛ مما يغير السلوك إلى درجة تتضح في العلاقات الأسرية بين الزوج والزوجة والأولاد، ومن الممكن تغيير شكل العلاقة بمجرد تغيير ألوان البيت، لذلك نستفيد دائما من كل فرصة ممكنة لتقديم هذا المفهوم وتوضيحه لكل الناس. ورغم أن كلامنا يؤخذ في بعض الأحيان على أنه مبالغة، فإن التفكير فيه واستعادة بعض التجارب الشخصية سيؤكد ذلك. وبالمنطق السابق نفسه، تستطيع - بطريقة غير مباشرة - أن تأخذ بيد مجتمع نحو التقدم من خلال تقويم اللون، فنحن في حاجة لنشر الوعي اللوني، وكم أتمنى وجود برامج تناقش هذه الأمور بمنطق بسيط تُشرك فيه الناس، فإذا وصلنا للإحساس باللون ستنشأ أبعاد جديدة في تفكيرنا وفي علاقاتنا بعضنا مع بعض.

العنوان: مدن تمطر دمًا.
المؤلف: إدريس بن عبدالله الدريس.
الناشر: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (١٧٢ص).



إدريس بن عبدالله الدريس

يعد كتاب «مدن تمطر دمًا» لمؤلفه إدريس بن عبدالله من أدب الرحلات الرسمية؛ لأنه وصف لمشاهدات حية وانطباعات فكرية ووجدانية ودينية عن تلك المشاهدات في بعض مدن البوسنة والهرسك وبقاعها، من خلال رحلة قام بها المؤلف مع الفريق الإعلامي السعودي الصحفي لتلك الديار التي تُمطرها نيران الصرب والكروات دمًا وتدميرًا. وكانت تلك الرحلة في شهر ربيع الآخر عام ١٤١٥هـ.

يؤكد هذا الكتاب أن الإعلام المقروء أبلغ فعالية في تأثيره من الإعلام المسموع والمرئي؛ لأن المرء، ولاسيما العربي، تأسره العبارة البليغة، والجملة الموحية التي تلهب المشاعر، وتستثير الأفئدة، بما لا تثيرها غيرها من وسائل التعبير الإعلامية الأخرى.

وإذا كان المؤلف لم يبرز هدفه من الكتاب - أو من رحلته - في مقدمته، غير ذكر لمضمونه؛ فإنه أبرز الهدف في (ص١١٤)، وهو يجيب أحد المحررين في جريدة «الحرية» أثناء زيارته مع الوفد لمقر تلك الجريدة، بقوله: «إن الهدف من هذه الزيارة، هو معاينة الواقع، ونقل الأخبار إلى أهلنا هناك، عن الأحوال في البوسنة والهرسك مباشرة، من موقع الأحداث، ومن مصادره الأصلية دون أي وسيط».

وكلما كانت كتابات الأدباء عمومًا وكتاباتهم الرحلية خصوصًا صادقة في نقلها، والتعبير عن فحواها وواقعها، ازدادت نجاحًا وتأثيرًا وتوصيلاً. ولهذا تحلت كتابات إدريس الدريس، منذ بداياتها، بذاك الصدق في التعبير.. حين شرع يعترف بواقع معرفي يعيه أغلب مثقفي العرب؛ وهو قصور إدراكهم وإلمامهم - فيما مضى - بأحوال البوسنة والهرسك، لهيمنة يوغسلافيا (التيتوية) على الأجواء السياسية والعالمية آنذاك، ولهذا أيضا يعترف بأن علاقته بقضية البوسنة والهرسك «كانت قد بدأت من خلال تلك الصور الصحيحة الثلاث التي بثتها الوكالات العالمية، ونشرت في العديد من الصحف العالمية السيارة، لحالة قتل على الهواء مباشرة، وأمام الناس. كانت الصورة الأولى: لرجل صربي مسلح يعترض مدنيًا، ويشهر عليه سلاحه. ثم الثانية: وهو يترنح بعد إطلاق الرصاص. فالثالثة: حيث أصبح البوسني ملقى على الأرض يتخبط في بركة دمائه، فيما الصربي من فوقه يتأكد من تمام وفاته..».

والأروع من ذلك كله، هو ما عبر عنه كاتبنا حيال تلك الصور، بحديث النفس قائلاً: «لو أن الذي اقترف شجاعة تصوير هذه اللقطات، ترك (كاميرته) وباغت الصربي وقتله، لكان هناك احتمال لإنقاذ البوسني قبل قتله، لكنها كانت ستكون مهمة فردية، ولما أمكننا أن نرى ذلك المشهد بكل درجات البشاعة التي فيه. وكانت قضية البوسنة ستتأخر في ظهورها إلى العلن في مقدمة الأحداث العالمية. لكن تلك اللقطات الصحفية قد نقلت القضية من هامشيتها لتتصدر الأخبار».

ومن هنا سيظل لأدب الرحلات قيمته ونكهته، وها هو أديبنا إدريس يعيد لذاكرتنا الدور الكبير الذي كان يقوم به الرحالة العربي القديم.. «يوم كان الرحالة يمثل الصحفي الناجح، والمراسل الإعلامي، والمصور المرافق للمستطلعين عن مشاهداتهم، وتصويرهم لوقائع ومجريات سياسية، أو عسكرية، أو اجتماعية، أو وطنية، أو علمية.. يوم كان الرحالة يقوم بكل هذه الأدوار الثقافية والإعلامية. لذلك كان الرحالة - فيما يذيعه وينشره ويرويه - عضوًا مهمًا في المجتمع الثقافي والحضاري، وكان رائدًا أو قائدًا فكريًا وسياسيًا ودينيًا». وهذا ما حققه لنا أديبنا إدريس في كتابه «مدن تمطر دمًا» في رحلته من الرياض إلى البوسنة والهرسك. ولهذا علينا أن نستخلص أهم المواقف والأفكار والرؤى والشخصيات والموصوفات، والانطباعات عنها جميعًا.. كما بدت لنا في هذا الكتاب.

إن الموصوفات - من خلال الرؤية البصرية الحسية - تتحول إلى واقع مثير في كتابات إدريس.. لأنه لا يُحيد عن نقل وقع ذلك المحسوس البصري في النفوس، بقالب الفن والإثارة.. ولاسيما وصف الأمكنة والديار التي يمرون بها. فقد بدت لهم - مثلاً - المنطقة، وهم في الطريق إلى (موستار)، «مليئة بالأنهار الصغيرة التي يبدو ماؤها الرقراق المتحول، مناهضًا لطبيعة الصرب والدم المراق على الضفاف».

كما بدت لهم بعد ذلك ملامح مدينة مهجورة اسمها (يوشي تل) كان كل سكانها مسلمين «أما الآن فينعق فيها البوم بعدما هجرها أهلها وسيطر عليها الكروات».

وحين دخلوا مدينة (موستار) كان في ذهنه بعض ملامحها الأوربية، حيث القرميد الأحمر الذي يغطي سقف المنازل.. العشب مازال أخضر، لكن «شرفات المنازل ورائحة المدينة مضمخة بالاحتراق».

ودائمًا يتحول الانطباع الحسي لديه إلى رؤية متألقة من الفن والإعلام والحماسة الدينية.. يقول مسترسلاً «ليس هناك ما هو أقسى من رؤية مدينة تحفها الخضرة وشرفاتها ممهورة وممزقة برصاص القتلة، والعشب تتناثر عليه دماء الضحايا الأبرياء، وتنتشر فيه مغلفات الرصاص الفارغة، وكل علامات التوحش البشري. إنها مدينة تضع صورتها في ذاكرة الرأي والعالم على وقع هرولة النساء والأطفال من رصاص عشوائي يطارد الدم المسلم طفلاً كان أو كهلاً، ذكرًا أو أنثى، مدنياً أو عسكريا، الرصاص حشد، والبشر العُزّل حشد.. والنتيجة: الموت الحشد».

ويظل تحليله للواقع المرئي شذرات من الرؤى الصارخة بالإدانة والرفض لحالة خاصة للدمار أو للحرب غير المتكافئة: «فالحرب من طرف واحد، هو يقتل غيره ولا يُقتل هو، وهو الذي يهدم، وبيته قائم. لو كانت حرب أنداد، لو كانت بين فريقين مسلَّحين، لو لم تكن حربًا بين فريق مدجج وآخر أعزل، لقلنا إنها الحرب بكافة عناصرها، لكن ما حدث هناك ليس إلا جريمة، واغتيالاً، وإعدامًا.. فيه الترصد، وسبق الإصرار».

وتبدأ عيناه في التقاط واختزان المشاهد العابرة اليومية، ولكنها تضج بالمآسي التي أصبحت مألوفة للرائي: «في موستار كأنك تسير في مستشفى كبير، فهذا أكتع، وهذا أعرج.. هذا يملك بعض أطرافه، وذاك يفقدها جميعها. هذا يمشي بعكاز، والآخر بعكازين، والثالث أعمى، والرابع أعشى..».

وقد ينقل لنا كلام أهل تلك البلاد المعبر عن فجيعة الموت الطاحنة باستمرار: «يقول أحد المسنين: إن حالتنا في الليل مثل لاعبي اليانصيب، كانوا - الكروات - يقامرون بحياتنا.. ولا نملك نحن الكبار، إلا أن نتطارح القرعة على من سيموت الليلة. نعلم أنها أقدار، ولكن حجم القذائف وكثافة التقتيل يجعلاننا نلعب لعب الموت»، والجميع يلهج بهذا البيت:

ومن لم يمت «بالصرب» مات «بجوعه»
تعددت الأسباب والموت واحد

كما قد يجد أن أبلغ تعبير عن تلك المشاعر والوقائع والفجائع وأصدقها، هو تلك الأسئلة التي يطلقها من آن

لآخر، وهي تصرخ بالأسى والاستنكار، وتفضح أعداء المسلمين في العالم الأوربي (كما في ص ٣٤).

وإذا كان الموت والدمار والفناء وغيرها من مفردات هي زاد أديبنا الدريس في كتاباته الرحلية، فإن الأخطار والصعاب هما مفرداته في التعبير عن مخاوفه ودعواته في النجاة.. وفي سائر انطباعاته الذاتية، التي وصفها من خلال تلك الصعاب والمشاق التي اعترضته، سواء في تحركات وفدهم الصحفي، أو في دخولهم ورقودهم في الفندق - الهوليداي إن أكبر فنادق سراييفو - المحاط بالقناصة والألغام طيلة الأيام الستة، فضلا عن انعدام الماء والكهرباء، الذي يقول عنه: «ها قد استيقظت في أول نهار لي في سراييفو، وقد اشترى نومي كل تعب الأمس، وباعني الراحة. أردت أن أتنظف وأغسل أوضار رحلة الأمس ووسخها، فقيل لي: ليس من سبيل إلى الماء إلا هذه «القارورة» الوحيدة، خذها وقسّمها على وسخك ووضوئك».

وتظل النزعة الإسلامية والرؤية الصادقة الحقة عن جوهر الإسلام وقضيته الكبرى في البوسنة والهرسك، هي المحور الأساسي في تصوره وأفكاره.. وحتى في انطباعاته الذاتية، تجده محفوفا بتلك المشاعر الدينية، سواء في وصفه للمحتفين بهم؛ أو من التقاهم هناك، أو في سلوكه الذاتي في الأدعية والصلاة وجمعها وقصرها، رغم المخاطر والأهوال.

وكانت تتخلل كتاباته الرحلية بعض المعلومات التاريخية والجغرافية والعلمية والدينية والسياسية عن البوسنة والهرسك.. ولكنها مشفوعة بالمآسي الحربية المدمرة المعاصرة. فسرايفو، مثلا، «كانت أيام يوغسلافيا، المركز الصناعي للدولة، والمحجة العلمية.. فسكانها، هي وباقي مدن البوسنة والهرسك، أكثر سكان يوغسلافيا تنورا وعلمًا، وأكثرهم إسهامًا في البناء والتطوير، لكن ذلك كله قد انكفأ بين يوم وليلة، بين حقد وغل، بين رصاصة ومدفع، فأصبحت كأن لم تغن بالأمس.. هكذا يُنحر المدنيون من أهل البوسنة والهرسك لأمر يسير». وقد وردت بعض المعلومات في نهاية الكتاب، مثل: (البوسنة والهرتسق: من أين جاء هذا الاسم؟)؛ وكان لها أن تأتي في المقدمة أو في بعض هوامش الكتاب.

ولقد تضمنت كتابات الدريس شيئا من المادة الرحلية، وهي ذكر رفاق الرحلة، وبمن التقي بهم من السعوديين والمسؤولين البوسنيين. وقد عرّف بهم، وأوردهم حسب مناسبة السياق. وكان أكثرهم حظًا في التعريف الشيخ ناصر السعيد، مدير مكتب الهيئة السعودية لرعاية شعب البوسنة في أوربا؛ إذ خصه بعنوان مستقل استغرق حوالي عشر صفحات، وقد نعته بأطيب الأوصاف التي تجعل من يتصف بها محبوبًا من الله وعباده. كما وظّف بعض الأسماء البوسنية، وبعض الوقائع التي عانوها، توظيفًا قصصيًا، وكأنها دعوة لكل قاص كي ينهل من هذا المورد الزاخر بالأحداث والأهوال، وينسج منه أروع القصص.

وقد كنا نلمح في أسلوب الدريس بعض الأساليب التعبيرية التي تتفق مع مقام الحالة الشعورية، فنراه يقبس من نور الآيات القرآنية؛ مثل هذه الجمل: «.. كنت وأنا أعبر تلك المهالك في حالة استنفار لم استشعرها من قبل؛ كانت حواسي مستنفرة كأنما فرت من قسورة». أو: «... القناصة كالأشباح في كل منعطف يهيمون، وفوق كل تل يتربصون». أو: «من تصبه يمُت أو يعاق من الأذى، ومن ينجُ فقد تأجل أمره يومًا أو بعض يوم» أو: «.. لأنه قد غيض الكلام وجفت الحناجر، وارتطمت الساق بالساق..».

كما قد تجد في بعض جمله الأخرى؛ وبخاصة فيما أدرج تحت عنوان: «يا سيدي البكاء! ليتني سد بينك وبين عيونهم»، ترجمة للمآسي، ونبشًا لأعماق النفوس، في تعبير شاعري وفني، إذ تتجلى لديه الشاعرية المرهفة.. وليس هذا بغريب عليه، أليس هو الشاعر وابن الشاعر (عبدالله بن إدريس) الذي تهزه آلام العرب والمسلمين في كل مكان من دنيا العروبة والإسلام؛ فيصوغ معاناته مع تلك الآلام شعرًا من أجمل الشعر وأروعه.

يقول من ذلك العنوان: «هناك الحزن مديد.. والبكاء حتف يرتفع ويزيد.. يا أيها البكاء! ليتني سد أقف بينك وبين عيونهم. ويا أيها الحزن! ليتني قلم أرسم أفواههم كيفما يشاء الابتسام. ويا أيها الغبظ! ليتني طير أخضر أصفق في جوانحهم. ويا أيها الاكتئاب! ليتني هواء نقي أتهادى في عروقهم. ويا أيها الفرح! ليتني أنت لأكون لهم».

وكان على رحلة أديبنا إدريس الدريس أن تنتهي بتلك الفكرة التي جاءت في العنوان: «والفرق كبير.. البوسنة والهرسك ليست أفغانستان»، وقد استخلصها ممن قابلهم، وهي أن مسلمي البوسنة والهرسك قد ينتصرون على كل أعدائهم من الصرب والكروات وغيرهم؛ لكنهم يتساءلون بحرقة: من يضمن لنا - فيما بعد - أن ينتصر البوسنيون على أنفسهم؟ من يضمن لنا ألا تتكرر مهزلة المليشيات والأحزاب الأفغانية المتناحرة؟ من يضمن لنا ألا يتوجه سلاح البوسنيين إلى صدور بعضهم بعضا؟

ولكنه يستبشر الخير لمستقبل البوسنة، لأن ثمة فرقًا كبيرا بين واقع الأفغان وواقع البوسنة المتميز.

كما أنه كان على عنوان «نزدع التهمة بتثمين الإنجاز» أن يفتتح به الكلام عن الرحلة، لا أن يأتي متأخرًا، فيفقد فاعليته؛ لأن ما أشار إليه بشكل الاعتزاز، ورد التهمة بثمن الإنجاز قد أحسه القارئ منذ بدء الرحلة وحتى نهايتها؛ فلا حاجة إلى تأكيد ذلك الإنجاز.

العنوان: على مشارف القلب.
المؤلف: سلطانة عبدالعزيز السديري.
الناشر: الفرزدق للدعاية والإعلان، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (٩٤ص).

سلطانة عبدالعزيز السديري

يبدو أن تجربة المحبين، ومن ثم شعراء الغزل والوجدان، تظل مرسومة في دائرة أحد قطبي المغامرة الوجدانية أو سطوته، فمن كان سيد الموقف الوجداني، فلابد أن يكون الثاني خاضعا لتلك السيادة.. لأن رجاءه في عودة سيده، وتشوقه للقائه لاتجديه نفعًا، لأنها تزيده جفاءً ونأيًا؛ فلا تثمر تلك التجربة العاطفية غير الصورة الشعرية المتألقة في عالم الروح، المتأرجحة في دنيا الأحلام.

ومن هنا يبقى الشعر الغزلي مرآة للفقد الذاتي، والرغبات الحبيسة في آفاق النفس، المقيدة بقيود الحرمان، والمكبلة بحواجز الامتناع والنسيان. ولهذا فإن مبدعي ذاك الشعر يعانون انكسارًا من تلك المغامرة الوجدانية على نحو ما.. مما يفجر فيهم نوازع الإبداع، وحالات التجلي إلى قمم الإلهام؛ ولاسيما إذا كان من بخوض غمار تلك التجربة امرأة شاعرة مثل (سلطانة عبدالعزيز السديري) صاحبة هذا الديوان، التي تذوب مشاعرها وأحاسيسها رقة متناهية، وشفافية عذبة. فتعبر عن تلك الرقة والشفافية بخيوط تنسجها من شغاف القلب، ورحيق الفن. وقد تناولت كل ما يشع لها من وهج السماء، وما تتحلى به من نجوم وكواكب، وتلاصق كل ما يفوح بالأرض، وتعبق به الروابي والزهور، وتتناغم به أوراق الأشجار، وتغاريد الطيور.

فروحها هائمة سائحة بين الأرض والسماء، تعانق النجوم، وتلثم الزهور والورود؛ فإذ هي تغني أرق ما تلبسها تلك الطبيعة من أنغام وألحان، شجية وساحرة، وعذبة وفاخرة. ومن هنا تأتي قصائدها ومقطوعاتها تتوج تلك الشفافية والوجدانية والرومانسية. سواء في رسائل الحب والوجدان، أو في تصوير آلام الأوجاع والأحزان، فتتشكل لديها إيقاعات الأوزان موسقة مع ما يضج في أعماقها من صدى الحب، وأنغام الحنين والتوق والاشتياق.. وغيرها من مفردات الهوى وتباريحه، ومعاني الغرام ولواعجه. وأية قصيدة أو مقطوعة من (على مشارف القلب) تنطق بما رسمناه لهذه الشاعرة. فمثلاً نقرأها في «رسالة.. من خيوط الفجر»، تقول - وقد تألقت حبًا ووداً وعطراً-:

(كتبت إليك رسالة حب/ على صدر نجمة/ تضيء السماء/ خيوطًا من الفجر/ تهدي البهاء/ وألبستها ثوب ورد، وعطر، وود سخي العطاء/ فهل يا صديقي فرحت بها؟/ وهل حملت بشريات الرجاء).

كما أنه تصبح لديها تلك المفردات الوجدانية في رسائلها، أو خطابها إليه، دمًا ودموعًا ونداءً.. مستغيثة بكل أشواقها وحنينها كي يقبل إليها ويعيد لها نبض الحياة؛ تقول في أول قصيدة، تحمل اسم الديوان:

(كتبت إليك بدمي/كتبت إليك بدمعي/وأودعتها كتب المكتبات/ أناديك حرفًا.. وصوتًا/ أناديك صمتًا/ فهلا سمعت ندائي بكل اللغات/أناديك شجواً/أناديك عفواً فهل استجبت لقلب يضيع شتات؟/أناديك شوقًا../بكل حنيني/فأقبل.. أعد لي نبض الحياة)..

ولهذا ستظل الشاعرة سلطانة تعزف سيمفونية الحزن والكآبة، وهي تئن تحت وطأة الاحتراق، ومع آهات الحب وأوجاع القلب.. ولاتجني من رحلتها الوجدانية غير الاغتراب والرحيل والنوى والفراق. تقول في (الرحيل إليه):

(رحلت إليك غريبًا أجوب البقاع/وحيداً أسيراً.. وحلمي شراع/وأمشي ترافقني.. أمنيات/يجيش بنفسي صراع/تمنيت لو كنت لي/تمناك قلبي../ولكنه ما استطاع/وعدت أعد خطاي.. حزين الفؤاد/رؤاي ظلام/وعدت.. حزين الفؤاد/عتبت عليك/ لو كنت تدري بلوعة صدري/لاجتزت كل الجسور/أتيت إلي/بخطوة حب..وأخرى سلام).

وقصائد الشاعرة سلطانة، وإن تعددت؛ فإنها تظل تردد الإيقاع النفسي ذاته، وتعيد وقع أوجاع القلب نفسه. ومما تقوله مثلاً إثر القصيدة السابقة في «خسرتك يا صاحبي»:

(وعدت بقايا حطام حزينة/وأصبحت لاشيء بعدك../فقلبي صار رهينة/فليتك ياصاحبي../تعود إلي.. فإني سجينة).

ولكنها تعبر عن ذروة الحب، وقمة الصدق والود والتفاني في دنيا المحبوب. عبّرت عن ذلك كله بأحلى كلمات الحب وأرقها؛ ونثرت في درب الهوى قطعًا من قلبها، وشرارات لهيبه، لأنها نود أن تحويه بكل مشاعرها وحبها، ومهما تعذبت وتجرعت مرارة العواطف والأشواق، تظل مجنونة به، مفتونة بشخصه.

ولا يحدّ الوزن العروضي الخليلي أنهار المشاعر، بأبياتها ومجزوءاتها، ومقطوعاتها.. كما هو حالها في قصيدة: «آه يا حبي»، التي بلغت ثلاثة عشر مقطعًا، منها: **(آه يا حبي.. لو تدري/ في الليل/ أناجيك بشعري/لأتدري عني.. عن سهري/وعذاب.. من نار الهجر)**، ومنها: **(أجلسك بقربي ساعات/أروي لك حلو حكاياتي/أعطي من نفسي.. من ذاتي/أهديك أرق مناجاتي).**

وتستطيع الشاعرة سلطانة السديري أن تطوّع قالبها الشعري، من خلال مقاطعها المتعددة القوافي، الموحدة الوزن، في توليف قصصي بجمع بعض العناصر الفنية للقصة، في السرد والحركة والحوار، وإيحاء الأجواء الرومانسية في لغة الخطاب والوصف، فضلاً عما تنتهي إليه من مفاجأة تثير عالم فنها وحدثها، مما يثير الدهشة والإعجاب، كما هو الحال في قصيدتها «قبل أن ألقاه» ذات المقاطع الخمسة.

ولا يحول الشعر العمودي، المتكامل الوزن والأشطر، دون تلك السيولة الوجدانية؛ فيظل نبع التدفق العاطفي متفجراً في أعماقها، لأنها هي التي تمنح المحبوب الأكثر، وتقنع بما يشقيها ويذلها، ولكنها تتجمل بما تحمله لها الذكريات من سويعات رومانسية حالمة تقول من قصيدتها: «بقايا أسطورة القلب»:

أمضيت عمري في العطاء محبة
وأضاعني حبي العظيم شجاني
ما كنت أعلم يا فؤادي مرة
أن الجمود عطاء من يهواني
إن قلت أهواه فتلك حقيقة
لكنه بمحبتي أشقاني
مازال جرح في الفؤاد غرسته
منه أكابد في الهوى وأعاني
أسطورة في القلب أنت سطورها
وعلى الدوام تعيش في وجداني

وإذا كانت هذه الانهمارات الوجدانية والرومانسية متدفقة في هذا النمط الشعري الذي يستجيب بتلقائية عجيبة وفطرية نقية، فإن شاعريتها تستجيب أيضاً، وفي القالب نفسه، وعلى مدار بضع قصائد أخرى، ولاسيما التي تعبر فيها عن أمومتها وحنانها لكل من ابنها «فهد» وابنتها «نداء»، أو عن حبها ومأساتها في شقيقها «نايف» أو في شعرها الوطني والقومي كقصيدة «ذخيرة الأحلام» المتألقة في صدقها، وحرصها على وحدة العرب، واستلهام التاريخ، لدرء الأخطار والضغائن والفرقة:

يا إخوة العرب إنا أمة بليت
وأعداؤنا حولنا شر وأطماع
يا إخوتي وسليلي المجد عن عمر
وخالد .. شمروا للخير وانصاعوا
يا إخوةالعرب آه من تشتتكم
في القلب هم وأفكار وأوجاع
لا تشعلوها بنيران تدمرنا
كم خلّفت بيننا موتى ومن جاعوا
لاتجعلوا فرحة الأعداء في وطن
ترنو عيون لأن يفنى وأسماع
لاتقتلوا إخوة منكم ولاتهنوا
أنتم ذخيرة أحلام وإشعاع

على أن الهم الذاتي والوجداني هما الهاجس الأول والأكبر في مُخيلتها، وتجربتها مع الحزن، ومعاناتها مع الألم هما مصدر الإلهام والإبداع في مغامرتها الشعرية، وصناعة الحرف والكلمة.. لتصوغ منها ذاك الفن الشعري الرومانسي.. ولهذا وجدناها تقول في إهدائها: «ستظل أيها البعيد، القريب الداني، على مشارف القلب مطلاً.. نجمًا يضيء وحدتي في الليالي الطويلة، ويشرق بالنور على أيامي.. ستظل ذلك النصف المفقود الذي وجدته ولم أجده.. تسرب من يدي ولم يتسرب من قلبي؛ فبقي في أعماق القلب حزن الرضا والسكينة.. مبعث الإلهام.. بصبغة ألوانه ألوّن أحرفي، أبتسم وأبكي، أفرح وأحزن، وأعتصم بذلك الحزن الرضي، الذي يدفعني للاستمرار، وللعطاء الخير الجميل».

كما أن الحلم الجميل هو الهاجس الآخر الذي يداعب مخيلتها أيضاً؛ ويبدد لها ظلمات الواقع المر، ويزودها بالأمل، ويقشع عنها ظلمات اليقظة القاسية. ولهذا وجدنا شاعرتنا تسطر هذه الكلمات على ظهر ديوانها:

«على مشارف القلب نجد في معظم الأحيان حلمًا يزودنا بالبهجة، يجعل من واقعنا شيئًا زاهيًا جميلاً، ندلف به إلى مسار أيامنا، متزودين بالأمل الذي يحيل هجير العمر إلى نسيم نتفيأ ظله، فتحلو الحياة باسمه، حتى وإن كانت عابسة.. قد نصنع ذلك الحلم من مشاعرنا، حتى وإن لم يوجد على أرض الواقع، لنوشي بأزهاره أشواكًا في قلوبنا قبل أن تدمي أقدامنا».



محمد أدهم السيد

حدثت هذه المأساة الرهيبة في أحد أيام أغسطس/آب الجميلة من عام ١٩٦٩م.

فبينما كان الشاب البرازيلي تيودور يسير بمحاذاة نهر الأمازون الكبير يراقب الأسماك الصغيرة، ويصور طيور النهر الرائعة التي تزخر بها تلك المنطقة، وصل إلى بقعة جميلة كانت فيها المياه هادئة لطيفة غير عميقة تدعو المرء للاستجمام والسباحة فيها.

وأراد صاحبنا عبور النهر إلى الضفة الأخرى، ولكنه تساءل عن الوسيلة وهو لايملك قاربًا ولايعرف الكثير عن السباحة.

وأتاه الجواب سريعًا.. فبينما هو يفكر رأى قطعة كبيرة من الخشب تتناقلها المياه بهدوء.

وشيئًا فشيئًا اقتربت القطعة منه وأصبحت المسافة بينهما لاتزيد على أمتار قليلة. وما هي إلا لحظات حتى قفز إليها ـ دون أن يتحسسها ـ وأخذ يدفع الماء تحته متجهًا نحو الضفة الأخرى.. ولكنه فوجئ بالقطعة تسير وحدها إلى عمق النهر.. وكأن قوة ما تسيّرها.

استغرب تيـــودور ذلك؛ فـالتيـار في هذا الجزء من النهر ضعيف ولا يقوى على مقاومة ثقله وثقل القطعة الخشبية!

وما هي إلا ثوان حتى عرف الحقيقة المفزعة.. فقد اعتلى ـ لغبائه ـ ظهر تمساح أمازوني ضخم يزيد طوله على سبعة أمتار.

ولا تسل عما حدث بعد ذلك.. فالنهاية معروفة تمامًا؛ إذ سحبه التمساح الظريف إلى عرض النهر وغاص به إلى الأعماق..

إنها قصة من مئات القصص التي تتحدث عن وحشية التماسيح وشراستها؛ تلك المخلوقات الغريبة الضخمة التي تكثر في المستنقعات والمياه الضحلة وعلى ضفاف الأنهار، والتي تعد أشرس الزواحف الأرضية الحديثة آكلات اللحوم وأعنفها على الاطلاق، رغم أنها بطيئة الحركة نسبيًا إذا ما قورنت بغيرها من الكائنات المفترسة المعاصرة التي تملأ أدغالنا وأنهارنا ومستنقعاتنا اليوم.

فماذا نعرف عن هذه الكائنات البليدة الغريبة؟!

وماذا تعرف هي عنّا؟!!

أشرس الزواحف الأرضية

اختلفت الأسماء وتعددت التعليقات حول التمساح؛ ذلك الكائن البليد الذي يمضي جل وقته نائمًا أو متسطحًا فوق الأعشاب أو هائمًا على سطح الماء.

فتارة يدعونه سباح النهر المرعب، وتارة يطلقون عليه اسم آكل لحوم البشر، وتارة أخرى يلقبونه بالجبار، وأخرى بوحش المستنقعات.. إلخ... ورغم تعدد الأسماء وكثرة المصطلحات؛ فإن أحدًا منا لاينكر ما لوحش المستنقعات هذا من ضجة رهيبة ومكانة مخيفة في عالمنا الحديث.. إذ يكفي سماع اسمه الظريف فقط لنتخيل أمامنا مخلوقًا قبيح المنظر وبقعة كبيرة من الدماء يتخبط فيها كائن غير محظوظ ساقته قدماه حتمًا إلى حتفه.

ينتمي التمساح إلى طائفـ

تمساح من مجموعة «الجافيال»، يتميز برأسه الطويل المدبب كالسيف

الزواحف التي تنطوي تحت قسم الفقاريات.

وتضم هذه الطائفة - بالإضافة إلى التمساح - الثعابين والسحالي والسلاحف بقسميها البرية والبحرية.

وهناك على وجه الأرض اليوم أكثر من ٥٠٠٠ نوع من الزواحف يعود تاريخ ظهورها إلى بداية العصر البرمي.

وقد أخذت هذه الكائنات تظهر أول الأمر بأحجام صغيرة، ثم كبرت شيئًا فشيئًا حتى سادت أنواعها الأرض في حقب الحياة الوسطى وتربعت على عرش مملكة الحيوان.

وأكبر أنواع الزواحف التي ظهرت في ذلك الزمان والتي حكمت اليابسة والماء دون استثناء «البرونتوسورس»، وهو من الدينوصورات اللاحمة؛ حيث زاد طوله على ٢٣متراً.

وقد ظهر أول أنواع التماسيح على سطح الأرض قبل أكثر من ٢٠٠ مليون عام وكان أصغر حجماً بقليل من التمساح الذي نعرفه اليوم.

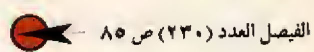
والتماسيح - القديم منها والحديث - مثل أنواع الزواحف الأخرى، من ذوات الدم البارد.. وتتنفس الهواء طوال حياتها بالرغم من أنها تقضي جل وقتها وهي تسبح في الماء.

وتتراوح أطوالها بين ٦ و١٠ أمتار تقريبًا؛ حيث يصل طول أكبر أنواعها وهو تمساح النيل الأفريقي إلى عشرة أمتار.

هيكل التمساح وجسمه

وجسم التمساح انسيابي الشكل يتألف هيكله من ٦٠ فقرة عظمية تشكل النواة الأساسية في حركته. وأطرافه قصيرة نسبيًا تتوضع على الجانبين وتبرز خارج الجسم بشكل اضطراري عجيب يفسر حركته الزاحفة المضحكة؛ فهو - كأغلب الزواحف الأخرى - لايقوى على الركض أو الوقوف على أرجله الخلفية أو حتى الأمامية.

وتنتهي أرجل التمساح الغريبة تلك بأصابع صغيرة الحجم يبلغ عددها أربعة في كل من الطرفين الخلفيين، وخمسة في كل من الطرفين الأماميين. وهي مزودة بمخالب قوية جدًا



تساعده في تقطيع الفريسة إلى كتل صغيرة جداً بعد أن يقوم بخنقها.

أما فمه فكبير جداً ومزود أيضاً بأسنان حادة وقاطعة لايمكن تمييزها إلى قواطع وأنياب وضروس كما عند الثدييات. وتساعده هذه الأسنان على الإمساك بالفريسة بإحكام وتمزيقها إلى أشلاء، مع أنه يبتلع الطعام في كثير من الأحيان على شكل دفعات كبيرة، ويترك مهمة طحنه وهضمه إلى الحصى والعصارات الهاضمة الفعالة الموجودة داخل معدته.

والغريب أن التمساح يفضل التهام طعامه غالبًا وهو يسبح في الماء، وذلك حتى لايمنح الفريسة التي تصارع فكيه أي فرصة للنجاة.. إذ إنها تقضي نحبها حتمًا مختنقة في الماء قبل أن تتحول إلى كتل صغيرة تستقر في معدته. ويعمل لسانه الطويل أثناء ذلك على سد مجرى الحلق العريض ليحد من تسرب المياه إلى أحشائه.

وللتمساح جلد ثخين مغطى بقشور وصفائح قرنية قوية ودروع عظمية متينة تحميه من الضربات القاسية، وهو خال تمامًا من الغدد.

وتتنفس التماسيح - كمعظم الحيوانات الثديية الأخرى والزاحفة - بالرئات وتوجد منها اثنتان يمنى ويسرى.

وتنفرد عن غيرها من الزواحف بأن قلبها مؤلف من أربع حجرات.. أذينين وبطينين.

أما مخها فكبير نسبيًا يتألف من فص شمي ومخ أمامي ومخ متوسط ومخيخ ونخاع متوسط..

وللتمساح عينان كبيرتان تمدانه بقوة بصر ممتازة جداً تميز بين أصغر الأشياء حجمًا على اليابسة وتحت الماء أيضًا.

كما أن حاسة الشم لديه متقدمة وجيدة.. وتتوضع فتحتا الأنف - كالعادة - على جانبي فتحة الفم.. بينما يبدو سمعه ضعيفًا إلى حدٍّ ما بالموازنة مع حواسه المتقدمة الأخرى.

ولعل أكثر ما يميز التمساح ذيله الطويل القوي الذي يضم مجموعة كبيرة من الفقرات العظمية المتينة الساحقة، ويعد سلاحًا حربيًا مهما ينفرد بملكيته وحش المستنقعات هذا دون غيره من الزواحف الأخرى، رغم دوره الرئيسي في المحافظة على حركة صاحبه أثناء السباحة ومنحه قوة الدفع المناسبة تحت الماء.

والتماسيح - شأنها شأن الزواحف الأخرى من ذوات الدم البارد - لا تثبت درجة حرارتها عند مقدار معين (مرتفع مثلا كما في الثدييات)؛ بل تتفاوت بين لحظة وأخرى ووضع وآخر.. فبينما تكون درجة حرارة جسمها مرتفعة وهي تعرض نفسها لأشعة الشمس الدافئة نجدها باردة جداً في الليل وهي تسبح في الماء.

ولاشك أن هذا الاختلاف الكبير في درجات الحرارة ينعكس سلبًا على حركة التمساح ونشاطه.. إذ إنه يكون أكثر هدوءاً واستكانة في الأجواء المعتدلة أو الباردة.. بينما ينشط في الأجواء الحارة والأيام المشمسة. ولذلك يكثر وجود التماسيح في المناطق الحارة والاستوائية بينما يندر في المناطق الباردة أو حتى المعتدلة.

لمحات من حياته الخاصة

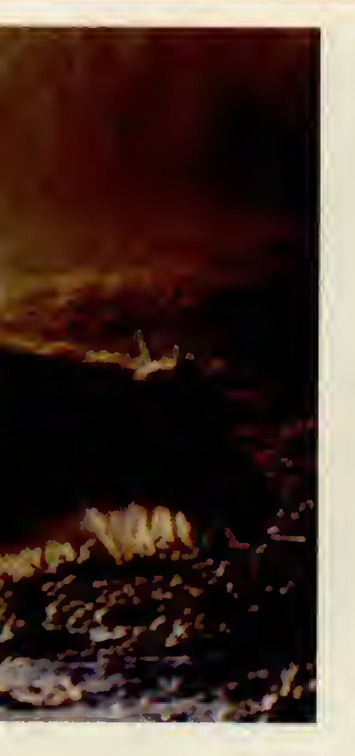
وإذا تركنا جانبا جسم التمساح العجيب بقدراته الخارقة وصفاته المميزة، وانتقلنا إلى صفحة أخرى من سجلاته الطويلة عند علماء الحيوان والطبيعة، وجدنا في الحديث عن حياة التمساح الاجتماعية وعلاقاته الفردية الخاصة ما يشبع فضولنا ويثير إعجابنا.

والحديث عن الحياة الاجتماعية لأي كائن على وجه الخليقة يعطينا دومًا الصورة الحقيقية والشاملة عنه، ويمنحنا مالا يمنحه أي حديث آخر.

ولاشك أن حديثنا عن التمساح لايشذ أبدًا أو يبتعد من هذه القاعدة الموضوعية والحقيقية العلمية الثابتة.

تعيش التماسيح عادة في مجموعات كبيرة تتراوح أعدادها بين (٨ - ١٥) أسرة؛ غير أنها تقتتل في كثير من الأحيان بسبب أو آخر.. كصراعها الدائم للوصول إلى السيادة والتناحر المستمر على الإناث.. لذا نجد من الصعوبة وصف هذه العلاقات الاجتماعية المتذبذبة والغريبة بالثابتة أو المتينة.

والتماسيح - ككل الكائنات الأرضية الأخرى - تبدأ حياتها الحقيقية، التي تعد استمرارا لحياة آبائها وأجدادها، عندما تصل إلى السن الذي





قطيع الثيران يلوذ بالهرب أثناء وقوع أحدها بين براثن التمساح





ثور أوقعه سوء حظه بين فكي هذا الوحش الرهيب، وهو يحاول الفكاك، لكن عبثاً!



تستطيع فيه الدفاع عن نفسها وعن غيرها وهو ما ندعوه نحن الآدميين بسن النضج.

إذ سرعان ما تبدأ غرائزها الجنسية الطبيعية في هذه المرحلة بالتفتح والنشاط ويحثها إدراكها المحدود على البحث المتواصل والمركز عن زوجة أو زوج المستقبل.

وتكثر الصراعات والمواجهات الدامية في هذه الفترة بين الذكور الطالبة للزواج.. وتسود شريعة الغاب الساحة ويحظى المنتصر دوماً بأقوى الإناث وأشدهنّ فتنة.

وفي ركن منزو هادئ يقضي العروسان المنتصران يوم عسلهما الطويل بعيداً من الأعين الفضولية والأرجل الغريبة.

وسرعان ما يحظى الزوج بمجموعة ظريفة من البيوض المتوسطة الحجم البنيّة اللون التي تحمل خلف طيات جدرانها القشرية الصلبة أطفال المستقبل.

وما أن تخرج البيوض إلى الحياة حتى يبدأ عمل الأنثى الصعب في الدفاع عنها وحمايتها وتأمين الجو المناسب لها. فسرعان ما تبني لها بين الأعشاب الكثيفة عشاً متواضعاً من بقايا النباتات والأوراق والأغصان المتساقطة، وتغطيها به، ثم ترقد وتمنع أي كائن غير الذكر من الاقتراب منها.

وما هي إلا فترة وجيزة حتى تفقس البيوض المدفونة تحت الأعشاب، وتخرج منها إلى الوجود أجسام صغيرة بنية أو خضراء اللون مفتوحة الأعين مكتملة الأعضاء تسند إليها مهمة البقاء وحماية جنسها من الفناء.

وتبقى هذه التماسيح الصغيرة في رعاية الوالدين الكريمين حتى يكتمل نموها وتنضج أفكارها وتصبح قادرة على اصطياد فريستها بنفسها.

وتستغرق هذه المرحلة زمناً معقولاً لايقل عن ثلاث سنوات تقوم خلالها التماسيح الناشئة بصحبة آبائها في عمليات الصيد والقنص التي تقوم بها يومياً، حتى تتقن تماماً فن الحياة الصعب.

عندها يختار كل فرد منها لنفسه العروس المناسبة ويكمل رسالة أجداده في صراع البقاء .. وتدور عجلة الحياة من جديد.

علاقات اجتماعية غريبة

تولي التماسيح - رغم طبيعتها الشرسة والعدائية - جزءاً من اهتمامها للعلاقات الاجتماعية أو الدبلوماسية (إن جاز التعبير) مع الكائنات الأخرى المجاورة لها.

والغريب أنه رغم ما لهذه الزواحف من سمعة بشعة ومخيفة حتى بين أقربائها وغير أقربائها من الكائنات الأخرى الحية؛ فقد أمّنت لنفسها خلال مسيرة حياتها الطويلة شريحة معقولة من الأصدقاء ومجموعة صغيرة من العلاقات الاجتماعية المتينة مع بعض الحيوانات والطيور، التي فرضت عليها قوانين الطبيعة القاسية الحياة إلى جوارها ومساعدتها.

ونخصُّ بالذكر منها طائر النياح شوكي الجناح.. أو طائر التمساح كما يسمى أحيانًا. وهو طائر صغير الحجم أبيض اللون ينتشر عادة بوفرة في المناطق الاستوائية والأدغال الأفريقية الحارة على ضفاف الأنهار والمستنقعات المأهولة.

ويعيش هذا الطائر العجيب على التهام نوع واحد فقط من الديدان الطفيلية الضارة التي تصيب جلد التمساح وأجزاء أخرى من جسمه وتدعى ديدان العلق.

ونظرًا للحاجة الماسة لمثل هذه الطيور الصغيرة في عالم التمساح الكبير؛ فقد استعان صاحبنا بطيور النياح تلك لتخلصه من طفيلياته المزعجة وشرورها في مقابل أن يقدم لها الطعام الوفير والشعور بالأمان.

وفي كثير من الأحيان تغامر هذه الطيور بالدخول إلى فم التمساح الواسع.. وتقوم بالتنقل بين أسنانه وفوق لسانه لتخلصه من هذه الطفيليات المزعجة دون أن تلقي بالا لشراهته المفرطة ووحشيته المرعبة، أو تحسب حسابا لأن يغلق فمه عليها ويلتهمها بقضمة واحدة.. ويتخلص منها ومن طفيلياته سوية.

في القصص والأساطير القديمة

تعرضت التماسيح - خلال رحلة وجودها الطويلة - إلى حملة هائلة من القصص الطريفة والأساطير المضحكة، وإذا تركنا جانبًا الأفلام الخيالية والروايات العجيبة التي حيكت حولها وعدنا إلى الوراء بضع مئات من السنين وجدنا في قصة التنين؛ الحيوان الخرافي الذي شغل عقول الناس في القرون الوسطى واقترب أحيانًا من حدود الواقع أمتع ما يمكن أن يروى أو يقال في هذا الموضوع.

والتنين - إن جاز التعريف - عبارة عن خليط حيوي فريد يجمع بين التمساح والثعبان والخفاش.

فبينما كان رأسه الطويل وأرجله الجانبية القصيرة وجسمه المغطى بالقشور والصفائح السميكة المدرعة أقرب إلى هيئة التمساح، كانت له أجنحة قوية تشبه كثيرا أوراق العنب التي يطير بها الخفاش وذيلاً طويلاً كذيل الثعبان.

وعندما يتنفس هذا الكائن ينفث نارًا تستطيع حرق بيت خشبي ضخم يزيد ارتفاعه على عشرة أمتار.

لقد انتشرت قصص التنينات هذه انتشاراً واسعًا في الصين وأوربا وأجزاء من أفريقيا.. وكانت الأوصاف تتقارب أحيانًا وتبتعد في أحيان أخرى.

وبرزت الصراعات البشرية التنينية العجيبة.. وتعدد الأبطال وتعددت القصص البطولية.. وأصبحت مهمة الملوك والأمراء البحث عن هذه التنينات لقتلها والنيل من الكنوز التي كانت تقوم على حراستها.. كما فعل القديس جورج وغيره من الشخصيات البطولية الأسطورية القديمة.

وشيئًا فشيئًا أصبح لكل أمة تنينها الخاص، وبطلها الوحيد الذي تفخر وتنفرد به عن بقية الأمم الأخرى.. وكان غاليًا الملك.. أو المالك.

غير أن حُمَّى التنين انتقلت من العصور الوسطى إلى عصرنا الحديث واتخذت ثوبًا آخر بعيدًا عن الأساطير والقصص الابتكارية المضحكة.

فبدأ الناس يتحدثون اليوم عن تنينات حقيقية تعيش في البحار والجزر النائية، وتظهر من وقت لآخر لتفزع الناس وتهاجم قوارب الصيادين. نذكر منها تنين سواي، وهي جزيرة صغيرة تقع على شاطئ اسكتلندا الغربي.

لقد بدأت تفاصيل الحكاية قبل مئة عام تقريبا عندما هرع أحد أهالي الجزيرة إلى منزله وهو يرتجف من الخوف.. ويتحدث عن وحش ضخم يشبه التنين إلى حد كبير كان يحوم بإصرار حول الجزيرة ويحلق أحيانًا في السماء ليعود ثانية إلى البحر.

ودب الذعر في الجزيرة.. ومرت أيام عصيبة ذاق الناس فيها طعم السهر قبل أن تغيب الحكاية وتسقط مع بطلها في البحر.

غير أن القضية عادت إلى الساحة من جديد بعد أن أدلى أحد الصيادين



يعلو صراخ ذكور التماسيح في موسم التزاوج لكي تجذب إليها الإناث



تمساح النيل الأفريقي يخرج من البيضة إلى الحياة، وهو أخطر التماسيح وأشرسها على الإطلاق

بيان تحدث فيه عن مواجهة حقيقية جرت بينه وبين التنين وسط البحر نجا منها بأعجوبة.

وتكررت الرواية.. وتعددت المواجهات.. دون أن يضع أحد من العلماء أو السلطات حدًا لها.. رغم أنهم قاموا بتمشيط المنطقة المجاورة للجزيرة وتفتيش كل بقعة على أرض الجزيرة.

وكانت النتيجة سلبيًا تمامًا!

أنواع التماسيح

تنتشر التماسيح بأنواعها العديدة في كل أنحاء العالم تقريبا.. غير أنها تكثر في المناطق الاستوائية وتندر في المناطق ذات المناخ المتوسطي أو البارد.

ففي أمريكا تنتشر التماسيح في المنطقة الممتدة من فلوريدا إلى المكسيك ثم جنوبًا إلى أمريكا الوسطى.

وكذلك من جزر الهند الغربية إلى فنزويلا وكولومبيا وأكوادور.. أما في أفريقيا فتنتشر بوفرة في المناطق التي تطل على مياه نهر النيل وخاصة جنوبي السودان؛ حيث يعيش أخطر أنواع التماسيح قاطبة وهو تمساح النيل الأفريقي.

كما تنتشر في المناطق الغربية والجنوبية في أفريقيا السوداء ولكنها آخذة في الانقراض.

أما في آسيا فنميز مملكتين رئيسيتين للتماسيح هما مملكة الهند ومملكة الصين.. ويتزعم الأولى التمساح الهندي الضخم الجافيال.. والثانية التمساح الصيني الكبير أو كايمان الصين.

وهناك أنواع أخرى من التماسيح تنتشر في مناطق مختلفة من القارة الآسيوية والجزر المقابلة التابعة لها كجاوة وبورما وسريلانكا.. وغيرها. أما في أوربا فإن التماسيح فيها شبه منعدمة.

وهناك أكثر من ٢٥ نوعًا من التماسيح تتوزع في ثلاث مجموعات رئيسية، هي: مجموعة الأليجاتور ومجموعة الجافيال ومجموعة التماسيح الاستوائية والأمريكية.

- مجموعة الأليجاتور: وتضم هذه المجموعة أعدادًا كبيرة من التماسيح أهمها: الكايمان، مثل كايمان المسيسبي، ويعد من أضخم أنواع التماسيح الأمريكية ويكثر على الضفاف الطينية لنهر المسيسبي والأنهار المجاورة له. وكايمان الصين، وهو أحد نوعين من الزواحف التي تعيش في المياه العذبة في المناطق المعتدلة من العالم. ولايوجد غير ٥٠٠ تمساح منه في بيئته الطبيعية ينتشرون على ضفتي نهر (يانجستي) الصيني..

غير أن أشهر أنواع هذه المجموعة هو كايمان الأمازون الذي يعد من أضخم التماسيح الأمريكية وأشرسها على الإطلاق؛ إذ لايتورع عن مهاجمة أي كائن يصادفه في طريقه حتى لو كان يفوقه قوة أو ضخامة.

وتمتاز تماسيح الأليجاتور بشكل عام برأس أقصر وأعرض من أنواع التماسيح الأخرى.

- مجموعة الجافيال: وأشهر أنواعها تعيش في الهند وجزيرة جاوة. ويمتاز هذا النوع من التماسيح برأس طويل مدبب من الأمام (كالسيف)، وهو مدجج بصفين من الأسنان الحادة القوية تتوزع بشكل متواز على كل من فكيه. وهي كبيرة أيضا حيث يزيد طول أكبر أنواعها على سبعة أمتار.

وتبقى هناك مجموعة أخيرة خاصة تضم أشهر أنواع التماسيح المعروفة اليوم، ونذكر منها: التمساح الأمريكي وتمساح آسيا وتمساح النيل الأفريقي؛ الذي يعد أضخم وأخطر تماسيح الأرض قاطبة؛ حيث يزيد طوله في بعض الأحيان على تسعة أمتار.

وهو يهاجم الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى بضراوة وقسوة، ولايتورع عن ذلك مهما كانت الظروف والإمكانات المتوافرة لديه، وكأنه يفعل ذلك للتسلية لا لاقتناص طعامه.



البونراكو مسرح لكل العصور

يبدو المسرح الياباني التقليدي ـ خلافا لما يظن الكثيرون ـ أوسع نطاقًا وأكثر عمقًا مما يظهر على السطح، أو مما تنقله المشاهد العابرة في بعض الأفلام الغربية عن اليابان، أو حتى من خلال العروض الحية المحدودة التي قُدمت في بعض العواصم العربية. وفي إطار التقاليد المسرحية اليابانية الممتدة عبر القرون فإن «الجوروري» أو «البونراكو» أو مسرح العرائس الياباني التقليدي لايمكن إلا أن يجتذب انتباهنا بشدة ولأسباب عديدة.

والواقع أن المسرح الياباني التقليدي يضم أكثر من اثني عشر شكلاً تقليديا، من بينها خمسة أشكال كبرى هي: بوجاكو، نو، كايوجين، بونراكو، وكابوكي، وهي ماتزال جميعها تؤدى وتقدم عروضها حتى اليوم، في ستمرار لتقليد امتدّ عبر قرون طويلة.

استثناء نادر من القاعدة التي تقضي بغياب القناع عن عناصر الأداء في مسرح الكابوكي

ومع اختلاف هذه الأنماط الفنية في المضمون والأسلوب، فإنها ترتبط بعلاقات جمالية قوية، امتدت عبر تجارب لاحصر لها من الدمج والتعديل، والاستعانة بالعديد من المصادر داخل اليابان وخارجها.

هنا يقفز سؤال كبير إلى ذهن القارئ بصورة تلقائية: من أين جاء كل هذا التراث الإبداعي؟

والإجابة البدهية البسيطة، التي تندرج تحتها عشرات التفاصيل الفنية الدقيقة هي: من العمل؛ إذ كان المنطلق الأول للشعر والغناء هو التخفيف من عنائه على البشر، وعلى امتداد آسيا بأسرها. ومنذ البدايات المبكرة، تحكمت في تطور فنون الأداء مفاهيم تفترض علاقة اندماجية بين الرقص والموسيقى والسرد الغنائي، وجرى تناول خلاصتها باعتبارها مبدأ أصليا للتعبير الدرامي.

وعمق التأثير المستمد من فنون القارة الأسيوية في الفنون اليابانية يبدو لنا بوضوح إذا تأملنا العلاقة بين المعالجات السنسكريتية للرقص والدراما والأشكال الفنية التي تطورت في اليابان.

ولاتنفرد اليابان وحدها بذلك، فقد كان لهذه النصوص التي تدور حول الأداء الجمالي تأثير بعيد في آسيا بأسرها، حيث تدين الممارسات المسرحية التقليدية بالكثير للمصادر السنسكريتية القديمة.

ويكفي أن نتذكر هنا أنه في النص المعروف باسم «سادويشمانكي» أي «يوميات سادوشيما»، وفي الفصل الذي يحمل عنوان «المنتخبات الأدبية للممثلين»، نجد أن ممثل الكابوكي سادوشيما شوجورو يقدم تعريفًا لجمالية الرقص يبدو كأنه شرح وإعادة صياغة لنص نانديكسفارا المعروف باسم «مرآة الإيماء»؛ الأمر الذي يشير إلى عمليات انتقال تاريخية واسعة النطاق، تدور حول عناصر الموسيقى والرقص والأداء الدرامي.



من عناصر الإبهار المسرحي: اللون وتجسيد الأسطورة

وفي هذا الإطار العام يحظى مسرح الجوروري، الذي يشار إليه عادة باسم مسرح البونراكو- وهو اسم مشتق من اسم المسرح الذي كان الموئل الوحيد لهذا اللون المسرحي منذ العام ١٩٠٩م - بمكانة فريدة في عالم المسرح باليابان، حيث جرى تقبل عرض العرائس على قدم المساواة مع المسرح الأصولي؛ بل إنه من المستحيل حقًا الحديث عن البونراكو دون تناول الكابوكي، لأن قصة تطورهما كانت على الدوام قصة نسيجها التأثيرات المتبادلة وعمليات التكامل.

ولكن، قبل أن نتطرق إلى هذه الصلة الوثيقة بين المسرحين، أليس من المنطقي أن نتحدث عن العرائس التي تشكل جوهر مسرح البونراكو؟

الحقيقة الأساسية في عرائس البونراكو أنها شهدت تطوراً كبيراً قبل أن تصل إلى الوضع الذي تعرض به اليوم، وهي تحمل في حجمها وهيكلها الفني - وبخاصة في منطقة الرأس وفي المبادئ الأساسية لتحريكها - شبهًا كبيرًا بالعرائس التي كانت مألوفة في منطقة كوانغ تونغ بجنوبي الصين، ودون أن يكون هذا هو مصدر الشبه الوحيد، حيث هناك كذلك الشبه الكبير بالعرائس الكورية.

ونلاحظ في خصائص العرائس اليابانية في مسرح البونراكو استخدام ثلاثة من محركي العرائس، يعملون في تحريك شخصية واحدة على المسرح، وكذلك الدقة المهنية البالغة في تنسيق السرد وموسيقى آلة الشامسين والدمج المسرحي ذي الكثافة الانفعالية العالية، بحيث يصل التأثير المشترك لجاذبية كل عناصر البونراكو إلى الجمهور بقوة في نهاية المطاف.

وإذا كان مسرح النو يعتمد على الحركة الوئيدة والأداء المتميز بقدر هائل من كبح الجماح أو ضبط النفس ؛ فإن البونراكي والكابوكي يضجّان بالحيوية والصخب والجلبة، ويتميزان بالطابع العاطفي. ويأتي ذلك كانعكاس مباشر لذوق الشريحة الاجتماعية التي رعت المسرحين في المرحلة الأولى من تطورهما، فقد كان كل من الكابوكي والبونراكو من النتاج المباشر لعملية التوسع في الاتجاه إلى المدن التي شهدتها اليابان منذ بداية القرن السابع عشر، وبخاصة في مناطق إيدو وأوساكا؛ حيث برزت شريحة اجتماعية من التجار توافق نموها مع نمو الاقتصاد النقدي، ولم يتردد التجار في استخدام ثرواتهم في شراء السلع الاستهلاكية، والاستمتاع بألوان الترفيه، حيث كان المسرح جزءا من كيان ثقافي، كُرِّس لتلبية الطلب على الجانب الأخير، أي الترفيه.

ولكن هل يعني ذلك أننا لانستطيع الحديث عن مسرح للعرائس في اليابان إلا ابتداء من هذه الفترة؛ أي اعتبارا من القرن السابع عشر؟

الإجابة هي، على وجه التأكيد، بالنفي، فقد عُرف فن العرائس في اليابان منذ القرن السابع. وربما كان

أولهما آلة الشامسين الموسيقية، وهي آلة لها ثلاثة أوتار، يستحضر صوتها الحالة المزاجية لأجواء الترفيه عند تجار تلك المرحلة التاريخية من تطور اليابان. أما العنصر الثاني فهو الرواج الكبير لسرد أقاصيص الحب الرومانسية، التي بدأت بقصة أميرة تدعى جوروري، خلدت ذكراها «قصص مايكة» التي تعود إلى أوائل القرن الثالث عشر.

وقد مرّ مسرح البونراكو بالمنعطف الكبير ليحتل مكانة مميزة إلى جوار الكابوكي، بحسبانه شكلاً مسرحيًا متميزًا، وذلك عندما اجتمع مُغنّو الجوروري وعازفو الشامسين ومحركو العرائس معًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد هيمن أحد المنشدين المبدعين على مسرح العرائس خلال ثمانينيات القرن السابع عشر، وهو تاكيموتو جيرايو، وفي العام ١٦٨٥م دعا هذا المنشد المبدع كاتبًا شابًا يعمل في مسرح الكابوكي هو شيكامتسو مونزايمون (١٦٥٣-١٧٢٥م) للعمل في مسرحه بأوساكا، فأبدعا معا ما عرف باسم «جيرايو جوروري» وهو في جوهره مسرح العرائس الذي مايزال يقدم في اليابان اليوم.

وباستثناء زيامي، عملاق مسرح النو الكبير، فإن شيكامتسو هو أشهر كتاب المسرح الياباني على الاطلاق، وقد كتب أعمالاً مسرحية عديدة لتاكيموتو جيرايو، في السنوات من ١٦٥٨ إلى ١٦٨٨م، ثم عاد إلى الكتابة لمسرح الكابوكي لمدة ١٥عامًا، وأخيرًا تخلى عنه ليتجه إلى «نيجيو جوروري» في عام ١٧٠٣م، وقد كتب معظم روائعه عقب ذلك الانتقال، وكان يكتب نثرًا راقيًا، يقترب من آفاق الشعر، ويصبح في بعض مواضع المسرحيات شعرًا بالمعنى المطلق.

وقد تمتع شيكامتسو بالعديد من القدرات الإبداعية القيمة في عالم المسرح الياباني التقليدي، حيث كان - بشكل خاص - مبدعًا في كتابه «الكاكيوتوبا» أو «الكلمة المحور» التي تستخدم لربط صور بالغة الاختلاف من طريق أصوات مشتركة.

وقد ترك العديد من القطع ذات الجمال الشعري والتركيب الفذ، وكتب نوعين أساسيين من المسرحيات هما «السيوا - مونو» أو المسرحيات المحلية أو المنزلية، و«الجيراي - مونو» أو المسرحيات التاريخية. وينتهي العديد من هذه المسرحيات بالانتحار المزدوج للعاشقين، وتعد مسرحية «سونيزاكي شينجو» (انتحار العاشقين في سونيزاكي)، أشهر المسرحيات التي كتبها شيكامتسو في إطار النوع الأول. أما في إطار النوع الثاني فإن



مفهوم مختلف للحركة في مسرح هيتومي

الكوريون هم أقدم من مارسوا هذا الفن، ولكن باستخدام عرائس بسيطة تُمسك باليد، حيث تؤدي مضامين الحكايات الشعبية.

ولكن التطور الحقيقي والكبير في عالم مسرح العرائس الياباني حدث خلال القرن الأول من عهد إيدو (١٦١٥-١٨٦٨م)؛ حيث حدث تقدم هائل في الأساليب الفنية المستخدمة في تحريك العرائس، وأدت إضافة الأقدام إلى الشخوص الذكورية في العام ١٦٧٨م إلى الوصول إلى العرائس المركبة المستخدمة اليوم.

هل يمكن القول إن هذا التطورقد اقتصر على العرائس وحدها؟

ليس تمامًا، فمع أن مسرح البونراكو يستمد اسمه وشهرته من العرائس؛ إلا أنها ليست المقوم الفني الكبير الوحيد فيها، فهنالك عنصران آخران على جانب كبير من الأهمية،



في عروض «البونراكو» تفرض الموسيقى حضورها الدائم

«الجيراي ـ مونو» يقدم الأبطال المحاربين المنتمين إلى الماضي. وتمثل مسرحية «كوكو سينيا كاسين» أو (معركة كوكو سينيا) العمل النموذجي في إطار هذا النوع.

وكان في مقدور جمهور التجار الذين رعوا مسرح البونراكو التوحد مع شخصيات النوع الأول من المسرحيات، والهرب من عالمهم إلى رحاب النوع الثاني منها.

ومن أبرز الموضوعات التي يتطرق إليها هذان النوعان معًا الصدام غير القابل للحسم بين الرغبة العميقة في التصرف على نحو مشرف حيال أعضاء الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها المرء. وهنا لابد من ملاحظة أن كلمة «جيري» تعني حرفيا «الواجب» و«المشاعر الإنسانية»؛ فالمجتمع يعطي الأولوية للجانب الأول، بينما للثاني نقاء يبعث على الشعور بالتحرر، ويشجع البعض على السعي إليه، رغم كل شيء، وهو المسار الذي كان من المحتم أن يفضي إلى الموت.

ومن المؤسف حقًا أنه لم يُقَدَّر أبدًا لكاتب جورووري في مثل شموخ قامة شيكامتسو أن يظهر بعده، لكن التطورات الفنية لم تنقطع، فالعرائس أصبحت أكبر وأشد تركيبًا، ففي العام ١٧٣٠م اكتسبت عيونا متحركة، وفي العام ١٧٣٣م غدت لها أصابع مرنة، ومنذ العام ١٧٣٤م ارتفعت قاماتها إلى ١٫٢ مترًا، وبلغ وزنها عشرين كيلو جرامًا في بعض الأحيان ويسندها ثلاثة من المحركين، هم: المبدع الذي يراه الجمهور بالكامل، واثنان من المساعدين يرتديان في بعض الأحيان السواد، ويضعان قناعين ينسدلان على الرأس والوجه، ويحرك أحدهما الذراع والقدم اليمنى والآخر الذراع والقدم اليسرى.

وفي غمار التنافس المحتدم بين مسرح العرائس ومسرح الكابوكي على كتّاب المسرح وجمهوره على السواء، بلغ مسرح العرائس قمة إبداعه نحو منتصف القرن الثامن عشر، ثم طرأ تدهور تدريجي عليه، وتقلص عدد الفرق التي تقدمه، إلى أن بقيت فرقة واحدة، ومنذ العام ١٩٠٩م قدمت عروض «فينجايو جورووري» في مسرح «بونراكو ـ زا» في أوساكو وحده، الأمر الذي جعل اسم «بونراكو» منذ ذلك الحين يطلق على هذا اللون من الإبداع المسرحي.

ولكن ألا يفتح هذا الظهور المستمر للكابوكي في محطات تطور البونراكو المجال لدراسة التأثيرات المتبادلة بين هذين المسرحين؟

علينا أن نتذكر ـ ابتداء ـ أنه خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر غيّر الكابوكي مسار تطوره، وبدأ في إظهار الملامح الدالة على استقراره. والتطورات التي شهدتها تلك السنوات هي المسؤولة ـ إلى حد كبير ـ عن ظهور النمط الجمالي الذي يميز الكابوكي اليوم. وترجع هذه التغيرات في أحد جوانبها إلى سوء الطالع. ففي العام ١٧٠٤م لقى ممثل إيدو الكبير إتشكاوا ونجورو مصرعه على يد زميل له، وفي العام ١٧٠٨م مات ممثل الكابوكي البارز ناكامورا شيتشابور، وتلاه في العام التالي أبرز ممثلي الكابوكي في أوساكا، وهو ساكاتا توجورو، وهكذا فقد الكابوكي أبرز مبدعيه.

ولما كانت المصائب، في عالم الفن أيضًا، لاتأتي فرادى، فقد ظهرت للنور أسرار قصة حب ربطت ممثل الكابوكي إيكيشيما سنجورا وإحدى سيدات الدوائر المحيطة بالشوجون في العام ١٧١٤م، وهكذا تم إصدار أمر بإغلاق المسرح الذي كان يعمل فيه هذا الممثل، وهو مسرح «ياما مورا ـ زا» وهو أحد أربعة مسارح مصرح لها بالعمل في إيدو، ومنذ ذلك الحين، وحتى انطلاق إصلاح الإمبراطور ميجي، عُرِض الكابوكي في ثلاثة مسارح فقط في إيدو، هي: ناكامورا ـ زا، موريتا ـ زا، وإتشيمورا ـ زا، وهي تخضع لإدارة بالتوارث، ولقيود صارمة مفروضة من خارجها.

وأدى إلى المزيد من شكلانية الكابوكي ارتباط عرض مسرحيات موضوعات معينة بأوقات بذاتها من السنة، مثل بداية السنة وغيرها، وزاد من تضييق نطاق إبداع الكابوكي فرض حظر تام على بعض الموضوعات التي يتناولها، مثل موضوعات الانتحار المزدوج للعاشقين.

وفي هذه الفترة كان مسرح البونراكو يلقى رواجًا كبيرًا، على حساب الكابوكي، إلى حد أن أحد كتاب ذلك العهد لم يتردد في القول بأن البونراكو بلغ من الرواج بحيث أنه «يتساوى في المحصلة بقاء الكابوكي مع زواله».

هنا لابد من ملاحظة أن مسرح البونراكو هو ـ بحكم الطبيعة ـ مسرح اصطناعي، وغير مباشر، بالموازنة مع الكابوكي الذي يعتمد ـ في الجانب



الصراع محور أساسي في مسرح الكابوكي

الأعظم من تأثيره - على الحركة البشرية والإيماء والخطاب، ويبدو أن القيود التي فرضت على عفوية وموضوعات الكابوكي، وهي ما يشكل أقوى نقاط هذا المسرح، دفعت الجمهور إلى الاهتمام بالبونراكو الأكثر إيغالاً في الطابع الفني والأكثر اصطناعية في جوهره.

وهكذا، فقد نجحت أعمال الانتحار المزدوج التي كتبها للبونراكو شيكامتسو مونزايمون في خلق دراما حديثة من قلب ما كان في الأساس فنًا من فنون القرون الوسطى. لكن هذه الأعمال الفائقة في نزعتها الواقعية والانفعالية تعرضت، شأن الكابوكي نفسه، للمصادرة من جانب السلطات، وتطور مكانها نوع من المسرحيات التي تشدد بصورة أكبر على العناصر الهيكلية، وكانت النتيجة أعمال أقل واقعية وأكثر تجريدية.

ومن أبرز الأعمال الكبرى في أواخر حياة شيكامتسو مسرحية «كوكو سينيا كاسين» التي ألفها في العام ١٧١٦م، وهي مكتوبة للبونراكو، وتقع أحداثها في الصين واليابان، وقد حظيت بشعبية هائلة، حيث عرضت على التوالي ١٧ شهرًا، وغطت تمامًا على عروض الكابوكي، بحيث إنه في النهاية تم اقتباسها لمسرح الكابوكي، وقدمت في كيوتو وأوساكا وإيدو. وقد استنكر بعض مؤلفي وممثلي الكابوكي هذا الاتجاه الجديد، وأعلنوا أن تقليد أسلوب البونراكو لن يؤدي إلاّ إلى التعجيل بانهيار الكابوكي، ولكن على الصعيد العملي شكلت هذه المسرحية بداية فيض هائل من عمليات اقتباس المسرحيات من البونراكو لتوظيفها في إطار الكابوكي.

هذا الاتجاه ما كان يمكن إلا أن يؤثر في الإنتاج والتمثيل وآلية خشبة المسرح والعديد من الجوانب الأخرى في الكابوكي بما يحمل بصمة البونراكو القوية والواضحة. غير أن أعظم تأثيرات البونراكو في الكابوكي وأكثرها عمقًا تمثلت في الاقتباس الكلي من جانب فناني الكابوكي لنوعية الموسيقى المعروفة باسم «جيرايو يوسي» التي طورها تاكيموتو جيدايو. وبما أن حركات الممثلين على المسرح تحكمها الموسيقى إلى حد كبير، فإن هذه الحركات تأثرت بحركات العرائس التي أعدت لها الموسيقى أصلاً في مسرح البونراكو. وقد ظل هذا التأثير قائمًا في الكابوكي حتى اليوم، وعدد كبير من مسرحيات الكابوكي التي تقدم اليوم ليست في الواقع إلا مسرحيات مقتبسة من البونراكو.

وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا التأثير العظيم لمسرح البونراكو في مسرح الكابوكي إلى المزيد من التشديد على طبيعة الكابوكي كدراما موسيقية، الأمر الذي شجع - بدوره - الاتجاه إلى تنظيم أسلوب الكابوكي في كل جوانبه.

لقطة من مسرحية «غزو الحية الكبيرة» لسوسانو

ولكن هذا كله يفتح علينا أبواب السؤال الكبير: كيف يبدو لنا البونراكو في عروضه اليوم؟

من حسن الحظ أن عددا من العواصم العربية، من بينها القاهرة ودمشق والكويت وأبو ظبي، قد شهد عدة عروض للبونراكو، الأمر الذي يتيح لنا الإجابة عن هذا السؤال بحد أدنى من الوضوح.

ومع أن جانبًا من ذخيرة أو «ريبرتوار» البونراكو يبدو بالشكل الذي رأينا آنفًا بعض أبعاده، والذي يدين بوجوده أصلاً لشيكامتسو مونزايمون، إلا أن القصة لاتقف عند هذا الحد.

فإلى جوار عروض العرائس التقليدية يشهد فن البونراكو العديد من ملامح التغيير والتجريب والإضافة، كما في تجربة التوحيد بين الممثل والدمية مع تحرك الدمى الأخرى في الوقت نفسه.

ومن أطرف العروض التي قدمت في الإمارات - مؤخرًا - مجموعة عروض «مسرح هيتومي» أو «مسرح العرائس للصم»، وهو شكل فني اعتقد أنه جدير بدراسة عربية وثيقة، فهو يقوم على أساس فريق من الممثلين بعضهم من الممثلين العاديين وبعضهم الآخر من الصم، ويرمي هذا المسرح إلى شق طريق جديد لمسرح العرائس، حيث لاتعتمد المسرحية على الحوار الصوتي، وإنما الحوار يقدم عبر اللافتات، بحيث يصبح العمل مسرحية عرائس من دون حوار كلية.

وعبر عشر سنوات كاملة برهن هذا الأسلوب على قدرته على اجتذاب الجمهور في اليابان وخارجها، وفي العروض التي قدمها مسرح هيتومي لوحظ التركيز - إلى جوار عناصر الإبهار والديكور والملابس - على مفهوم «الصوت المرئي» أو «الصوت المحسوس». ويقول شيرو إيتو مخرج مسرحية «غزو الحية الكبيرة لوسانو» إنه من خلال هذا المفهوم يتم تقديم طريقة جديدة في عروض مسرح العرائس تخاطب التركيز الحاد لدى الصم لصنع عالم مما يعرف بالمسرح الخالص أو المصفى، وفي الوقت نفسه مد جسور الحوار مع الجمهور العادي من خلال أسلوب الأداء الرائع في توهجه.

وفي نهاية المطاف قد يمكن القول إنه إذا كانت هناك رسالة محددة يحملها لنا مسرح البونراكو الياباني، وتتناهى إلينا عبر قرون عديدة من نموه وتطوره، فلابد أن جوهر هذه الرسالة يدور حول تأكيد أن الحفاظ على المظاهر المسرحية في التراث العربي، والاعتماد عليها وصقلها وبلورتها وتقديمها لأجيالنا الطالعة وللعالم، يعد مهمة على جانب كبير من الأهمية لابد للحركة الإبداعية العربية من القيام بها في إطار الجهود المبذولة لتأكيد هويتنا الإسلامية العربية.

المراجع:

1- SCOT, A.C- TRADITIONAL THEATRE - IN: KODANSHA ENYCLOPEDIA OF JAPAN - VOL.8 P.P.21-23- KODANSH - TOKYO - 1978.

2- HARTNOLL, PHYLLIS - JAPAN - IN: THE OXFORD COMANION TO THE THEATRE - P.P. 433 - 436. OXFORD U.P.- OXFORD - 1983.

3- MASAKATSU, GUNJI - KABUKI - KODANSHA - TOKYO - 1985 .

4- TAK YA TED - MODERN JAPANESE DRAMA - COLUMBIA U.P. - N.Y - 1979

٥ - مجموعة عروض للبونراكو تابعها الكاتب في عدة عواصم عربية.

نافذة على ثقافة العالم

كيف تساعد طفلك في المدرسة؟

(كتاب للآباء)



تأليف: جون وست - برنهام
عرض وتقديم: محمد وليد سابق

مؤلف هذا الكتاب - جون وست - برنهام - يحمل شهادات عليا في التربية، وهو متخصص في الإدارة التربوية، ومدرس مادة، ذو خبرة طويلة، ومشرف متمرس على مناقشة الرسائل الجامعية التي تدور في ميدان التربية والتعليم، ومحاضر في كليات التربية للدراسات العليا الخاصة بالإدارة التربوية.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب إنه معنيّ بالمساعدة على تطوير العلاقة الحيوية في النظام التربوي، ونعني بها التعاون بين الآباء والمعلمين. ويعتقد أنه إذا كان لهذا التعاون أن يؤدي دوره الفاعل، فإن معظم الطلاب تقريبا سيتلقون فائدة عظيمة من معلميهم ومن المصادر المتاحة لذلك في المدارس، ذلك أنه في غياب مشاركة الآباء واهتمامهم ودعمهم فإنه ليس باستطاعة المعلمين أن يفعلوا إلا القليل.

على أنه يمكن لهذه العلاقة أحيانا أن تتعرض للانهيار، لذا يقول المؤلف إنه سيشير إلى بعض الإجراءات والطرق التي يحتمل أن تخفف من ضرر هذا الانهيار وتسمح بتلقي الطالب أو الطالبة أفضل ما يمكن الحصول عليه من تعليم.

يتحدث المؤلف في الفصل الأول عن النظام التربوي التعليمي في إنجلترا، فيقول إن التعليم في إنجلترا وويلز مجاني وإلزامي بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسادسة عشرة، كما أنه يمكن للطلاب أن يبقوا في المدرسة لمدة ثلاث سنوات أخرى بعد سن السادسة عشرة.

أما أنواع المدارس في إنجلترا، فيبين الكاتب أنها تنقسم إلى مجموعتين عريضتين:

أولاهما: تلك التي تؤسسها وتديرها السلطات التربوية المحلية، وثانيتهما: تلك التي تؤسسها هيئة أخرى؛ إلا أنه يتم تمويلها من السلطات التربوية المحلية، ويعرف هذا النوع من المدارس عادة بالمدارس التطوُّعية، وترتبط بالكنيسة الإنجليزية أو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وثمة مدارس مستقلة يتم امتلاكها وإدارتها أهليًا، وهي تضع أسس القبول والرسوم المفروضة، ويقع بعضها في دائرة المدارس التي تتلقى العون من

طريق مشاركة الحكومة فيها بنسبة من الرسوم.

أما الامتحانات فتتولاها هيئات مستقلة تخضع في إطارها العام لموافقة إدارة التربية والعلوم DES، وهي مسؤولة عن تطوير مناهج الامتحانات ووضعها وتصحيحها ومن ثم منح الشهادات.

ويستعرض المؤلف بعد ذلك مجالات التعليم المختلفة التي تتبع المرحلة الثانوية وهي المعاهد والكليات وكليات التربية العليا والكليات التقنية ومن ثم المعاهد، وتمنح هذه الهيئات شهادات مختلفة منها الشهادات العليا والدبلومات والدرجات.

وينتقل في الفصل الثاني من الكتاب إلى الحديث عن المدارس في ويلز واسكوتلندا وإيرلندا الشمالية.

وفيما يخص ويلز فإن نظامها التعليمي يوازي مثيله المتبع في إنجلترا، كما تتشابه السلطات التربوية المحلية في البلدين في مسؤولياتها ونفوذها؛ وكذلك في مجال التأهيل التربوي وتدريب المعلمين، إلا أن الاختلاف الوحيد بين نظامي التعليم في إنجلترا وويلز هو في استعمال ويلز للغتها الخاصة التي هي اللغة الأساسية في بعض المدارس واختيارية في بعضها الآخر.

كذلك فإن النظام التعليمي في اسكوتلندا يوازي إلى حد كبير مثيله في إنجلترا وويلز، وهو يقع تحت مسؤولية الأمانة العامة للدولة في اسكوتلندا؛ إلا أن هناك بعض التباين بينه وبين ذلك في إنجلترا؛ حيث يقدم النظام التعليمي في اسكوتلندا التربية الدينية، ويعلم اللغة المحلية، ويقع التحول فيه من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية في سن الثانية عشرة.

أما التعليم في إيرلندا الشمالية فهو مسؤولية الأمانة العامة للدولة، وتجري إدارته من خلال خمس هيئات تربوية تشبه - إلى حد كبير - السلطات التربوية المحلية في كل من إنجلترا وويلز.

وفي الفصل الثالث من الكتاب يعرض المؤلف للكيفية التي تعمل بها المدارس ولتوزيع المسؤوليات بين الناظر ونائبه والمشرفين التربويين والمعلمين والعاملين في المدرسة من غير المعلمين، ويبين مسؤولية كلٍّ من هؤلاء في العمل المدرسي اليومي. وتوزع هذه المسؤولية عليهم كلٌّ بحسب وظيفته وتخصصه. ويقول في النهاية إن سكرتير المدرسة هو في الغالب المصدر الأمثل للمعلومات في الوهلة الأولى، ويضيف بأن الأمر الحيوي هو الاتصال بالمعلمين المعنيين في الوقت المناسب.

أما الفصل الرابع فعنوانه «كيف تساعد طفلك في المدرسة»، ويقول فيه المؤلف إن هذا الفصل مقسم إلى عدة موضوعات تغطي معظم نواحي الحياة المدرسية والمسائل المثارة والمشكلات المحتواة غالبًا من قبل الآباء. ويبدو أحيانًا أنه من غير الممكن وضع خطوط إرشادية عن كيفية مساعدة الطفل في وضعية معينة، أو أن يكون هناك حقل خاص بالإمكانات المتاحة للآباء. لذا فإن من المفيد الاطلاع على الخلفية الخاصة بوضع ما، أو معرفة كيفية تطوير نظام معين، لذا فإن غرض هذا الفصل هو إعطاء دليل خاص ما أمكن ذلك، ومحاولة شرح بعض التعقيدات والسمات غير المألوفة للنظام التربوي.

ويتابع المؤلف فيتحدث عن الحوادث وما يتعلق بها من نقاط أساسية تتلخص في المسؤولية عنها، وأسبابها، ووسائل السلامة والعمل الوقائي، فيقول: إن المدارس أماكن مركبة مملوءة بالحركة والعمل وذات نطاق واسع من الفعاليات التي هي قيد الاستمرار، وبعض هذه الفعاليات معرّض لأن يكون محفوفًا بالمخاطر في حال كون الإشراف غير دقيق أو في حال إخفاق الأطفال في مراعاة قواعد السلامة واتباع خطوط الإرشاد. ويضرب المؤلف مثلاً بمجموعات رئيسة من الظروف التي يعظم فيها احتمال وقوع الحوادث وهي: ١- الذهاب إلى المدرسة والعودة منها والتجول حولها. ٢- خلال مسار الدروس. ٣- في الرحلات المدرسية.

وتمتد مسؤولية المدرس إلى القدر نفسه من العناية بالطفل الذي يتحمله الوالد.

وفي هذا الإطار يستعرض المؤلف لنا مختلف النواحي التي يجب اتخاذ الحذر والحيطة فيها منعًا لوقوع الحوادث، ومنها الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، ويبين أن من المتعارف عليه هذه الأيام أن المعلمين مسؤولون عن سلامة الطلاب لعشر دقائق تسبق موعد بدء الدوام الرسمي، وعشر دقائق أخرى تليه، وأن الطلاب الذين يأتون إلى المدرسة مبكرين أو يستخدمون وسائط النقل العامة في ذلك فإنهم ليسوا من مسؤولية المعلمين، إضافة إلى أن أية حوادث تقع عندئذ؛ فإن المسؤولية إذ ذاك تقع على الأشخاص المعنيين فعلاً بها وليس على النظام التربوي. أما داخل بناء المدرسة فالمسؤولية تقع على هيئة العاملين فيها، ولابد من توفير إشراف مناسب في الأوقات الملائمة، والأمر الحيوي هنا هو المستوى المعقول من العناية الذي يتم تطبيقه.

وفيما يخص الدروس فإن عددًا منها معرض لوقوع حوادث محتملة فيه كدروس الألعاب والتربية البدنية والعلوم والدروس العملية، ولابد من التفريق بين الحوادث الناجمة عن إهمال المعلم، وتلك التي تنتج من تجاهل الطلاب للتعليمات، وكذلك الحوادث الفعلية. ومن هنا يكون على المعلم ألا يسمح لأي من الطلاب بممارسة نشاط ما إلا بعد التأكد من أنه تتوافر لديه شروط السلامة بشكل دقيق وصحيح. ويذكر المؤلف بعض العناصر التي يجب أن تتوافر تجنبًا لوقوع الحوادث، ومنها: ١- التأكد من أنه لدى المدرسة معلومات طبية مناسبة عن الطالب كالصمم الجزئي مثلاً أو عمى الألوان أو ما يشابه ذلك من إصابات غير محسوسة. ٢- تقديم رقم هاتف للاتصال بالآباء خلال النهار، إضافة إلى رقم احتياطي آخر لجار أو قريب. ٣- التأكد من أن الطالب يرتدي ملابس مناسبة ويقتني الأدوات الملائمة أيضًا. ٤- إعلام المدرسة باهتمامات الآباء فيما يخص ولدهم وتعزيز مبادئ السلامة في المنزل.

ويحدثنا المؤلف فيما بعد عن العناصر التي يجب أن تتبع لمساعدة الأولاد في هذا المجال فيقول: إنه يجب العلم بمن هو مسؤول عن سلامة الولد، وبماهية متطلبات السلامة في المدرسة، ومن ثم الاتصال بالمدرسة في حال عدم التأكد من عنصر ما، وكذلك أن يكون الولد مرتديًا الملابس الملائمة ومعرفة المعدات الخاصة التي تقوم الحاجة إليها، وأخيرًا التحدث إلى الولد نفسه عن موضوع السلامة.

ويتابع المؤلف الحديث فيعرض للمكاتبات التي قد تجري بين الآباء والمدرسة في حال نشوء خلاف بين هاتين الجهتين حول موضوع من الموضوعات التي تتعلق بقرارات المدرسة أو بالنظام التربوي المتبع، وإلى كيفية تنظيم هذه المراسلات والجهات التي يمكن الاتصال بها في هذه الحالة. ويلاحظ أن هذا الموضوع يندرج بشكل خاص تحت إطار النظام التربوي البريطاني، غير أن ثمة عناصر يمكن الاطلاع عليها في هذا المجال، مبينة كيفية مساعدة الولد في أمر كهذا، وهي تحديد الإجراء الصحيح، والحصول على العون والنصيحة، وكذلك حيازة سجلات دقيقة ومضبوطة، إضافة إلى جعل

كيف تساعد طفلك في المدرسة ؟
(كتاب للآباء)

اهتمامات الولد نفسه في المقام الأول، وأخيراً حسن المتابعة والاستفادة الكاملة من النظام.

ويفرد المؤلف بحثًا خاصًا بموضوع الحضور في المدرسة فيقول: إن على الآباء أن يدركوا تمامًا الظروف التي يمكن أو لا يمكن لهم فيها أن يبعدوا أولادهم من المدرسة، ويضيف أن الآباء يتحملون واجبًا قانونيًا للتأكد من أن أولادهم الذين يصلون إلى سن التعليم الإلزامي يتلقون تعليمًا وافيًا بدوام كامل. أما تواريخ الفصول الدراسية فتقررها السلطات التربوية المحلية يلاحظ أن الحديث هو عن الأنظمة البريطانية في هذا الخصوص. ويتوجب على الأولاد الحضور ما لم يوافق على غيابهم مديرو التربية الإقليميون، أو أن يكونوا مرضى أو ملزمين بمتابعة ارتباطات دينية، أو أن يكون سكنهم خارج نطاق المسافة المحددة للمشي على الأقدام، وهي ميلان للأطفال دون الثامنة وثلاثة أميال لمن هم فوقها، وذلك في حال عدم توافر وسائط نقل بين سكنهم والمدرسة، وكذلك في حال كون الآباء في إجازاتهم السنوية لمدة لاتتعدى أسبوعين، أو أن يكون على ناظر المدرسة أن يغلقها لسبب ما.

أما الحالات التي لايسمح فيها للأولاد بالتغيب عن المدرسة فهي أولاً: للعناية بإخوتهم الأصغر سنًا، وثانيا: لملازمة مريض من الأقرباء، وأخيرا: للعمل؛ إلا إذا كان هذا جزءًا من الجدول التنظيمي للمدرسة.

ويستطرد المؤلف ليذكر عدة نقاط عن كيفية مساعدة الطفل في هذا المجال، هي: ١ـ التأكد من زمان ومكان بدء الطالب دوامه المدرسي. ٢ـ الحرص على إبقاء المدرسة على إلمام بأسباب الغياب. ٣ـ شرح المتطلبات القانونية للطالب. ٤ـ التأكد من الحصول على تفاصيل حول مواعيد العطلات. ٥ـ في حال عدم التأكد من شيء ما لابد من طلب النصيحة من المدرسة أو مكتب التربية.

وينتقل المؤلف إلى بحث موضوع التعليم الموجه نحو مهنة معينة في مستقبل الطالب، فيذكر كيف أن الوالد لابد أن يهتم بالتطلعات الوظيفية المستقبلية لولده، وقد يصل هذا الاهتمام إلى حد القلق، غير أن ما يساعده على تبديد قلقه هذا هو أن يتفهم سعي المدرسة لإرشاد الطلبة في خياراتهم. وقد تأسس هذا النوع من التعليم في معظم المدارس الثانوية.

ويضيف أنه توجد في المدارس موضوعات يتم تدريسها للطلبة فقط، وأخرى للطالبات، وموقف الآباء قد يكون حيويًا هنا في دعم الاهتمامات الحقيقية للبنات في العلوم والهندسة، وكذلك للبنين في التمريض والرعاية. وأحد أهم العناصر في نهج مهني ناجح هو المشاركة الفاعلة والدعم والتشجيع من قبل الوالدين. أما كيفية مساعدة الولد في هذا المجال فيستعرضها المؤلف في النقاط التالية: ١ـ منح الدعم من قبل الآباء للتعليم المنهجي. ٢ـ حضور المقابلات الخاصة بالنهج الوظيفي عندما يكون ذلك ممكنًا. ٣ـ زيادة معرفة الآباء أنفسهم. ٤ـ كون الآباء واقعيين وجاهزين كليًا لتقديم الدعم الكامل. ٥ـ اتخاذ الاتصالات المختلفة والأصدقاء مصادر للمعلومات. ٦ـ تشجيع النقاش المفتوح في المنزل. ٧ـ التحري عن تنوع عريض في الخيارات المختلفة.

ثم يتحدث المؤلف عن المواقف التي يجب أن تتخذ والإجراءات التي يجب اتباعها في حال وقوع الولد في مشكلة من نوع ما، كأن يخرق القانون مثلاً. ويبين أنه لابد من التعامل بشكل متعاون مع الشرطة، ويمكن للمدرسة أن تدلي بعنوان الطالب صاحب المشكلة إلى الشرطة بعد التشاور مع السلطات التربوية المحلية DEA. وفي هذا الموضوع يوصي المؤلف الآباء بأن يولوا الأمر اهتمامهم دون أن يزيدوا الأمور سوءًا، ويحاولوا الحصول على النصح، وأن يجابهوا المشكلة نفسها وليس الشخص المعني، وذلك بحثًا عن الحلول الممكنة وعدم تحويل المشكلة الواحدة إلى مجموعة من المشكلات.

ويتطرق المؤلف فيما يلي إلى قضية اختيار المدرسة الابتدائية للطفل، وضرورة زيارة المدرسة والإطلاع على أوضاعها، وكذلك إيلاء سمعة مدرسة ما العناية اللازمة قبل أن يقرر الآباء تسجيل ولدهم فيها. ويوصي بتوضيح وجهات نظر الآباء فيما يتوقعون لأطفالهم ودراسة ما يمكن لكل مدرسة أن تقدمه، ثم اختيار المدرسة الأفضل للطفل، والحديث عن ذلك كله مع الطفل نفسه.

ويفعل المؤلف الشيء نفسه فيما يخص المدرسة الثانوية، فيوصي ـ إضافة إلى ما سبق ـ بمراعاة الإمكانات المتوافرة فيها وحجمها، لأن لكل من المدارس الكبيرة والصغيرة ميزاتها الخاصة، وعلى الآباء أن يحيطوا علما بإجراءات النقل من المدرسة الابتدائية إلى الثانوية.

ويفرد المؤلف بحثا خاصا عن المشكلات التي قد تحدث في المدرسة وتستدعي التقدم بشكاوى إلى الجهات المعنية، فيوصي الآباء بالبحث عن طبيعة المشكلة بشكل دقيق وتحديد المسؤول عنها، واختيار أفضل السُّبل الممكنة لهذا الأمر.

أما المناهج الدراسية فيعرض لها المؤلف في عدة أبواب، منها ما يخص المرحلة الابتدائية، ومنها ما يتعلق بالمدرسة الثانوية، ويقترح على الآباء الحصول على تفاصيل كاملة عن الموضوعات التي يتم تدريسها في كل مرحلة، والإحاطة بالكيفية التي يجري فيها تنسيق عملية التعليم، والحفاظ على التوازن بين موضوع دراسي وآخر.. إضافة إلى التشاور مع المعلمين والحصول على النصح من المدرسة في حال عدم تأكدهم من شيء ما بهذا الخصوص.

وينتقل مؤلف الكتاب بعد ذلك إلى الحديث عن الامتحانات وكيفية دخولها مبينًا الأسس الناظمة لهذا الشأن طبقًا للقانون التربوي البريطاني المعمول به في المدارس البريطانية، ويذكر أيضا بعض النقاط التي توضح للآباء الكيفية التي يمكن لهم بها مساعدة أطفالهم في التحضير للامتحان، ومنها الحصول على نسخة من جدول الامتحان ومساعدة الولد في استغلال تحضيره على خير وجه ممكن، ومشاركته في مراجعة دروسه ومحاولة خلق جو منزلي خالٍ من التوتر، وتوفير مكان ملائم تجري فيه المراجعة.

ويتحدث المؤلف عمّا يسمى بشهادة الدراسة الثانوية في بريطانيا ومناهجها وطريقة التحضير لها والتقدم إليها، ذاكراً أن موادها الأساسية هي اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم، وقدم بعض النصائح للآباء لمساعدة أولادهم في إعداد أنفسهم للامتحان الخاص بهذه الشهادة.

ويورد المؤلف بعض المعلومات حول مجالس المدارس التي تتكون عادة من الآباء والمعلمين وممثلين عن السلطات التربوية المحلية، ويتحدث عن أهمية هذه المجالس في ضبط وتوجيه العملية التربوية، ويوضح ضرورة اجتماعها كل حين لبحث مايستجد من أمور المدرسة إضافة إلى الاجتماع السنوي المقرر بصورة دائمة.

كيف تساعد طفلك في المدرسة ؟
(كتاب للآباء)

ويعرض المؤلف لأنواع المدارس المستقلة المعتمدة في بريطانيا فيذكر أنها ثلاثة أنواع: المدارس العامة التي هي - في معظم الأحوال - مدارس داخلية، والمدارس الخاصة، وهي التسمية التي تغطي تنوعًا واسعا جدا من المدارس بما فيها ما كان يدعى سابقا مدارس القواعد GRAMMAR SCHOOLS التي أصبحت مستقلة في السبعينيات. والنوع الأخير هو المدارس الحرة التي هي قليلة العدد نسبيًا وتتبنى اتجاها أقل شكلية بالنسبة للتعليم. وإضافة إلى المدارس المستقلة هناك مدارس الدولة التي تشرف عليها السلطات المحلية بشكل مباشر وتختلف في بعض أنظمتها ومناهجها وأساليبها عن المدارس المستقلة.

أما نظام التفتيش التربوي في بريطانيا فيذكر عنه أنه ينقسم قسمين: أولهما المفتشون الذين تعينهم السلطات التربوية المحلية LEA، وثانيهما أولئك التابعون لمفتشية صاحبة الجلالة HER MAJESTY INSPECTORATE وهم في العادة من رجال التربية ذوي الخبرة تُعيّنهم الملكة مباشرة، وتنقسم مهماتهم بحسب الموضوع والقطاع التربويين.

وفيما يتعلق بالنواحي الصحية والعناية الطبية، يقول المؤلف إنه مع أن الهيئة المدعوة مكتب الصحة المدرسية SCHOOL HEALTH SERVICE تقوم بعملها داخل المدارس؛ إلا أنها ليست جزءًا من الهيكل التربوي، وإنما تدار من قبل السلطة الصحية المحلية. وتقوم الصحة المدرسية بإجراء الاختبارات الصحية عادة للأولاد البالغة أعمارهم الخامسة والثانية عشرة والخامسة عشرة، وللآباء الحق في الإحاطة بنتائج هذه الاختبارات وحضورها إذا أرادوا ذلك، ويُحتفظ لكل طالب ببطاقة صحية خاصة تبقى ملازمة له طوال حياته المدرسية. كما تجري هناك بعض الاختبارات لقوة البصر وقوة السمع وكذلك فحص الشعر والأقدام. وفي هذا السياق ينصح المؤلف الآباء بأن يواظبوا على إعلام المدرسة بشكل تام بالأمورالصحية لأولادهم، ومرافقتهم في الفحوص الطبية إن أمكن ذلك، والبحث عن الاستشارة التخصصية عند الضرورة، وأخيرًا إعلام المدرسة عن أي أدوية يحتاج الطالب إلى تناولها خلال الدوام المدرسي اليومي.

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن العقوبات التي قد تطبق على الطالب من قبل المدرسة ويقول: إن من أبرزها إبقاء الطالب في المدرسة بعد انتهاء الدوام، والطرد المؤقت، ومن ثمّ الفصل النهائي، وهو العقوبة التي تلجأ المدرسة إليها فقط حين تنهار تماما العلاقة بينها وبين الطالب ويصبح من غير الممكن استمرار وجوده فيها. وهذا النوع من العقوبة لايتم تطبيقه إلا حين اعتباره الحل الأخير الذي تحتم الضرورة اتخاذه. أما موقف الآباء حيال ذلك فينصحهم المؤلف أن يؤازروا المدرسة قدر استطاعتهم، ويطلبوا معلومات تفصيلية في حال عدم الاقتناع والتأكد من أنه قد جرى اتباع الإجراءات الإدارية بشكل سليم، ومناقشة الأمور السلوكية مع الأولاد، وأخيرًا طلب الاجتماع مع المعلم صاحب الشأن حين الضرورة.

أما سجل الطالب المدرسي فيجب أن يحتوي على ما يلي: العائلة والمعلومات الحياتية، المعلومات الطبية الأساسية، التقدم العلمي الأكاديمي، تقارير الحوادث، وبيانات عن المشكلات والحوادث السلوكية.

وعلى الوالدين المطالبة بحقهما في الاطلاع على ملف ولدهما وطلب التأكد من دقته وصحته، وكذلك إعلام المدرسة بأية تغيرات في ظروفهما.

ويورد بعضًا من الحديث عن وجبات الطعام المدرسية وكيف أنها يجب أن تتوافق مع ما يناسب أعمار الطلاب وأوضاعهم الصحية.

أما الرياضة المدرسية فيتحدث عنها مبينًا أن لها أغراضًا اجتماعية وأخرى تربوية، وأن منها أنواعًا تنافسية وغير تنافسية، ومنها الإجباري والاختياري، ويؤكد ضرورة مشاركة الآباء في هذا الشأن فيقول: إن دعمهم أمر حيوي بالنسبة للفعاليات الرياضية، ويتم ذلك عن طريق اتخاذ مواقف إيجابية وتقديم الأدوات اللازمة، موضحًا أن للرياضة بألعابها المختلفة أن تحظى باهتمام كامل، شأنها في ذلك شأن أي موضوع آخر في المقرر المدرسي.

وتأخذ الرحلات والزيارات المدرسية نصيبا من اهتمام المؤلف الذي يؤكد أهميتها وحسن تنظيمها من قبل المدرسة، ويتحدث عن القواعد والضوابط التي يجب أن تحكمها، ويوصي بأن يسمح الآباء لأولادهم بالمشاركة في الرحلات المدرسية متى كان ذلك ممكنًا، والتأكد من أنهم سعيدون بعناصر تنظيم هذه الرحلات كافة، وإقناع أنفسهم بأن أولادهم يتفهمون الترتيبات المتخذة برمتها، وأخيرًا المساعدة في جعل الرحلة عملية تعليمية بالطرق الممكنة.

ويبين المؤلف في الفصل الأخير من الكتاب كيف أنه يمكن للآباء أن يكونوا في الموقع المفضل لمساعدة أولادهم إذا استطاعوا الحصول على شيء من المعرفة حول أوجه التباين بين الذكاء والقدرة أو القابلية، وكذلك الطرق التي يتعلم بها الأولاد. وتجري اختبارات الذكاء بغرض تباين استعداد الطلاب للتعلم فضلاً عن قدرتهم على التذكر.

ويضيف أننا نحتاج إلى أن نرى إنجازات الأولاد في غير بنود التصنيف، أي في الحالات الفردية لكل ولد بغية بلوغ أقصى مايستطيعه في النطاق الذي وضع فيه والذي هو مؤهل له أفضل تأهيل.

ولابد من الإشارة إلى عنصرين أساسيين للتأكد من أن الولد يستطيع بلوغ أقصى إمكاناته، وهما: تعرف قدراته، والمساعدة على تطوير هذه القدرات وتنميتها. ويشير إلى أننا نعمل جميعا بصورة أفضل عندما نعتقد بأن جهودنا لابد أن تصل بنا إلى محطة ذات قيمة. وبالنسبة للطفل فإن محصلة كهذه يمكن أن تكون اهتماما أو إثارة أو فضولاً طبيعيًا أو فرصة للتمييز بين شيء وآخر، أو إعجابا أو مجرد سرور، والمهم هو أن يقدم الآباء دعمهم للأطفال من طريق التشجيع والإطراء والاحترام.

وينتج تقدم الأطفال من الشعور بأن ما يفعلونه هو مهم بالنسبة إليهم وإلى آبائهم. ويحتاج الأطفال إلى العون في تمييز ما هو حسن وخلاق مما هو سيئ ومخرِّب، غير أنه من الضروري اكتساب الخبرة بغرض الفهم والتعلم، الذي هو غالبا عملية مشتركة.

وفي نظرة شاملة إلى الكتاب نرى أن المؤلف قد حاول جاهدًا الإلمام بتفاصيل موضوعاته بشكل يجعلها أكثر شمولية وواقعية، وكان موفقًا في عرض مقترحاته على الآباء في المجالات التي تطرق إليها في بحثه، وقد أجاد الخوض في الموضوعات التي طرقها، وإن كان يبدو أنه يتحدث إلى البريطانيين بشكل خاص، من خلال التركيز على النظم والأساليب التربوية البريطانية. وقد يكون هذا أمرًا طبيعيًا من جانب المؤلف لأنه بريطاني ويكتب للبريطانيين أولاً.

وعلى العموم فإن المؤلف قد استطاع أن يقدم لنا مادة تربوية دسمة نستطيع القول: إنها وإن كانت تميل إلى المحلية، فإن فيها كثيراً من العناصر التي يمكن للآباء في أي مجتمع كان أن يأخذوها في الحسبان في سبيل دفع عجلة مسيرة أولادهم التربوية.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون. ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

التوفيق للتلفيق

يبدو هذا الكتاب غريبا في عنوانه وفريداً في أسلوب تصنيفه. ومعناه هو الجمع بين الأشياء المتجانسة والتوفيق بين شيئين يمكن الجمع بينهما بوصف أو لمح شبه أو تفريع كلام. والتلفيق يعني نحو هذا المعنى. ومؤلفه أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩هـ) أجمع من ترجم له - وهم خلق كثير من علماء السلف - على أنه كان باقعة عصره في الأدب نظمًا ونثرًا، وحسبنا أنه كان قبلة أنظار المؤلفين بعده؛ فاحتذى حذوه وسار على نهجه جماعة منهم مقلّدًا ومذيّلاً، في شرق العالم الإسلامي وغربه، كالباخرزي في دميه القصر، وابن بسام في الذخيرة، والشهاب الخفاجي ومحمد الأمين المحبي في كتب عديدة. ومن مؤلفاته المشهورة: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وخاص الخاص، والكناية والتعريض، والتمثيل والمحاضرة وتحفة الوزراء، وثمار القلوب، وفقه اللغة وسر العربية، ولطائف المعارف، ونثر النظم، وغيرها كثير.

وكتاب التوفيق للتلفيق الذي حققه إبراهيم صالح، ألّفه الثعالبي للشيخ السيد مسافر بن الحسن، وجعله فيما علق بحفظه «من أجناس حر الكلام وبديع سحر البيان في التلفيق بين الشيء وجنسه؛ والجمع بين الشيء وشكله، نظمًا ونثرًا، وجدًا وهزلاً»، وجعله في ثلاثين بابًا، منها أبواب في التلفيق بين أوصاف خصائص الأشياء، ورد بعضها في التشبيهات إلى بعض، وفي التلفيق بين السحاب والبرق والرعد والمطر، وفي التلفيق بين الطيور والاستعارات فيها، وبين أحوال النساء في التزويج والولادة والمولود، وفي التلفيق بين ذكر البلاد وخصائصها، وغير ذلك.

ومما ذكره الثعالبي في التلفيق بين الأطعمة:

- قيل للحسن البصري: إن فلانًا يعيب الفالوذج، فقال: لُباب البرّ بلعاب النحل بخالص السمن، ما عاب هذا مسلم.

- وحكى الجاحظ عن الحارثي أنه كان يقول: الوحدة خير من جليس السوء، وجليس السوء خير من أكيل السوء، وكل أكيل جليس، وليس كل جليس أكيلاً، فإن كان لابد من المؤاكلة فمع من لا يستأثر بالمخّ، ولاينتهز بيض البقيلة، ولا يلتهم كبد الدجاجة، ولايبادر إلى دماغ السلافة، ولايختطف كلية الجدي، ولاينتزع خاصرة الحمل، ولايزدرد قانصة الكركي، ولايعرض لعيون الرؤوس، ولا يستولي على صدور الدجاج، ولا يسابق إلى استعاط الفراخ.

ومما قاله في التلفيق في فنون مختلفة الترتيب:

- قال الجاحظ: لما هجا شعراء المشركين النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لحسان: اهجهم، فإن روح القدس معك، وأت أبا بكر يعلمك مساوئ القوم، و والله إن هجاءك أنكأ عليهم من وقع السهام في غلس الظلام. فأخرج حسان لسانه وضرب به طرف أنفه وقال: والله ما يسرني به من مقول في معدّ، فو الله إني لو وضعته على شَعْرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه. قال الجاحظ: فلا ينبغي أن يكون حسان قال إلاّ حقّا، وكيف يقول باطلاً والنبي صلى الله عليه وسلم يأمره، وجبريل يسدده، وأبو بكر يعلّمه، والله يوفقه.

- وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: من روى حوليات زهير، واعتذارات النابغة، ونقائض جرير والفرزدق، وهاشميات الكميت، وخمريات أبي نواس، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وأهاجي ابن الرومي، وروضيات الصنوبري، وتشبيهات ابن المعتز، ومُلح كشاجم، وطُرف السريّ، وقلائد المتنبي، وروميات أبي فراس، ولم يتخرج في الشعر، فلا أشبّ الله قرنه.

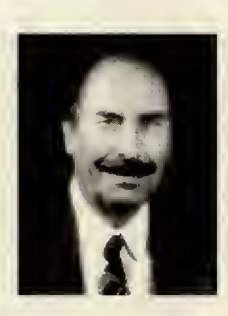
- ووصف أبو بكر بن مكرم رجلاً شريف الأصل وضيع النفس، ولفّق بين المحاسن والمساوئ، فقال: هو من الطاووس رجلُه، ومن الورد شوكه، ومن الماء زَبَده، ومن اللجين خَبَثُه، ومن النار دخانها، ومن الخمر خُمارها، ومن الدار كنيفها.

- وذكر بعضهم رجلاً يتيه بفضائله ومحاسنه، فقال: لو جمع جود حاتم وبلاغه سحبان، وحِكم لقمان، ووفاء السموءل، ونفس عصام، وعدل العمرين، وفضائل علي؛ وشرف الحسن والحسين لما زاد.

- ومن غرر أبي تمام في التلفيق بين ذكر البلاد وخصائصها قوله:

بالشام داري، وبغداد الهوى، وأنا
بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تجاوزني أقصى خراسان

التلوث أولا .. والتلوث ثانيا .. والتلوث دائمًا



عاصم محمد بهجة البيطار

لا يمر يوم دون أن تتردد فيه كلمة التلوث مئات المرات.. فوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تحذر من مشكلات التلوث؛ ووسائل الاتصال جميعا تنذر بعواقب التلوث الوخيمة؛ والندوات تعقد، والمؤتمرات تكثر، والاجتماعات تتعدد، والدراسات تحاول الإحاطة بالمشكلة من جميع جوانبها، والدول تسارع إلى اتخاذ وسائل السلامة، وتكثر من اصطناع سبل الأمان، غير أن التلوث يزداد في كل يوم؛ يكتسح البر والبحر، ويفسد الماء والهواء، ويهلك الحرث والنسل.

أقول هذا الكلام وأمامي مسودة التوصيات التي صدرت عن المؤتمر الاقليمي: (من بحر إلى بحر/ حول الاستخدام المستدام للبيئة البحرية) وقد حضره أكثر من خمسين ومئتي مشارك من ممثلي الحكومات والبلديات من منطقتي المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، والهيئة الإقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن.

لقد تحدث المؤتمرون طويلاً عن التلوث الذي يصيب مياه البحار والمحيطات؛ فيؤثر تأثيرًا بالغ السوء في الأحياء المائية، وتقدموا بتوصيات كثيرة دعوا العالم بحرارة أن يأخذ بها، لما في ذلك من إيقاف لزحف التلوث المروّع، وتنشيط السياحة الساحلية، وترشيد الإنفاق في استعمال مياه البحر.

أنا لا أدعي أنني خبير في هذا الميدان، ولا أصدر في رأيي عن دراسة محكمة للبحر وشؤونه، والبر وشجونه، والعالم وآلامه؛ ولكنني إنسان يحسّ بفطرته السليمة أن هذه التوصيات وأشباهها إنما هي مظهر من مظاهر الدفاع عن النفس لشدة الإحساس بالذنب.

إن التعاون بين الحكومات والمنظمات الإقليمية والقارية والعالمية مدعُوّ إليه. ولكنْ كيف السبيل إليه والأطماع تملأ القلوب، وحب السلطان يستعبد النفوس. هم صنعوا مشكلات التلوث، وهم يلهثون لحماية أنفسهم قبل غيرهم منها.

كم قرأنا عن تلوث أفسد حياة الناس في البر والبحر والجو؟ وكم روّعنا الخطر الماحق الذي نشر سرطان الجلد بسبب ثقب أحدثوه في طبقة الأوزون الذي يغلف الأرض، ويمتص من أشعة الشمس ما هو ضار، ويسمح بمرور ما هو نافع بتدبير إلهي محكم؟!!

ما أكثر المؤتمرات والندوات والدراسات في الشرق والغرب، ولكني أتساءل لمَ لم يخطر في بال أحد من هؤلاء أن يقترح عقد ندوة باسم: ندوة معالجة تلوث العقول والقلوب، وحماية الضمير؟!

لقد خلق الله الدنيا بما فيها من منافع وثروة وخيرات، وسخرّها جميعًا تسخير تمكين وانتفاع، واقتضت حكمته تعالى أن يخلق فيها من يستعمرها ويُفيد من خيراتها، ويحافظ على نعم الله فيها.. لقد اختار الإنسان ليكون خليفته في الأرض، ولكن الإنسان خان الأمانة، وعاث في أرض الله فسادا.

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين؛ فآمنت طائفة وكفرت طائفة، غير أن العالم بقي رازحًا تحت سطوة الجبروت والعدوان.

يقول رب الناس وخالقهم لعبيده: ﴿وتَعَاونوا على البرّ والتّقوى..﴾ (المائدة: ٢) فلايتعاونون إلا على الإثم والعدوان. ويقول لهم خالقهم: ﴿يا أيها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شُعوبًا وقَبَائل لتَعَارفوا إنّ أكرَمَكُم عند الله أتقاكم..﴾(الحجرات:١٣) فتناكروا، وجعلوا مقياس الكرامة هي القوة والقدرة على مدّ السلطان، واستعباد الخلق، وكتْم أنفاس المسالمين. علّمهم الله أن يكونوا في دنياهم الجميلة إخوانا، فأبوا إلا أن يكونوا سادة وعبدانا. خاطب عقولهم التي خلقها نعمةً لهم وسماهم: ذوي الألباب الذي يخلصون العبادة لله حمدًا وشكرًا ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانك...﴾(آل عمران:١٩١) فتاهت عقولهم، وجحدوا فضل ربهم. وملؤوا الدنيا كوارث ودمارًا، وزرعوا في الفضاء مركباتهم وأقمارهم الصناعية للتجسس، وبث برامج الخلاعة والتهتك.. كسا أرضهم خضرة نَضرة، وأنبت لهم - جلّت قدرته - الأشجار يستظلون بظلها، ويأكلون من ثمرها، وتعمل على تلطيف الجو، وتنقية الهواء الذي نستنشقه استدامةً للحياة، فأحرقنا الخضرة، واستأصلنا الأشجار، وقطعنا عيدانها وجعلناها أدوات لقتل الحياة:

كلّما أنبتَ الزمان قناةً
ركّب المرء للقناة سنانا

إن العالم تعلو صرخاته حتى تُبحّ منه الأصوات، يحذر من مرض الإيدز، وانتشار السرطان، وفتك الأمراض الاجتماعية من فساد في العلاقات بين الناس، وتفكّك في الأسر، وإباحية في الأخلاق، وهتك للأعراض، ووأد للمروءات في مستنقعات الخمور والمخدرات.. أليست قوانين البشر هي التي مهدت لذلك كله، ثم راحت تحاول عبثا رأب الصدع بعد أن اتسع الخرق على الراقع. إنها لن تفلح أبدا لأن الارتفاع صعب المرتقى، ولأن الهبوط مزلق سهل.

فتح الله لهذا الإنسان أبواب العلم على مصاريعها، وأمره أن يخوض غمارها، ويتتبع حقائقها لعمارة الأرض التي استخلفه فيها، غير أنه اكتشف تفتيت الذرة، فصنع منها قنابل جهنمية خرّب بها الديار، وقضى على الأعمار، وخلّف بعد ذلك مئات الألوف من المشوهين والعجزة الذين يرون بطن الأرض خيرًا من ظهرها. بَنَوا البواخر، وسيّروها بالطاقة الذرية، ولكنهم أثقلوها بالمدافع

والصواريخ وراجمات النار والدمار. أحكموا صنع الطائرات فاستعملوها فيما ينفع الناس، ولكنهم سلّحوها أيضا فحملوا فيها الموت الزؤام.

لقد خُنتَ الأمانة أيها الإنسان، ولم تحمد الله على الدرجة الرفيعة التي يسّرها لك فجعلك في أرضه، مؤثرًا إياك على ملائكة قدسه الذين لايكفرون ولايعصون، والذين يذكرون الله ليلَ نهار لايفترون. يقول سبحانه: ﴿وإذْ قال ربك للملائكة إني جَاعلٌ في الأرض خليفةً، قالوا: أتجعلُ فيها مَنْ يُفْسدُ فيها ويَسفكُ الدّماءَ ونحن نسبّح بحمدكَ ونقدّس لك، قال: إنّي أعلمُ مالا تعْلمون﴾(البقرة:٣٠).

لقد خنت الأمانة أيها الإنسان فلا عجب إن وُصفتَ بالجهل والظلم، يقول الله تعالى: ﴿إنا عَرَضْنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنَها وأشفقْنَ منهاَ وحَمَلَها الإنسانَ، إنه كان ظَلُومًا جَهُولاً﴾(الأحزاب:٧٢).

شعوب مستضعفة يفتك بها الجوع، وتأكل أجسادها الأمراض، وأخرى تسبح في النعيم، وتنفق على لذائذها ما لو حُوّل جزء منه إلى أولئك لعاش الجميع في نعمة وسلام.

شعوب يمنع عنها سلاحٌ تدفع به عن نفسها العدوان، وأعداؤها يُغَذّون بالسلاح من كل مكان، ولاذنب لهاتيك الشعوب إلا أنها تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ما كان إبليس اللعين في يوم من الأيام أسعد حالاً منه في زماننا هذا؛ فقد كثر أعوانه وزبانيته، وأحكموا قبضتهم على العالم، وادّعوا أنهم رُسُل الحضارة وبُناة التقدّم؛ فهذه فرنسا والصين تجريان تجاربهما النووية ولاتأبهان لاعتراض المعترضين وجماعات السلام الأخضر وحماية البيئة في الدنيا كلها، لأنهما أسلستا قيادهما للشيطان عدوّ الإنسان الأكبر.

ماتت قلوبهم وتحكّمت أهواؤهم: إذا رأوا طريق الحق تعاموا عنه وإذا تذوّقوا طعم الباطل استساغوه واستكثروا منه.. لقد ظنوا أنهم غَدَوا أقوى من عاديات الزمان، ومن سُنن الله في الكائنات، ولو عقلوا لأحسّوا بالسوس ينخر في أساس بنيانهم، وأنهم صائرون إلى ما صارت إليه أمم أخرى قبلهم:

أتى على الكلّ أمرٌ لا مردّ له
حتى مضوا فكأن القومَ ما كانوا

لو تبصّروا لاعتبروا بقول الله في كتابه الكريم: ﴿قدْ مَكر الذين من قبلهم فأتى اللهُ بنيانَهم من القواعد، فَخرّ عليهم السقفُ من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾(النحل:٢٦).

خلق الله هذه الدنيا وجعلها دار امتحان: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي خلق الموت والحياةَ ليبلُوَكم أيّكم أحسنُ عملا وهو العزيز الغَفُور﴾(الملك:١، ٢). وملأها بالخيرات والنعم فمن الناس مَنْ شكر ومنهم من كَفَر: ﴿ولايحسبَنّ الذين كفروا أنّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم، إنما نُملي لهم ليزدَادُوا إثمًا ولهم عذابٌ مُهين. ما كان اللهُ ليذَر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يَميزَ الخبيثَ منَ الطيّب..﴾(آل عمران: ١٧٨، ١٧٩).

أليس كلُّ ما مضى - وكثيرٌ غيره - لوحات تصوّر ألوانا من تلوث الضمائر، وفساد القلوب، وضلال العقول؟! وما نفع ناطحات السحاب، وإنشاء المصانع، وشقّ الطرقات، وبناء ما يسمى بالحضارات إذا كانت تقام بيد، وفي اليد الأخرى وسائل تدميرها وضياع الغاية منها؟! أليس من حق الشاعر أن يقول:

وجبلّة الناس الفسادُ فَضَلَّ مَنْ
يسعى بحكمته إلى تهذيبها

قال هذا والحياة كانت أفضل حالاً والناس آنذاك لايعرفون أدوات التدمير الشامل، والحروب الكيماوية والجرثومية؛ نعوذ بك اللهم من ذلك كله.

أيها الناس: إنكم تسعون إلى الاجتماعات والمؤتمرات لتشخيص المرض بعد استفحاله، ولمحاولة إيجاد العلاج له بعد استعصائه، فهلا فكرتم مرة في الاجتماع لدراسة أعراض تلوث العقول والقلوب، وفساد الضمائر؟

إن العلاج موجود: إنه الإسلام، إنه الإيمان، إنه المؤتمر العالمي الذي يعقد تحت شعار: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته، ولا تموتُن إلا وأنتم مُسْلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حُفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمّةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَونَ عن المنكر، وأولئك هم المفلحون. ولاتكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءَهم البَيّنَاتُ، وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾(آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥).

لا تَلُم أحداً أيها الإنسان، بل لُمْ نفسك على انحدارك في الهوّة التي تشقى فيها، فإنك أنت السبب، وقديمًا قيل في المثل: (يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ).

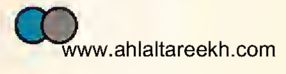
قصيدة:

عودة

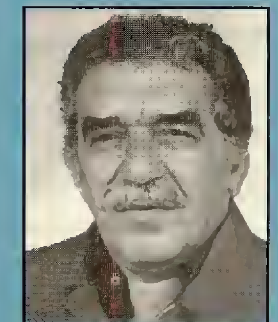
شعر: عبدالله السيد شرف

ياسيدي.. مذنب بالباب يرتجف
وفي يديه خطايا، دمعُها يكِفُ
الكل آسفه.. والعمر خادعة
حتى أفاق على الأيام تنصرف
ولم يجد غير باب العفو يقصده
فجاء بالذنب.. والأوزار يلتحف
فاعطف عليه.. فإن الذنب أثقله
وعذّبته الرؤى.. واستفحل الأسف
ومَنْ سواك إذا ماالذنبُ أرهقه
ومَنْ سِواك به الأحزان تنكشف
فافتح له البابَ.. كي يرتاح كاهلُهُ
وفي بحار الرضا يحيا ويرتشف
وحسبه أنه قد عاش معترفا
بأنَّ عفوكَ بحرٌ.. منه نغترف

(*) من القصائد التي خص بها الشاعر الراحل مجلة «الفيصل» قبل وفاته - يرحمه الله -.



في روايته الجديدة (عن الحب وشياطين أخرى):



ماركيز لايتفوق على نفسه

محمد المكي إبراهيم

إذا كان غابرييل غارسيا ماركيز هو أبو الواقعية السحرية والغرائبية؛ فإن روايته الأخيرة (عن الحب وشياطين أخرى) جاءت مملوءة بالغرائب وخالية من السحر.

إنه الفنان المتفوق نفسه الذي ينسج خيوط روايته بمقدرة وإحكام، ويحاكي لك الحياة الواقعية بالتقاطه لتفاصيلها ومحاكاته لهيئة وقوع الأحداث فيها؛ إلا أن الأحداث التي يلتقطها هذه المرة - وكل مرة - هي الغرائب والعجائب، وكان دأبه أن يضيف إليها شيئًا من السحر، ولكن هذه المرة لم يكن هنالك من سحر، ولم يكن أمامنا سوى ذاكرة محتشدة بكل شيء عن داء الكَلَب ولاشيء سواه.

تتحدث الرواية - ولاتتحدث - عن طفلة في الثانية عشرة من عمرها ذهبت إلى السوق لتشتري الأشرطة الملونة لحفل عيد ميلادها، وهنالك هاجمها كلب رمادي تعلو جبهته غرة مميزة، فعضها عضة خفيفة عند الكعب سرعان ماالندملت وتقشرت تاركة والديها بين الشك واليقين حول واقعة العضة وسُعَار الكلب.

والدان غريبان حقا ولكنهما - كالرواية - خاليان من كل سحر. فالأم خلاسية مفرطة البدانة تقضي يومها في تلبية نداءات جسدها الشاسع، وتسير معظم الوقت في أنحاء دارها المتداعية كما ولدتها أمها، وهي تُكِنُّ لزوجها وطفلتها الوحيدة أبشع أنواع الحقد والاحتقار. أما الأب فهو نبيل قوم أذله الفقر الطارئ، يعيش معتزلا الناس والمجتمع. يبدي بعض الاهتمام بحادثة ابنته ولكن من زاوية الاهتمام بدرء الفضيحة والأقاويل التي تنشأ عن الموت بداء السعار، ولتلك الغاية يأخذ ابنته إلى أحد الأديرة ليخرجوا الشياطين من جسدها وتموت هناك.

يحدث الجزء الأكبر من أحداث الرواية في الدير؛ حيث يتولى علاجها في البداية قسيس شاب يقع في حبها، ولكننا لانفهم أي نوع من الحب، ولانشعر نحوه بالتعاطف وبخاصة أن قلوبنا تستهجن أي علاقة بطفلة في تلك السن مالم تكن علاقة أبوية أو شبه أبوية. وخلال ذلك تتوالى علينا المعلومات عن الراهبات القاسيات القلوب، ومرضى الكَلَب الذين يموتون مربوطين إلى الأعمدة، أو يقوم الأقرباء بتسميمهم ليوفروا عليهم العذاب، ونعرف أن شعر الإنسان يستمر في النمو بعد الموت، والبطلة بالذات وجدت بعد مئتي عام وقد طالت جديلتها وبلغت اثنين وعشرين مترا وأحد عشر سنتيمتراً.

لاننكر أن في ذلك تسلية باهرة وجذبا قويا لمواصلة القراءة بشغف واهتمام، ولاننكر مقدرة ماركيز المتفوقة في عرض الأحداث ورسم الشخصيات، ولكنه للأسف يقدم شخصيات منفرة كان يمكن أن نتعاطف معها لو أنها كانت تفعل أي شيء يشتم منه رائحة الحب أو الجمال، أو أيما ممارسة إنسانية مما عودتنا عليه الروايات العظيمة، ولكن ذلك مفقود تماما، فالصبية المسكينة لاتفعل شيئا يذكر لتكسب صراعها مع الموت، وأبواها مابين لا مبالٍ ، وراغب في دفن الفضيحة، وحب القسيس الشاب لها لانستشعر له دفئًا ولامعنى ولاشكلاً.

ليست القضية نفورا من القبح لذاته؛ ففي روايته الأخرى (الحب في زمن الكوليرا) قدم ماركيز بطلاً خياليا من الجمال المادي والروحي، ولكنه انغمس في قصة حب لمدة خمسين عاما، فتجاوزنا عن كل سيئاته الأخرى وأحببناه. أحببنا قدرته على الحب، وقَدَّرنا انتظاره الطويل ليحظى بحبيبة القلب بعد كل ذلك الزمان رغم أنه لم يعش زاهداً؛ فقد أكل من كل الموائد ولم ينتظرعلى معدة خاوية على مذهب العذريين.

إنها لقراءة باهرة خاصة لمن يقف ويتأمل قدرات الكاتب على التصوير والتعبير، وربما كان هذا المشهد واحداً من مئات الشواهد على عظمة الرواية. ففي هذا المشهد يقوم الطبيب بالكشف على الطفلة المعضوضة وهي تكذب عليه باستمرار: «توترت الطفلة فقط عندما عثر الطبيب على الجرح الملتئم السفلي في كعبها فعالج المكر بالمكر وسألها:

ـ هل سقطت؟

ردت الطفلة بالإيجاب قائلة دون أن ترمش لها عين:

ـ أجل من الأرجوحة .

فرحت الطفلة لمناورات الطبيب إلى أن وضع أذنه على صدرها لفحصها. أخذ قلبها ينبض بارتباك، وانبعث من بشرتها ندى بلون رصاصي، وفاحت منها رائحة بصل خفيفة، وبعد الانتهاء من الفحص ربت الطبيب بكفه على خدها بود وقال لها:

ـ إنك شجاعة جدا.

وعندما انفرد بوالدها أخبره أن الطفلة كانت تعرف أن الكلب الذي عضها مصاب بالسُّعار، ولم يفهم كلامه فرد عليه بقوله:

ـ لقد كذبت عليك كثيرا ولكنها لم تقل شيئا من ذلك!

أجابه الطبيب:

ـ لم تكن هي أيها السيد بل قلبها الذي أخبرني بذلك. لقد بدا لي قلبها كضفدعة سجينة في قفص.

ماطل الأب في عد الكذبات المدهشة الأخرى لابنته، ولم يكن ذلك بسبب انزعاجه بل بدافع من كبرياء الآباء وقال:

ـ ربما ستكون شاعرة».

بمثل تلك الحوارات الذكية تحتشد الرواية، ويمسي وضعها جانبًا من أصعب الأمور. ولكن لسبب ما تبدو الرواية وكأنها قصتان وليس قصة واحدة، فبإمكان القارئ أن يقرأ الجزء الأول منها كقصة مستقلة تتناول الشكوك والتأكيدات الصادرة عن مختلف الشخوص حول واقعة العضة وسعار الكلب، وقد حافظ الكاتب على تلك الشكوك حية ومتقدة إلى قريب من نهاية الجزء الأول؛ فالأطباء يتحدثون بغموض، والدجالون والخدم يؤكدون أن الطفلة قد تحولت إلى كلبة، ولكن القارئ يلاحظ باستمرار أن استعمالها لأسنانها لم يتسبب في إصابة أحد من الناس بالسُّعار، وأنها لاتخاف من الماء على طريقة المسعورين. وينتهي هذا الجزء نهاية مأساوية حين يقرر الأب ـ بحفز من رجال الدين ـ إدخالها الدير لتتلقى علاجا لطرد الأرواح الشريرة من بدنها باعتبارها ممسوسة وقد تقمصها الشيطان.

هنا يبدأ الجزء الآخر من الرواية، والذي يتعلق بمحاولات العلاج القاسية التي تتعرض لها الطفلة المسكينة، فإن ممارسات الدجل وسوء المعاملة التي تتعرض لها على أيدي الراهبات تحوّلها إلى حيوان مفزوع يدافع عن نفسه بكل الوسائل، وهي وسائل الكذب والدفاع البدني بكل ماأوتيت من أظافر وأسنان ومقدرة على القفزات المفاجئة التي تربك الخصم. وفي هذا القسم ندرك للمرة الأولى أننا في منتصف القرن الثامن عشر، وأن الكنيسة (في المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية) ما زالت تؤمن بالشيطان عدواً رئيسيًا للإيمان، وأنها تعقد محاكم التفتيش لمحاربة أصدقاء الشيطان وأنصاره، وأنها تحرّم الكتب المتحررة في كل أبواب المعارف والفنون. وحول هذه الخلفية تجري أحداث الجزء الثاني من القصة.

تُسجن الطفلة سجنًا انفراديًا قاسيًا، وتُربط إلى سريرها بسيور من الجلد، ويُقدَّم لها طعام رديء، وتحاول الراهبات المبتدئات سرقة قلائدها وحليها فتعضهن وتضربهن. أما العلاج فيبدأ على يدي القسيس الشاب الذي اختاره الأسقف لتلك المهمة، ولكنه منذ الوهلة الأولى يتحول إلى تعبيرات حب تتجلى في أشياء، مثل تهريب الأطعمة إليها من خارج السجن، ومداواة جراحها البدنية، وتحرير جسدها من الأربطة والقميص المقيد Straight jacket ، وماعدا محاولاته الأولى لرشها بالماء المقدس، فإن جلسات ذلك العلاج تتحول إلى حفلات تعارف تنتهي إلى حب يائس انتهى بالقسيس الشاب إلى المأساة.

إن الثقافة التي نشأنا فيها لاتسمح لنا بفهم ذلك الحب الغريب بين رجل ثلاثيني وطفلة في الثانية عشرة من عمرها؛ وروائيا لم يبذل ماركيز أيما جهد خاص لإقناعنا بذلك الحب أو تزيينه في نظرنا. وهو في ذلك على عكس نابوكوف الذي حاول في روايته (لوليتا) عرض ذلك النوع الشاذ من العلاقات؛ وبذلك فإن المرء يستمر في التبلغ بتلك العلاقة دونما كبير تصديق أو اهتمام. وعلى العكس ينصرف اهتمام القارئ في هذا الجزء إلى مصير الطفلة التي غدا ثابتًا، إنها ليست مصابة بالسُّعار كما أنها لاتعاني من مس شيطاني. وتكتمل المأساة حين يعترف القسيس بحبه للمريضة فيتقرر إبعاده عنها ونقله للعمل في مستعمرة للمجذومين، وتنطلق شائعات وسط العامة عن ولادتها طفلا برأسين هو الشيطان بعينه. إلا أن القسيس تحت تأثير حبه اليائس يواصل زيارتها سرا عن طريق نفق مهجور تكتشفه إحدى الراهبات المسجونات وتستغله للهروب من سجنها، فيلفت ذلك إليه الأنظار ويوقعه في كمين منصوب.

لابد للمرء وهو يقرأ رواية جديدة لكاتب شهير أن يوازن بينها وبين ماسبق نشره لذلك الكاتب، وهو أمر ظالم ولكنه حقيقي ومتكرر الحدوث، وفي حالة ماركيز لابد أن تقفز إلى الذاكرة أعماله القديمة المعروفة (مئة عام من العزلة)، (الحب في زمن الكوليرا)، (الجنرال في متاهته)، (البطريق)، (أريندرا)، (لا أحد يكتب للكولونيل)، وغير ذلك من الأعمال التي نُقلت إلى العربية وجعلت منه وجها أليفا في المشهد الثقافي العربي. والرواية التي بين أيدينا أفضل من جهة المقروئية من (مئة عام من العزلة) وأكثر جدية من العديد من الأخريات، ولكنها تقل كثيراً عن روايته المتفوقة (الحب في زمن الكوليرا). وليس في ذلك مايعيب العمل الحالي أو يحط من قدره. إنها موازنة ظالمة، ولكنها لابد أن تطوف بأذهان القراء.



قصة قصيرة:

السحابة

(إلى كل طفل طمرت الحرب ألعابه تحت الأنقاض)

عمر فتال

أعمدة كثيفة من الدخان تتصاعد في سماء الأفق القريب فتكون سحابة تحجب زرقة السماء وأشعة الشمس.. أحجار متناثرة على طول الشارع.. أكوام تراب مختلفة الأحجام تتربع خلف بقايا البيوت التي تحلقت حول الساحة وأمامها.. زجاج متناثر.. أخشاب.. شظايا حديد.. أثواب ممزقة.. أحجار كبيرة وصغيرة. كل هذه الأشياء مجتمعة أخذت لها مكانا وسط الساحة بشكل يتعذر معه رؤية أرضيتها. ومن خلف الأبواب شبه المهشمة يظهر بين الحين والآخر شخص من الأشخاص. يقف لحظة يمسح عينيه، يديم النظر في ما حوله قبل أن يقفل راجعا إلى البيت منحني الرأس، أو يأخذ طريقه وسط أكوام التراب والأحجار ويداه خلف ظهره... توالى خروج الرجال، وكثر تصافحهم ومعانقتهم لبعضهم بعضا.. عمت الحركة معظم المنازل المهدمة السطوح. فقضى على التردد الذي ملأ عليه نفسه. أزاح الباب شبه المهشم.. مسح عينيه بكمه. نظر في ماحوله.. أدام النظر.. هَمَّ بتجاوز الأحجار التي اصطفت أمام عتبة الباب.. تراجع.. تقدم.. ركز عينيه في الرجال المتحلقين وكأنه لأول مرة يرى مثل هذا المنظر.. أرهف السمع.. ولما تتابعت الخطوات، وارتفعت أصوات المتحدثين.. قفز على الأحجار.. خطا خطوات.. مسح عينيه من جديد.. نظر إلى السماء الملفعة بالسحابة الكثيفة.. تنقل بعينيه بين أكوام التراب والأحجار والأكياس الرملية التي وضعت متراصة. تسمرت قدماه برهة. حرك يديه، مرر إحداهما على رأسه قبل أن يواصل مشيه وسط الأتربة والأحجار والزجاج. بعد خطوات أخذ له مكانا على أحد الأكياس. وضع يديه على خديه. طاف بعينيه بين الخراب الذي اتخذ له مقاما في كل مكان قبل أن يمد يده إلى الرمل المنساب من كيس قريب منه، وراح يعبث به شارد البال.. وحينما رآه قادما صوبه قفز من مكانه.. هَمَّ بالجري.. توقف.. ركز بصره فيه.. همهم.. خطا خطوة أولى ثم ثانية.. أغمض عينيه ثم فتحهما، ومن غير مماطلة جرى نحوه ثم صاح بأعلى صوته: إدريس! رد الآخر بصوت باك: صالح! تعانقا.. قبل أحدهما الآخر.. مسحا الدموع التي غمرت خديهما.. تبادلا نظرات خرساء.. جلسا جنبا إلى جنب دون كلام. ألقى السكون رداءه عليهما دقائق، ولم يتمكنا من إزاحته إلا عندما وقعت عيناهما عليه قادما منحني الرأس، فقال إدريس في شك: "أليس هذا أيوب"؟! أجاب صالح:

- بلى.
- أراه يمشي على مهل.
- أجل، ولكن أرأيت إنه يضع ضمادة على يده اليمنى.

تبادل الصغيران النظرات، قبل أن يسرعا صوبه. غمراه قُبَلاً. عانقهما بدوره متألما.. أسنداه.. خصصا له مكانا على الكيس الرملي. بعدها خيم الصمت عليهم لحظات أنهاها صالح بصوت هادئ:

- أيوب أراك تضع ضمادة على يدك اليمنى هل..

انحبس الكلام في حلق صالح ليقتصر على النظر في وجه أيوب، وقد كست عينيه غشاوة رقيقة من الدموع. بادله أيوب النظر قبل أن يذهب

ببصره إلى حيث تربعت السحابة الكثيفة، في الوقت الذي كان فيه صالح وإدريس ينتظران كلامه بفارغ الصبر.

مرر يده اليمنى على شفتيه. التفت نحوهما وبصوت هادئ حزين قال: "من أين أبدأ الحديث؟! وعمن أتحدث؟! أأتحدث عن جدتي التي ما زالت طريحة الفراش؟! أم عن أخي الأصغر سعيد الذي أصبح من يومها يبكي لأدنى صوت حتى ولو كان صوت كرسي منقول من مكان إلى آخر؟! أم عن أمي التي سقطت مغمى عليها؟! أم عن أبي الذي رأيته لأول مرة يبكي كما يبكي الصغار؟! لقد كانت ليلة لا كباقي الليالي، كنا خلالها في القبو الصغير الذي ضمنا منذ اندلاع القتال بين شطري المدينة. جدتي تحاول تهدئة روع أخي سعيد الخائف من صوت الرصاص المتقطع.. أمي تحاول إعداد العشاء من الأشياء القليلة التي عاد بها أبي من أحد الدكاكين بعد عناء وحذر شديدين، وتخوفات منا على حياته.. أبي يحاول التقاط إحدى الإذاعات.. هذا ماكنا نفعله في تلك الليلة التي لست أدري أهي الليلة الثانية أم الثالثة على بداية سقوط الصواريخ من الجهة الجنوبية. المهم أن أخي سعيد صرخ صرخة لم أسمع مثلها من قبل، وجدتي ولولت، أما أمي فقد سقطت على الأرض صارخة.. هذا مارأيته وسمعته، ولما استيقظت بعد ساعات وجدت على يدي هذه الضمادة التي تغطي الجرح الذي أصابني من جراء القفز من مكاني إلى حيث كان يجلس أبي، كما حدثني بذلك بعد يومين من الحادث.. لقد كان انفجارا مدويا تساقطت بسببه الأتربة عبر المدخنة المخربة لتغطي مكان جلوسي ودفاتري إذ كنت أراجع الدروس التي أخذناها قبل اندلاع المعارك عملا بنصائح أمي وتشجيعات أبي الذي طالما حدثني عن قرب توقف الحرب، ودنو موعد الالتحاق بالمدارس.. آه! لقد أتت الأتربة المتساقطة عبر المدخنة على كل دفاتري وكتبي.. انظر إلى الطابق العلوي من منزلنا لقد تهدم!! ذهب الثلاثة بأبصارهم إلى حيث الأحجار والأتربة؛ وقد تحركت لواعج إدريس وصالح للحديث..

ـ إدريس: أما نحن فكل الأيام التي مرت علينا عصيبة، ولكنني لا أنسى أبداً تلك الليلة التي تضاعف فيها صراخ أختي الصغيرة زينب.. في البدء لم أعرف السبب، ولكنني بعدما رأيت أمي ترجو من أبي ألا يخرج، علمت حقيقة الأمر. لبس نعليه فتعلقتْ به أمي باكية: لاداعي إلى الخروج. سأحاول أن أعد لها ماتأكله إلى جانب حليبي.

ـ ألا تسمعين صراخها يامريم؟ لاداعي إلى الخوف أنا أعرف المسالك الآمنة، وفوق هذا فأنا لن أتجاوز نهاية الشارع فهناك صيدلي نقل الأدوية إلى قبو منزله، لاداعي إلى الجزع فكلها عشر دقائق وأعود.

ـ ألا تسمع صوت الرصاص والقذائف؟ لِمَ ستتركنا لا قدَّر الله!

ـ ماهذا الكلام يامريم؟!

هم بالخروج. دارت أمي في مكانها التفتت نحوي باكية: "إدريس أبوك سيخرج والصواريخ تتساقط، والرصاص يلعلع. بادلتها البكاء. أردت أن أقول شيئا لكن الكلمات لم تسعفني.. ولما غاب عن أعيننا ارتميت في حضن أمي المتهاوية على الأرض، وقد أطلقت العنان بدوري لدموع غزار. مرت العشر دقائق وفي إثرها عشر أخرى. صرختْ أختي زينب.. نامت والدموع تغمر وجهها بكامله.. استيقظت.. صرخت ثم من جديد نامت باكية.. ذرعت أمي القبو.. همهمت.. بكت.. سرت في إثرها باكيا.. اقتربت من الباب.. جلست إلى جواره فترة من الزمان لم أدر أقصرت أم طالت لأستيقظ في الصباح على صوت أبي وهو يتحدث عن ضراوة المعارك، وعن حالة الشارع، في الوقت الذي كانت فيه أمي تستمع إليه وعيناها الدامعتان مركزتان في وجهه..

ـ صالح: آه! كم اصطلت أمي وأنا معها نار الانتظار، إذ كان أبي طيلة أيام القتال يتأخر عن المجيء حتى إذا عاد أفسح المجال أمام التحسر، وأحيانا البكاء على الحالة التي أصبح عليها الأطفال المعوقون الذين يعيشون في الملجأ الذي يعمل به. وكم أرغمنا على البكاء معه، وهو يحكي لنا عن الهلع الذي غمر الصغار منذ اندلاع الحرب.. لكن أين ذلك من البكاء الذي بكيناه، ونحن ننتظر عودته في ذلك اليوم المشؤوم الذي استخدمت فيه الصواريخ؛ فقد تأخر عن المجيء بشكل لم يسبق له مثيل.. حاولت أن أنام لكن صوت الرصاص المتقطع، وتساقط الصواريخ بين الحين والآخر، وتخوفات أمي وصرخاتها وهمهمتها لم يسمحوا لي بذلك.. طال انتظارنا وبكاؤنا وتخوفاتنا. وبعد منتصف الليل بكثير عاد أبي في حالة لم يسبق لي أن رأيته عليها.. كان أشعث الشعر، مغبر الجبين، دامع العينين. وما إن دخل حتى ارتمى على الأرض، وهو يصرخ صراخا مؤلما.. سألناه: ماذا حدث؟! فلم يجبنا. جلسنا بجانبه.. بكينا لبكائه. وبعد دقائق سمعناه يقول: "ظلم.. ظلم". سألناه من جديد: بالله عليك ماذا في الأمر؟! فأجاب متشنجاً: "ظلم، ظلم، ألم يكفهم أنهم معوقون؟!" انتفض قائما.. جلس.. وضع يده اليمنى على جبينه، وراح يتكلم بهدوء: "لقد قصفوا الملجأ.. تهدمت أحجار، وبترت أرجل أربعة أطفال مشلولين، وجرح مايزيد على عشرة من العمي جروحا متفاوتة الخطورة.. أما الصم فلايمكنكما أن تتصوروا الهلع، والفزع الذي تملكهم، وهو يرون البيوت تتهدم، والملعب الذي يقضون فيه وقتهم الفارغ يتحول إلى أكوام تراب وأحجار.. لايمكنكما أن تتصوروا المصيبة، لايمكنكما.." استلقى على ظهره، وانخرط في بكاء شبيه بالعويل. أما أنا فقد ارتميت في حضن أمي، وأنا أتخيل حالة الأطفال المشلولين خالد، ونجيب، وعبدالصمد، وهدى الذين طالما لاعبتهم أثناء زيارتي للملجأ في صحبة أبي.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، ودون تعليق على الأحداث التي عرفتها أسرة كل واحد منهم.. تنقلوا بأبصارهم بين الأنقاض التي تغطي وسط الساحة، وأمام البيوت. ولما سمعوا صوت محرك سيارة تفرقوا، وقد شملهم هلع شديد.. جروا دقائق بعدها علا صوت إدريس مضطربا:

- لاداعي إلى الخوف فهي سيارة إسعاف وليست سيارة عسكرية.. أقبلا لاداعي إلى الخوف. عاد الطفلان وهما يقولان بصوت واحد: آه! لقد نسينا أن الحرب قد توقفت حسب ما قالوا يوم أمس!..

جلسا جوار إدريس، وقد بدأت سرائرهم تنشرح.. حرك صالح يديه في نشاط، وضرب إدريس على أحد أكياس الرمل بجمع يده فضحك أيوب ملء شدقيه، وماعتم أن قال: "أتذكرون ذلك المساء الجميل الذي قضيناه في اللعب؟!

التفت إدريس نحو أيوب، وقرفص صالح وهو يقول:

- أتقصد المساء الذي سبق اندلاع الحرب؟

- نعم. نعم أذكره جيدا لقد لعبنا كثيرا حتى ابتلت أجسادنا عرقا.

ضحك إدريس، وقفز صالح إلى الأرض قائلا:

- مارأيكم إذن في أن نلعب مالعبناه في ذلك اليوم الجميل.

صاح أيوب: لِمَ لاياصالح. وحينما استوى أيوب وصالح قائمين تساءل إدريس بصوت هادئ:

- ولكن ذكراني باسم اللعبة التي كنا نلعب.

ابتسم أيوب وهو يقول: اسمها.. اسمها.. اسمها..

كرر الكلمة مرات متتابعة، ليأخذها صالح من بين شفتيه، ويكررها بدوره أكثر من خمس مرات قبل أن يضع يده على جبينه، ويركز بصره في الأرض. ولما أوشك الصمت أن يلفهم، صاح إدريس بصوته الهادئ: دعونا الآن من اسمها، وذكراني بقوانينها.

- قوانينها.. قوانينها.. قوانينها..

كرر أيوب هذه الكلمة من جديد، وهو يتنقل بعينيه بين الخراب، وكأن شيئا ضاع منه وسط تلك الأنقاض. عاد ببصره.. أدام النظر في أكياس الرمل ليقول متحسراً: لست أدري، لقد نسيت حقا كل شيء عن تلك اللعبة الجميلة التي لعبنا قبل اندلاع الحرب.. فردّ عليه صالح مصدرا زفرة عميقة: وأنا بدوري لم أعد أذكر أي شيء عنها.

اقترب الأصدقاء الثلاثة من بعضهم بعضا.. تجهمت وجوههم، توقفت دوامة الحيوية التي دارت بهم قبل لحظات.. همهموا.. عبثوا بالرمل.. مسحوا أعينهم.. ضربوا على جباههم.. أطرقوا.. قام أحدهم.. جلس الآخر.. طافوا بأعينهم بين الأنقاض. ولما وقعت عينا أيوب على الشمس، وهي تحاول الظهور وسط السحابة السوداء التي تغطي المدينة صاح في غبطة: "إدريس!.. صالح! انظرا: الشمس، نعم الشمس.

قفز الطفلان، وبصوت عال صاحا: السحابة ستنقشع إذن.. الضوء سيعم المدينة.. رقصوا.. رددوا الأناشيد.. جلسوا مبتهجين.. ثبتوا أعينهم في أشعة الشمس المصارعة للسحابة الدكناء؛ وقد بدأت تفاصيل قوانين اللعبة الضائعة تتوارد عليهم الواحدة في إثر الأخرى.

قصيدة:

أنا المحساب

شعر: د. ربيع السعيد عبدالحليم

أنا المحساب أهداني ... أبٌ لبنينَ شُبَّانِ
أجادوا طول عامِهِمُو ... دروسًا ذَاتَ تبيان
فكافأهم وشجعهم ... على علمٍ وإحسان
وها هي ذي هَديتُهم ... فنونٌ لي بإتقاني
أنا لَهُمُو أنيسُهُمُو ... أسلّيهم بألواني
وألعابٍ وألغازٍ ... وتفكير بإمعان
ولوحاتٍ بألوانٍ ... فَمِن زَاهٍ ومِن قاني
وَتُخلَطُ خَلْطَ رَسَّامِ ... وتُمْزَجَ مَزْجَ فنانِ
يُلاعبني صغيرهُمُو ... يبرمجني بعِرفانِ
ويرفعني كبيرهُمُو ... لأعلى غُصنِ أفناني
فَيَا فَرَحي لِفَرْحَتِهم ... ويا زهوي بإخواني
ويا حِرصي لِنَفْعِهِمُو ... وقد سَعِدُوا بألحاني
مَعَارِفُ أُودِعَت عندي ... تُصاغُ لهم بحُسباني
فَتَشْحَذُ مِنْ قرائحهم ... ويُربي الفَهَم فَهْمَان
وتنسيقَ لألفاظ ... وإخراجِ لِعُنوانِ
وتصنيف لأعمال ... وَتَرتيب لديوان
وإحصاء لأرقام ... جداولَ ذات بُنيانِ
وآيُ الذِّكْرِ قد حُفِظَتْ ... بذاكرتي ووجداني
وتفسيرِ بمأثورِ ... وأسباب لِفُرقان
«جلالين» كنزُهُما ... وأُعطي كُل إنسان
ولي شغف بهَدْيِ نَبِـ ... ـيِ كلِ الإنس والجان
كنوزُ العلم قَدْ جُمِعَتْ ... وشرفني «صحيحان»
فيا بشراي إذ ظَفِروا ... بِعِلْمٍ لي وإيمانِ
وأدعو الله يحفظهم ... بِحِفْظٍ مِنْهُ يَرْعاني

الوقاية من الجريمة في الإسلام (٢)

د. تماضر حسون

لقد انطلق الإسلام من أن كل جريمة ممكنة الوقوع في المجتمع؛ لذلك ركز التشريع الإسلامي على ضرورة العمل لوقاية المجتمع من الجريمة؛ فعمل على أصعدة مختلفة وبمسارات واتجاهات متعددة للوقاية منها، ويمكننا أن نستعرض بعض الخطوط الكبرى للسياسة الوقائية التي اعتمدها.

المساواة بين الناس: من حقوق الإنسان الرئيسية التي قررها الإسلام: المساواة بين الناس في جميع مسارات الحياة؛ فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «الناس سواسية كأسنان المشط». ولا شك أن الإنسان الذي ينشأ في مجتمع وهو يشعر بالمساواة لا يعرف القهر أو الظلم الاجتماعي أو الضغوط النفسية العائدة إلى التفرقة العنصرية، أو التمايز الطبقي أو العرقي، فإنه يجد الإسلام قد أوصد أمامه الأبواب التي تؤدي إلى الجريمة والإنحراف.

الزكاة: كثير من الجرائم التي تُرتكب في العالم سببها العوز والفاقة، وكثير من البشر يتنافسون على جمع المال وتركيزه في أيديهم ليكون أداة للتسلط والقوة، ويسلكون من أجل جمعه طرقا غير إنسانية أخطرها استغلال الإنسان.

وقد نبه التشريع الإسلامي لذلك بفرض الزكاة، وهي حق مالي في أموال الأغنياء للفقراء والمحتاجين.

وللزكاة وظيفة اجتماعية مهمة؛ فهي من جهة تمنع تكديس المال في يد فئة معينة، وبمعنى آخر تمنع شدة التمايز الطبقي في المجتمع، ومن جهة أخرى تعالج مشكلة الفقر علاجًا حكيمًا؛ فتساعد المعوزين، وتفك أزماتهم المالية، وتفتح أمامهم مجالات للعمل، وتعمل على تقارب الطبقات الاجتماعية وتماسكها، وتبعد شبح الصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد. وبذلك تعمل على وقاية المجتمع من شبح الجريمة والانحرافات التي قد يسببها العوز المادي.

التربية: العديد من أشكال الانحراف التي نشاهدها في المجتمعات الإنسانية لاترجع إلى الأفراد بصفتهم أفرادًا، وإنما ترجع إلى طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، فالفرد ينتقل بوساطة التربية من المستوى العضوي المحض؛ أي البيولوجي إلى المستوى الاجتماعي، ويكتسب قيم الجماعة التي يعيش فيها ومثلها، إلى جانب ما يكتسبه من مهارات. وتؤدي التربية بذلك دورًا أساسيا ووظيفة مهمة في هذا الميدان إلى جانب كونها تمنح الفرد الحصانة والمناعة ضد تيارات الانحراف التي قد يتعرض لها الطفل والشاب.

فالتربية إذن، أداة فعالة في الوقاية من الجريمة، وتعتمد فعاليتها وتتوقف كفاءتها على مدى ملاءمتها للمجتمع، والمقصود بملاءمة التربية للمجتمع، هو قيام بنائها على أساس النظام القيمي، ومقابلتها لاحتياجات المجتمع واستجابتها لتطلعاته وأمله في العصر الذي يعيش فيه.

لقد احتلت التربية الشاملة للفرد مكانة أساسية في الدولة الإسلامية واعتبرت عاملا مهما في رفع المستوى الذهني والإدراكي للفرد، ولم تركز على أحد جوانب الإنسان؛ وإنما اهتمت بتربيته عقلاً وجسمًا وروحًا؛ لأن انتشار المعرفة لا يستطيع وحده أن يسعد الإنسان والمجتمع. لذا فقد أكد الإسلام على أهمية تربية الأطفال مادون الثانية عشرة ورعايتهم وتعليمهم بما يتناسب مع خصائصهم كي يؤمن لهم التوازن العاطفي والخلقي، وحض على إلزامية التعليم؛ فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، كما أتاح الفرص لمتابعة الدراسة والتعليم، ومنح المتعلمين مكانة عالية؛ فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١). لقد أكد الإسلام، أن زيادة نشر الوعي بين الأفراد من طريق التربية، يؤدي إلى وقاية الناشئة من الانحراف، ومن ثم وقاية المجتمع من الجريمة؛ فالتربية في الإسلام تبدأ بالفرد لتنتهي بالمجتمع الإنساني عامة، ومن خلال تركيزها على تربية الفرد ترمي لإيجاد المجتمع السليم المؤمن بالله وبأن عمل الخير هو سنة الحياة، فهي تعتبر أن السلامة وأمن المجتمع مرتبطان بصورة وثيقة بسلامة الفرد في تفكيره وعمله وسلوكه ومواقفه.

ومن المعروف، أن التربية الدينية توفر قاعدة صلبة تساعد كثيرًا في تطهير النفس وتوجيه الإنسان نحو القيم السامية: ومن ثم تشكل إطارًا وقائيًا مانعًا من الانحراف خاصة. يضاف إلى ذلك، أن التربية الدينية في المجتمع الإسلامي لاتقتصر على تنمية الإيمان والمعتقد؛ بل تمتد إلى تنظيم السلوك الاجتماعي من خلال المبادئ السلوكية التي تضمنها القرآن الكريم والسنة النبوية اللذان يشتملان على القواعد السلوكية كافة، بالإضافة إلى بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة.



التفاؤل في الحياة

د. محمد عبدالرحيم الزيني

في البداية علينا أن نوضح معنى التفاؤل؛ ونقصد به ضربًا من التفكير السويّ، والنظرة العقلية المتفحصة والمتعمقة إلى تقلبات الأيام، ومجريات الحياة، وحوادث الدهر، فتوجه سلوكنا لتقبل هذه الحياة بما فيها من آلام وحوادث، وشرور ومصائب بسعة أفق ورحابة صدر، وإيمان قلبي، ويقين عقلي بلا حدود.

وهذه النظرة تساعدنا على احتواء الفشل وتقبل الآلام، والمضي قدمًا في مواصلة رحلة الحياة، إيمانًا بأن الغد أفضل من اليوم، وأن ما خُبِّئ لنا في طيات المستقبل أجمل مما نعيشه الآن.

أما الحياة فقسمان؛ حياة على المستوى الخاص، أي مستوى الفرد، وهي الفترة الممنوحة له منذ الميلاد إلى الوفاة، ثم الحياة الآخرة.

وأخرى على المستوى العام، وهي الفترة الزمنية الممتدة من بدء الخلق الإلهي، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن المهم أن ندرك أهم سمات هذه الحياة حتى نستطيع أن نفهم موضوعنا وهو التفاؤل. وتتمثل هذه السمات في ازدواجية الحياة، أو جمعها بين المتناقضات؛ فهي تجمع على مستوى الحيوان: بين الإنسان المبدع والحيوان المقلد؛ بين الحمل الوديع والأسد المفترس؛ بين الحشرات النافعة والضارة، الشافية والقاتلة.

وتجمع على المستوى الإنساني؛ بين الطيب والخبيث، والخير والشر، والغني والفقير والنفس المطمئنة والأمارة بالسوء، وبين المؤمن والكافر.

وتجمع على المستوى الطبيعي؛ بين السهول والجبال، والأنهار والبحار، والزهرة اليانعة ونبات الصبَّار، والنسمة الرقيقة، والإعصار المدمِّر، والبُرعمة النديّة وهي تطل برأسها للوجود، والشوكة الجافة التي ملأت بعض جوانب الطريق.

وعلى المستوى الغيبي؛ جمعت بين بداية الحياة ونهايتها، والأرواح الطيبة والخبيثة، والملائكة والشياطين، وجمعت بين جبريل وإبليس.

إذا استطعنا أن ندرك هذه الازدواجية الكاملة في الحياة، وقرنها بين الأشياء وأضدادها نفذنا إلى أعماقها، وسبرنا غور أحداثها، وتفهمنا مشكلاتها، وأحطنا بمسراتها وأحزانها، فسوف نتقبل كل هذه الأضداد المجتمعة، وعلى جميع المستويات في مكان واحد، وزمان واحد، واستقبلنا الأيام ونحن باسمون، باسطون لها أذرعنا مهما تُسْقِنا من كأسها المر، أو تقسُ علينا، أو تخطفْ أحبابنا من بين أحضاننا، أو تسرق أعمارنا من حنايا أنفسنا وتأخذنا إلى الملكوت الأعلى. فما علينا إلا أن نردد مع كليم الله موسى عليه السلام: ﴿وعجلتُ إليك ربِّ لترضى﴾(طه:٨٤).

التشاؤم والرؤية الأحادية

وعكس التفاؤل وضده، التشاؤم، ويعد ضربًا من التفكير الشاذ غير السويّ، يعبر عن اهتزاز «جوانية» الإنسان، ويؤدي به إلى التمرد على أحداث الحياة، ومواجهة صروف الدهر بالعبوس، وتقطيب الجبين، والرفض.

ومن أهم عناصر التشاؤم: الاستسلام للأحزان، واليأس والقنوط من حركة الحياة، والنظر إلى الموضوع من زاوية واحدة، هي زاوية الحزن والهم والحصر والقلق، وانعكاس كل أحزان النفس البشرية على الموجودات بأسرها، وتلوينها باللون الأسود الداكن، ولعل آرثور شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠م) يمثل نزعة التشاؤم في الفلسفة الحديثة.

والتفاؤل دافع قوي للإنسان للمضي قدمًا للأمام، ناسيًا هزيمة الماضي ناظرًا إلى الانتصار في الحاضر والمستقبل، متسلحًا بالأماني الحلوة، والآمال الطموحة، والعزيمة القوية، والرجاء المستمر في قيوم السموات والأرض. ولقد صدق الشاعر إذ يقول:

مُنىً إن تكن حقًا تكن أحسن المنى
وإلاَّ فقد عشنا بها زمنًا رغْدًا

والتفاؤل طاقة كامنة داخل حنايا النفس البشرية تدفعها لاحتواء الفشل لتحقيق النجاح، وتجاوز الكبوة للقيام بالطفرة، ونسيان ألم اليوم استعدادًا لفرحة الغد، وتجرع منغصات الحياة وغصصها التي لا تنتهي انتظارًا لوعد الله للمؤمنين في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلّما رُزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبلُ وأُتوا به مُتشابها ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرةٌ وهمْ فيها خالدُون﴾(البقرة:٢٥).

أمل مستمر وصبر جميل

بعد هذا التحليل النظري، تعالوا معنا نبحث في القرآن الكريم عن قصة تعبر تعبيرًا حقيقيًا عن هذه الظاهرة النفسية العقلية، ونعني بها نزعة التفاؤل.

ولعل قصة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - مع أولاده، ومكرهم المستمر ومؤامراتهم المتكررة، تعبر فعلاً عن مدى التفاؤل الذي تسلح به حفيد أبي الأنبياء - عليه السلام -، غير ناسين التوفيق الإلهي لرسله وأنبيائه، أو الاصطفاء للكثير من عباده ولا سيما أبناء سيدنا إبراهيم: إسماعيل وإسحاق، عليهم السلام.

ومن يعايش قصة يعقوب ويتابعْ أحداثها، يرَ

كيف صمد في وجه المحنة، وواجه الأحداث بأمل مستمر، وصبر جميل، ورجاء في الله بلا حدود.

المؤامرة الأولى: عندما جاء أولاد يعقوب بقميص يوسف، وقد اصطبغ بالدم، دليلاً مؤكدًا على أكل الذئب لأخيهم. هنا نرى نظرة يعقوب التفاؤلية الإيمانية، لقد كَذَّبَ خبرهم هذا، واتهمهم بالزيف والتدليس، وبخبث النفس، واستشف مؤامرة الحسد، فقال لهم: ﴿بل سوَّلت لكُم أنفسُكُم أمرًا فصبرٌ جميلٌ واللهُ المُستعانُ على ماتصفُون﴾(يوسف:١٨).

المؤامرة الثانية: عندما قالوا لأبيهم: ﴿إنَّ ابنكَ سرقَ وماشهدْنا إلاَّ بما علمنْا﴾(يوسف:٨١).

لم يهلع نبي الله يعقوب لهذا الافتراء ضد ابنه الآخر؛ بل رفض منطقهم المزيف، وحجتهم الواهية، وتباكيهم المصطنع، فقال مرة ثانية: ﴿بل سوَّلت لكُم أنفُسُكُم أمْرًا فصبرٌ جميل﴾(يوسف:٨٣). ثم دفعه التفاؤل، أكثر من ذلك، من خلال هذا الرجاء القوي في الرحمة الإلهية، والعلم اللدني الذي تعلَّمه من علاَّم الغيوب، أقول دفعه ذلك، ليس إلى تبرئة ابنه المتهم بحادث السرقة فحسب؛ بل وإلى الأمل في عودة يوسف الذي طال غيابه سنوات وسنوات، لذا واصل كلامه قائلاً لهم: ﴿عسى اللهُ أن يأتيَني بهِم جميعًا إنَّه هُوَ العليمُ الحكيمُ﴾(يوسف:٨٣).

وعسى هنا تفيد الرجاء في انكشاف الغمة، وزوال الكربة، وانفراج الأزمة، وتفيد الأمل والترقب وانتظار سماع الخبر السعيد ووقوع المعجزة، وهي عودة الأحبة جميعًا، وكلها عناصر للتفاؤل.

المؤامرة الثالثة: الحرب النفسية التي شنُّوها على أبيهم بقسوة وبلا هوادة، فكلما ذكر يوسف اتهموه بالتخريف، والجري وراء السراب، وأنذروه بالهلاك. إلا أن هذه المؤمرات لم تفتَّ في عضد نبي الله، ولم توهن من عزيمته، ولم تسقط الأمل من حياته؛ بل كان دائمًا قويَّ الرجاء، صامدًا أمام المحنة، مستقبلاً بعقله وقلبه الفيض الرحماني من بديع السموات والأرض متوجهًا بكليته إليه، ضارعًا له، مبتهلاً أن يعيد ابنيه الغائبين العزيزين.

ومن ثم حثَّ أبناءه أن يتفرقوا في البلاد للبحث عن يوسف وأخيه ولا ييأسوا من رحمة الله، لأن اليأس سمة من سمات الكفر والجحود والضلال، واليأس أيضًا من سمات الذين يقطعون أواصر المحبة بينهم وبين الله، ويتجاهلون التوفيق الإلهي الذي يخص به الله من يشاء من عباده الأطهار.

وهاك هو النص القرآني: ﴿يابنيَّ اذهبُوا فتحسَّسُوا من يُوسُفَ وأخيه ولا تيأسُوا من رَّوح اللَّه إنَّهُ لا ييأسُ من رَّوحِ اللَّه إلاَّ القَومُ الكافِرُون﴾(يوسف:٨٧).

ثم تنتهي أحداث القصة، عندما تغادر القافلة مصر عائدة إلى فلسطين، هنا يستشف يعقوب (عليه السلام) بقلبه الأبوي، وضميره النقي، وعلمه اللدني، أن الفرج بات قريبًا، وأن العناية الإلهية تحوطه برعايتها، والرحمة الإلهية قد شملته بألطافها. وهكذا باح بأشواق قلبه ورؤاه الصادقة، ومايضطرب في أعماق ضميره، وبهذا الفيض الإلهي الذي غمره، وبهذه الروح المطمئنة التي تسري في كيانه، كأنه ينظر إلى يوسف وأخيه، وهما ماثلان أمامه فقال لمن حوله حذرًا: ﴿إني لأجدُ ريحَ يُوسُفَ لولا أن تُفَنِّدُون﴾(يوسف:٩٤).

ولم تتأخر البشارة كثيرًا؛ فقد جاء البشير يعلن أن يوسف مازال حيًا يرزق، بعد أن مكَّن الله له في الأرض، فأصبح وزيرًا للخزانة المصرية.

وهكذا انتصرت روح التفاؤل عند يعقوب، بعد أن صمد سنوات عصيبة في وجه المحنة، ولم يستسلم أو ييأس، حتى جاء نصر الله: ﴿ألا إنَّ نصر اللَّه قريب﴾(البقرة:٢١٤)(١).

الإنسان: خيرٌ أم شرٌ؟

بعد أن استعرضنا نموذجًا للتفاؤل من آيات القرآن الكريم، سوف نصحب أبرز المفكرين والعلماء والفلاسفة الذين كانت حياتهم تجسيدًا عمليًا للتفكير التفاؤلي، وتركوا لنا تراثًا ممتازًا، نستطيع أن نستفيد منه طاقة كبيرة تساعدنا على مواجهة مصاعب الأيام، وشدائد الليالي، وصروف الحياة المتنوعة.

وإذا تناولنا التراث اليوناني، اعتمادًا على التسلسل الزمني، فلا أحد يستطيع أن يتجاهل سقراط الفيلسوف اليوناني المتوفى عام ٣٩٩ق.م.

ويكفينا من حياته هذان الموقفان:

رأيه في الإرادة الخيِّرة عند الإنسان، وأنه - أي الإنسان - خيِّر بطبيعته، يفعل الخير ويصبو إليه وإذا فعل الشر فهو يفعله عن جهل، أي إن الفطرة الإنسانية جبلت على الخير، متوجهة دائمًا بنوازعها إلى تحقيق المحبة والسعادة والسلام لنفسها وللآخرين. لذلك قال سقراط مقولته الشهيرة: «إن الفضيلة هي العلم والرّذيلة هي الجهل»(٢).

تقبله لقرار محكمة أثينا بإعدامه بوساطة شرب السم. وفي يوم الإعدام، التف حوله تلاميذه، لكنه وبَّخهم لحزنهم، وأخبرهم أنه يمضي إلى عالم آخر أكثر إشراقًا، وروحانية وأفضل من هذا العالم، وأن روحه خالدة لا تفنى، إذ إن الجسد فقط هو الذي يتحلل ويفنى أما الروح فتصعد إلى عالم النور والملائكة. لذلك تناول كأس السم راضيًا، وبشجاعة يحسد عليها شيخ كبير قائلاً قولته المشهورة: لتكن مشيئتك ياإلهي(٣).

ونستطيع أن نسلك أفلاطون (ت٣٤٨ق.م) تلميذ سقراط في هذا المجال؛ إذ يتميز بخيال واسع وسمو روحي ونظرة متعالية على ماديات الحياة ولذاتها، فقد كانت قبلته دائمًا هي الخير الأقصى وكيف نحققه في هذه الحياة؛ لذلك رسم أفلاطون في أهم كتبه - محاورات الجمهورية - الخطوط العريضة للمدينة الفاضلة التي ينتفي فيها الشر، وتسودها روح المحبة، والعدالة، ووضع كل إنسان في المكان الذي يناسب ملكاته وقدراته ويحكمها ثلة من صفوة العقول الناضجة، أي الفلاسفة؛ فيعمها الخير وترفرف عليها روح الأمان. وقد بذل ماله وجهده وعمره وفلسفته في إقناع أي حاكم من حكام عصره، لتحقيق حلمه في جمهورية مثالية.(٤)، ولكن أنى له ذلك؟ وهذه الازدواجية البشرية - التي فطرت على الجمع بين الخير والشر - ماثلة أمام الجميع، فضلاً عن هذه الازدواجية المرئية في عناصر الطبيعة.

ثم ننتقل إلى مثال آخر من الأمثلة، التي تصور لنا أنصار النظرة التفاؤلية، وهنا يطالعنا أصحاب الفلسفة الرواقية(٥). والرواقيون سَمَوْا على الطبيعة البشرية بكل متناقضاتها، وكانت أبرز سمات مذهبهم الدعوة إلى الأخوة العالمية، أو المواطن العالمي، الذي يعيش فوق الكرة الأرضية، وتظلله سماء واحدة. فالناس جميعًا، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وعقائدهم، ومذاهبهم، هم إخوة والأرض كلها وطنهم.

أما السمة الأخرى، فهي إيمانهم العميق بالقوانين السارية في الكون، أو بالعناية الإلهية، فهم يرون أن النظرة المتأنية إلى الكون، تعطيك إحساسًا بأن كل شيء في الوجود له وظيفة معينة ومهمة عليه أن يؤديها، وأن الأشياء مجتمعة ومنفردة، تؤدي غاية وحكمة عليا، وشعورًا عميقًا بوجود قوة خفية تعتني بالموجودات وتهتم بها(٦).

ليس في الإمكان أبدع مما كان

ونلقي نظرة على الفلسفة الحديثة، ونختار أبرز شخصية ممثلة لهذا العصر، ونعني به الفيلسوف



الألماني، جوتفريد فيلهلم ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦م)، إذ اشتهر بنزعته التفاؤلية، والدعوة إلى الأمل وإنكار اليأس، ومحاربة التشاؤم. ونظراته التفاؤلية تتجلى في رؤيته لهذا العالم، فهو يعتقد أن هذا العالم الذي نعيش فيه يتكون من ذرات روحية بسيطة مستقلة بعضها من بعض، وليس لها نوافذ تطل منها على العالم الخارجي، ومع هذا فهي متداخلة متماسكة متصلة أشد مايكون الاتصال، وهي موجودة بإرادة الله الذي أوجدها من العدم، كما يستحيل أن يجري عليها العدم إلا بإرادته، وكل مانراه في هذا العالم من الخلق والإبداع، والجمال والروعة، والنظام والتناسق، يرجع إلى العناية الإلهية، فهي التي نسقته ونظمته وسيرته بوساطة القوانين السارية داخله، وكل الأحداث التي تقع داخله هي نتيجة لهذا الاتساق المقدر أو التناسق الأزلي على حد تعبيره. وقد اشتهر عنه قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان. ويعني أن هذا الخلق الإلهي كامل كمالاً مطلقًا، ولا يوجد فيه نقص ولا فطور.

الشدائد بتراء لا دوام لها

ننتقل إلى الفكر الإسلامي، لنبحث في تراث مفكريه عن نور الأمل، والدعوة إلى التجمل بالصبر، والتفاؤل بالمستقبل، والتعالي على آلام الحياة، والتسلح بسعة الأفق، ورحابة الصدر، في مواجهة مايأتي به كر الغداة ومر العشي.

وتعد شخصية العلاّمة ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١) من أبرز الشخصيات التي وهبت حياتها وفكرها للدفاع عن الإسلام، ضد أعدائه في الداخل والخارج(٧).

وتجلت نظرات التفاؤل عند هذا الشيخ الجليل في كثير من آرائه، فتعالوا بنا نطف في حديقة فكره الغناء، نتملى زهور الأمل، لكي تعيش في النفس المتعطشة إلى أريج الظفر بما هو أحسن وأفضل.

يرسم ابن القيم لوحة رائعة للحياة التي نعيشها، بأسلوبه الرقيق، وكلماته الموحية، فيقول: «إن الله سبحانه وتعالى جعل الشدائد والآلام والشرور في هذه الدار بتراء لا دوام لها، وجعل الشدة بين فرجين: فرج قبلها، وفرج بعدها، والعسر بين يُسْرَيْن، والبلاء بين عافيتين، فليس عنده شدة دائمة ولا بلاء دائم، ولا كرب دائم في هذه الدار التي هي دار بلاء وفتنة وتظالم.

ثم يفلسف لنا بأسلوبه العذب «حكمة الشرّ في الوجود»، فيقول: الشر الخالص لا يوجد في الكون، والشر الموجود شر نسبي، فهو من جانب شر، ومن جانب آخر خير، فوجود الشر إذن بمقتضى الحكمة الإلهية لا بد أن يكون لمصلحة، ترجح جانب وجوده على جانب عدمه، فليس في الحكمة الإلهية تعطيل الخير الكثير لأجل الشر اليسير، لأن هذا التعطيل نفسه شر كثير. فالخير العميم الحاصل من سقوط المطر مثلاً أكثر من أضراره الخاصة، والشمس سخرها الله لعباده، لما فيها من المنافع الكثيرة، مع أن فيها من المفاسد ما لا يخفى، ولا يقول عاقل: إن مفاسدها أكثر من نفعها»(٨). وقس على ذلك، باقي المخلوقات التي أوجدها الله على ظهر هذه الأرض أو في باطنها مثل النار والرياح والحيوانات المؤذية والحشرات السامة.

كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

وفي النهاية نترك الفلسفة بجفاف ألفاظها، وصورها المجردة، وآرائها المتطرفة، لنقترب من حديقة الشعر، ونُحلّق مع خيال الشعراء في دنيا جديدة، مع الألفاظ الجميلة الرقراقة والصور الحية الوردية، والآراء الداعية إلى الحب والأمل والسعادة.

وسوف نصحب أحد شعراء المهجر الكبار، ونعني به إيليا أبا ماضي (ت:١٩٥٦م) لكي نسمع صيحته المدوية في ضمير الإنسان، وهو يسأله لماذا أصبحت الشكوى سمة من سمات حياتك اليومية، وأنت ليس بك علة أو مرض؟

لماذا هذا التبرم والضيق بالحياة التي جاءت لك هبة من الله، دون خطر مرئي، يلوح في الأفق أو سبب مفهوم؟

انظروا للحياة بهذا المنظار الواقعي، ولا تسقط أعينكم على الشوك قبل أن تلمس أناملكم نعومة الورد، وتشم أنوفكم أريجه الفواح، وتمتلئ صدوركم بشذاه المنعش، وتسعد عيونكم بألوانه الزاهية.

كم في الحياة من أشياء جميلة، تخطئها العين، وتغلق نفسها حتى لا ترى إلا الظلام؟ أيها الإنسان افتح عينيك وقلبك وعقلك، وكن جميلاً، فسوف ينعكس إليك الجمال بالمقدار نفسه.

يقول أبو ماضي:

أيُهذا الشاكي ومابك داء
كيف تغدو إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفسٌ
تتوقَّى قبل الرحيل الرَّحيلا
وترى الشَّوْكَ في الورود وتعمى
أن ترى فوقها الندى إكليلا
أيهذا الشاكي ومابك داء
كُن جَميلاً ترى الوُجُودَ جميلا

هذه هي الحياة بكل خصائصها التي عرضناها، وليس من حق أحد أن يتساءل لماذا خلقها الله على هذا النحو الذي يجمع بين الأضداد؟

علينا فقط أن نعيش هذه الحياة، نستغل قدراتنا في إبداعها، وإمكاناتنا في تطويرها، ومواهبنا في ازدهارها، وكل ما منحته لنا الإرادة الالهية في تقدم عالمنا ورخائه، وسعادة البشرية جمعاء.

علينا أن نتكيف مع هذه الحياة، ونؤدى دورنا؛ نعمل، وننتج، ونبنى ونستعمر هذه الأرض الطيبة.

نستعيد ماضينا المشرق ثم نستكمل بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية وتشييده بالحب والأمل والتعاون، بالبسمة والعمل والجهد والطموح، بالروح الوثابة، والعزيمة الفتية، والإرادة الصلبة. على كل منا أن يقف وقفة صدق وشجاعة مع نفسه وضميره، ويُجري حواراً مع ذاته بصوت مرتفع، ويسألها: لماذا نخاف من البلاء قبل وقوعه؟ لماذا نخاف من الفقر ونحن أغنياء؟ ونخاف من المرض ونحن أصحاء؟ ونخاف من الفشل ونحن ناجحون؟ ونخاف من السفح ونحن في القمة؟ ونخاف من الظلام ونحن في النور؟ وتخاف من الموت ونحن أحياء؟

هذه دعوة للتفاؤل والأمل، للعيش في جوانب الحياة كما هي، كما خلقها الله لنا؛ نعاني ونقاسي ونتألم، ونكابد، ولكن لا نيأس، ولا يفارق الأمل حياتنا، ونؤمن إيمانًا أكيدًا لا يتزعزع أن اليوم أفضل من الأمس، وأن الغد أفضل من اليوم وأن رحمة الله واسعة، وخيره العميم يصيب به من يشاء من عباده. وشعارنا دائمًا: لا تيأس فالشمس تحت الغيم.

المراجع:

١- ابن كثير: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار: قصص الأنبياء، سيد قطب: في ظلال القرآن، تفسير سورة يوسف.

٢- د. أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان ص١٥٦، ط النهضة العربية، القاهرة.

٣- برتراند راسل: الفلسفة الغربية ص١٤٨، أميرة مطر: المصدر السابق ص١٣٧، نجيب بلدي: مراحل الفكر الأخلاقي ص٢٧،ط دار المعارف بمصر.

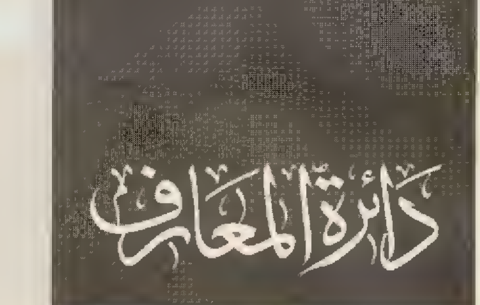
٤- راسل: المصدر السابق ص١٧٤، أميرة مطر: المصدر السابق ص٤١٥.

٥- د. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ط القاهرة، ويعد هذا الكتاب من أدق ماكتب عن الرواقية في الفكر العربي، وأكثر إحاطة بهذه الفلسفة.

٦- أميرة مطر: المصدر السابق ص٤٠٦-٤٠٩، راسل: الفلسفة الغربية ص٣٨٠.

٧- راجع عن حياة ابن القيم ومؤلفاته وآرائه: كتاب د.محمد الزيني: ابن القيم وآراؤه الكلامية ط دار القطب، الجزائر.

٨- ابن القيم: طريق الهجرتين ص١٠٤، محمد الزيني: المصدر السابق، ص٢١٤.



أدباء مسلمون من آسيا الوسطى والبلقان

إعداد:
محمد سيد بركة



(أ)

إبراهيم، عبد الرشيد

أديب تتاري ورحّالة من كبار الدعاة إلى الإسلام في القرن الماضي. نذر حياته وعلمه لخدمة قضايا التضامن الإسلامي، والتي سميت في عهده باسم الجامعة الإسلامية.

علّم الناس في سيبيريا ـ بلاده ـ الإسلام. وفي سيبيريا وفي كل تتارستان كتب المقالات في الصحف والمجلات، وفتح المدارس لتعليم الإسلام.

رحل إلى اليابان واستقر فيها، ودعا إلى الإسلام هناك، وكان له جهاده في افتتاح جامع طوكيو عام ١٩٣٧م (١٣٥٦هـ)، وبلغت جهوده حدا جعلت الحكومة اليابانية تعترف بالإسلام رسميا في عام ١٩٣٩م.

ولد عبد الرشيد إبراهيم عام ١٨٥٧م في (طارا)، ولها اسم آخر هو (أومسك) إقليم في سيبيريا مشهور، ويقع في بلاد تتارستان.

تلقى تعليمه الإسلامي في بلاده، ثم اتجه إلى صحارى قيرغيزستان ليدعو هناك إلى الإسلام. ثم سافر إلى الحجاز لتلقي العلم، وقضى ثماني سنوات في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وبلغت مكانة هذا الأديب الداعية أن إذاعات اليابان أذاعت خبر وفاته عام ١٩٤٤م في كل محطاتها.

من مؤلفاته بالتركية: العالم الإسلامي وانتشار الدعوة الإسلامية في اليابان، المرأة، سيرتي الذاتية، محاكمة الضمير ميزان الإنصاف، كوكب الزهرة، آسيا في خطر (ترجمه من اليابانية إلى التركية).

ايتماتوف، جنكيز

ولد عام ١٩٢٨م في قيرغيزيا في قرية شيكير بوادي تالاس. توجه للدراسة ـ في البداية ـ في مدرسة تربية الدواجن، ومن بعد في معهد اقتصاد زراعي، وعمل حتى عام ١٩٥٦م اختصاصيًا بتربية الدواجن. لكن الأدب ظل يلح عليه فمارس العمل الصحفي أيضا، وكذلك الترجمة.

اجتهد حتى وجد مكانه في عالم الأدب السوفيتي؛ فكتب روايته «جميلة» التي حاز بها على جائزة لينين عام ١٩٦٣م، وهي السبب في شهرته العالمية بعد ترجمتها إلى اللغات الأوربية والشرقية. ومن أعماله: أيها الجواد كول صاري، يمتد اليوم فيصبح قرنا، المعلم الأول، شجيرتي في منديل أحمر.



(ب)

بيتيتشي، الحافظ إسلام

ولد هذا الشاعر سنة ١٩١٠م في قرية تابعة لمنطقة لايوشا حيث أنهى تعليمه الابتدائي، ثم تابع دراسته في مدينة جاكوفا حيث درس اللغة العربية والقرآن وتخرج بلقب حافظ، وهو لقب يعطى للذين يتعلمون القرآن ويحفظونه غيبا. وخلال دراسته في المدرسة حيث كان يدرس فيها الأدب العربي، نمت موهبته الشعرية، إلا أنه توفي في فجر شبابه في سن الرابعة والعشرين في شمال يوغوسلافيا السابقة خلال تأديته للخدمة العسكرية سنة ١٩٣٤م.



(ت)

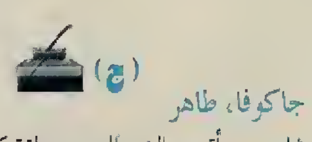
تشامي، محمد

ولد سنة ١٧٨٤م في مدينة كونيسبول في أقصى الجنوب الألباني، حيث أنهى دراسته في إحدى المدارس المحلية؛ وقد تكفله عمه فيما بعد وأرسله لمتابعة دراسته في القاهرة حيث دخل الأزهر، وبقي في القاهرة إحدى عشرة سنة. وعاد بعد تخرجه في الأزهر إلى مدينة كونيسبول حيث أصبح شيخا، وبقي على هذه الحالة حتى وفاته سنة ١٨٤٤م.

كان الشاعر محمد تشامي غزير الإنتاج، ويتوزع نتاجه الشعري على ثلاثة محاور رئيسة

هي: الترجمات الشعرية، القصائد الشعرية، القصص الشعرية.

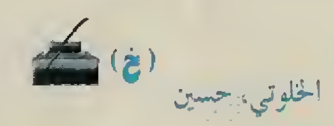
ومن قصصه الشعرية: «أروى»، وهي تتألف من ثمانمئة وستة وخمسين بيتًا، وتعد أول عمل قصصي في الأدب الألباني؛ بل إن بعض الباحثين يعدها أول قصة في الأدب الألباني الحديث بشكل عام.



جاكوفا، طاهر

شاعر من أقصى الشمال من منطقة كوسوفا، برز في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان يتمتع بثقافة عربية إسلامية واسعة.

تابع دراسته في استنبول ثم عاد إلى مدينة جاكوفا حيث أصبح مدرسا معروفا في المدرسة العليا في هذه المدينة. ومن مؤلفاته: «وهبية»، وقد طبع هذا الكتاب في استنبول لأول مرة سنة ١٨٣٥م، وربما لهذا يتمتع الكتاب بأهمية كبيرة، لأنه أول كتاب يطبع في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية. وهذا الكتاب يجمع بين الشعر والنثر ويحتوي من الشعر على عدة مئات من الأبيات، وفي النثر نجد موضوعات متنوعة تعبر عن آراء الشاعر في الحياة والمعاملة والمعرفة.



اخلوتي، حسين

من أبرز الشعراء الألبان الذين استمروا في الكتابة بالأبجدية العربية في العهد اليوغوسلافي. ولد في مدينة بريزرن التي كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في جنوب يوغوسلافيا السابقة.

وقد ولد الشيخ حسين في هذه المدينة سنة ١٨٧٣م وتخرج في إحدى مدارسها العليا، ثم أصبح إمامًا لأحد الجوامع حتى بداية القرن العشرين وتوفي سنة ١٩٢٦م.



درويش باشا

هو درويش باشا بن يزيد أغا الموستاري، ولد في بلدة موستار، وذهب في صغره إلى استنبول، وتعلم هناك، واتصل بالكبار حتى بالملوك. وكان بعد ذلك مصاحبا خاصا للسلطان مراد الثالث حتى إنه لقب بالمصاحب. وكان السلطان يحبه ويستشيره في أمور كثيرة. يقول عنه الشيخ فوزي الموستاري في كتابه «بلبستان»: كان من خيار الحكماء والشجعان العظماء، وكل أشعاره مملوءة بالنكت والتوريات. له ديوانان: أحدهما فارسي، والآخر تركي، وكلاهما لطيفان ظريفان. وكان والي بلاد البوسنة مرتين، وكان محافظًا ببلدة (أكره) عدة سنوات.

وقال عنه المؤرخ إبراهيم البجوي: كان شاعراً متينًا، وفي الفضيلة والمعرفة لكبار العلماء قرينا. توفي سنة ١٠١٢هـ، ومن مؤلفاته: «الديوانين»، و«تنظير المثنوي»، ومنظومة سماها مراد نامة ترجم فيها كتابا منظوما فارسيا يسمى «سخامانه فارسي منظوم» لبنائي الشاعر وترجمه للسلطان مراد خان.



ذورانجي، شعيب

ولد هذا الشاعر سنة ١٨٨٤م في قرية بالقرب من مدينة راهوفيتس. تابع دراسته في إحدى المدارس الدينية في مدارس بريزرن، ثم عاد إلى مدينة راهوفيتس؛ حيث عين إماما لأحد الجوامع بالإضافة إلى عمله في التعليم في المدرسة الدينية المحلية. اشتهر الشاعر شعيب بإنتاجه الشعري الغزير في ثلاث لغات: الألبانية، والتركية، والسلافية المحلية.

وما يثير الانتباه هنا أن الشاعر شعيب كان يكتب الشعر في كل هذه اللغات بالأبجدية العربية، في الوقت الذي كانت فيه الأبجدية العربية قد انتهت في تركيا إلى أن توفي سنة ١٩٥١م.

ومع أن المصادر تشير إلى وفرة ما كتبه هذا الشاعر إلا أن معظم نتاجه الشعري لم يصل إلينا؛ لأنه ضاع أثناء هجرة عائلته إلى تركيا في الخمسينيات في إطار الهجرة الكبرى التي حدثت في ذلك الوقت.

(ز)

زكيتش، جميلة خانم

أول شاعرة يوغسلافية مسلمة في العصر الحديث، ولدت عام ١٩٢٠م، ونشرت أول قصيدة لها سنة ١٩٣٦م بعنوان «أنا مسلمة صغيرة، بإسلامي أفتخر». وفي عام ١٩٣٧م نشرت جميلة خانم بعض قصائدها في المجلة الإسلامية «الأزهار الجديدة» وانصب تركيزها في قصائدها على الموضوعات الاجتماعية ودور المرأة المسلمة، وصورت فيها الفرحة الغامرة التي تغمر بيوت المسلمين أيام عيدي الفطر والأضحى.

ونشر لها الشاعر المسيحي (تين أويويتش) الذي كان يجل الإسلام ورسوله الكريم في شعره، والذي كان معجبا برصانة شعرها، وقوة ملكتها الشعرية في جرائد مدينة زغرب.

ألقي القبض عليها وزُجَّ بها في غياهب السجن وذاقت على أيدي الشيوعيين صنوف العذاب والاضطهاد.

ولاندري هل مازالت شاعرتنا على قيد الحياة أم انتقلت إلى جوار ربها لتنعم في ظل الله برحمته التي طالما افتقدتها في إخوانها بني الإنسان؟.

وقد نشرت مجلة الفيصل مقالا عنها في العدد ١٨٤ (شوال ١٤١٢هـ).



سليموفيتش، محمد

ولد في مدينة طولاز من بلاد البوسنة في ٢٦ نيسان/ أبريل ١٩١٠م، في أسرة ثرية ثراء واضحا. درس دراسته الابتدائية والإعدادية في طولاز، وأنهى دراسته الجامعية في كلية الآداب بجامعة بلغراد. ثم اشترك في حرب التحرير الشعبية اليوغسلافية، وكانت السنوات الأربع التي قضاها في هذه الحرب بمثابة إعداد أدبي مكثف لنشاطه الأدبي بعد الاستقلال. ومنذ عام ١٩٤٦م ظل يعيش ويعمل في سرايفو مدرسا بالمدرسة العليا للتربية، ثم مدرسا بكلية الفلسفة؛ حيث دَرَّسَ مذهب الواقعية في الأدب

اليوغسلافي، ثم مديرا للدراما في المسرح الشعبي بعد ذلك إلى أن توفي سنة ١٩٨٢م.

من مؤلفاته: «أول اتحاد» مجموعة قصصية ١٩٥١م، «الصامتون» رواية ١٩٦١م، «البلد الأجنبي» مجموعة قصصية ١٩٦٥م، «دراسات ومحاولات» دراسة ١٩٦٦م، «السحاب وهالة القمر» مجموعة قصصية ١٩٦٦م، «الدرويش والموت» رواية تم ترجمتها إلى العربية ونشرت في القاهرة عام ١٩٧١م، ونشرت مجلة الفيصل دراسة عنها في العدد ٨١، ربيع الأول ١٤٠٤هـ.

حازت مجموعته القصصية «السحاب وهالة القمر» على جائزة الأدب في جمهورية البوسنة، كما فازت روايته «الصامتون» بجائزة أدب مدينة سراي بوسنة.



(ش)

شمسي، الحافظ عمر

ولد هذا الشاعر في مدينة بريشتينا الألبانية؛ حيث تعلم مبادئ العربية، وحفظ القرآن إلى أن نال لقب الحافظ، وفيما بعد عين إماما لأحد الجوامع. وفي سنة ١٩٣٤م افتتح كُتَّابا لتعليم اللغة العربية والقرآن للأطفال في قرية سازلي. وقد استمر الحافظ في نشاطه واهتمامه بالتعليم إلى وفاته سنة ١٩٤٥م.

اشتهر الحافظ عمر بأشعاره الدينية والشعبية. وكتب أشعاره الدينية الألبانية بالأبجدية العربية، وهي تعبر عن الوعي السائد في ذلك الوقت. وفي أشعاره يحض الناس على حسن المعاملة والتزام الدين، ويعتمد في هذا على تصوير لحظات ما بعد الموت للتأثير في نفوس السامعين بهذه الأشعار.



(ض)

ضاعجي، جنكيز

ولد عام ١٩٢٠م في قيزيل طاش إحدى قرى بالطافي القرم، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره شاهد احتلال الروس لأرض أبيه، وتحويل أصحاب الأراضي الكبيرة إلى عبيد في المزارع التعاونية، وأثر ذلك في نفسه تأثيرا سيئا، انعكس بعد ذلك في أدبه، وألقي القبض عليه ونفي مع عدد كبير من أهل قريته وكان بينهم أعمامه.

تلقى تعليمه الابتدائي في قريته، ثم الإعدادي في مدينة (آق مسجد) عام ١٩٣٨م، والتحق بمعهد التربية في (آق مسجد) لكنه لم يكمل دراسته لتجنيده في الجيش الروسي عند قيام الحرب العالمية الثانية.

حارب ضاعجي في جبهة أوكرانيا ضد الألمان، الذين وقع في أسرهم، وفي السنوات الأخيرة من الحرب بعد هزيمة الألمان تخلص من الأسر ولجأ إلى الحلفاء، وفي عام ١٩٤٦م استقر في انجلترا ومازال يعيش هناك. يقول عن حياته: الحمد لله على إسلامي، أنا التركي القرمي، جنكيز ضاعجي.

ومن أعماله: «السنوات الرهيبة» رواية، ترجمها إلى العربية د. محمد حرب ونشرها عام ١٩٨٨م.



(ع)

عثمان ـ عزيز

ثنائي أدبي من مدينة موستار، واسمهما الحقيقي عثمان نوري هاجيتش (١٨٦٩-١٩٣٧م) وإيفان عزيز ميليتشفيتش (١٨٦٨-١٩٥٠م) ويمثل تعاونهما في الإبداع الأدبي واتفاقهما الفكري ورابطة القلم بينهما نموذجًا فريدا في الأدب اليوغوسلافي، وربما في الأدب الأوربي كذلك.

أصدرا أول رواية في البوسنة والهرسك عام ١٨٩٥م. وعثمان نوري يجيد اللغة العربية، وله الكثير من الترجمات العربية، ومن أهمها: ترجمته لكتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، صدر في سرايفو عام ١٩٠٣م. ومن أهم كتبه الدينية: «الإسلام والثقافة» نشر في زغرب ١٨٩٤م، و«محمد والقرآن» طبع طبعتين ١٩٣١، ١٩٦٨م.

أما إيفان عزيز فقد درس الحقوق في جامعة فيينا وكان محرراً ومؤسسا لبعض المجلات القانونية في زغرب.

وقد اشترك مع عثمان في إصدار روايتي «بلا أمل» ١٨٩٥م. و«بلا هدف» ١٨٩٧م، ومجموعة قصصية عن الحياة في البوسنة والهرسك ١٨٩٨م.

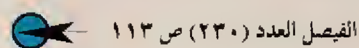
عبديتش، أدهم مولى

ولد في بلدة ماجلاي بمنطقة البوسنة عام ١٨٦٤م، وهو من عائلة معروفة، والتحق في مسقط رأسه بالكُتَّاب ثم بالمدرسة الرشيدية، وبعد ذلك أنهى دراسته بمدرسة المعلمين. واجتهد في تعلُّم اللغتين التركية والعربية. وفي سرايفو مارس مختلف الأعمال في مجال التدريس والتفتيش. وفي عام ١٨٩١م بدأ يشترك في تحرير صحيفة (البوسنوي) وهي الصحيفة السياسية للمسلمين التي أسسها الأديب محمد بك قبطانوفيتش لوباشاك. وإلى جانب ذلك كان يحرر ويشترك في العديد من الصحف والمجلات. ثم تعاون مع زملائه من أدباء المسلمين في البوسنة والهرسك في إصدار مجلة (الكأس) وهي أول مجلة أدبية للمسلمين، وترأس تحريرها لمدة ست سنوات.

وفي عام ١٩٠٣م اشترك في إنشاء جمعية (الغيرة) وهي أول جمعية ثقافية إسلامية، ثم ترأس تحرير صحيفة بنفس الاسم. ومنذ عام ١٩٢٣م وحتى عام ١٩٢٨م عمل نائبا عن الشعب، واستمر في الاشتراك في إصدار وتحرير الصحف التي تسعى إلى تنوير المسلمين وتثقيفهم.

كتب أدهم الرواية والقصة وبعض النصوص المسرحية المتوسطة. كما كتب العديد من المقالات التربوية والدراسات. وكان أول كاتب من المسلمين يكتب أدب رحلات في صحيفة البوسنوي عام ١٨٩٣م.

ومن أشهر مؤلفاته: «قصص فكاهية»





١٨٩٣م، رواية «الدغل الأخضر» ١٨٩٨م، ومجموعة قصصية بعنوان «على شاطئ البوسنة» ١٩٠٠م، ورواية «الأزمنة الجديدة» ١٩١٤م.



(غ)

غوتا، فيصل جلال الدين

ولد هذا الشاعر سنة ١٩٠٥م في قرية بالقرب من مدينة فريزاي؛ حيث درس مبادئ اللغة العربية والقرآن في أحد الكتاتيب، ثم تابع دراسته في مدرسة محمد باشا المعروفة في مدينة بريزرن. وبعد تخرجه سنة ١٩٣٨م عاد إلى منطقته، حيث عين إماما لأحد الجوامع، إلا أنه وجه كل طاقته للتعليم، فكان يعلم الأطفال والناشئين اللغة العربية والقرآن والعلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات. ويعد آخر الشعراء الذين كتبوا في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية.

وقد سيطر عليه الاهتمام بالجماهير الأمية التي حكم عليها بالتخلف. ويبدو هذا في القصائد التي تحمل الهموم الراهنة في عصره.



(ك)

كوبجي، رجب

ولد عام ١٩٣٤م في قرية «كوكلان» التركية التابعة لمدينة فيليبه في بلغاريا لأب مسلم فقير يعمل بالفلاحة. ودرس الابتدائية ثم المتوسطة في قريته، ثم سجل اسمه في المدرسة التركية الخاصة بإعداد معلمي المرحلة الابتدائية بمدينة «قيرجة علي» في بلغاريا.

بدأ كتابة الشعر وهو في المرحلة المتوسطة. وكان يقرؤه على إخوانه من المسلمين، وهو لايزال بعد في مدرسة المعلمين. وكان في هذه المرحلة المبكرة يقف بإيمان وقوة أمام دعايات البلغار ضد الإسلام والثقافة الإسلامية فاتُّهم بالتعصب القومي.

اصطدم رسميا بالسلطة الشيوعية في بلغاريا وجاهر بصوت مرتفع وهو في غرفة المعلمين وقد أصبح مدرسا ـ قائلاً: «أنا مسلم تركي، أقوم بتدريس اللغة التركية للمسلمين الأتراك هنا، فكيف تأمرونني بتدريس اللغة البلغارية وهي لغة الكفار.. إني أربأ بنفسي عن هذا».

وكانت مقولته هذه ذريعة رسمية اتخذتها السلطات البلغارية لمحاكمته، وصدر الحكم بأن يقضي عقوبة قدرها سنتان ونصف عاملاً لصب الحديد أمام أحد الأفران في مصنع الحديد والصلب مع مراقبته من الشرطة وذلك بعد أن ألغي قيده من سجل المعلمين.

صدر له ديوانان: الأول عام ١٩٦٢م، والثاني عام ١٩٦٧م، وكان عنوانه «ما بعد هذا ليس حلما».



(م)

مالكو، فائق

ولد في مدينة بريشتينا عاصمة إقليم كوسوفو؛ حيث أنهى دراسته الابتدائية وتخرج بعد ذلك في المدرسة الدينية العليا التي كانت في هذه المدينة. وبعد تخرجه عمل مدرسًا في المدرسة نفسها إلى أن أغلقتها السلطة اليوغوسلافية سنة ١٩٢٧م.

بعد هذا انتقل إلى منطقة بوديفا حيث أصبح هناك مديراً لمدرسة دينية، إلا أن السلطة أغلقت هذه المدرسة أيضا سنة ١٩٢٩م. أخذ يكافح في سبيل الحقوق الثقافية للألبانيين المسلمين إلى أن سقط صريعا مغتالاً سنة ١٩٣٥م.

(ن)

نظيمي، إبراهيم

يعد من أهم أعلام الأدب الألباني في الأبجدية العربية. ولد في قرية «فاركولا» سنة ١٦٨٥م لأب من الأعيان؛ إلا أنه نشأ واشتهر في مدينة «بيرات» التي كانت أهم مركز للثقافة الشرقية في المناطق الألبانية في القرن السابع عشر والثامن عشر، وتخرج في إحدى مدارسها العليا. بدأ يكتب الشعر باللغة التركية والعربية والفارسية، وذاع صيته، وترك مئات القصائد الشعرية في عدة لغات، مع أن أهم إبداعاته كانت في اللغة الألبانية، لكن معظم تراثه الشعري ضاع.

(ى)

يونس (حيدر)

ولد في قرية بالقرب من مدينة توبليسا وأطلق عليه والده اسم حيدر. هاجرت عائلته إلى فوتشيرنا، وفي هذه المدينة تابع دراسته لدى أستاذ اللغة والأدب العربي الحافظ عارف. وفيما بعد ذهب إلى استنبول حيث تخرج في كلية علوم الدين.

من قصائده التي تعرف باسم (الإلهيات) عشر قصائد يصل عدد أبياتها إلى ستمئة بيت. وله قصيدة طويلة بعنوان «الألف» تتألف من مئتين وعشرين بيتًا، أراد منها تسهيل تعليم الحروف العربية التي تستعمل في كتابة اللغة الألبانية.

وله قصيدة أخرى طويلة بعنوان «نقطة البيان»، وهي تتألف من أربعمئة وعشرة أبيات، وقد أراد منها الشاعر ـ كما كتب في مقدمتها ـ أن توضح الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة.

المصادر:

١ـ د. محمد حرب: المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢ـ د. محمد موفاكو: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٨، أغسطس ١٩٨٣م، الكويت.

٣ـ د. جمال الدين سيد محمد: الأدب اليوغوسلافي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة رقم ٨١، سبتمبر ١٩٨٤م، الكويت.

٤ـ جنكيز ايتماتوف: قصص مختارة، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٧م.

٥ـ محمد بن محمد بن صالح البوسنوي: المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة، مجلة الأزهر، ذو الحجة ١٤١٢هـ.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
أسبوعية سياسية ثقافية اجتماعية
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهم كل أفراد الأسرة

قصة قصيرة:

الطريق إلى منبع الشمس

م. محمد عباس علي

ترامت الكلمات على أرضية العربة.. تناثرت.. شكلت نوعا من الاحتجاج.. حاولت أن أحدس المدى الذي يمكن أن تصل إليه.. تساءلت لماذا لاتتطاير إلى أعلى.. لماذا لاتندفع إلى الأمام.. لماذا يكون مصيرها الأرض؟

الطريق طويل والأرض متربة والركاب كما هم، لم تتغير إلاّ الوجوه. أراهم وأتفحصهم وأتوقع ما أراه منهم من تصرفات.. كل منهم له أسلوبه الذي يسير عليه.

قد يضحك مادًا كفه إليك لتضرب بكفّك عليها دليلاً على الاستحسان، وقد يستمع فاغرًا فاه، فاتحًا عينيه محاولاً أن يوهمك بأنه يعي ما تقول، وقد ينتحي جانبًا في صمت كأنه حقًا يفكر في شيء ذي بال.

فتحت الجريدة محاولاً البحث عن شيء يستحق القراءة أو يساوي مشقة الاطلاع.

نظرت إلى الطريق، بعثرت فيه نظراتي وشرودي، حاولت أن ألملم صور المرئيات، وفي خلال هذا تركت أفكاري تجري كما تشاء.

كم بقي على الوصول إلى القرية؟

لاتوجد لوحات تبيِّن المسافات، الطريق ضيق غير ممهد لسير العربات، تتناثر فيه الأتربة لتغطي الوجوه وتغلق العيون.

رغمًا عني أغلقت النافذة راضيًا بجو العربة المملوء بالركاب ورائحة العرق وسحابات الدخان.

توقفت السيارة عن السير.. حمدت الله على العطل؛ فلولاه لاختنقت وأنا جالس لا أملك حتى القدرة على الاحتجاج. شيء بغيض أن تعجز حتى عن الاحتجاج. تفكر قبل أن تقول أي شيء، تقدر الخسارة مع كلمة قد تقال. لن يتركك الركاب إذا شكوت من تراكمات الدخان، ولن يرحمك السائق إذا استفسرت عن سبب الوقوف في هذا الطريق المقطوع.

فتحت النافذة وأمري إلى الله. كان المارة قليلين لايكاد عددهم يتعدى أصابع اليدين، وكلهم بجلاليب مختلفة الألوان، وعلى الرؤوس الطواقي الصوف الرمادية أو البيضاء. بينما بدت الحقول من بعيد مريحة للنظر بعيدانها الخضراء التي تتمايل مع رقصات النسيم، وقبة السماء والسحائب المزركشة بأزهى الألوان

ابتسمت بالرغم من كل شيء ونسيت أن اهتم بالبحث عن سبب إيقاف الحافلة.

سألني جاري الذي يجلس بجانبي:

ـ ما الذي يجري؟

ـ لا أدري

ـ اسأل السائق

ـ أنا؟

ـ نعم

استفزني الطلب، نظرت إليه، وإلى بطنه المتفخة أمامه وهو يجلس مباعدًا ما بين ساقية مستوليا على معظم المقعد المفروض أن نصفه لي.. وأثارني جلبابه الرمادي الذي يبرز من خلفه الصديري الأبيض والشعر الذي يملأ الصدر والكوفية التي تحيط بالعنق، والقفة ذات الغطاء النظيف. سألته في ضيق:

ـ ولماذا لا تسأله أنت؟

ـ لا ياعم. إذا أردت فأسأله أنت.

دائما أنت، كل إنسان يقول لك افعل أنت. وماذا يفعل هو؟.. يتفرج من بعيد. إذا نجحت فعل مثلك وإذا فشلت لعنك مع اللاعنين!

متى يتحرك الركب ليسير؟

يقطع الطريق، ينفذ من تراكمات الغبار والتراب، يعبر حاجز الصمت والكلمات التي تتناثر على أرض السيارة ونظرات العيون التي تجبن عن التصريح بشيء.

ما الذي سيجري إذا سأل أحدهم السائق عن سبب الوقوف، إنه لن يعلق له المشنقة على كل حال.

استفزني الأمر، شعرت أنني سأختنق إن لم أعرف الجواب.. اتجهت إليه، سألته عن سبب الوقوف. قال في هدوء:

ـ تعليمات

ـ أن تقف في طريق كهذا؟

ـ نعم

ـ تعليمات مَن؟

ـ لايهم أن تعرف

شدني أحدهم هامسًا أن هذا يكفي حتى لايغضب.. وإذا غضب؟!

قال: لن تتحرك السيارة إلا بعد أن يعتدل مزاجه ويستطيع السير.

ـ ياسلام! إلى هذا الحد.. ويتعطل كل هؤلاء ولايستطيع أحدهم فعل أي شيء؟

نظرت إلى الجميع، تفحصت الوجوه، حاولت أن أحدس رد الفعل في العيون، عدت إلى الجريدة هربًا من كل شيء.

تحركت العربة بعد نصف ساعة من الوقوف طالعت فيها صفحة الوفيات بين الدهشة والإعجاب، شعرت أنني اكتشفت شيئًا يستحق التقدير، النعي والنعاة والكلمات والأسماء، كثيرون هم الموتى.

أدرت وجهي عن الجريدة إلى الطريق. كانت الأشياء تتراجع إلى الخلف.. الحقول والعربات والناس.. انتبهت إلى حركة الحافلة إلى الخلف

ـ ما الذي يجري؟

سألت نفسي بصوت مسموع، أجاب جاري ذو الجلباب الرمادي اللون: اسأل السائق.

اسأله أنت: قلتها في غيظ ونظرت إليه، لكنه رمى بنظراته إلى الأرض وهو يقول:

ـ دعنا إذن ننتظر حتى نصل إلى القرية

ـ أي قرية؟

ـ قرية (منبع الشمس).

ذكر اسم القرية التي أقصدها، بلدياتي هو إذن هذا الرجل ـ والبلديات يحنّون إلى بعضهم بعضا كما يقولون ـ، ضحكت منه. سألني لماذا أضحك، قلت له وأنا باسم الوجه:

اجلس في مكانك مفرود الساقين حتى أعود. واتجهت إلى السائق في فورة الحماسة.. تكلمت، قال الرجل في هدوء:

ـ ماذا تريد؟

ـ تأخرنا.

ـ ماذا تريد؟

ـ السيارة والناس!!

ها هي العربة قد توقفت. أقسم إنني لن أعود إلى السير ما لم تنزل فورًا.

ماذا تقول؟

حاولت أن أحتج بوجود تذكرة في جيبي، وأن ليس من حق أحد أن يجعلني أترك العربة إلا حينما أريد. لكنه لم يستمع لما قلت. نظرت إلى الركاب الذين كانوا قد بدؤوا يتحركون وبدأت الكلمات تتطاير في الهواء بدلاً من أرضية العربة والنظرات تتجه إلى الأمام، حاولت أن أحدس رد فعلهم القادم قبل أن يتجهوا إليّ.



خالد الفيصل في أمسيته الشعرية: «الفن للفن» مقولة غير صحيحة

ندوة «التشريع الدولي في الإسلام» تختتم أعمالها بتوصيات بالغة الأهمية

صدور مجلات وصحف جديدة، وإعلان نتائج مسابقات أدبية وفنية عديدة

إقامة مهرجانات شعرية، ومعارض تشكيلية في أنحاء عديدة من العالم

فرنسا تعلن عن جوائزها الأدبية، وتعين رئيسا جديدا لمعهد العالم العربي

السعودية

أول معرض عن الفروسية

تنظم مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض أول معرض شامل عن الفروسية على مستوى العالم في مطلع العام الهجري المقبل ١٤١٧هـ (منتصف عام ١٩٩٦م) تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني الرئيس الأعلى للمكتبة.

يؤرخ المعرض لتاريخ الفروسية من خلال ما تضمه متاحف العالم ومكتباته المختلفة من مقتنيات ومخطوطات ومنمنمات؛ حيث يعرض مجموعة كبيرة من التحف والنماذج ذات العلاقة بالفروسية يصل عددها إلى قرابة ثلاثمئة تحفة نادرة، منها قطعة فنية اكتشفت حديثًا في سورية تصور أحد الخيول في بواكير التاريخ الأولى، ومركبات حربية من مصر القديمة، ولوحات زيتية ومخطوطات، وقطع فنية نادرة يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد، ونصوص مكتوبة باللغة المسمارية حول العناية بالحصان تعود إلى عصري الحيثيين والأشوريين.

ترمي كل هذه المعروضات إلى إلقاء الضوء على سلالات الحصان، مثل العربي والقزويني والفرغانا وغيرها.

وتقام نشاطات ثقافية على هامش المعرض، منها ندوة علمية متخصصة تناقش ٣٥ بحثًا عن الحصان والفروسية قدمها باحثون من مختلف أقطار العالم، وسيتم تجميعها في كتاب وثائقي يضم أيضا فهرسًا مصورًا لجميع القطع الأثرية والمخطوطات التي ستعرض.

المملكة عضوًا في المجلس التنفيذي لليونسكو

قرر المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) خلال اجتماعه في باريس في منتصف شهر جمادى الآخرة الماضي انتخاب المملكة العربية السعودية عضوًا في المجلس التنفيذي للمنظمة.

وتم خلال الاجتماع انتخاب ٣٢ عضوا في المجلس من بين أعضاء المنظمة البالغ عددهم ١٨٥دولة.

الفائزون بمسابقة «الرياض» الثقافية

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين في المسابقة الثقافية الكبرى لعام ١٤١٥هـ التي نظمتها جريدة الرياض في مجالي الشعر والقصة القصيرة.

جاء في المركز الأول في مجال الشعر: إسماعيل البراهيم الحمد السماعيل عن قصيدته «حوار مع نخلة»، تلاه عبدالله بن صالح المسعود عن قصيدته «رفقًا بي فلست صخرة»، ثم عبدالله بن عيسى بن محمد آل عيسى عن قصيدته «جراح ومآس».

وفي مجال القصة القصيرة، فاز بالمركز الأول عبدالله منديل عبدالله الفهيد عن قصته «المحطة»، تلاه عبدالله غانم السناني عن قصته «الليلة الأخيرة»، ثم فضّة سليمان عبدالرحمن النملة عن قصتها «قرارات بيوت الطين».

كتب جديدة

علماء اليمامة في العصر الإسلامي الأول، ط.ج، تأليف خالد بن أحمد السليمان، صدر عن دار طيبة في الرياض.

الدين النصيحة، تأليف عبدالرحمن عبدالله السند، صدر عن دار الوراق للنشر والتوزيع.

آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، تأليف د. محمد عبدالنعيم، ترجمه إلى العربية عبدالرحيم محمد خبير، وقدم له د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وصدر عن مؤسسة الجريسي.

أحداث هامة في تاريخ الخليج العربي، تأليف د. حياة محمد البسام، صدر عن دار الشبل للطباعة والنشر.

الأمير عبدالله يطالب بمزيد من الجهد للحفاظ على التراث



دعا صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني إلى مضاعفة الجهود لإحياء التراث العربي والإسلامي.

وأكد سموه - خلال زيارة تفقدية قام بها لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض في نهاية شهر جمادى الآخرة الماضي - على توفير المكتبة أرقى الخدمات للباحثين والمترددين عليها.

واطّلع سمو ولي العهد على التوسعة الجديدة التي أمر بإنشائها، وتشمل مكتبة عامة للنساء تتسع لنحو ثلاثمئة زائرة ومرتادة، وتضم قاعات لخدمة المعلومات والتصنيف والفهرسة والقراءة. ثم زار سموه مكتبة الطفل التي أمر بإنشائها، والتي تحوي قاعات للقراءة والأعمال الفنية والوسائل السمعية والبصرية ومسرحًا. وشملت زيارة سموه تفقد قاعة المحاضرات الجديدة بالمكتبة التي تتسع لأربعمئة وخمسين شخصًا، والمزودة بأحدث التقنيات من أجهزة العرض والترجمة، وقاعة الملك عبدالعزيز، وقاعة مركز دراسات الفروسية، وأقسام المكتبة الأخرى.



الإمارات

كتب جديدة

العمى والبصيرة، تأليف بول دي مان، ترجمة سعيد الغانمي، صدر عن المجمع الثقافي في أبو ظبي.

المتناطحون: المعركة الاقتصادية القادمة بين اليابان وأوروبا، تأليف لستر ثرو، ترجمه إلى العربية محمد فريد، وصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية بالتعاون مع دار الساقي في لندن.



البحرين

صحيفة «الأيام» ناشراً لـ «المؤلف»

اختارت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) صحيفة «الأيام» البحرينية - ضمن صحف عربية - للمشاركة في مشروع ثقافي عربي يتم بموجبه إصدار صحيفة «المؤلف» الشهرية كملحق ثقافي يُعنى بنشر الإبداعات الثقافية والفكرية والأدبية لكبار كُتّاب العالم العربي وأدبائه.

يسهم المشروع في إثراء الساحة الثقافية العربية، وإيجاد جسر يصل بين المثقفين العرب، ويحقق تواصلاً ثقافيًا عربيًا.



الكويت

جريدة اقتصادية جديدة

صدر - مؤخراً - العدد الأول من جريدة «السبق»، وهي جريدة تعنى وتركز على الشأن الكويتي والخليجي بعامة وقطاعات المال والأعمال بخاصة.

يرأس تحريرها محمد البرجس، وحفل عددها الأول بالعديد من المقابلات مع رجال الأعمال والبنوك، إضافة إلى مقالات ودراسات لاقتصاديات السوق.

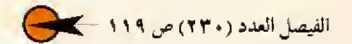
مصر

٢٧١٤ مطبوعة صحافية في العالم العربي

أوضحت دراسة لاتحاد الموزعين العرب أن إجمالي المطبوعات الصحافية في العالم العربي قد وصل إلى ٢٧١٤ مطبوعة تنتمي إلى خمس عشرة دولة.

وأشارت الدراسة إلى أن لبنان يحتل المرتبة الأولى من حيث عدد المطبوعات التي يصدرها والبالغ عددها ١٣٥٨ مطبوعة ما بين يومية وأسبوعية وشهرية ودورية وسنوية، أي ما يعادل قرابة نصف مطبوعات العالم العربي كله.

وجاء المغرب في المركز الثاني بـ ٢٨١ مطبوعة، تليه مصر ١٤٥ مطبوعة، ثم الكويت ٦٤، فالسعودية ٦٠، والبحرين ٥٠، والأردن ٤٦، واليمن ٣٧، وتونس ٣٦، وليبيا وسورية ٣٤، والسودان ٢٥، والإمارات ٢٣، وقطر وعمان ١١ مطبوعة.





أمسية شعرية للأمير خالد الفيصل

وصف صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مقولة «الفن للفن»، وما شاكلها، بأنها أقوال عائمة، وأنه لايرى صحتها. وأكد أنه ملتزم ما يكتب تجاه دينه ووطنه، وقال: إن مسؤولية الشاعر تجاه المتلقي عظيمة.

جاء ذلك خلال حوار فكري في أمسيته الشعرية التي نظمتها كلية الملك عبدالعزيز الحربية يوم الثلاثاء ١٤١٦/٧/٦هـ (بالعيينة) غرب الرياض، في رعايته افتتاح موسمها الثقافي. وقد حضر الأمسية عدد كبير من الأدباء والمفكرين والإعلاميين، وألقى الشاعر خالد الفيصل مجموعة من قصائده الوطنية والوجدانية الأخرى، وتحدث عن خلفيات بعض قصائده والظروف التي أحاطت بنشأتها، وكيفية معالجته موضوع القصيدة فكريا وفنيا، ومن ذلك «أوبريت التوحيد» الذي كتبه في العام قبل الماضي لمهرجان التراث والثقافة (الجنادرية) الذي ينظمه الحرس الوطني سنويًا.

فقد شرح الأمير خالد الفيصل مشروع كتابة الأوبريت، وأوضح أنه عُني باختيار كلمة «التوحيد» إشارة إلى توحيد الله وتوحيد الوطن، مؤكدا أن المملكة العربية السعودية توحدت بالحب والقناعة، وبشرع التوحيد، وبقائد ذلك التوحيد. وذكر خالد الفيصل أن الأوبريت وُزِّعَ في سبع لوحات تمثل كل لوحة منها منطقة من مناطق المملكة، وأنه كتب كل لوحة بلهجة أهلها، واختار لها الإيقاع المناسب لكل منطقة.

وقد دارت حوارات بين الشاعر والحضور، وفي إجابته عن سؤال حول «قصيدة المعاناة» وما هي معاناة الشاعر

بحث دعم اللغة العربية


د. عصمت عبد المجيد

تحت رعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبدالمجيد، أقامت «جمعية لسان العرب» مؤتمرها السنوي الثاني تحت شعار «رعاية اللغة العربية في الحياة العلمية والعملية» في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

ناقش المؤتمر ـ على مدار يومين ـ عدة قضايا من بينها وضع اللغة العربية في التعليم الأساسي والمتوسط والعالي، واللغة العربية في العلوم الأساسية والطبية والتطبيقية والإعلام والمؤسسات الدولية، وكيفية دعم اللغة العربية ومحاربة المصطلحات الدخيلة.

المعرض الدولي لكتب الأطفال

شارك أكثر من سبعمئة ناشر ينتمون إلى ٣٢ دولة عربية وأجنبية في معرض القاهرة الدولي الحادي عشر للكتاب الذي افتتحه قرينة الرئيس محمد حسني مبارك في غرة شهر رجب الماضي واستمر أسبوعين.

تضمن المعرض قرابة المليون ونصف المليون كتاب، ورافقته ندوات وحلقات عدة تناقش ثقافة الطفل، عبر وسائل التقنية المتقدمة والكتاب الإلكتروني، إضافة إلى مسابقة في أدب الأطفال ورسومهم.

من ناحية ثانية انتهت اللجنة العليا لمعرض القاهرة الدولي للكتاب الذي يعد ثاني أكبر معرض عالمي من نوعه من تحديد أبرز المحاور المقرر مناقشتها في الدورة الثامنة والعشرين للمعرض المزمع إقامتها هذا الشهر، حيث سيتم التركيز على قضايا صناعة الكتاب والقضايا العلمية والتحديات التقنية.

أكبر تجمع صحافي تستضيفه القاهرة

استضافت مؤسسة الأهرام الصحفية ـ مؤخراً ـ الاجتماع السنوي لشبكة وورلد ميديا الدولية WORLD MEDIA NETWORK التي تضم أكبر ٣٠ جريدة في العالم، ويصل عدد قرائها إلى ٤٠ مليون قارئ من مختلف قارات العالم.

وتعد هذه المرة الأولى التي تستضيف فيها الأهرام هذا الاجتماع بعد أن انضمت رسمياً إلى الشبكة في العام الميلادي ١٩٩٤م.

فهرسة لمجموعة نادرة من المخطوطات

يقوم الباحث د. يوسف زيدان ـ حاليا ـ بأول عملية فهرسة علمية للمخطوطات المحفوظة بمكتبة مسجد أبي العباس المرسي بمدينة الإسكندرية، والتي يقدر عددها بنحو ثلاثة آلاف مخطوطة نادرة.

وينتظر أن يتم خلال عملية الفهرسة حصر

الحركة الثقافية في شهر

الحقيقية التي ولّدت تلك القصيدة، قال خالد الفيصل: إن في أبها يتم عقد اجتماع يوم الأحد من كل أسبوع، يحضره أساتذة الجامعة، وأعضاء النادي الأدبي، وفي أحد الاجتماعات دار حوار عن معنى المعاناة، وشغل ذلك الحوار فكره، فتمخض التفكير عن القصيدة.

من القصائد التي ألقيت خلال الأمسية: «طال السفر»، «ياشايب»، «قال الوداع»، «غربة الروح»، «أنا جندي سعودي»، «السفر»، «في بحر عينيك»، «لا تأمن من الخوان»، و«أنا القصيدة».

الجدير بالذكر أن أمسية كلية الملك عبدالعزيز الحربية هي السابعة التي يقيمها الأمير خالد الفيصل بعد أمسية النادي الأدبي في الرياض، ثم المنامة ودبي والكويت ولندن والقاهرة.

المخطوطات المحتاجة إلى ترميم تمهيداً لتكليف معمل ترميم المخطوطات في مكتبة الاسكندرية الجديدة بترميمها.

يذكر أن المسجد ومكتبته يتبعان وزارة الأوقاف.

متحف النوبة يفتتح قريباً

ينتظر أن يفتتح خلال الأسابيع المقبلة متحف النوبة الجديد في مدينة أسوان الذي تكلفت عملية إقامته قرابة ٥٥ مليون جنيه مصري.

ومن المقرر أن يضم المتحف نحو خمسة آلاف قطعة أثرية تعد تتويجًا لأعمال إنقاذ آثار النوبة؛ حيث أعد المتحف ليكون مركزًا أثريًا وثقافيًا وفلكلوريًا تعرض فيه الآثار المنقولة من بلاد النوبة، التي جرى اختيارها من مقتنيات ثمانية متاحف على مستوى الجمهورية.

ويشتمل المتحف الجديد ـ المقام على مساحة ٥٠ ألف متر مربع ـ على وسائل عرض مساعدة مثل الخرائط والصور، ويتكون مبناه من ثلاثة طوابق تشمل صالات عرض رئيسة، ومكتبة ومركزًا للمعلومات وقاعة لكبار الزوار وأخرى للمحاضرات، وقسمًا للنشاطات الخاصة بالشباب المتعلقة بالنوبة وتراثها القديم، إضافة إلى عرض خارجي يضم مسرحًا مكشوفًا، ونماذج معمارية للقرية النوبية القديمة.

ندوة عن صلاح عبدالصبور

تعتزم لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة تنظيم ندوة علمية عن الشاعر الراحل صلاح عبدالصبور وأعماله الإبداعية خلال شهر سبتمبر من العام الميلادي الجاري ١٩٩٦م.


صلاح عبد الصبور

ينتظر أن يشارك في أعمال الندوة شعراء ونقاد عرب وأجانب من خلال تقديم أبحاث تتناول أعمال عبدالصبور الشعرية ومسرحياته، ويجري حاليا بحث الموضوعات التي سيتم طرحها؛ حيث يبرز اتجاه في اللجنة إلى تحديد شهر مارس (شوال ١٤١٦هـ) موعداً نهائيًا لاستقبال الأبحاث المشاركة.

معرض للفنانين المعماريين

نظمت كلية الفنون الجميلة والرابطة المصرية لخريجي المعاهد الألمانية معرضًا تشكيليًا في معهد جوته بالقاهرة تحت عنوان «الفن في عيون معمارية» في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي ١٤١٦هـ.

استمر المعرض أسبوعين، وتضمن أعمالاً فنية تشكيلية للمعماريين جلال الحسيني، ومحمد منير، ومحمد توفيق، وسعيد مراد، وسامي عبدالعزيز. وأقيم على هامشه لقاء ناقش «مفهوم المعماريين كفنانين تشكيليين، ودور مخططي المدن المهتمين بالحفاظ على التراث الثقافي».

الفائزون بجائزة كفافي

أعلنت ـ مؤخراً ـ خلال مهرجان قسطنطين كفافي السنوي الذي ينظمه في الإسكندرية والقاهرة القسم الثقافي في سفارة اليونان أسماء الفائزين بجائزة كفافي لعام ١٩٩٥م.

منحت جائزة الشعر المصري للشاعر حسن طلب، والشعر العربي للعراقي سعدي يوسف، والشعر اليوناني ليانيس إيفانتيس.

ونال د. محمد حمدي إبراهيم، عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة، جائزة الدراسات والترجمة.

مجلة فكر وفن

أصدر قطاع الإنتاج بوزارة الثقافة المصرية العدد الأول من أحدث مجلة ثقافية فنية تحمل اسم « فكر وفن».

يرأس تحرير المجلة عاطف منصف، وضم العدد الأول أبوابا متنوعة منها: فنون الشعوب، ملف المرأة، وإبداعات الشباب.

مؤتمر العالم الإسلامي والتحدي الحضاري

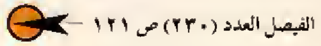
ينظم مركز بحوث الشرق الأوسط بالتعاون مع جامعة عين شمس ندوة بعنوان «العالم الإسلامي والتحدي الحضاري» خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ ذي القعدة المقبل ١٤١٦هـ (٨ ـ ١٠ أبريل ١٩٩٦م).

تدور أبحاث الندوة ومناقشاتها حول محورين رئيسيين هما: المحور الحضاري العام، والمحور الاقتصادي، بهدف رصد الجوانب المضيئة في تطور بلدان العالم الإسلامي، وتنمية هياكل العمل الإسلامي المشترك.

متحف للآثار البحرية

تتخذ حاليا إجراءات لإنشاء أول متحف للآثار البحرية في مصر يضم العديد من قطع الآثار البحرية التي اكتشفت في الإسكندرية أو البحر الأحمر.

وكان الرئيس محمد حسني مبارك قد وافق قبل نحو عامين على تخصيص قصر الأمير يوسف كمال بالإسكندرية ليكون مقراً للمتحف، وقد تم البدء في أعمال ترميمه وإعداده ليكون جاهزاً للعرض المتحفي.



جوائز المعرض الأول لكتاب المرأة العربية

أعلنت أسماء الفائزات بجوائز المعرض الأول لكتاب المرأة العربية الذي أقيم في منتصف شهر نوفمبر الماضي بالقاهرة بمشاركة ٢٤ دارًا للنشر ونحو أربعين كاتبًا وكاتبة.

فازت بالجائزة الأولى د. رضوى عاشور عن روايتها «غرناطة»، تلتها الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي عن روايتها «ذاكرة الجسد»، ونالت القاصة العراقية بثينة الناصري الجائزة الثالثة عن مجموعتها القصصية «وطن آخر».

ومنحت دور النشر التي قامت بإصدار الأعمال الفائزة شهادات تقدير.

كتب جديدة

الدور السياسي للقبيلة في اليمن، تأليف محمد محسن الظاهري، صدر عن مكتبة مدبولي في القاهرة.

العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، تأليف د. عاطف العراقي، صدر عن المؤسسة الجامعية.

الشعراوي الذي لانعرفه، تأليف سعيد أبو العينين، صدر ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم.

رؤية جديدة حول انهيار النموذج السوفيتي، تأليف كريسي هرمان، ترجمه إلى العربية خليل كلفت، وصدر عن دار النهر.

حادي بادي، قصائد وصور غنائية للأطفال من تأليف محمد كشيك، صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

تنهيدة صبية، ديوان للشاعرة إيمان أحمد يوسف، صدر ضمن سلسلة «إشراقات أدبية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فن الإخراج الصحفي، تأليف د. شريف درويش اللبان، صدر عن دار العربي للنشر والتوزيع.

مدخل إلى الأدب العجائبي، تأليف تزفتيان تودروف، ترجمه إلى العربية الصديق بو علام، وراجعه د. محمد برادة، وصدر عن دار شرقيات بالتعاون مع قسم الترجمة بالبعثة الفرنسية للبحوث والتعاون.

الإعلام وثقافة الطفل العربي، تأليف د. عاطف عدلي العبد، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن مؤسسة دار المعارف.

البحث عن ستالين ديموقراطي: التراجيديا الروسية، تأليف لطفي الخولي، صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

العراق

مهرجان لشعر الأطفال على هامش المربد

تضمن مهرجان المربد الشعري الحادي عشر الذي أقيم في مطلع شهر رجب الماضي مهرجانًا لشعر الأطفال للمرة الأولى في تاريخه، شارك فيه مجموعة من الشعراء العرب والعراقيين قدموا أعمالاً متنوعة تعنى بأدب الأطفال.

يذكر أن مهرجان المربد تعود جذوره إلى مرحلة صدر الإسلام؛ حيث كان الشعراء يتبارون في سوق المربد قرب مدينة البصرة على غرار سوق عكاظ، ونظم في العصر الحديث - للمرة الأولى - عام ١٩٧١م بمشاركة ١٥٠ شاعرًا عربيًا، ثم توقف عام ١٩٩٠م بسبب العدوان العراقي على الكويت، وعاد مرة أخرى العام الحالي، الذي شهد غياب شعراء الخليج وعدد كبير من الشعراء العرب البارزين.



الأردن

مناقشة مستقبل الفكر الفلسفي العربي

استضافت عَمّان أعمال المؤتمر الفلسفي

محاضرات وندوات

«الدول الإسلامية ومسؤولية الدعوة: النموذج السعودي»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

«المرأة المسلمة والتحديات التي تواجهها»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، الشيخ فيصل مولوي.

«وصايا لطالب العلم»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان.

«محاولات التجديد في التجربة التشكيلية المحلية»، عنوان أمسية تشكيلية نظمها فرع الجمعية السعودية للثقافة والفنون في الدمام، شارك فيها كل من: د. محمد الرصيص، علي ناجع، وفيصل السمرة، وأدارها عبدالرحمن السليمان.

«تجربة الرحلات العلمية في القطب الجنوبي ومردودها العلمي بالنسبة للمملكة العربية السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د. إبراهيم عالم.

«إدارة الاختلافات الثقافية»، عنوان ندوة نظمها نادي اللغة والثقافة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الأزهر، شارك فيها عدد من الأكاديميين والمثقفين.

«شبهات حول الأدب الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جيزان الأدبي د.عبد القدوس أبو صالح.

«في الشعر الجاهلي.. قضية متجددة»، عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية المصرية للنقد الأدبي، د. عبدالمنعم تليمة.

«أدب الكاتب الإيرلندي شيموس هيني، الحائز على جائزة نوبل»، موضوع ندوة نظمتها كلية الألسن في القاهرة، تحدثت فيها د. إيمر نولان.

«حصاد المدرسة التاريخية لتاريخ مصر الحديث والمعاصر»، عنوان ندوة أقيمت في مقر مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية الفرنسي في القاهرة، شارك فيها الدكاترة رؤوف عباس، قاسم عبده قاسم، طارق البشري، وآخرون.

«تأثير اليمن في الأدب الفرنسي استنادًا لنصوص أندرية مالرو»، موضوع محاضرة ألقاها في متحف ضاحية اكسيل في بروكسل، محمد القاسمي.

نظم نادي أبها الأدبي بالتعاون مع إدارة الدفاع المدني أمسية شعرية في قاعة الملك فهد للمحاضرات في أبها شارك فيها الشعراء: مطلق الشايع، علي مفرح



العربي الرابع في مطلع شهر رجب الماضي.

نظمت المؤتمر الجمعية الفلسفية العربية، وتضمنت أعماله مناقشة نحو ١٥ ورقة عمل، تتناول مستقبل الفكر الفلسفي العربي في عالم متغير: الأشكال والحل، وتجربة العرب الفلسفية المعاصرة، وعناصر الرؤية للفكر الفلسفي العربي في المستقبل، والفكر العربي المعاصر والمذاهب الفلسفية الغربية، ومشكلات العقل العربي، وإعادة بناء العقلية العربية، وموضوعات أخرى.

مدرسة لترميم الفسيفساء وحمايتها

افتتحت في مدينة مادبا جنوب غربي عمان أول مدرسة من نوعها في الشرق الأوسط لترميم الآثار وإنتاج الفسيفساء.

ترمي المدرسة التي أقيمت بالتعاون بين الأردن وأمريكا وإيطاليا وكندا إلى تأهيل الأردنيين وتدريبهم في مجال ترميم الفسيفساء وحمايتها من خلال برنامج دراسي يستمر ثلاثة أعوام.

مهرجان للشعر

نظم النادي الثقافي في عمان - وهو مؤسسة ثقافية مستقلة - المهرجان الأول للشعر العربي بمشاركة عدد من الشعراء العرب في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

ضم المهرجان شعراء يمثلون مختلف المدارس الشعرية العربية، وفي مقدمتهم سعدي يوسف، وسعاد الصباح، وسليمان العيسى، وعلي عبدالله خليف، ومبارك آل ثاني، ومحمد الحارثي، وظبية خميس، وغيرهم.

معرض تشكيلي عن القدس

افتتح - موخرًا - في صالة الأوفلي بعمان معرض تشكيلي عن مدينة القدس، ضم أعمالاً فنية لثلاثة عشر فنانًا تشكيليا أردنيًا وعراقيًا.

هدف المعرض إلى إبراز إسلامية القدس وعروبتها من خلال تجارب متنوعة تناولت خصوصياتها بأزقتها وحاراتها ومساجدها وقبابها وأشجارها، عبر صور وأشكال متعددة ورؤية شخصية لكل فنان.



سورية

اكتشاف عاصمة الحوريين

أكد زوجان من علماء الآثار الأمريكيين أنهما اكتشفا في منطقة تل موزون على بعد ٦٤٠ كيلو مترًا من دمشق مدينة أوركيش الأثرية، التي شكلت قبل أربعة آلاف عام مركزًا اقتصاديًا وسياسيًا مهمًا في المنطقة باعتبارها عاصمة الحوريين، وهم شعب قديم يكتنف الغموض تاريخه، ويعود إلى فجر التاريخ.

وأعرب الزوجان جورجيو بوتشيلاني ومارلين بوتشيلاني عن اعتقادهما بأنهما نجحا أخيرًا في حل لغزالحوريين الذين أشارت إليهم أساطير الحيثيين.

وكان قد عثر على بضع تحف فنية قبل خمسة عقود؛ حيث تم اكتشاف مستودع يضم أختاما تصور توبكشي أحد ملوك الحوريين إلى جانب زوجته الأكادية أقنيتوم، ويعود تاريخ المستودع إلى فترة تتراوح ما بين ٢٣٠٠ - ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد؛ إلا أن بوتشيلاني يعتقد أن المستويات الأدنى للمدينة ترجع إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

كتب جديدة

الرخ يعانق بروميثيوس: أو دليلة تتقيأ، مسرحية لحسين المناصرة، صدرت عن دار الحوار في دمشق.

أكرم الحوراني: عرّاب الانقلابات في

الثوابي، وعلي حسن الشهري.

«كيفية توجيه الأسر لأبنائها المراهقين»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر جمعية فتاة الخليج بالخبر، الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

«الصفات التي يتخلق بها الداعية»، موضوع محاضرة ألقاها في جمعية الشريعة في الكويت، د. محمد خليفة التميمي.

رواية «الحب في المنفى» للروائي بهاء طاهر، كانت موضوعًا لندوة أقيمت في مقر الجمعية المصرية للنقد الأدبي في القاهرة، شارك فيها الناقدان إبراهيم فتحي واعتدال عثمان.

«مستقبل الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، الداعية الأمريكي وارث الدين محمد.

«منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع العارضة بمنطقة جيزان، الشيخ مهدي رشاد الحكمي.

«لبنان يواجه التحديات»، عنوان محاضرة نظمتها في لندن جمعية الخريجين اللبنانيين في بريطانيا، شارك فيها: د. رغيد الصلح، إبراهيم كنعان، د. شفيق أبو زيد، د.عبدالوهاب بدرخان.

«إشكالية الإصلاح وإعادة إنتاج المجتمع في مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الآداب بجامعة عين شمس، آلان رسيون.

«الحق الإلهي إلى أين؟»، عنوان محاضرة ألقاها - بدعوة من نادي تبوك الأدبي - أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

«مستقبل النفط والغاز»، عنوان محاضرة ألقاها في وول ستريت في لندن، د. راي إيراني.

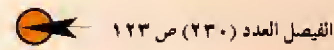
«تعديل عملية السلام في الشرق الأوسط في أعقاب اغتيال رابين»، عنوان محاضرة جماعية نظمتها الجامعة الأمريكية في القاهرة، شارك فيها الدكاترة: وليد قزيحة، تيم سوليفان، وإيليا حريق.

«المرأة وأدب الحرب»، عنوان محاضرة ألقتها في رابطة الأدباء بالكويت، د. مريم كوك.

«شعراء الأحساء المعاصرون بين التقليد والتطور»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، عبدالله أحمد الشباط.

«العصور الرومانية في الحضارة المصرية»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الآثار الإيطالي في روما، د. عبدالحليم نور الدين.

أقام ملتقى الثلاثاء الثقافي في بيروت أمسية شعرية للشاعر جورج شكور، قدمها علي نسر.



سورية، تأليف عدنان الملوحي، صدر عن دار دمشق للنشر.

الدلائل الاستراتيجية في السياسة الإسرائيلية، تأليف نور الدين عليان.

المنتقى من كتاب الطبقات، تأليف أبي عروبة الحسين بن محمد الحراني، تحقيق إبراهيم صالح، صدر ضمن سلسلة «نوادر الرسائل» عن دار البشائر للطباعة والنشر.

دمشق نزار قباني، (مختارات شعرية ونثرية لنزار قباني) اختارها صباح قباني، وصدرت عن دار الأهالي.

الرواية واليوتوبيا، تأليف محمد كامل الخطيب، صدر عن دار المدى للثقافة والنشر.

معاهدات السلام عبر التاريخ، تأليف جاستون بوتول، ترجمه إلى العربية جورج أبو كسم، صدر عن دار الأبجدية.

المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد محمد بسام رشدي الزين، إشراف محمد عدنان سالم، صدر عن دار الفكر.



لبنان

النشر الإلكتروني

هذا اسم أول مجلة عربية متخصصة في تقنيات النشر والتصميم الهندسي والإعلاني والطباعة وفنون التحريك والوسائط المتعددة.

يرأس مجلس إدارة المجلة - التي تعد الوحيدة من نوعها في العالم العربي - بسام صلاح الدين، وتصدر في بيروت.

كتب جديدة

الأرض الثانية، مجموعة شعرية لجوزيف صايغ، صدرت عن التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر في بيروت.

العنصرية اليهودية، ط٢، تأليف د. جورجي كنعان

دروب الهجرة (رواية تاريخية عن مقاومة القوقاز للاحتلال الروسي القيصري)، تأليف اسكندر نجّار، ترجمها إلى العربية بسام هجار.

صدر الكتابان السابقان عن دار النهار للنشر.

الابستمولوجيا، تأليف عبدالقادر بشتة، صدر عن دار الطليعة.

تاريخ فن الطباعة في المشرق، تأليف لويس شيخو، صدر عن دار المشرق.

نقد السلاح الفلسطيني: برج البراجنة أهلاً وثورة ومخيماً، تأليف فيصل جلول.

البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، تأليف محمد غانم الرميحي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجديد.

الجدل بين أرسطو وكانت، تأليف محمد فتحي عبدالله، صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

صوت الناي أو سيرة مكان، رواية لإلهام منصور، صدرت عن دار مختارات.

الحركة الإسلامية في المغرب العربي، تأليف فايز سارة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث.

الوسائل الواقية من الإفلاس في القانون الوضعي وفقه الشريعة الإسلامية، تأليف سعيد دياب خضر، صدر عن دار جروس برس في طرابلس.

الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الرشيدي، تأليف د. حبيب يوسف مغنية، صدر عن دار مكتبة الهلال.

كتاب الراوي (سير لمجموعة من الشخصيات اللامعة)، تأليف عبيدو باشا. صدر عن دار التنوير.



المغرب

ندوة «السيرة النبوية»

استضافت مدينة فاس ندوة علمية إسلامية بعنوان «قراءة جديدة في السيرة النبوية» شارك فيها نخبة من العلماء في مطلع شهر رجب الماضي.

دارت مناقشات الندوة حول مجموعة من المحاور، من أبرزها: الصورة الوصفية الكاملة للرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المثل الأعلى للمسلمين من خلال استعراض بيئته، ونسبه، ومولده، ونشأته، وعزوفه عن اللهو والعبث، وتعبيره عن البشر السوي، ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وبخاصة الناشئة، وخصائص الدعوة الإسلامية ومميزاتها، ومكارم الأخلاق المحمدية، وعلاقات الرسول صلى الله عليه وسلم الدولية، والسيرة النبوية ومطاعن المستشرقين.

ندوة التشريع الدولي في الإسلام

أوصت ندوة «التشريع الدولي في الإسلام» التي اختتمت أعمالها - مؤخراً - في الرباط بتشجيع البعثات التعليمية من البلدان العربية نحو جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وإعطاء الأولوية للدول الأفريقية المسلمة فيما يتعلق بتقديم المساعدات والمعونات في مجال التعليم والتربية.

ودعت الندوة الجامعات والمراكز الإسلامية إلى الاهتمام بمعاهدات الإسلام وبخاصة المعاهدات النبوية ومعاهدات الخلفاء الراشدين، وجمعها وتوثيقها ودراستها ووضعها في متناول أيدي الباحثين، وتوجيه الباحثين والدارسين في أقسام الدراسات الإسلامية وشعبها إلى بحث القانون الدولي المقارن ودراسته، وقضايا العلاقات والمنظمات الدولية في رسائلهم وأطروحاتهم مع موازنتها بالفقه الإسلامي.

وشدد المشاركون على ضرورة الاستمرار في عقد مثل هذه الندوات لاستكمال جوانب موضوع «التشريع الدولي في الإسلام» وبيان أهميته وبخاصة فيما يتعلق بالقضايا المعاصرة، وتوصيات أخرى.

يذكر أن الندوة أقيمت في جامعة محمد الخامس واستمرت ثلاثة أيام بمشاركة باحثين من مختلف الأقطار العربية والإسلامية.

«الرباط» وثمانية قرون

شاركت مجموعة من الأساتذة والباحثين من مختلف أقطار العالم في ندوة دولية نظمتها جمعية رباط الفتح الثقافية حول «الرباط عاصمة المغرب في ذكراها الثمانية» خلال

النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

ناقشت الندوة عدة محاور يأتي في مقدمتها هجرة الجاليات الأندلسية إلى الرباط، وانفتاح الرباط على العالم الخارجي في العصور الحديثة، والرباط قاعدة الكفاح ضد الاستعمار، والظاهرة الحضارية للرباط في عصر الملك الحسن الثاني.

رافق الندوة معرض وثائقي ضم ما كتب عن الرباط، وما تزخر به خزائن الكتب المغربية من مخطوطات ووثائق عن هذه المدينة وتراثها الأندلسي الناتج من الهجرة الأندلسية إليها.

وفاة خير الدين ومدينة

ودعت الحركة الثقافية المغربية اثنين من مبدعيها بوفاة الشاعر محمد خيرالدين إثر إصابته بمرض السرطان عن عمر ناهز ٥٥ عامًا، والصحافي أحمد مدينة مؤسس مجلة الأنوار.

ولد خيرالدين في تافر أوت بولاية أغادير، وبدأ رحلته مع الشعر في سني عمره المبكرة، حتى أنتج نحو عشرين ديوانًا شعريا ومحاولات باللغة الفرنسة.

ومن أشهر مؤلفاته: ديوانه «أغادير»الذي مايزال نشره ممنوعًا في المغرب، رغم أن بعض قصائده ترجمت إلى اللغة العربية، و«الجسد السالب» و«أنا الحمض»، و«النباش»، و«حياة حلم وشعب في تسكع دائم»، و«أسطورة وحياة أكونش».

أما الصحافي أحمد مدينة فقد أسس عام ١٩٤٦م مجلة «الأنوار»، التي زاحمت وواكبت مجلتين أخريين صدرتا في العام نفسه هما «لسان الدين» لناشرها د. محمد تقي الدين الهلالي، و«الأنيس» التي أصدرها محمد المراكشي.

وإلى جانب العمل الصحافي مارس أحمد مدينة التدريس في «المعهد الحر»، وهو من مؤسسات التعليم التي أنشأتها الحركة الوطنية في تطوان إبان عهد الحماية، وتوقفت مجلة الأنوار عن الصدور عام ١٩٥٤م.

ندوة دولية تناقش الإرث الثقافي لوادي نون

نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة ابن زهر في أغادير ندوة دولية عن واحات وادي نون بوابة الصحراء المغربية في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

وشارك أكاديميون مغاربة وأجانب في مناقشة الدور التاريخي والاقتصادي لواحات وادي نون في الأمس واليوم من خلال ثلاثة محاور رئيسة، هي: الإرث الثقافي لوادي نون، والماضي الحضاري للمنطقة، والانسان والوسط الجغرافي بها.

وفاة الصديق بلعربي

أقيم في دار الثقافة بمدينة مراكش حفل تأبين للكاتب المغربي الصديق بلعربي، الذي وافته المنية في شهر جمادى الأولى الماضي بعد معاناة مع مرض عضال استمرت ١٥سنة.

ويعد بلعربي من الرعيل الأول للحركة الوطنية المغربية، وقد ولد بمدينة سلا في مطلع العشرينيات، وعمل في حقل الصحافة بجريدة «العلم»، لسان حال حزب الاستقلال، منذ تأسيسها في الرباط أيلول/سبتمبر ١٩٤٨م. كما عمل مراسلاً لمجلات عربية، وشارك بمقالاته في مجلات مغربية. وعمل منذ استقلال المغرب، مشرفًا على الخزانة البلدية، وخزانة وزارة الشؤون الثقافية بمراكش.

تولى الكاتب الراحل الإشراف على اختيار المخطوطات الفائزة بجائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات التي تعلن في شهر أذار/مارس من كل عام. وحصل على جوائز تقديرية كان آخرها في نوفمبر ١٩٩٤م، وهي جائزة المغرب للاستحقاق الوطني. وله مؤلفات عديدة، أشهرها كتابه عن تاريخ المغرب وجغرافيته.

كتب جديدة

المدينة والسلطة في المغرب، تأليف عبدالرحمن رشيق، صدر عن دار أفريقيا للنشر في الدار البيضاء.



الأيديولوجيا العربية المعاصرة، تأليف عبدالله العروي، صدر عن المركز الثقافي العربي.



تونس

كتب جديدة

المعالجة اللغوية للمعلومات، تأليف حسين الهبائلي، صدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي في تونس.

وشم على الريح، تأليف أنطوان رعد، صدر عن دار شهر زاد.



بريطانيا

جائزة بوكر لبات كون

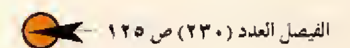
منحت الكاتبة بات باركر كون جائزة بوكر الأدبية البريطانية عن روايتها «طريق الشبح»، وهي الجزء الأخير من ثلاثية تدور في جو الحرب العالمية الأولى.

جاء في حيثيات قرار اللجنة بمنح كون الجائزة إعجابها بما تميز أسلوبها في الرواية من قوة الفكر وحدة الخيال، والقدرة على الجسارة، وحساسيتها ومهارتها في التنقل بين الغنائية والهول، ورصد المفارقات والتعاطف.

جائزة كتّاب أدب الرحلات لسلطنة عمان

اختارت الجمعية البريطانية لكتّاب أدب الرحلات - بترشيح من الكاتبة كريستين أوزبورن - سلطنة عمان للحصول على جائزتها لعام ١٩٩٥م تقديرًا لمشروعات السلطنة السياحية والتراثية.

يذكر أن الجمعية تمنح جوائز سنوية لأفضل المشروعات السياحية والتراثية وأهمها في



العالم، ومنحت جوائزها للمرة الأولى عام ١٩٧٨م وكانت من نصيب اليونان.

أحدث الكتب

القسطنطينية: مدينة رغبات العالم ١٤٥٣ ـ ١٩٢٤م، تأليف فيليب مانسل، مراجعة سوزانا طربوش، صدر عن دار نشر جون موراي في لندن.

الوكالة التجارية والتوزيع في الشرق الأوسط، تأليف سمير أنيس صالح، صدر عن دار نشر كلورلو الدولية.

مصدق: سيرة ذاتية، تأليف فرهاد ديبا، صدر عن دار كروم هلم للنشر.

السياسة والوحي: الماوردي وما بعده، تأليف حنا ميخائيل، تقديم ادواردسعيد، صدر عن مطبعة جامعة أدنبره.

انهيار ونهوض اليابان، تأليف روبرت هارفي، صدر عن دار نشر ماكميلان.



فرنسا

جوائز فرنسية

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز: «جونكور»، و«ميدتشي»، و«رونودو»، و«فيمنا» الأدبية، وأكاديمية مالارميه، والأكاديمية الفرنسية.

واستطاع الكاتب الروسي الأصل أندريه ماكين أن يحقق إنجازًا بحصده ثلاث جوائز تأتي في مقدمتها جائزة جونكور أعرق الجوائز الأدبية في فرنسا وأكثرها أهمية، حيث نالها عن روايته «الوصية الفرنسية». ونال ماكين أيضا جائزة جونكور الثامنة للتلاميذ، وتقاسم جائزة ميدتشي التي تمنح للمؤلفين الأجانب الذين ينشرون أعمالهم باللغة الفرنسية مع الكاتب اليوناني فاسيليس اليكساكيس، عن روايته ذاتها «الوصية الفرنسية».

وماكين الذي وُلد في روسيا، انتقل للعيش في فرنسا منذ ثمانية أعوام بوصفه لاجئًا سياسيًا؛ لذلك فهو لايحمل أية جنسية، وقد سبق له أن قام بتأليف ثلاثة روايات بالفرنسية هي: «ابنة بطل من الاتحاد السوفياتي»، و«اعترافات حامل علم مخلوع» و«أيام نهر أمور».

وذهبت جائزة رونودو إلى الروائي الفرنسي باتريك بيسون عن روايته «عائلة برايان». وبوسون (٤٠ عامًا) روائي وأديب معروف له نحو ٤٠ نصًا ورواية ومقالة نقدية، وقد سبق له أن فاز عام ١٩٨٥م عن روايته «دار» بالجائزة الكبرى للرواية التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية.

ونال جائزة فيمينا الأدبية الروائي أمانويل كاريرا (٣٧ عامًا) عن روايته «رحلة تزلج مدرسية».

وفاز الروائي والشاعر بول لوي روسي بجائزة أكاديمية مالارميه لأفضل ديوان شعر. ولروسي (٦١عامًا) عدد من الروايات ودووايين الشعر من أبرزها رواية «الكراسي الحمراء» وديوان «خزفيات».

ونال الكاتب الفونس بودار الجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية في مجال القصة والرواية عن روايته «الموت من الطفولة».

وسبق لبودار المولود عام ١٩٢٥م أن نال جائزة رينودو عن كتابه « مقاتلو السعادة الصغيرة».

رئيس جديد لمعهد العالم العربي في باريس

أصدر الرئيس الفرنسي جاك شيراك قراراً بتعيين النائب الديجولي كميل كايانا رئيسًا لمعهد العالم العربي في باريس ، خلفا لإدجار بيزاني الرئيس السابق الذي أنهيت رئاسته قبل موعدها بأربعة أشهر.

وكايانا الرئيس الجديد للمعهد شخصية

رسائل جامعية

«الكفاية في التفسير لأبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الحيري، مع مقارنة منهج المؤلف مع منهج ابن كثير في تفسيره المحقق.. تحقيق ودراسة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الصالة الكبرى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها شلواح ابن عواض اللويحق المطيري.

«د.الخفاجي ناقدًا»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بمدينة إيتاي البارود في مصر، تقدم بها واصل حسن عبدالرحمن.

«أدب المحدثين»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في مصر، تقدم بها محمد عبدالرازق عرفان.

«صورة الأندلس في المسرح العربي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها رائد شراب.

«قضايا الإنسان في شعر عبدالوهاب البياتي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد عبدالغفار منجي.

«جميل بن معمر.. دراسة أسلوبية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العربية في القاهرة، تقدم بها سالم الهروس.

«محمد الأمين الشنقيطي ومنهجه في أضواء البيان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإسكندرية، تقدم بها محمد حسن جودة.

«السياسة المصرية تجاه القضية الفلسطينية: دراسة في التصور المصري للحكم الذاتي الفلسطيني»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، تقدم بها بدر أحمد عبدالعاطي.

«المعلومات الجغرافية العسكرية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة جراند فيلد البريطانية، تقدم بها المهندس خالد عبدالرحمن الحيدان.

«دور الفقه الإسلامي في العمارة المدنية في مدينتي القاهرة ورشيد في العصرين المملوكي والعثماني»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها خالد عزب.



معروفة في العالم العربي وعاش في المغرب فترة طويلة.

وفاة جاليمار وشوستر

توفي اثنان من رواد الساحة الثقافية. هما الناشرة سيمون جاليمار إثر إصابتها بالسرطان عن عمر ناهز ٧٧ عامًا، والشاعر السيريالي شوستر إثر إصابته بالمرض ذاته عن عمر ناهز ٦٦ عامًا. واكتسبت سيمون جاليمار ـ وهي والدة أنطوان جاليمار رئيس مجلس إدارة مؤسسة جاليمار للنشر ـ شهرة واسعة لجرأتها في نشر الكتب ومواجهة المصاعب، حيث قامت بنشر مجموعة من الكتب كان نشرها محل جدل ومشكلات، ومن أبرزها رواية «الحياة أمامنا» للروائي إدجار جاري، التي أصرت على نشرها رغم ما واجهته بسببها من مصاعب، وأثبت الزمن حسن تقديرها، حيث ترجمت هذه الرواية إلى ٢٣ لغة، وبيع فيها نحو ١.٣ مليون نسخة.

أما شوستر المولود عام ١٩٢٩م فقد عرف بنقده الشديد للاستعمار والدكتاتورية، وصداقته الحميمة للشاعر أندريه بريتون، مؤسس المدرسة السيريالية في الأدب، وتولى شوستر رئاسة تحرير مجلة «بعد يوم» وإدارة تحرير المجلة السيريالية.

معرض استعادي لسيزان

افتتحت باريس موسمها الثقافي الشتوي بتنظيم معرض في صالات القصر الكبير للفنان الفرنسي العالمي بول سيزان يتضمن مائة وثمانين لوحة تم إحضارها من متاحف عالمية وبعض المجموعات الخاصة.

ويعد سيزان ـ المتوفي عام ١٩٠٦م عن ٦٧ عامًا ـ أب الحداثة في الفن العالمي الحديث، وتتميز تجربته الفنية بانفتاحها على التجريب من خلال سعيه الدائم إلى ابتكار وسائل ومناهج جديدة.

نهاية مأساوية للفيلسوف دولوز

أنهى الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (٧١ عامًا) حياته نهاية مأساوية بانتحاره تاركا تساؤلات عدة حول السبب الذي حدا به إلى ارتكاب هذا الفعل.

ودولوز المولود في يناير ١٩٢٥م من أبرز الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين، وعمل أستاذًا للفلسفة في جامعة سان دوني حتى تقاعده عام ١٩٨٧م، وعُرف بشعار دائم «فكر أكثر وخطابة أقل»، واكتسبت فلسفته أهميتها من الصداقات التي عقدها مع الفيلسوف ميشيل فوكو، والمحلل النفسي فيلكس جاتاري.

أحدث الكتب

الدليل (سيرة ذاتية لحياة نحو ١٦٠ ألف أديب من مائة دولة ومؤلفاتهم)، صدر عن المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو).

أفريقيا والعالم العربي: فشل الاندراج الدولي، تأليف سمير أمين وحكيم بن حمودة، صدر عن دار نشر هارتمان.

مستقبل الحرب الزاهر، تأليف فيليب دالماس، صدر عن دار نشر جاليمار.

رسومات حديثة، زاوية لجي لاجويس، صدرت عن دار نشر جورج لاتيس



ألمانيا

مهرجان لأعمال بيكاسو

أقيم ـ مؤخرًا ـ في متحف ميونخ للفنون مهرجان فني لأعمال الفنان التشكيلي

«دمج الأطفال ذوي الحاجات الخاصة في المدارس العامة في السعودية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة نوتنجهام في بريطانيا، تقدمت بها سحر أحمد الخشرمي.

«تقويم كفاءة النظام التسويقي في الشركة المصرية للملاحة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التجارة بجامعة الأزهر، تقدمت بها بسمة عبدالرازق الحلفاوي.

«مشكلة التوفيق والأصالة عند فلاسفة اليونان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بمدينة طنطا المصرية، تقدم بها عبدالعال عبدالرحمن.

«الاتجاهات الأبوية وعلاقتها بمدى رضا الأطفال المتخلفين عقليًا عن أسرهم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بالرياض، تقدم بها إبراهيم محمد الخرفي.

«الدراسات التشخيصية والمَصْلية على خيطيات المنفحة التي تصيب الأغنام»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض (الأقسام العلمية)، تقدمت بها عفاف عبدالله محمد الجبير.

«المسرح السياسي في الكويت»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة، تقدم بها محمد المنصور.

«السلم التعليمي في المملكة العربية السعودية في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة بالبلدان المتقدمة والنامية: دراسة مقارنة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض تقدم بها عبدالله حمد العباد.

«كتاب أحكام القرآن لعبدالمنعم بن محمد الخزرجي المعروف بابن فرض، من الآية ٣٣ من سورة النساء إلى الآية ٨٧ من سورة المائدة»، عنوان رسالة دكتوراه تقدمت بها منور عبدالله الجدعان.

«دراسة للعصر العباسي الأول من ١٥٨ إلى ٢٠٠هـ (٧٧٤ـ٨١٥م) من خلال تحقيق مخطوط: تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر»، عنوان رسالة ماجستير، تقدمت بها لمياء عبدالرحمن الصالح.

نوقشت الرسالتان السابقتان في كلية التربية للبنات في الرياض.

«الضمير المنفصل في النظم القرآني.. دراسة بلاغية تطبيقية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها عويض حمود العطوي.





العالمي بابلو بيكاسو، ضم أكثر من مائة وخمسين لوحة توضح تطور الموهبة الإبداعية لبيكاسو، إضافة إلى بعض الأعمال النحتية التي استخدم فيها الفنان معدن البرونز الخالص.

ويعد بيكاسو الذي ولد عام ١٨٨١م وتوفي عام ١٩٧٣م من أبرز الفنانين المعاصرين، وقد تأثر بالأسلوب الفني لجوجان وفان جوخ، وظهرت موهبته الفنية في مرحلة مبكرة من عمره، وتأثر في البداية بالمدرسة التأثيرية.

وفاة الشاعر كرولر

توفي ـ مؤخرًا ـ الشاعر الألماني الشهير كارل كرولر عن عمر ناهز ٨٠ عامًا.

ويعد كرول من أبرز شعراء ألمانيا، ويغلب على شعره طابع الحزن، ويمتاز بالسلاسة والنعومة والخيال، وقد تأثر في شعره بالأديب الفرنسي أولينار (١٨٨٠- ١٩١٨م) وتُرجمت أعماله إلى اللغتين الفرنسية والإسبانية.

جائزة بوشنر لباين

منح الأديب والشاعر الألماني الشاب دروس جرون باين (٣٣عامًا) جائزة بوشنر الأدبية تقديرًا لما يتميز به أدبه وشعره من روح جديدة في النقد والملاحظة والفهم العميق والأسلوب المعبر.

ويعد باين ثاني أصغر من نالوا هذه الجائزة التي تقدمها الأكاديمية الألمانية للشعر؛ حيث لم تمنح لشاب في مثل عمره منذ أن نالها الشاعر المعروف بيتر هاندكه.

ومن أبرز مولفات باين مجموعته «الصبح الرمادي» ١٩٨٨م، التي أبرز فيها علامات بداية انهيار الشيوعية، وكتابيه «دروس من قاعدة الجمجمة» ١٩٩٠م، و«تجاعيد وسقوط» ١٩٩١م.



سويسرا

معرض «سنوات التعبيرية»

يقام حاليًا معرض تشكيلي بعنوان «سنوات التعبيرية» في مدينة لوزان يضم نحو ١٢٠ لوحة من عمل الفنان جون لوي فوران (١٨٥٢-١٩٣١م).

ويعد فوران من أبرز فناني القرن التاسع عشر في فرنسا، وتميزت لوحاته بكونها عُدت تسجيلاً حيًا للحياة في باريس في عصره. ومن المقرر أن يستمر المعرض حتى الأسبوع الأول من شهر شعبان الجاري.



إيطاليا

مؤتمر دولي عن آثار مصر القديمة

نظمت جامعة باليرمو الإيطالية مؤتمرًا دوليًا تحت عنوان: «مصر في إيطاليا منذ العصور القديمة إلى الحديثة» خلال النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

تضمن المؤتمر الذي شارك فيه المهتمون بالآثار المصرية القديمة لقاءات عمل بين الآثاريين المصريين والإيطاليين، ومجموعة محاضرات حول الآثار المصرية.

جائزة تورتا للجنة فرنسية

مُنحت اللجنة الفرنسية لإنقاذ الآثار والتراث الوطني جائزة تورتا الإيطالية تقديرًا لقيام اللجنة بالدور الرئيسي في ترميم الأعمال الفنية لمدينة فينسيا.

وكانت اللجنة الفرنسية قد استغرقت نحو ثلاثين عامًا في ترميم اللوحات الجدارية الموجودة في بعض كنائس إيطاليا، والتي رسمها الفنان الإيطالي نيبولو، وآثار قديمة أخرى.

الولايات المتحدة

أحدث الكتب

الأساطير وحكايات الأطفال، تأليف مارينا وارنر، صدر عن دار نشر جيروكس.

المناظر الأخيرة، تأليف جيم ليهرر، صدر عن دار نشر راندوم هاوس.

شحاذ على بوابة دمشق (باب العمود)، رواية لياسمين زهران، صدرت عن دار ذي بوست أبولو برس في كاليفورنيا.

حدث ذات مرة في الحرب البعيدة (عن حرب فيتنام)، تأليف ويليام بروشتو، صدر عن دار نشر سيمون تشستر.

مذكرات بطلة الألم، يوميات الفنانة التشكيلية الراحلة فريدا أكول، صدرت عن دار نشر إبرام.



بلجيكا

معرض فنون أفريقية

اختتم ـ مؤخرًا ـ في متحف تار فوران لفنون أفريقيا الوسطى في بروكسل معرض فنون قبائل أفريقيا.

ضم المعرض مئتين وخمسين عملاً فنيًا تراوحت ما بين تماثيل برونزية وبازلتية وأقنعة، وهدف إلى بيان مدى تأثر الفنان بالبيئة المحيطة به.



البرتغال

جائزة كاموس لساراماجو

منح الكاتب جوزيه ساراماجو جائزة كاموس البرتغالية الأدبية التي تعد أرفع جائزة أدبية يكرم بها كاتب برتغالي أو أجنبي ناطق بالبرتغالية.

ويعد جوزيه ساراماجو (٧٢ عامًا) من أشهر الروائيين البرتغاليين، وله روايات عدة، منها «موت دي ريكاردو»، و«مرسى من الحجر».

قصيدة:

رحلة العمر

شعر: **محمد فرج**

يارحلة العمر هل يبقى لنا أملُ ... وهل يطول بنا بعد الأسى أجلُ؟

القلب يطوي شجونَ الهم مكتئبا ... والعينُ مُسْهَدة بالحزن تكتحلُ

إذا قصدنا دورب الخير تُبعدنا ... أيدٍ لها في مجال الشر منتحلُ

يضيع كل الذي عشنا له زمنا ... بين الظنون وبين اليأس نأتملُ

ويجثم الذل دهرًا فوق أنفسنا ... نئن من حمله كرهًا ونحتملُ

لعلٍ أجنحة للحب تنقلنا ... إلى ربوع بها الآلام تندملُ

لكنَّ عينَ الجوى في البعد ترصدنا ... أنّى مشينا تضِقْ في وجهنا السبلُ

نعود والغيظ في الأعماق مستعر ... ينتابنا الضيق والإحباط والمللُ

ندق للخير أبوابًا مُغلَّقةً ... قد أوصدت زمنًا في وجه من سألوا

فربما قد يصيخ السادرون إلى ... ذاك النداء فيصحو الحق والمُثُلُ

من رقدة طالما طال السبات بها ... ردْحًا طويلاً وكاد العمر يرتحلُ

حين استباحت حِمَى الأطهار شِرذمةٌ ... موصومة، في خطاها الرّجس والوحلُ

وعاث في الأرض أشرارٌ زبانيةٌ ... جابوا الدروب وما أعيتهم الحِيَلُ

تفوقوا في سباق الزيف واحترفوا ... صنع الرياء فَسَادَ الغشُّ والدجلُ

وخالطوا الصّدقَ بالبهتان فاحتجبت ... رؤى الصّواب وعَمَّ المنطق الخَطِلُ

وتاه في عتْمة الأحزان من سلكوا ... درب الوئام وحتى الآن لم يصلوا

يارحلة العمر شمس الحب قد غَرَبَت ... عن روضنا وظلام اليأس ينْسَدِلُ

ضاع الرجاءُ وليل السهد أرّقنا ... أين الصفاء وأين السّحرُ والغزل؟!

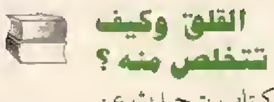
كأنما الحزن يأبى أن يفارقنا ... إلا إذا ذابت الأجفان والمُقل

ياحاجب النور عن آفاق عالمنا ... أما كفاك من الأحلام ماقتلوا

الحق يبقى على البطلان منتصرًا ... والظلم يسقط في أحكام من عدلوا .


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي

القلق وكيف تتخلص منه ؟



كتاب يتحدث عن «مشكلة القلق، ذلك الانفعال العاطفي الذي يتميز بالتخوف والتوجُّس، والترقُّب، بما يصاحبه من تغيرات (فسيولوجية) وأعراض بدنية وسلوكية».

وقد قام مؤلفا الكتاب: د. زهير أحمد السباعي، ود. شيخ إدريس عبدالرحيم ببحث أسباب القلق ودواعيه ومظاهره، وعلاجه.

يشتمل الكتاب على تمهيد ومقدمة وأربعة فصول. تناول المؤلفان في الفصل الأول أسباب القلق، وأعراضه، وعلاماته، وتشخيصه، وفرقًا بين القلق الطبيعي، والقلق المرضي.

وفي الفصل الثاني قدما «١٢» طريقة من طرق العلاج النفسي للقلق الذي يعتمد على إدارة الإنسان لبواعثه وأسبابه وطرق التخلص منه. وفي الفصل الثالث ناقشا الوقاية من القلق وكيفية علاجه بتلاوة القرآن الكريم والصلاة والذكر والتقوى. وفي الفصل الرابع أكدا أهمية التفكير الإيجابي الذي يساعد الإنسان ـ إذا تبناه ـ على اتخاذ أسلوب صحي في الحياة يقيه من أسباب القلق.

ويتضمن الكتاب استبانة خاصة بالتقرير الذاتي للقلق والاكتئاب.

ولم يفت المؤلفين أن يؤكدا حقائق علمية من مثل: «لايولد الخوف والقلق مع الإنسان، ولكن قد يولد مع المرء استعداد وراثي للانفعالات العصبية، ويبرز هذا الاستعداد إذا تهيأت له الأسباب البيئية، أسباب قد تكمن جذورها في محيط العائلة أو المدرسة أو العمل». واستطرد مؤلفا الكتاب، موضحين أهم بواعث القلق وحصراها في أربع نقاط: «البيت الذي يسوده الشقاق أو سوء الفهم أو إهمال الأبوين أطفالهما، والمجتمع الذي تركز قيَمُهُ على التفوق المادي والصراع من أجل البقاء، ومطامح الإنسان وآماله عندما تتعدى قدراته، ورغبات الإنسان عندما تصطرع مع الفضيلة والأخلاق والضمير»

يقع الكتاب في ١٣٦ صفحة من القطع العادي وصدر عن دار القلم في دمشق والدار الشامية في بيروت.

أخطاء في القراءة والإنشاء

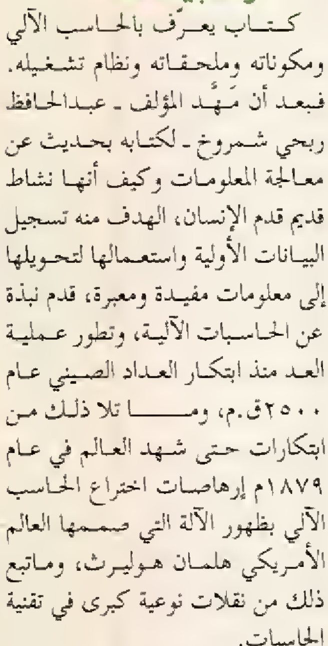
كتاب يعالج الأخطاء التي انتشرت وكثرت في لغة التخاطب، ولغة الكتابة والإنشاء، نتيجة لقلة الثروة اللغوية الفصيحة، وفساد الذوق، وتعوُّد الهابط من الألفاظ. ويحث مؤلف الكتاب ـ عبدالعزيز صالح العسكر ـ على العناية بالفصحى، ومكافحة شيوع الأخطاء اللغوية، ويؤكد: «أن السكوت على الخطأ لم يكن طبعًا للعرب، ولا من شيمهم، بل كانوا يحذِّرون منه، ويُنَفِّرون، فإذا ماوقع فيه أحد ردُّوه إلى الصواب بلا مداراة أو مواربة».

ويشير المؤلف إلى أن اللغة العربية بوصفها مستودعًا لثقافة الأمة، ووعاءً يستوعب القرآن الكريم بمعانيه الثرة العظيمة، تمثل مصدر قلق لأعداء الأمة وأعداء الإسلام، ولذلك فهم لا يفتأون يسعون لهدم اللغة العربية من طريق بث دعاوى مثل: ضيق الفصحى عن التعبير، وعدم قدرتها على استيعاب مايجد في العصر الحديث من مصطلحات، وصعوبة تدريس الفصحى في العصر الحاضر، والتعامل مع الفصحى على أنها شيء من التراث يستلزم التحول عنه.

ويوضح المؤلف خطورة شيوع الأخطاء في لغة التخاطب ولغة الكتابة، وتمريرها في وسائل الإعلام والمناهج المدرسية، الأمر الذي يباعد بين أبناء الأمة الإسلامية وفهم القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين.

صدر الكتاب في الرياض، ويقع في ٨٣ صفحة من القطع الصغير.

المعلوماتية: مقدمة في الحاسبات الآلية وتطبيقاتها

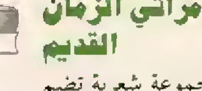


كتاب يعرِّف بالحاسب الآلي ومكوناته وملحقاته ونظام تشغيله. فبعد أن مَهَّد المؤلف ـ عبدالحافظ ربحي شمروخ ـ لكتابه بحديث عن معالجة المعلومات وكيف أنها نشاط قديم قدم الإنسان، الهدف منه تسجيل البيانات الأولية واستعمالها لتحويلها إلى معلومات مفيدة ومعبرة، قدم نبذة عن الحاسبات الآلية، وتطور عملية العد منذ ابتكار العداد الصيني عام ٢٥٠٠ق.م، وما تلا ذلك من ابتكارات حتى شهد العالم في عام ١٨٧٩م إرهاصات اختراع الحاسب الآلي بظهور الآلة التي صممها العالم الأمريكي هلمان هوليرث، وماتبع ذلك من نقلات نوعية كبرى في تقنية الحاسبات.

ويعرض المؤلف أفكارًا مبسطة عن أجيال الحاسبات الآلية، والتطورات المتلاحقة التي تشهدها، وإمكانات كل جيل من هذه الأجيال، وقدراتها وخصائصها، والاختلافات الجوهرية التي نتجت من الانتقال من الاعتماد على الصمامات المفرغة إلى الترانزستور، ثم إلى الدوائر الكهربائية المتكاملة، فشرائح السيليكون. كما يقدم المؤلف شرحًا تفصيليًا عن نظام التشغيل، والبرامج والتطبيقات. ويستعين في ذلك بالرسوم والصور الإيضاحية والجداول، كما أرفق بالكتاب تعريفًا ببعض المصطلحات المستخدمة في مجال الحاسبات.

يقع الكتاب في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط، وصدرت طبعته الأولى بالرياض.

مرائي الزمان القديم



مجموعة شعرية تضم ١٦ قصيدة كتبها الشاعر السوداني علي العطا، وقد جاء مسمى المجموعة، معبرًا بدقة عن فحواها، فمعظم القصائد بكائيات، يتحسر فيها الشاعر على زمان انقضى، وعهود ولَّت، فهو يستحضر الطفولة وبراءتها، ويستعيد مواقف، ويحاول استنطاق معالم، ويستخلص من تقلب الأيام وتبدل الأحوال الصبر والمواعظ. وهو تارة يستوقف نهر النيل المتدفق عبر الأزمان، وتارة أخرى يحلق فوق مدينة أم درمان التي احتضنت طفولته وصباه، ويسجل انحسار الصِّلات الودودة أمام طغيان المدنيّة، وتارة ثالثة يقف أمام حرارة الذات ويتفحص صوره في المراحل العمرية المختلفة، وحصيلة هذه وتلك هي قصائد: «الجميزة العتيقة»، «أضغاث أحلام»، «بكاء على زمان ولّى»، «الناعورة المهجورة»، «روح بين عهدين»، «بقايا لوحة»، «الصيحة الموحية»، «الناي الذي صمت»، وغيرها من القصائد.

تقع المجموعة في ٤٠ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت عن دار جامعة الخرطوم للنشر.

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ، مجلة الفيصل ،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة (العدد ٢٢٧)

ج١ : قال السُّدّي وغيره من المفسرين: نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي، واسمه أُبي، والأخنس لقب لُقّب به لأنه خنس يوم بدر بثلاثمئة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال النبي صلى الله عليه وسلم. وكان رجلا حلو القول والمنظر، أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة فأظهر له الإسلام، وقال: إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أني لصادق. ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع وعقر الحمر. وهناك أقوال أخرى في سبب نزول الآية ذكرها المفسرون في مصنفاتهم، فليراجعها من أراد.

ج٢ : أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بنعم كثيرة؛ لكنهم طغوا وبغوا، ومن هذه النعم: أنه ـ سبحانه ـ نجّاهم من آل فرعون، ومن الغرق في البحر، وعفا عن ظلمهم وجرمهم العظيم بعبادتهم العجل، وظلّلهم بالغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وفجّر لهم العيون من الصخر، وجعلهم ملوكا، وجعل فيهم الأنبياء، وأنعم عليهم بالعيش الرغيد، إلى جانب نعم أخرى لاتُحصى. وقد ورد ذكرها في الآيات الكريمات (من ٤٧-٦٠) من سورة البقرة، وكذلك في الآية ٢٠ من سورة المائدة.

ج٣ : زواج المتعة، ويسمى الزواج المؤقت، والزواج المنقطع، وهو أن يعقد الرجل على المرأة يوما أو أسبوعا أو شهرا أو أية مدة محددة من الزمن. وهو زواج متفق على تحريمه بين أئمة المذاهب، وقالوا: إنه إذا انعقد يقع باطلا، واستدلوا على ذلك بما يلي:

نتائج مسابقة (العدد ٢٢٧)

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، خالد منصور بكّار، القيروان ـ تونس.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالا سعوديا، المقداد عباس محمد خير عيساوي، الخرطوم ـ السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالا سعوديا، عمر بن محمد عوض، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددا)، كل من:

١ـ فتحي شيخ عبدالله الصومالي، إسلام آباد ـ الباكستان.

٢ـ سالمة محمد أحمد، طرابلس ـ ليبيا.

٣ـ جاعة محمد، سلا ـ المغرب.

٤ـ عزالدين سالم علي بعشر، جدة ـ المملكة العربية السعودية.

٥ـ فتحية محمد محمود الدبيكي، الزقازيق ـ مصر.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددا)، كل من:

١ـ عايدة عبدالغني يونس عبدالرحمن، الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة.

٢ـ إخلاص عبدالله سالم الجهني، الوجه ـ المملكة العربية السعودية.

٣ـ عامر محمد صبحي أبو طالب، عمان

الاسم: ....
العنوان: ....

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

أولا: أن هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام الواردة في القرآن بصدد الزواج، والطلاق، والعدة، والميراث، فيكون باطلا كغيره من الأنكحة الباطلة.

ثانيا: أن الأحاديث الشريفة جاءت مصرحة بتحريمه.

ثالثا: أن عمر رضي الله عنه حرمه وهو على المنبر أيام خلافته، ولم يخالفه أحد من الصحابة.

رابعا: لأنه يقصد به قضاء الشهوة، ولايقصد به التناسل، ولا المحافظة على الأولاد، وهي المقاصد الأصلية للزواج؛ فهو يشبه الزنا.

وهناك أدلة أخرى على تحريمه جاءت تفاصيلها في كتب الفقه.

ج٤: هو بول جوزيف جوبلز (١٨٩٧-١٩٤٥م)، وزير الدعاية للحكومة الألمانية الاشتراكية الوطنية (النازية) (١٩٣٣-١٩٤٥م). كان خطيبا وكاتبا قديرا أسس دعايته على مبادئ تبرير القوة، وتلقين الكذبة الكبرى بتنويع تكرارها. مات منتحرا بعد غزو الحلفاء برلين.

ج٥: هو الإمام سحنون، عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني (١٦٠-٢٤٠هـ). مات مالك وهو في سن تسمح له بالأخذ عنه، ولكن قعد به الفقر واكتفى بالتتلمذ لابن القاسم، والسماع من ابن وهب وأشهب وعبدالله بن الحكم. عاد من مصر إلى المغرب، وانتهت إليه رياسة العلم فيه، واتسع رزقه. ولي القضاء ست سنوات دون أجر، مستقلا عن السلطان، وكان يضرب الخصوم إذا تعرضوا للشهود العادلين. صنّف «المدونة» التي تحمل فقه الإمام مالك، رواية عن ابن القاسم. وهناك علماء آخرون أسهموا في نشر علم مالك رحمه الله في بلاد المغرب، مثل أسد بن الفرات، وابن القاسم، رضي الله عنهم أجمعين.

- الأردن.

٤- عبدالعزيز محمد شحاتة، الغربية - مصر.

٥- أمل موسى محمد جاويش، حلب - سورية.

٦- فيصل عبدالله إبراهيم حسن، الحد - البحرين.

٧- حنان أحمد سالم الرماح، صنعاء - اليمن.

٨- عبدالرحمن معنوي دعاك، الخرطوم - السودان.

٩- خضرة تونسي بولنوار، عين وسارة - الجزائر.

١٠- علي عامر أحمد العقاد، القاهرة - مصر.

د- كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- وائل أحمد محمد جويد، بورسعيد - مصر.

٢- غيداء محمد الشقفة، الدوحة - قطر.

٣- أحماني عمر بن خليفة، سطات - المغرب.

٤- محمد أحمد ضعيف، حلب - سورية.

٥- حذيفة أحمد هاشم العاصي، عمان - الأردن.

أسئلة مسابقة (العدد ٢٣٠)

السؤال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا...﴾(الآية). من هؤلاء الثلاثة، ومتى كان ذلك؟

السؤال الثاني:

هناك بعض الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتبطة بأحداث معينة. اذكر أربعة من هذه الحيوانات مع رقم الآية التي ورد فيها ذكر كل حيوان منها.

السؤال الثالث:

من أشهر الروائيين الإنجليز، كتب رواياته تحت اسم مستعار. من أشهر رواياته «مزرعة الحيوانات»، و«عام ١٩٨٤م». من هو، وما اسمه الحقيقي؟

السؤال الرابع:

شهد مجال أبحاث الفضاء تنافسا شديدا بين الدول الكبرى في العالم. ما أول دولة أطلقت قمرا صناعيا، ومتى تم ذلك؟

السؤال الخامس:

ما أول دولة استعملت صناديق البريد في شوارع مدنها؟

ويأتيك بالأمثال

وَابَطنِا بَطْنْ

يُضرب في حُسْنِ الفهم والظفر.

وأصله أن رجلاً من العرب كانت له ابنة فخطبها قوم، فدفع أبوها إليهم ذراعًا مع العضد، وقال: مَنْ فَصَّلَ بينهما فهي له، فعالجوا فلم يصلوا إليها، حتى وقعت في يد غلام كان يعجب الجارية يسمى «بطينًا» فقالت: وَابَطنِا بَطْنْ؛ أي حزّ باطنًا تصادف المفصل؛ أي لاتقطعه إلا من باطنه، فلما أمرته طبن ليَفْصِل، فقال أبوها: وَابَطْنَك وهَوَانَكِ، يعني ستَرين سَغَبَ بطنك وإهانتك.

نعم البلاء

يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: ما منْ بلاء يصيبني إلا وأرى لله عليَّ فيه أربع نعَم: الأولى أن البلاء وقع في دنياي ولم يقع في ديني، والثانية أن البلاء لم يقع أكبر مما وقع، والثالثة أن الله تعالى صبرّني عليه حتى احتملته، والرابعة أن الله تعالى ادّخر لي ثواب الصبر عليه.

أطيب فكاهة

سُئل الكاتب الأيرلندي الساخر جورج برناردشو: لماذا تتميز طريقتك في الكتابة بالمرح والسخرية التي تأخذ بلب القارئ؟ فقال شو: إن سبيلي إلى الفكاهة هو أن أقول الحق، فإن هذه أطيب فكاهة في العالم.

ثلاثة وثلاثة

قال فيلسوف: ثلاثة أعرف نتائجها مقدمًا: الشراهة: فإنها تورث المرض، والكسل: فإنه يورث الفقر، والنشاط: فإنه يورث الحياة.

وثلاثة أحافظ عليها جهد الطاقة: الود، والعهد، والوعد، وثلاثة أحبها من صميم الفؤاد: التفاؤل، والأمل، والحب.

بم يشرف الإنسان؟

قيل لكيم: بم يشرُفُ الإنسان، أبالجمال؟ فقال: كلا، فالطاووس أجمل منه، فقيل: أبالقوة؟ قال: كلا، فالأسد أشد قوة منه، قيل: فبضخامة جثته؟ قال: كلا، فجثة الفيل أعظم منه، قيل: فبم إذن يشرُف الإنسان؟ قال: بالإيمان والعلم والخلق الجميل.

يوم تزوج إديسون

مَرَّ أحد أصدقاء توماس أديسون في ساعة متأخرة من الليل بمختبر المخترع الشهير، فرأى فيه نورًا، فصعد ودخل فوجد إديسون منكبًا على بحث معضلة عويصة، فقال: مرحبا توم، ألا تنوي أن تؤوب إلى دارك؟ قال إديسون: كم الساعة؟ قال الصديق: تجاوزت منتصف الليل. قال إديسون: آه لابد من العودة لأنني تزوجت اليوم.

هكذا كانوا

وصف الشعبي أدب الخليفة عبدالملك بن مروان، فقال: والله ما أعرفه قط إلا آخذًا بثلاث، تاركًا لثلاث: آخذًا بحسن الحديث إذا تحدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، تاركًا للمحاورة مع اللئيم، ومجاراة السفيه، ومنازعة اللجوج.

معنى «تليفزيون»

التليفزيون كلمة يونانية لاتينية مركبة من مقطعين؛ حيث تعني «تلي» باليونانية: عن بعد، وتعني «فزيون» باللاتينية: الرؤية، فيكون المعنى الحرفي للجزأين: الرؤية عن بعد.

من عجائب الخلق

اكتشفت مجموعة من علماء بيولوجيا الأعصاب أن بعض المواد الموجودة في



«المشربية».. طراز من البناء العربي ضاع في زحام الحياة العصرية

استراحة العدد

السم الخفيف الذي تفرزه حشرة العنكبوت أثناء اصطيادها فريستها من الحشرات الأخرى يفيد في عمل مضادات فعالة لحالات التشنج العصبي، لقدرتها على تعطيل تأثيرات مادة كيماوية في المخ يمكن أن تصيبه بالسكتة المخية.. ويا سبحان الله.

أين الخطأ

بعث مؤلف مبتدئ نسخة من رواية ألفها إلى ناشر أمريكي مصحوبة برسالة أكد فيها أن جميع شخوص روايته لا وجود لهم، وأنها رواية خيالية.

وبعد مضي عدة أيام تلقى المؤلف روايته مرة أخرى مصحوبة بملحوظة من الناشر هي: وهذا هو الخطأ فيها!

ساعات النهار

تنقسم ساعات النهار عند العرب إلى عشرة أقسام هي على التوالي: الذّرور، والبزوغ، والضحى، والغزالة، والهاجرة، والزوال، والعصر، والأصيل، والحدود، وأخيرًا الغروب.

شرق وغرب

جلس «الكولونيل» لورنس مرة مع شيخ عربي، فأفاض في وصف ما كشف المرقب عن عجائب الفلك، وحين انتهى التفت الشيخ إليه وقال: أنتم أيها الأجانب ترون ملايين النجوم ولاترون شيئًا وراءها، أما نحن المسلمين فلا نرى إلا نجومًا قليلة، ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم.

يسرق العقل

سئل حكيم أن يصف الكذاب، فقال: هو مثل اللص، فاللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.

المليونير جوركي

مما يروى عن الأديب الروسي مكسيم جوركي أن أحد مدرسيه طلب من فصله وهو في العاشرة من عمره أن يكتب كل تلميذ موضوعًا إنشائيًا بعنوان: ماذا تفعل لو أصبحت مليونيرًا.

وأمسك كل تلميذ بقلمه وشرع يكتب، إلا جوركي إذ جلس ساكنًا لايبدي حراكًا، فسأله المدرس لماذا لاتكتب؟ إن جميع زملائك يعملون لإنجاز موضوعهم، فقال جوركي: وهل تتوقع مني أن أقوم بأي عمل عندما أصبح مليونيرًا!

نصيحة بخمسة آلاف!

وجد الحجاج بن يوسف الثقفي يومًا صندوقًا مقفلاً بإحكام كان ضمن خزائن كسرى، فعرضه للبيع دون أن يفتحه قائلاً: مَنْ يشتريه بما فيه ولا أدري ما فيه.

فتزايد الناس حوله حتى عرض أحدهم خمسة آلاف دينار ثمنا للصندوق، فقال الحجاج بعد أن نظر إليه: ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم.

وبالفعل صدق حدسه، إذ ما كاد المشتري يفتح الصندوق حتى وجد فيه رقعة مكتوبا عليها: من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل!

منطق

قبض الفاتح الإغريقي الإسكندر الأكبر على أحد لصوص البحر، وحين سأله بأي حق يسرق مال غيره؟ أجابه اللص: أنا أسرق بسفينة صغيرة فيدعوني الناس ل صًا، وأنت تسرق بأسطول كبير فيسمونك فاتحًا!!

ارم به فقري

دخل أعرابي على الفضل بن يحيى سائلاً مساعدة، فاقترح أحد الحضور أن يأخذ الفضل سهمًا من كنانته ويركبه في كبد قوسه ويومئ للأعرابي، فإن رد عن نفسه ببيت من الشعر فقد استحق العطاء، وإلا فإن العطاء لم يصادف محله، فوافق الفضل، وركّب سهمًا في قوسه وأومأ إلى الأعرابي قائلاً: عليك أن ترد سهمي ببيت من الشعر وإلا!! وفهم الأعرابي ما يعنيه الموقف، فبادر إلى القول ببلاغة نادرة:

لَقَوْسُكَ قوسُ الجود والوَترُ الندى
وسهمُك سهمُ العزِ فارمِ به فقري

فاهتز الفضل والحضور طربًا، وأقبل الفضل على الأعرابي مجزلاً له العطاء.

يقطع نفسه

وفد أحد مدَّعي الشعر على الشاعر المعروف أحمد الصافي النجفي، فقال الأخير بعد أن سمع شعره: اسمع يا بني هذا الشعر مكسور الوزن.

فقال المتشاعر في صلف: إنك لا تفهم يا أستاذ لأن الشعر يجب أن يقرأه صاحبه، حتى إذا كان قصيراً مدَّ له نَفَسَه، وإذا كان طويلاً قطع نفسه.

فقال النجفي: أدعو الله أن يكون شعرًا طويلاً دائمًا حتى تقطع نَفَسَك!

قبل الزواج وبعده

سُئل الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو يومًا عن نظرياته قبل الزواج وبعده، فقال: قبل أن أتزوج كان عندي ست نظريات في تربية الأطفال، أما بعد الزواج فقد صار عندي ستة أطفال وليس لدي نظريات لهم على الإطلاق.

الأكباد المحترقة

قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم قال: لأننا نقول وأكبادنا تحترق.

الكاتب الكامل

سئل الشاعر جبران خليل جبران عن الكاتب الكامل، فقال: هناك أنواع متدرجة؛ فمَنْ نقّب وبحث وكتب فهو ربع كاتب، ومَنْ رأى ووصف فهو نصف كاتب، ومَنْ شعر وأبلغ الناس شعوره فهو الكاتب كله.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.



حنين..

مأساة واقعية

ميسون القباني

كلية التربية للبنات بأبها، الأقسام الأدبية، قسم اللغة الإنجليزية، السنة الثانية.

ترميني بسهام شوق... فتُدميني
تُنسيني الصبرَ... وتُبكيني
إلى قاع الحيرة... تُلقيني
في بحر الضياع... تغرقني
كل قوافي الألم... تعلّمني
بهمس العيون... تكلّمني
بنار الحنين... تحرقني.

أسقطت «حنين» القلم من يدها وأسندت رأسها الكليل المرهق إلى راحتيها، تحدّرت من عينها دمعة حارة محرقة.. تسللت بهدوء على وجنتها لتسقط كعادتها فوق الحروف الضائعة.

ومرّت لحظات طويلة قبل أن تنهض من مكانها وتخطو بخطوات بطيئة نحو النافذة لتبعد الستارة قليلاً، وتفاجأ بسواد الليل وقد مدّ سلطانه على الدنيا، فأدركت أنها لم تتحرك من جلستها السابقة منذ ساعات.

بتنهيدة ملمتها بألم من أنفاسها المحترقة، أسبلت جفنيها المتنفخين، فعاصت أنوار المنازل المتناثرة من بعيد في بحر من الظلام الدامس. أرخت الستارة لتُبعد عن ناظريها شبح الأضواء الخافتة التي تشبه دموع نجوم السماء وقد انهمرت على أرض الحزن، وذهبت إلى سريرها لترتمي عليه في تعب ظاهر.

ما إن وضعت رأسها على الوسادة حتى عاد هدوء الليل يغتالها بحبل طويل من الذكريات، وما لبث قلبها أن انتفض بولع.. وتسارع نبضه بجنون.. وهي تذكر ذلك الصوت الملائكي الذي يحمل كل براءة الدنيا وسحرها بين طياته.. وهو يناغي الألعاب المبعثرة على السرير الصغير. تذكرت تلك الابتسامة العذبة التي كانت تستقبلها بها ابنتها «أحلام» ذات التسعة أشهر كل صباح عندما تحملها بين ذراعيها وتضمها بكل الحنان والحب الذي تحمله الأم لوليدها.

تذكرت ذلك المنزل الصغير الدافئ الذي كان يضمها وزوجها وابنتهما بعقود عطرة من زهور الحب والود والسعادة.

وفجأة.. امتد سياج أسود غليظ في حياتها.. مزّق صورة ابنتها وحجبها بعيداً من نبضات قلب الأم المضطربة، دفنت رأسها في الوسادة بعنف وتناثر شلال شعرها الليلي الساحر حولها وهي تحاول إبعاد هذه الذكريات المؤلمة منها علّها تنعم بلحظات راحة تسرقها من الزمن الغادر، لكن ذلك كان مستحيلاً؛ فكل قطرة من دمائها تصرخ تحت ثقل آلاف الهموم والأحزان، والأشواق لشريك العمر، وفلذة الكبد.

كانت «حنين» فتاة رقيقة، مرهفة الأحاسيس، فيها من النعومة والأنوثة والأدب والأخلاق مالا يوجد في كثير من الفتيات، إلى جانب تمتعها بقدر كبير من الجمال يتجسد في قامتها الممشوقة وبياضها القمري وشعرها الطويل المنسدل إلى مافوق ركبتيها بقليل.

لا أحد يذكر أنه رآها حزينة أو سمع صوتها تصرخ، بل كانت دائماً عذبة، هادئة، طيّبة، صبور.

بدأت غيوم الحزن تُمطر الأسى على أرض سعادتها.. عندما أخذ الشيطان ينسج شباك العداوة والكره بين أهلها وأهل زوجها «مصعب»، وبدؤوا يقعون في الشَّرَك واحداً بعد الآخر، بعد أن تمكن الشيطان من غرس أخطاء وشكوك لا أساس لها من الصحة بين الأسرتين.

وفي أحد الأيام جاءت أختها من الرياض لتقضي بعض الوقت مع أهلها في أبها، فأحب الأب أن يجمع بين ابنتيه على وليمة غداء في أحد المتنزهات الجميلة، وذكّر حنيناً بالحضور في الموعد المحدد، ولما جاء اليوم المذكور فوجئت برفض «مصعب» الذهاب بحجة أن الدعوة لم تكن موجهة له بشكل رسمي رغم أن الرأي رأيه.. فقد لا يسمح لها بالذهاب.

فثارت ثائرة الأب المريض بارتفاع ضغط الدم، وأحس أن كبرياءه ومكانته قد أهينت، وأن تصرفات «مصعب» بدأت تنحرف بسبب أهله؛ فغضب، ووبّخه بإسلوب قاسي (قاس) على رفضه الدعوة، كما يوبخ أحد أولاده عندما لا يمتثل لطلبه.

وبعد فترة قرر الأهل الذهاب ليعتمروا في بيت الله الحرام وأحب الأب أن يأخذ حنيناً معه، لكنه فوجئ مرّة ثانية برفض «مصعب» غير المبرر، إلا أنه أراد تأكيد كونه الآمر الناهي عليها، وأنه إن رفض فلا مجال لتغيير رأيه.

حزّ رفض «مصعب» في نفس «حنين» وشعرت بالأسى؛ فهي في شوق كبير لرؤية الكعبة وقضاء بضع ساعات في رحاب الرحمن؛ لكنها اكتفت بالصمت وأذعنت لأمر زوجها.

ثم توالت المشكلات واحدة إثر الأخرى، وفي كل مرّة ينتصر الشيطان فرحاً جذلاً لتفاقم العداوة بين الأسرتين، فكل منهم يريد تأكيد رأيه ومكانته، وإن لم يتمكن من ذلك يشعر أن كبرياءه

قد جـرحـت ومكانته قد غُضّ منها. وانتهى الأمـر بأن طلب الأب من ابنته «حنين» أن تأتي معه إلى المنزل حتى تهدأ الأمور ويعتذر «مصعب» عمّا بدر منه ومن أهله.

ارتعشت بأسى.. وهي تذكر كيف أخذت ابنتها الصغيرة من صدرها، لأنها ـ حسب قول أبيها ـ غير مسؤولة عن أولاد «مصعب»، بل هو الذي يجب أن يتحمل نتيجة ماحدث.

ومرّت الأيام... لم تكن «حنين» تتخيل أبدًا أن الأمور قد تسوء إلى هذا الحد؛ فهي لم تكن لتقدر على أن تعصي أمر أبيها، فذهبت معه والمرارة تعتصر قلبها، لكنها تذكرت زوجها ولحظات السعادة التي كانت تجمعهما وليالي السهر أيام الامتحانات والتنافس على الدرجات العالية، تذكرت تلكم العينين اللتين تفيضان بالحب والحنان وهما ترمقانها بود وهي غارقة في الكتب والأوراق، تذكرت ذاك الوجه الوسيم والابتسامة الخلابة، وهمسة الدفء وهو يقول: أتريدين مساعدة!؟!

فطمأنت قلبها إلى أنه لابد سيأتي ليأخذها لبيتها ويُنهي ما بينه وبين عمه من خلاف وتعود إليها «أحلام» التي ما تعودت البعد لحظات عن أمها.

لكن الأيام التي حسبتها «حنين» معدودة أضحت أسابيع، و«مصعب» لم يأت بعد.

أثناء ذلك، ومنذ الأيام الأولى للبعد، أحس «مصعب» بالوحشة والوحدة بعيدًا من شريكة العمر، وحبيبة القلب وزهرة المنزل، وبدأ الحنين ينهش قلبه، والشوق يحمّسه ليذهب ويعيدها إلى المنزل، لكنه ما إن ألمح بالفكرة إلى أهله حتى ثاروا في وجهه غضبًا، وأخذت أمه تدندن في رأسه آلاف المواويل الشيطانية:

أتهين نفسك وأباك الشيخ وتذهب ذليلاً إلى بيت أبيها بعد أن أهانك وأخذ ابنته!! فليعدها كما أخذها، هذه مشكلته هو، ثم إنك شاب صغير في مقتبل العمر، بنات عمك وبنات عمتك يتمنين الحصول على زوج مثلك، فماذا تريد من «حنين» وأهلها؟! لو كانوا يريدونك فعلاً، لما أخذوا ابنتهم؟! ولو كانت تحبك حقًا لرفضت الذهاب مع أبيها.

التزم «مصعب» الصمت فما باليد حيلة، وكيف يخالف أمر أهله وهم الذين يعينونه في حياته!؟ فهو مايزال طالبًا، وراتبه لا يكفي لتأمين حياة راقية كالتي يعيشها بمساعدة أهله.

وبدأ كلام الأم طوال اليوم، كل ساعة وكل لحظة يدير رأسه، ويعظّم عنده الأمر أكثر فأكثر، ويقنعه أن ذهابه ليأخذ زوجته إهانة في حقه وحق أبيه وأسرته كلها، فامّحى ما كان في قلبه من حنين للزوجة البائسة التائهة بين حبها لزوجها وابنتها وبين ولائها لأبيها وعدم قدرتها على مخالفته.

وطالت الأيام، كثرت الأحزان والآلام والدموع، وأظلم الكون في عيني «حنين»، كانت كلما لمحت بصيص نور، أشرق الأمل في فؤادها الكليم، فها هم وجهاء العشيرتين يجتمعون لفضّ الخلاف، وبدأ النقاش، واحتدم، وهدأ، وما من نتيجة، فكل يغني على ليله (ليلاه) وكلٌ مصمم على رأيه، وأبو «حنين» وأبو «مصعب» كلٌ منهما متشبث بأن الحق معه، وتبدد خيط النور في ظلمة لا نهاية لها.

تململت «حنين» في سريرها بضيق، وهي تحس أن سوادا يجثم على قلبها فيسحقه، تمنت لو تبكي أكثر، لكن الدموع ملّت البكاء، والقلب سئم الحزن، والصبرُ ملّ الصبر.

فتحت «حنين» عينيها على صوت أمها تناديها للإفطار، تأملت حولها بنظرات شاردة ونهضت عن السرير بتراخ، لمحت نفسها في المرآة فهالها شحوب وجهها ونحولها المرعب، وأبعدت نظرها عن المرآة بأسى وألم، جلست على مائدة الإفطار بعد تحية مقتضبة ألقتها على الوجوه الجالسة أمامها، وتناولت كوبًا من الشاي الساخن علّه يمدها ببعض الدفء ليوم آخر من سني عمرها الضائعة، لكن شعورًا قويًا نبهها إلى الوجوم المحيط بمن حولها، فأبعدت الكوب عن شفتيها قبل أن تأخذ رشفة واحدة، وتأملت عيني أمها الدامعتين المحدقتين في المائدة بذهول، وعيني أبيها تهيج فيهما بحور من الصراع المؤلم الدفين الذي يحاول إخفاءه بجهد مرير، شعرت بغصة في حلقها ووخز في كل جسدها وهي تسأل:

ـ ما الأمر؟!

ـ لا تهتمي، لقد حدث ما كان متوقعًا من ذاك الشاب عديم الأخلاق وأهله الأشرار، لكننا لن نهتم ولن نبالي بهم.

عادت تسأل برعب والكلمات تخرق أذنيها وتدمي قلبها:

ـ ما الأمر، ما الذي حدث؟!

عاد الأب يقول بهدوء مصطنع:

ـ وصلتنا أمس ورقة الطلاق من «مصعب»، ويبدو أنه سيتسنى لأهله أخيرًا تزويجه من ابنة عمه التي طالما أرادوا تزويجها له. كنت أعرف منذ البداية أنه لا خير في هذا النوع من الشبان، فشخصيته ضعيفة أمام أمه وأبيه، ولو كان له كلمة لما أذعن لطلبهما، ولأتى وأخذك لبيته.

وقعت كلمات أبيها عليها كالصاعقة، فندت عنها صرخة جزع خافتة وانتفضت من مكانها كالملسوعة وهي تلهث:

ـ طلاق..؟! وأحلام... وزوجي... ومنزلي... وحياتي؟!!

رفعت الأم وجهها تجاه «حنين» وقالت بلهجة لا تخلو من الإقرار بالواقع المؤلم:

ـ ليكن ما يكون، لا تتشبثي هكذا بمصعب وابنته، إن الدنيا لم تخلُ من الشبان الطيبين، الأهل للمسؤولية، ثم إنك لم تتجاوزي التاسعة عشرة من العمر، وجمالك ساحر أخّاذ، سيتمنى كل من يعرفك أن يتزوجك.

تمطّرت الدموع غزيرة على وجنتي «حنين» فأغشت ناظريها، ودارت بها الدنيا ولم تعد تملك نفسها، فصرخت بشكل هستيري أمام أبيها:

ـ أرضيت؟! ها قد أصبحت مطلقة.

ها قد دمّرتَ حياتي. لقد أخذتني من بيتي، وأبعدتني عن ابنتي وزوجي لأتفه الأسباب وها هي النتيجة أمامك، بسبب الخلاف بينك وبين أبيه، دمّرت أسرة كان يحيطها الحب والتفاهم والود!!

أجاب الأب والغضب يشع من عينيه:

ـ لو أرادك لأتى وأخذك.

ـ أتظن أنه كان قادرًا على مخالفة كلام أبيه وجده الشيخ كبير الأسرة وقد أمراه أن لا يقرب المنزل حتى أعود أنا إليه!!

لقد توقعت منه ما توقعه هو مني، أن أنسى كلامك وأعود دون أن أبالي بك أو بمكانتك بين الناس.

لكن أن تُدمّر حياة ابنتك كان أهون عليك من أن يقول الناس أخذ ابنته وأعادها راغمًا صاغرًا!!

إن سلاسل العداوة بينكما التفّت حول رقبتينا أنا ومصعب، وتركتمانا عاجزين أمام الخلاف بينكما وهذه هي النتيجة!!

قالت «حنين» كلمتها الأخيرة ثم خانها صوتها ولم تعد قادرة على النطق أو حتى التنفس، فماذا يا تراه يقول؟

فؤادٌ ضاع معناه، وعمرٌ فقد دنياه.

جرت باكية إلى الغرفة التي تشهد أحزانها منذ رحيلها من بيتها، وارتمت على السرير الذي مازال نديًا بدموع الليلة الماضية.

أشعة الشمس تنعكس على مياه البحر الفيروزية فتزركشها ببريق أخّاذ، وتتسلل عبر الأبدان فتنعشها بدفء لذيذ، النسمات الربيعية الباردة تهب بين الحين والآخر حاملة معها أصوات العصافير التي تغرّد بمرح وتقفز من شجرة إلى أخرى في الحديقة الصغيرة.

أخذت «حنين» نفسًا طويلاً من الهواء المنعش وراحت تتأمل الناس من حولها بهدوء وصمت.

وضعت فنجان القهوة من يدها، ومضت تمشي في أرجاء الحديقة في هذا الجو الساحر الخلاب تاركةً وراءها أباها والكهل الوقور الذي يجلس معه في نقاشهما الجاد حول ترتيبات العرس.

بريق خاتم الخطبة في يدها يحمل أفكارها إلى الحياة التي تنتظرها مع هذا الكهل الثري الذي سيؤمن لها ـ حسب رأي أهلها ـ حياة تليق بها، إذ إنه ـ رغم كبر سنه وزوجاته الثلاث وأولاده التسعة ـ ثري ومن عائلة مرموقة وستعيش معه هنا في جدّة حياة مترفة لأبعد الحدود.

أيقظها من أفكارها إحساسها بشيء يرتطم بها من الخلف، أدارت وجهها لتلمح طفلة لم تتجاوز الثانية من العمر تتهادى في خطاها الصغيرة السريعة نحوها لتلتقط كرتها.

نظرات «حنين» بطّأت من خطى الطفلة فطالعت وجه «حنين» بعينين عسليتين تبرقان كجوهرتي عقيق خلابتين، وقد ارتسمت على ثغرها القرمزي ابتسامة ساذجة بريئة.

انحنت «حنين» نحو الكرة الحمراء والتقطتها ثم مدت يدها بها إلى الطفلة التي ازدادت ابتسامتها اتساعًا، وعيناها بريقًا، وهي تخفي خلفهما معاني الشكر والامتنان.

لمست «حنين» شعر الطفلة الكستنائي الحريري وتناولت وجهها الوضّاء بين راحتيها فندت عنها زفرة ألم دفين تلازمت مع دموع حارة تنسكب من مقلتيها وهمست:

ـ لابدّ أن أحلام الآن جميلة مثلك...

لكن.. مرّت الأيام..

ذهب لذيذ المنام..

لم يبق إلا طيف الأوهام، فقد ضاعت.. الأحلام!

التعليق:

القصة متميّزة في بنائها وأسلوبها ولغتها.

إلاّ أن المقطع الذي صُدّرت به، وأريد أن يمثّل فاتحة، يبدو ركيكًا، ولا شعرية فيه إن كانت ميسون قد ظنّته شعرًا أو نوعًا منه؛ لذا حبذا أن يُحذف أو أن يُستبدل به نصٌ آخر أقوى وأنسب للمستوى العام للقصة.

أما الوصف بالواقعية، الذي أشير إليه مع عنوان القصة، فلا حاجة له لتأكيد جمال القصة وتأثيرها؛ فلتكن واقعية أو غير واقعية، ما يعني القارئ هو إقناعية القصة وتأثيرها، وعندئذ فإن تجريد القصة من هذه الصفة «الواقعية» يضيف إلى رصيد الكاتبة في المقدرة على الإيهام بالواقع وإن اعتمدت على نسج الخيال.

هناك ألفاظ تطلبت التعديل، وأخطاء نحوية وإملائية لزم تصويبها، كما أن القصة شابها حشو قليل، لكن ذلك لا ينتقص من المستوى العام للقصة.

د. عبدالله المغامري الفيفي



الأخوين: د. عبدالسلام أحمد ميغو، فاس ـ المغرب، حلمي مليان صندوق، مدنين ـ تونس:

للحصول على «دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية» يرسل شيك بمبلغ ٦٠ ريالاً على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أما كتاب د. علي شلش «الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية» فقيمته ١٥ ريالاً، ويرسل الشيك باسم مجلة الفيصل الثقافية.

الأخ عبدالمقصود السعيد، المنصورة ـ مصر:

نشكر لكم متابعتكم وحرصكم على مجلتكم، وقد أُنذر الكاتب الذي أرسل مادته المنشورة في «الفيصل» إلى مجلة أخرى، وأُبلغ بعدم نشر أية مادة له في حالة تكرار ذلك، ونأمل من جميع الإخوة الكتاب التزام ما جاء في الملاحظات العامة المتعلقة بالنشر في المجلة، ومنها ألا يكون الموضوع المرسل للمجلة منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة، كما نأمل من الذين لم يسبق لهم الكتابة في المجلة إرفاق المؤهلات العلمية والنتاج الفكري وصورة شخصية ملونة ـ إن أمكن ـ مع موضوعاتهم.

الأخ الباي غزال، ولاية المسيلة ـ الجزائر:

نشكر لكم إطراءكم، ونحن نسعى بدأب لكي يتم توزيع المجلة في الجزائر، وسوف يتم تزويدكم بالأعداد التي طلبتها. أما مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فستجد عنه معلومات وافية في العدد (٢٢١) المرسل إليكم، وعنوان المركز منشور في باطن الغلاف الأخير للعدد نفسه.

الأخ د. خالد علي رويشدي، دمشق ـ سورية:

موضوعكم «مخاطر الاستخدام السيء للمبيدات الكيماوية» نشر في العدد ٢٠٥، وقد أرسل إليكم العدد في حينه، وسوف ينظر فيما ورد في خطابكم، وسيكون الرد بريدياً، ونأمل أن نتلقى منكم مشاركات علمية في القريب.

الأخ مخلوف مراد، قسنطينة ـ الجزائر:

ليتك تستثمر وقتك فيما هو مفيد بدلاً من إضاعته في هذه التخيلات الوهمية، وليتك تُعنى بإثراء حصيلتك اللغوية، بتوجيه جهدك إلى القراءة المفيدة التي ـ لاشك ـ ستخلصك من هذا الذي تعانيه.

الأخ عادل حمدي سليمان غانم، المنوفية ـ مصر:

ما أرسلته إلى المجلة ليس زجلاً ولا شعراً، وليس مكانه «الفيصل»، وإذا كنت تريد السير في درب الإبداع، فإن هذا يقتضي منك جهداً كبيراً في القراءة المتعمقة للنتاج الأدبي الرفيع الذي أبدعه الأقدمون والمعاصرون. أما الوقوع في أسر كلمات الأغنيات السائدة الآن فلا يؤدي إلا إلى «أي كلام»، كما عنونت أنت ما ادعيته زجلاً.

الأخ وحيد خيون، هولندا:

سنرسل لك بعض الأعداد، ونأمل تجاوبك مع ما جاء في رسالتنا إليك رداً على خطابك، ونتمنى لك التوفيق إن شاء الله.

الأخت ش.ف، السمارة ـ المغرب:

نشرنا عن د. حسن ظاظا في العدد رقم (٢١٦)، وقد أرسل إليك، وهو يشكر لك إطراءك، ويأمل أن يكون دوماً عند حسن ظن القراء الكرام، وأن يجدوا في مقالاته ما يفيد.

الأخ أحمد محمد السعدي، الطائف ـ السعودية:

نشكر لك هذه المشاعر الفياضة تجاه الوطن الحبيب، ونأمل أن نتلقى منكم مشاركات تتناسب وهذه المشاعر، ونود دائما أن يتواءم عطاؤنا مع ما نكنه للوطن من حب متدفق نعبر عنه شعراً ونثراً.

الاخوة: العطوي علي، لكحل بن عزوز، مرقوب أحمد ـ ولاية الجلفة، ثروج عبدالقادر، أبا حفص الطيب، سعيدة ـ الجزائر:

تجدون في هذا الباب زاوية بعنوان «إيضاحات» نشير فيها إلى أن المجلة تعتذر من عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات (كتب ومجلات) لا علاقة لها بها، وبناءً عليه فإننا نكرر الاعتذار، وسوف نرسل إليكم بعض أعداد المجلة، نأمل أن تجدوا فيها مبتغاكم. وليت الأخوة القراء الذين يطلبون من المجلة إرسال إصدارات إليهم أن يتنبهوا إلى هذه الملاحظة، توفيراً لما قد يتكبدونه من جهد في المراسلة والانتظار.

الأخ بنعمر محمد، إقليم جرادة ـ المغرب:

لايمكننا الحكم على الحوارات التي أجريتها من خلال محاورها، لذا نأمل إرسالها حتى يمكن تحديد موقفها من النشر، وإبلاغكم برأينا.

ونلفت انتباهكم إلى ضرورة إرفاق صور المحاورين وسيرهم الذاتية حتى يتسنى لنا نشرها مع الحوارات في حالة إجازتها للنشر.

الأخوين: علي محمد محمد عبدالسميع، سوهاج ـ مصر، نعمان نور الدين، تلمسان ـ الجزائر:

نشكر لكما إطراءكما، ونأمل أن تكون المجلة مواكبة للتطورات العصرية كما أشرتما، وهناك ملفات أخرى متخصصة نقوم بالإعداد لها، وستنشر قريبا إن شاء الله. وسيتم بحث زيادة كميات النسخ الموزعة، أما الأعداد التي طلبتموها فهي في طريقها إليكما.

بين القارئ والقارئ

أبحث عن مجموعة من الكتب الخاصة بالأدب السعودي، لهذا أطلب من أي شخص يملك بعضًا منها موافاتي بها، وأنا له من الشاكرين.

صلاح الدين سيد علي، حي وعواع المدني - المسيلة، ولاية المسيلة ٢٨٠٠٠ - الجزائر

أقوم حاليًا بعمل دراسة حول اليهود المغاربة وعلاقاتهم بالمسلمين ويهود الدول الأخرى، لذا أود من الإخوة قراء «الفيصل» - والأخوين الكريمين صاحبيْ الرسالتين الجامعيتين المذكورتين لاحقًا مساعدتي في الحصول على:

- العلاقات المصرية العربية من عام ١٩٧٠ إلى ١٩٨١م، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، قدمها حسن أبو طالب.
- المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قدمها جلال الدين محمد صالح.
- السرقة والرشوة في تاريخ المخابرات الإسرائيلية، تأليف: يوسي ميلامان و دان رامين، ترجمة: عبدالوهاب الزنتاني، ومراجعة د. صبحي قنوص، نشر دار الجماهيرية للنشر في مصراتة.
- قراءة في كتاب سليمان عليه السلام، لمؤلفه عبدالرحمن الرفاعي.

موساوي محمد، زنقة ٣١ (أ) - رقم ٦٠ كلوش، وجدة ٦٠٠٠ - المغرب

أحتاج لغرض المطالعة والبحث إلى الآتي:

- الإنسان ذلك المجهول، لألكس كاريل، وضوابط المعرفة (الميداني)، وقصص باللغتين الإنجليزية والألمانية.

عبدالحليم بختي، المسيلة ٢٨٠٠٠ ص.ب ٨٦٧ - الجزائر

أطلب من الإخوة قراء «الفيصل» الذين لديهم أعداد قديمة من مجلة الهلال وكتاب الهلال أن يتكرموا بتزويدي بها، مع استعدادي لدفع مصاريف الشحن بالبريد، أو المبادلة بمجلات عربية وكتب أخرى.

وآمل كذلك تزويدي بالعدد رقم ٤٤٣ من مجلة «العربي» الكويتية لشهر أكتوبر ١٩٩٥م، والعدد رقم (١٠) أكتوبر ١٩٩٥م من مجلة الهلال المصرية.

حبيب جميل الحلفاوي، ٢٤ حي الروضة ٨٠١٠ منزل بوزلفة، الجمهورية التونسية

أرغب في الحصول على الكتب التالية

- الشيخ محمد الغزالي ومعركة المصحف في العالم الإسلامي، تأليف: محمد شلبي، نشر دار الصحوة بالقاهرة.
- قصة حياة، تأليف الشيخ محمد الغزالي، وكذلك كتابه: أزمة الشورى في العالم الإسلامي. وليتني أستطيع الحصول على بعض الكتابات والمقالات الجادة التي تناولت بعض الجوانب الفكرية عند الشيخ الغزالي، وإنني على استعداد لإهداء بعض الإصدارات الفكرية والأدبية لأي أخ متفضل بالتجاوب مع طلبي.

إبراهيم نويري، بلدة بو خضرة (١٢٣١٠) ص.ب ٦٢- ولاية تبسة - الجزائر

أرغب في الحصول على بعض أعداد من مجلات عالم المعرفة والمجلة العربية والفيصل، التي لم أتمكن من الحصول عليها لسبب أو لآخر، ويمكنني مبادلتها بإصدارات أخرى أو ببعض الكتب.

محمد الحمادي بن علي، حلب - ص.ب ٣١٠٥، سورية

عناوين

الأخ طارق عطا علي، الخرطوم - السودان:
عنوان المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب:
ARAB STUDENT AID INTERNATIONAL
P.O BOX 10
FANWOOD, NEW JERSEY 07023 U.S.A
FAX: (908) 654-3940

الأخ خضر السعدالدين، حمص - سورية:
رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، مكتب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: الرياض ١١١٣١

الأخ عبدالعزيز الكموط، جامعة عبدالمالك السعدي، تطوان - المغرب:
عنوان الشيخ أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري:
الرياض ١١٤١٦ - ص.ب ٢٢٥٦٦

الأخ مصطفى عبدالفتاح، أدلب - سورية:
عنوان إذاعة نداء الإسلام:
وزارة الإعلام، سعادة مدير إذاعة نداء الإسلام، جدة ٢١٦٢١

عنوان مؤسسة سلطان العويس الثقافية:
الشارقة، ص.ب ٤٣٢١، الإمارات العربية المتحدة
ونعتذر للأخ مصطفى من عدم عثورنا على العنوان الثالث الذي طلبه.

الأخ خليل النقاش، ولاية ميلة - الجزائر:
عنوان مجلة الهلال المصرية:
دار الهلال، ١٦ شارع محمد عزب (المبتديان سابقا)، السيدة زينب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
أما عناوين المجلات السعودية التي طلبتها، فهي كالآتي:
مجلة الشرق: ص.ب ٢٦٦٣ - الدمام ٣١٤١٦
مجلة المنهل: جدة - الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ - الرمز البريدي ٢١٤٦١
ت ٦٤٢٧٨٣١ فاكس ٦٤٢٨٨٥٣
مجلة الدارة: ص.ب ٢٩٤٥- الرياض ١١٤٦١
المجلة العربية: الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)،
ت ٤٧٧٨٩٩٠ - فاكس ٤٧٦٦٤٦٤

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفا من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

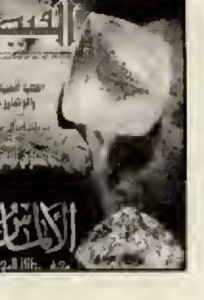
المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مؤتمر المرأة وعلامات استفهام!!



شد انتباهي إطلالة العدد (٢٢٧) لشهر جمادى الأولى، وكان عنوانها «مرأة مؤتمر بكين»، بل لفت نظري خبر خطير جدا تحدثتم عنه وهو أن آخر إحصائية أمريكية تقول إن مجموع الأطفال غير الشرعيين في أمريكا ٩.٦ مليون طفل.

إن طرح مثل هذه القضية ـ قرارات مؤتمر بكين ـ يكشف النقاب عن أمور لابد من الوعي بها والإلمام بكل جوانبها، ومعرفة أبعادها، إن كنا جادين لنعد العدة للدفاع عن ديننا.

واسمحوا لي أن أضيف بعض النقاط التي أرى أنها قد تكون ضرورية أو على الأقل مفيدة؛

مختتما بأقوى كلمة ألقيت أمام المؤتمر قالتها بينظير بوتو رئيسة وزراء الباكستان.

أولاً ـ علامات استفهام حول مؤتمر بكين:

أ ـ لماذا يعقد المؤتمر وسط اهتمام وتركيز خاص من قبل أجهزة الإعلام العالمية؟

هذا المؤتمر تكلف أموالاً طائلة، وقامت مؤسسات وشركات غربية بدفع تكاليف السفر والإقامة. ما مصالح هذه الجهات؟ وما الأهداف الحقيقية التي ترمي إليها؟ الهدف هو تشكيل إنسان جديد له مواصفات خاصة وأصحاب الحق هم أوربا وأمريكا.

ب ـ أهداف قرارات بكين:

حرب معلنة ضد الفضيلة ودعوة إلى الرذيلة، تدمير الأسرة، إطلاق الحرية الجنسية، إباحة الإجهاض، إباحة حرية ممارسة الزنا وغيره من الفواحش، والقضاء على ما بقي لدى الأمم من الأخلاق.

جـ ـ يطالب المؤتمر بإنقاذ المرأة:

الشريعة الإسلامية بلغت الغاية في العدالة، والنهاية في الفضائل والأخلاق، واشتملت على أدق النظم والتشريعات الصالحة لكل زمان ومكان فجاءت محققة للمصالح البشرية. والمرأة المسلمة لاتواجه أية مشكلة من حيث مكانتها في المجتمع كأم وزوجة وأخت وابنة. ولقد كفلت لها شريعة الإسلام جميع الحقوق وصانتها من الابتذال والإذلال. وأنقذها الإسلام من الرجال الذين يقتلون الفتيات مخافة الفقر والعار، وجعلها رائدة وأستاذة ومصلحة ومجاهدة وشجاعة، وحافظ على أنوثة المرأة فقضى بإعدام الذين يمارسون الشذوذ حتى لايستغنى الرجال عن الجنس الآخر كما فعله قوم لوط. ووطَّد العلاقة بين الرجل والمرأة وجعل بينهما مودة ورحمة لذلك فإن العلاقات الأسرية في المجتمعات الإسلامية قوية معدومة في غيرها.

وحقوقها مضمونة في جميع مراحل حياتها مثل حق الإرث، وحق التعلم وغيرهما.

وما تنادي به المؤتمرات والمنظمات العالمية فيما يتعلق بحقوق المرأة لايصل في أحسن أحواله إلى ما جاء في الشريعة الإسلامية.

ثانيا: المطلوب:

ـ تشكيل طاقات من النساء الداعيات تخترق المجتمعات الإسلامية لتوعيتهنَّ وربطهن بالدين في كل الدول الإسلامية.

ـ الاهتمام بقضايا المرأة المسلمة ورعايتها فكريًا واجتماعيًا.

ـ نشر الوعي بين النساء بخطورة ما يحاك لهن.

ـ الدفاع عن الإسلام بكل الوسائل والسبل، حيث الإسلام مُشوه عمدًا في المحافل الدولية.

ـ لابد للدول الإسلامية أن يكون لها دور حاسم تجاه قضايا المرأة التي تدور في العالم.

ـ المحافظة على القيم الفكرية لأنها معرضة للاستنزاف.

وفي كلمة مهمة أمام المؤتمر قالت بينظير بوتو رئيسة وزراء الباكستان:

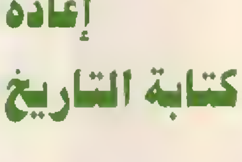
«إنه ليس صحيحًا أن الإسلام يعامل المرأة كبشر من الدرجة الثانية، وليس صحيحًا أنه يحبسها في البيت. فالإسلام كفل للمرأة حقوقا، وحفظ لها مكانتها وكرامتها في المجتمع، وجعلها شريكا أصيلاً للرجل في صنع حياة ملأى بالبذل والعطاء».

وطالبت بضرورة التركيز على التحرر الاقتصادي للمرأة، واتخاذ إجراءات حقيقية لمكافحة الفقر والتخلص من العادات الاجتماعية المتخلفة التي لا علاقة لها بالدين.

ودعت بوتو ـ التي كانت أول المتحدثين أمام المؤتمر ـ إلى ضرورة خوض معركة ضد المغالطة والفكرة الخاطئة التي تحاول أن تعطي انطباعًا بأن الإسلام يجعل المرأة مواطنه من الدرجة الثانية.

كما أعربت عن أسفها لاستغلال المرأة كسلاح في الحروب، لما تتعرض له النساء من اغتصاب لا إنساني في العديد من أماكن النزاعات وخاصة في كشمير والبوسنة.

نعيم نعيم محمود السلاموني
شركة غزل دمياط مصنع ٢
دمياط ـ مصر



إعادة كتابة التاريخ



طرح الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ـ حفظه الله ـ في مقالته الشهرية «صداع العقول» (العدد ٢٢٤) موضوعاً بالغ الأهمية والخطورة بعنوان «إن الأحكام أمانة»، ويدور فحوى الموضوع حول مطلب قديم جديد، هو ما يطلق عليه (إعادة كتابة التاريخ). ولن نبالغ إذا قلنا إن هذه الفكرة تراود عقول كثير من المثقفين والمهتمين الغيورين بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بموضوعية ونزاهة، ودون تحامل أو تأثر بأفكار ثقافية أو عقدية (أيديولوجية) مشبوهة يتأثر بها بعضهم، ومنهم جملة من المؤرخين، بطبيعة الحال، إلى الحد الذي يجعلنا نتساءل: هل يوجد مؤرخ محايد ونزيه؟

إن الكتب التي تدوّن الأحداث التاريخية وتشرحها وتفسرها وتحللها كثيرة ومتعددة، ولكن أغلبها ـ للأسف ـ كُتب ودوّن بوحي أفكار مذهبية أو عرقية معينة.

يقول الفيلسوف الألماني الشهير هيجل: إننا ننظر للأشياء من خلال مقولات CATEGORIES!.

وربّ سائل يتساءل: كيف يمكن إعادة كتابة التاريخ الذي مضى؟ ولعل بعض الجواب يكون في دراسة الكتب التي تتناول تاريخنا الإسلامي دراسة علمية نقدية جادة، وإثبات وجهات النظر التاريخية الصحيحة من خلال إجراء الموازنة والتقاطع في المعلومات المتوافرة في ضوء المفاهيم العلمية بشكل منطقي هادئ متعقل، والابتعاد من الانفعالات والمبالغات.

ولن ننسى تحقيق المخطوطات العربية القديمة ونشرها، التي تقبع الآلاف منها دون حراك يغطيها الغبار في خزائن الكتب. ومن الجائز القول بأن كل مخطوطة عربية تُحقق وتُنشر بشكل موثق وصحيح تضيف معلومات جديدة ناصعة تكشف الغموض وتزيحه عن جوانب معتمة في تاريخنا الإسلامي، على كل الأصعدة الثقافية والعلمية والتاريخية، وكل مناحي الحياة.

لقد أوضح الشيخ أبو عبدالرحمن ـ مشكوراً ـ في مقالته المهمة بعض الجوانب والأسس المطلوبة لإعادة كتابة التاريخ. وإلا كيف نقبل أن تظل تتحكم في تاريخنا المجيد المشرّف أفكار وآراء وتحليلات مشبوهة، دوّنها بعض المؤرخين والمستشرقين لأغراض في أنفسهم لاتخفى على أحد، لعل من أبرزها ـ وإن كان هدفًا غير معلن ـ إعمال معاول التهديم والتشكيك في العقيدة الإسلامية.

ومن المؤسف أن بعضهم يردد ـ بحسن نية ـ مثل هذه الأكاذيب والمبالغات غير المقبولة دون التأكد أو استخدام العقل والمنطق والرجوع إلى المصادر التاريخية الموثوقة، ولو فعلوا لوجدوا أن مايرددونه ويزيدون فيه هو كذب وافتراء وهراء محض.

إن إعادة كتابة التاريخ مهمة خطيرة وعاجلة، فلا حياة للأمة الإسلامية دون تاريخ موثق وصحيح. وكل الأطراف المعنية مطلوب منها الإسهام في هذه المهمة، يستوي في ذلك العلماء والمؤرخون والباحثون والمؤسسات المعنية المهتمة، وصولاً إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة التي تؤدي دوراً كبيراً وخطيراً في ترسيخ الحقائق والمفاهيم التاريخية وتثبيتها في نفوس أفراد الشعب.

ومن خلال صفحات هذه المجلة أوجه النداء للإسهام في هذا المطلب المصيري، وأن يشرع الحوار والمداخلات والتعليقات حول هذا الموضوع المهم الذي يمس كيان الأمة الإسلامية ووجودها.

د. محمد فؤاد الذاكري
حلب ـ سورية

نافذات وتعليقات نافذات وتعليقات نافذات

جاذبية المشتري وجاذبية الأرض

اطلعت على مقال «تلسكوب الفضاء هابل ورصد جديد للكواكب القريبة»، المنشور في العدد ٢٢٨ من مجلة «الفيصل»، وهو موضوع علمي جيد؛ لكنني لاحظت خطأ وقع فيه الكاتب وجدت من الضرورة الإشارة إليه توخيًا لمصداقية المعلومات العلمية التي تنشرها المجلة. ففي الصفحة الحادية عشرة، العمود الثاني، أورد الكاتب العبارة التالية: «.. ونتج من هذا الاقتناص تحطم المذنب إلى قطع، بسبب جاذبية المشتري الهائلة التي تعادل ٣١٨ مرة جاذبية الأرض»! وصواب الأمر أن جاذبية المشتري أكبر من جاذبية الأرض بمرتين ونصف فقط! وحتى يتأكد الكاتب من ذلك ندعوه إلى إجراء التطبيق في القانون العام

للجاذبية لإسحاق نيوتن، والذي يقود إلى علاقة حساب شدة شعاع مجال الجاذبية قريبا من سطح أي كوكب على النحو التالي:

ج = ٦,٦٧ × $١٠^{-١١}$ $\frac{ك}{ر^{٢}}$

حيث تمثل (ك) الكتلة التجاذبية للكوكب، و(ر) نصف قطره. وبالتطبيق العددي في هذه العلاقة باعتبار أن كتلة الأرض: ك = ٦ × $١٠^{٢٤}$ كيلو جراما، ونصف قطرها: ر= ٦٣٨٠٠٠٠ متر، فسوف نحصل على شدة شعاع مجال الجاذبية الأرضية قريبا من السطح والمساوية:

ج = ٩,٨٣ كغ/$م^{٢}$. وبإجراء التطبيق نفسه على كوكب المشتري، وباعتبار أن كتلة ك = ١,٩ × $١٠^{٢٧}$ كيلو غراما، ونصف قطره ر= ٧١٩٠٠٠٠٠ متر، فسوف تكون شدة شعاع مجال الجاذبية قريبا من سطحه: ج = ٢٤,٥ كغ/$م^{٢}$، أي أن جاذبية المشتري أكبر بمرتين ونصف فقط من جاذبية الأرض.

ولعل الكاتب يكون قد وقع في هذا الخطأ نتيجة التسرع في ترجمة الفقرة الأخيرة من العبارة المذكورة حيث يرجح أن تكون وردت بالإنجليزية هكذا:

«by the enormous gravity of jupiter, which is 318 times massive than earth»

ويكون صواب ترجمة هذه الفقرة على النحو التالي:

«.. بسبب الجاذبية الهائلة للمشتري الذي هو أكثر كتلة من الأرض بـ ٣١٨ مرة».

هامش:
أخذت الأرقام والثوابت الواردة في هذا التصحيح كافة من كتاب:
DISCOVERING THE UNIVERSE
تأليف William J. Kaufmann الطبعة الثانية، جدول مثبت في الصفحة ٩٥.

عدنان عضيمة
اللاذقية ـ سورية

شاعر في طي النسيان



رسالتي هذه المرة إلى باب «مناقشات وتعليقات» ـ الذي يُعَدّ متنفسًا حقيقيًا لحملة القلم ـ عن الشاعر «صالح الشرنوبي» الذي كتب عنه الأستاذ شعبان عبد الجيد محمد علي في العدد (٢٢٨) أكتوبر/نوفمبر ١٩٩٥م. بادئ ذي بدء أقول إن البؤساء كثيرون في كل زمان ومكان ولاسيما الشعراء أصحاب العواطف الجياشة والأحاسيس المرهفة، ومنهم ـ في عصرنا الحديث ـ حافظ إبراهيم، وعبدالحميد الديب. وغيرهما. وفي القديم كان أبوالعلاء رهين المحبسين الذي ألزمه فقد البصر بيته فصار مُتبرِّمًا بالحياة شاعرا بالوحدة والتعاسة. وهذا واضح من أشعارهم الموجودة في دواوينهم. وشاعرنا الذي نقصده: صالح علي الشرنوبي، لم يجد في الحياة أيضا أي هدف ينشده أو غاية يسعى إليها؛ فقد ولد فقيرًا ولاقى من النصب والمكابدة في الحياة ما لم يجده كثير من زملائه الشعراء في عصره، حتى إنه لم يوفق في التعليم؛ فقد فشل في الالتحاق بدار العلوم التي كان يتوق إليها بشغف منقطع النظير، ودار العلوم هي التي تخرج فيها كثير من شعراء العصر الحديث أمثال محمود غنيم، وعلي الجندي، وعلي الجارم، وغيرهم. وكانت أحد صروح اللغة العربية في الربع الأخير من القرن الماضي، وهي التي بعثت الحياة في اللغة العربية بحيث نجد صدى هذا واضحا في خريجيها.

وحياة شاعرنا القصيرة ـ حيث عاش ستة وعشرين عاما منذ ولادته في ١٩٢٤م حتى لاقى حتفه تحت عجلات القطار في ١٩٥١م ـ حياة حافلة بالشعر؛ حيث وصل حجم ديوانه الذي حققه الدكتورعبدالحي دياب إلى حوالي ستمئة وثمان وستين صفحة من القطع الكبير، إلا أن معظم قصائد هذا الديوان تشير إلى بؤس الشاعر وتبرمه من قسوة الحياة التي عاشها، وقد ختمت بسد الباب أمامه في الزواج. فقد شد الرحال لخطْبة إحدى قريباته التي تعلق بها قلبه، لكن أسرتها استقبلته استقبالاً مُهينا بما يفيد الرفض، وجعلت من طلبه مادة للمزاح والتندر. وينفجر بركان غضبه وثورته العارمة، ويظل الجرح ينزف في داخله وهو يتخيل إنسانة تحبه وتعطف عليه؛ فيهدي قصيدته إلى «حواء أوهامي» التي يقول في مطلعها:

تعالَيْ يا ابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالَيْ يا ضياء لم ينوّر أفق ليلاتي
تعالَيْ يا رحيقا لم يزل يروي خيالاتي
تعالَيْ يا غرامًا تاه في دنيا الصبابات

وهذه القصيدة تدل على الأداء

الرومانسي الذي يتوج بصدق عاطفة الحب الجياشة. لقد تركت هذه الواقعة في صدر الشرنوبي حرقة وجوى وجفاء، واعتقد أنه رُفض لأنه ليس لديه من حطام هذه الدنيا شيء والشعر لايُسمن ولايُغني من جوع.

هذه واحدة من أقسى ما لاقى شاعرنا «صالح الشرنوبي»؛ بل إن حياته كلها ظلام وقسوة ومعاناة من الإخفاق في التعليم والعمل والحب والزواج. حتى الموت لم يخل من القسوة.. صحيح إن الموت حق وتتعدد الأسباب والموت واحد. لكنه لقي حتفه تحت عجلات القطار وهو يهم بالعودة من القاهرة إلى بلدته في كفر الشيخ فانتهت حياته نهاية مأساوية..

ومع هذا كان الشاعر صادق الانتماء لمصر وطنه، وقال فيها شعرًا جميلاً؛ ففي قصيدة له بعنوان «صلاة الشمس» يقول:

سبِّحي يا شمس باسم الخالق
واسكبي نورك في كل مكان
وإذا قبّلت وجه المشرق
فاقرئي للنيل تاريخ الزمان
ها هنا يا شمس مجدٌ، لم يزل
صوته يملأ أسماع الليالي
أيقظ الدنيا صداه في الأزل
وله عاش الفراعين الأوالي
حدثي النيل المجيد الأعظما
مسرح الدهر ومحراب الخلود
واسألي مصر وناجي الهرما
آية العلياء في سفر الوجود
حدثي يا شمس عن تاريخنا
قد شهدت الدهر طفلاً وغلاما
كم شعوب قَبَست من نورنا
فكسوناها خلودا وسلاما

والقصيدة كلها مملوءة بالصور الشعرية الطبيعية التي تدل على رقة هذا الشاعر وصدق عاطفته وشاعريته، وقد استخدم كثيرا من الصور الطبيعية الجميلة التي كانت صدى لوجوده في أحضان النيل في قريته بمحافظة كفر الشيخ.

وعلى كل حال فشعر هذا الشاعر لم يكن بائسا كله، وإنما تتخلله الرومانسية، وعاش لايربط نفسه بأثقال هذه الحياة وهمومها ورضي بما قسمه الله له. لكن المؤسف الذي يعتصر القلب أسًى ولوعة أن هذا الشاعر لم يجد حظه عند قارئيه؛ بل إن الدراسات التي كتبت عنه من القلة والندرة بحيث تجعله في طي النسيان. وأظن هذا راجع إلى قصر المدة التي عاشها، ووجوده في بلدة من ريف مصر بعيدة من مراكز الإشعاع في العاصمة ومواطن الإعلام التي تأخذ بأيدي أمثاله، وهي مشكلة يعاني منها أدباء الأقاليم وشعراؤها حتى الآن.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة ـ مصر

إضاءة أخرى حول ابن خلدون



طالعت بشغف ورغبة في العدد ٢٢٦ من مجلتكم الزاهرة تعليقا كتبه الأخ القارئ الأستاذ عبدالله نوح الشهري من أبها بالمملكة العربية السعودية الحبيبة في باب (مناقشات وتعليقات) تحت عنوان: «إضاءة حول ابن خلدون».

ومفاد التعليق الإشادة بذكر العلاّمة ابن خلدون والتنويه بجهوده العلمية وعبقريته الفذّة وإنصافه باعتباره المؤسس الأول لعلم الاجتماع قبل أن يدّعيه الإيطاليون أو الفرنسيون أو البلجيك.. وهذا بشهادة المنصفين من الغربيين والشرقيين. ومن حيث التعريف بهذا العلاّمة العربي المسلم المغاربي الشهير لاحظت اقتضابا أو خللاً يحتاج إلى تصويب أو تنوير للحقيقة؛ فقد ذكر أنه «حضرمي توفاه الله في مصر سنة ٨٠٨هـ» ليس غير. وهذا من شأنه أن يغلط المبتدئين أو يعتم الرؤية أمام الباحثين، في حين أن ماكتبه ابن خلدون في المجلد السابع من كتابه التاريخي الاجتماعي العمراني المعتبر تحت عنوان:

«التعريف بابن خلدون» الذي خُصّ بالطَّبع والنشر على انفراد كما فُعِل بالمقدمة المشهورة والمترجمة والمطبوعة مرارًا وتكرارًا في أكثر من دولة.

وحتى لانغبن الرجل أو نعتم الحقائق فلنقرأ ما كتبه بيده عن نفسه في الصفحة الثالثة من الكتاب المذكور: «عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن خَلْدون [بفتح الخاء كما ضبطه بخطه مرارًا]، وأصل هذا البيت من أشبيلية بالأندلس، انتقل إلى تونس في أول الفتح، ونسبنا حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر من أقيال العرب معروف وله صحبةٌ...»اهـ. وأود أن أضيف هنا أن اسم خلدون من الأسماء المنتشرة عندنا في تونس مثل اسم خالد.. ولو أقل شيوعًا.

يقول عن نفسه: «أما نشأتي فإني وُلدت بتونس [والبيت الذي ولد فيه وتربّى أو موضعه مشهور في المدينة العتيقة من تونس العاصمة قرب تربة الباي، وقد اتُّخذ مقرًا للمدرسة القومية للإدارة في بداية الاستقلال؛ أي في الستينيات من هذا القرن العشرين]، في غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ وربِّيت في حجر والدي إلى أن أيْفعت، وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتِّب أبي عبدالله محمد بن سعيد بن بُراك الأنصاري أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، وكان إمامًا في القراءات لايلحق شأوه، وكان من أشهر شيوخه في القراءات السبع أبو العباس أحمد بن محمد البطريني [نسبة إلى بطرنة من إقليم بلنسية بشرق الأندلس]. وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفرادًا وجمعًا في إحدى وعشرين ختمة. وعرضت عليه - رحمه الله - قصيدتيْ الشاطبي: اللامية في القراءات، والرائية في الرسم، وعرضت عليه كتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبدالبرّ، ودارست عليه كتبًا جمَّة مثل كتاب التسهيل لابن مالك [هو محمد بن مالك الأندلسي الجيّاني النحوي المشهور (٦٠٠ - ٦٧٢هـ) وكتابه تسهيل الفوائد جَمَع فيه قواعد النحو وعُني به الأعلام قراءة وشرحا وإقراء. طبع بمكة المكرمة سنة ١٣١٩هـ]، ومختصر ابن الحاجب في الفقه ولم أكملهما بالحفظ، وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وعلى أساتذة تونس منهم الشيخ أبو عبدالله الحصايري وأبو العباس القصّار... ومنهم إمام العربية والأدب بتونس أبو عبدالله محمد بن بحر لازمت مجلسه وأفدت عليه وكان بحرًا زاخرًا في علوم اللسان. وأخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبدالله محمد الجياني وأبو القاسم محمد القصير قرأت عليه كتاب التهذيب ومختصر المدوّنة وكتب المالكية».

انتهى ما اقتبسته بتصرف وإيجاز من صفحة ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠، ولمن شاء المزيد من تعرف مشيخة ابن خلدون وأحواله أن يقرأ الكتاب كاملا وهو المجلد السابع من تاريخه «العبر».. وشكرًا لمجلتنا الغـرّاء وللأخ الكريم الذي أتاح هذه الفرصة، وسبحان من لا يأتيه خطأ ولا سهو، والسلام.

صالح عبدالجليل
مساكن - تونس



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجِدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

الدموع تجف أم لا

في العدد (٢٢٦) من مجلة الفيصل الغراء عنت لي هنات هينات وجدت من الحتم استدراكها وهي:

١ـ في مقال «دراسات في أدب الجزيرة العربية» ص (٦٢) جاء ذكر البيت في درج قصيدة للشاعر جعفر البيتي:

وغاية الجهد أن أبكي لها أسفا
حتى (تجف) دموعي في مآقيها

ولا يقال للسائل ـ أي المادة السائلة ـ تجفّ، لأنها في حالة الجفاف تصير جمداً أي ثلجًا. ولكن يقال جفت العين فلم تعد تدمع. ولا يقال جف الماء في الكوب، ولكن جف الكوب. أيّ الجفاف يكون (للمحتوِي) بكسر الواو لا (المحتوَى) بفتحها. قال الشاعر عديّ بن زيدٍ:

ثم صاروا كأنهم ورقٌ (جفّ)
... وألوت به الصبا والدّبور

فالجفاف للورق لا للسائل، كما تقول جف الثوب.. الخ.

٢ـ في مقال (من نوادر التصنيف) ص(٩٩) جاء قول الكاتب: «ما يدخل في أصناف الطبخ أو يتعلق به على الخصوص والعموم (كالكوافح) والخلول.. وقد لحق بكلمة المقوّسة (الكوافح) تصحيف وأغلب الظن أن صحة الكلمة (الكوامخ) ـ بالميم والخاء المعجمة ـ لما بعدها من الخلول..

وللتصحيف والتحريف أعاجيب في لغتنا العربية لا مجال لذكرها هنا، ونكتفي بهذا الاستدراك العابر. والله من وراء القصد، والسلام.

عدنان أسعد
القاهرة ـ مصر

المحرر: تعقيبًا على الاستدراكين اللذين أوردهما القارئ الكريم، نقول:

١ـ ما ذهب إليه من أن استعمال الشاعر لفعل «تجفّ» في قوله «حتى تجفّ دموعي» هو خلاف ما عليه أهل اللغة، والجواب على ذلك أننا كنا نحب أن يقترح الكاتب كلمة أخرى يصح بها المعنى ويستقيم معها الوزن؛ على أن الاستعمال في حد ذاته ليس خطأ، فقد ورد في لسان العرب (مادة رقأ) قوله: رَقَأت الدمعة تَرْقَأُ رَقْأً ورُقُوءًا: (جَفّت) وانقطعت... ولانريد الإفاضة فالحديث في ذلك يطول.

٢ـ ذكر التصحيف في كلمة: الكوافح، قال: وأغلب الظن أن صحة الكلمة: (الكوامخ) ـ بالخاء المعجمة ـ لما بعدها من الخلول.

لايجوز الحكم على الصحة والخطأ في اللغة بقولنا: أغلب الظن، لأن الموضوع يحتاج إلى نص ومرجع يجعلان الظن يقينا. وقد ذكرت كتب اللغة كلمة الكامخ، كما ذكرت الكَمْخ بمعنى السَّلْح، وكَمَخ البعير بسلْحه إذا أخرجه رقيقًا. وفي اللسان الكامَخ: نوع من الأدْم معرب. وقُرّب إلى أعرابي خبز وكامخ، فلم يعرفه، فقال: ما هذا؟ فقيل: كامخ. قال: قد علمت أنه كامخ ولكن أيّكم كمَخَ به؟ يريد سلح به. اهـ، وقد يكون ما ذهب إليه الناقد صحيحا، غير أن العلم لايجعل من غلبة الظن ومجاورة كلمة لأخرى دليلاً قاطعًا.

وفي استدراك الكاتب جاء قوله: «وقد لحق بكلمة المقوّسة (الكوافح) تصحيف»، فوصف النكرة بالمعرفة، وكان ينبغي أن يقول: بالكلمة المقوسة... أو بكلمة (الكوافح) المقوسة..

وللأخ عدنان الشكر الجزيل على تعقيبه واهتمامه بمتابعة ما يرد في المجلة ونقده.

العنوان
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:
السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٤٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيهًا ـ المغرب ٨دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٣٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنكًا ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:
يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

لنحث أولادنا على الادخار

د . صلاح يحياوي

ما من بلد انهار اقتصاديًا إلا وكان أهله من ضعيفي الادخار، ولاسيما إذا كان باب التسليف في البلد مفتوحًا على مصراعيه! عندها يشتري الناس مايرغبون فيه رغم معرفتهم بأنهم غير قادرين على ذلك.

وتغدو ذهنية «اشتر الآن وادفع فيما بعد» حلقة كاملة عندما يأتي موعد «فيما بعد»... عندئذ يغدو الدَّينُ مشكلة عصيبة، مكونًا نسبة مئوية كبيرة من ممتلكات البلد السائلة المنتجة.

ليس هذا هو الدرس الذي ينبغي أن يتعلمه أولادنا الذين هم عدة المستقبل، والذين هم في آخر الأمر سيحددون قوةَ اقتصاد بلدنا. إذ ينبغي علينا ـ نحن الآباء والأمهات ـ أن نعلّم أولادنا بدلاً من ذلك أهمية الادخار.

إن هناك طرائق عدة لتشجيع الأولاد على الادخار، فأول مايحتاج الأولاد تعلمه هو كيفية تحديد الأهداف، والعيش وفق ميزانية مرسومة، وهذا طبعًا أسهل قولاً منه فعلاً؛ إلا أن غرس العادات الجيدة في النفس، وطبعها في الذهن في سن مبكرة سيقود الأولاد إلى مدخرات أكبر فيما بعد.

لنساعد أولادنا باديءَ ذي بدء على رسم أهداف معقولة، ولنشجعهم على تنمية هذه الأهداف على المدى القريب وعلى المدى البعيد.

يمكن أن يكون الهدف من المدخرات القصيرة الأمد، الادخار لشراء دراجة مثلاً، وأن يكون الهدف من المدخرات البعيدة الأمد، الادخار لشراء سيارة أو من أجل مصاريف الدراسة الجامعية؛ وهكذا تكون التوقعات مهمة عند رسم الأهداف.

فإذا كان ابنك مثلاً يرغب في شراء دراجة في شباط (فبراير) من عام ١٩٩٤م ثمنها ٢٠٠ جنيه عربي، فإن عليه أن يدخر ١٣٫٣٣ جنيهًا عربيًا في الشهر، أو ٣٫٣٣ جنيها عربيًا في الأسبوع؛ وبذلك يستطيع قياس التقدم الناجم، وتحديد ما إذا كان هذا التقدم وفق البرنامج المرسوم، المحدد المواعيد، مساعداً في إنجاز أهدافه.

وتَغْدُو الأهداف جوفاء لامعنى لها إن كنت لا تستطيع قياس التقدم في اتجاه الإنجاز؛ ومهما كانت أهداف الأولاد فإن علينا أن نجعلهم يسجلون ذلك على صفحة من الورق، يحفظونها من أجل المراجعة الدورية.

وكي تتأكد من أن أولادك يسيرون وفق البرنامج في تنفيذ أهدافهم؛ فإن عليهم أن يلتزموا ميزانية مرسومة. وتُعد الميزانية من الضرورة بمكان، لأن هناك ما يحتاجون إلى صرفه، وسيكون لما يصرفونه تأثير في المبلغ من المال الذي سيكونون قادرين على ادخاره.

وليس من الواقع في شيء أن تنتظر من أولادك أن يدخروا كل قرش يكسبونه! اجعلهم يخصصون جزءاً من المبلغ ـ ربما نسبة مئوية منه ـ ليستخدمونه في دفع ثمن ما يحلو لهم، مهما كان ذلك، سواء لشراء حلوى أو للذهاب إلى المدن الترفيهية أو.. الخ.

كما أن من الأهمية بمكان تعليم الأولاد أن يكافئوا أنفسهم على جهودهم. فمثلاً إن كنت تدفع لابنك خمسة جنيهات عربية من أجل عمل تطلب منه أن يقوم به في فناء المنزل، فعلِّمْه أن يدخر جزءاً من ذلك المبلغ، وأن يحتفظ بجزء منه لمصروفه.

وعندما يكافيء الأطفال أنفسهم بصرف جزء من دخلهم فإنهم يسعدون أيضًا برؤية مدخراتهم تنمو. فإن كنت لم تبدأ حتى الآن بفتح حسابات ادخار لأولادك، فإن الوقت قد حان الآن للقيام بذلك. ومهما كان مصدر البدء ـ سواء من عيديّاتهم أو من حصالاتهم أو من مِنَح منك ـ فإن فتح حساب ادخار سيساعدهم على إنجاز أهدافهم.

وكي تشجع أولادك على الادخار، فإن عليك أن تجاريهم في مدخراتهم. فإنْ وَضَعَ ابنك خمسة جنيهات في حساب ادخاره، فعليك أن تباريه بوضع خمسة جنيهات أخرى من مالك في حسابه، وسيكون هذا مفيداً بخاصة من أجل الأهداف البعيدة المدى.

ولاتقتصر الأهمية على الادخار على شيء ترغب فيه، بل من المهم أيضًا الادخار لضمان المستقبل. فعندما يكون لدى الناس مدخرات يكون لديهم مال للتوظيف.

إن مستقبل البلد، أي بلد، في أيدي أولاد البلد وحسابات ادخارهم. ونحن ـ الآباء والأمهات ـ علينا أن نساعد في التحضير لمستقبل زاهر.